

البصائر

مَجَلَّةٌ عَلِيَّةٌ فَضْلِيَّةٌ مُحْكَمَةٌ

تُعْنَى بِالذِّرَاسَاتِ وَالْبُحُوثِ الْقُرْآنِيَّةِ

(٤٤)



عِبَادَةُ الْحُسَيْنِيِّينَ الْمَقْدِسِيِّينَ
قِسْمُ الشُّرُوحِ وَالْفِكَرَةِ وَالْتَفْقِيقِ
شُعْبَةُ الدِّرَاسَاتِ وَالْبُحُوثِ الْقُرْآنِيَّةِ

الْبُصْبُوكُ

مَجَلَّةٌ عِلْمِيَّةٌ فَصْلِيَّةٌ مُحَكَّمَةٌ
تُعْنَى بِالدِّرَاسَاتِ وَالْبُحُوثِ الْقُرْآنِيَّةِ
تَصَدَّرُ عَنْ

الْعِبَادَةِ الْحُسَيْنِيِّينَ الْمَقْدِسِيِّينَ

الْعَدَدُ الرَّابِعُ وَالْأَرْبَعُونَ - ربيع الأول، ١٤٤٣هـ / تشرين الأول، ٢٠٢١م

السَّنَةُ الْحَادِيَّةُ عَشْرَةٌ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

بسم الله الرحمن الرحيم

Republic Of Iraq
Ministry Of Higher Education &
Scientific Research
Research and Development



جمهورية العراق
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
دائرة البحث والتطوير

No :
Date:

العدد: ب ت ٤ / ٢٨٢
التاريخ: ٦ / ١٠ / ٢٠١٣

ديوان الوقف الشيعي / الامانة العامة للعتبة الحسينية المقدسة

م/ مجلة المصباح

تحية طيبة...

اشارة الى كتابكم المرقم ١٤٩٩٦ في ٢٩/٩/٢٠١٣ والحاقا بكتابنا المرقم ب ت ٤ / ٨٠٣٣ في ٦/٦/٢٠١٣ بالإمكان اعتماد "مجلة المصباح" الصادرة عنكم لأغراض الترقية العلمية • مع وافر التقدير

أ.م.د. محمد عبد عطية السراج
المدير العام لدائرة البحث والتطوير
٢٠١٣/١٠/٦

نسخة منه إلى/

- دائرة البحث والتطوير/ الشؤون العلمية.
- الصادرة.
١٠/٦/١٣

Website: www.rddiraq.com

mail : gd_office@rddiraq.com , scientificdep@rddiraq.com

الهاتف / ٧١٩٤٠٦٥

رئيس التحرير

أ.د. عليّ عباس الأعرجي

مدير التحرير

أ.م.د. لواء عبد الحسن عطية

هيئة التحرير

أ.د. قاسم محمّد كاظم
جامعة ذي قار / العراق

أ.د. صفاء توفيق كاظم
جامعة بغداد / العراق

أ.د. عليّ خلف حسين
جامعة ديالى / العراق

أ.د. سعيد جاسم عباس الزبيديّ
جامعة نزوى / سلطنة عُمان

أ.د. حسام محمّد نادي محمّد النادي
جامعة الفيّوم / مصر

أ.د. عبد القادر ميلود سلامي
جامعة تلمسان / الجزائر

الشيخ الدكتور منصور مندور
الأزهر الشريف / مصر

أ.م.د. كبرى روشنفكر
جامعة تربيت مدرّس / طهران

أ.د. حازم سليمان الحليّ
جامعة الكوفة / العراق

أ.د. محمّد عبد الحسين الخطيب
جامعة كربلاء / العراق

أ.د. عبد الواحد زيارة إسكندر
جامعة البصرة / العراق

أ.د. عبد الباقي بدر ناصر
الجامعة المستنصرية / العراق

أ.د. ستّار عبد الحسن جبار
جامعة القادسيّة / العراق

أ.د. حسن حبيب الكريطيّ
جامعة كربلاء / العراق

أ.د. حسن كاظم أسد
جامعة الكوفة / العراق

أ.د. صاحب منشد عبّاس
جامعة المثنى / العراق

المصباح

مَجَلَّةٌ عِلْمِيَّةٌ فَضَلِيَّةٌ مُحَكَّمَةٌ
تُعْنَى بِالذَّرَاسَاتِ وَالْبُحُوثِ الْقُرْآنِيَّةِ

ISSN الترتيب الدولي

2226-5228

رقم الإيداع في دار الكتب والنوائس

٢٠١٠/١٤١٤

العنوان الوقعي

مجلة الصباح - مقابل باب السلام

كربلاء المقدسة - جمهورية العراق

الرسائل تعنون باسم رئيس التحرير

٠٧٤٣٥٠٠٥٨٠٥

٠٧٤٣٥٠٠٠٢٤٢

البريد الإلكتروني

almissbah@yahoo.com

almissbah@imamhussain.org

موقعنا على شبكة الانترنت

www.almissbah.org

مدقق النص العربي

أ.م.د. إدريس محمد هادي الموسوي

جامعة بابل / كلية الآداب

مدقق النص الإنجليزي

أ.م.د. اسراء طالب سعد

جامعة الكوفة / كلية التربية للبنات

م.د. عباس حسن عبيس

مسؤول الموقع الإلكتروني

علي رضا الحائري

الإخراج والتصميم

محمد رزاق كباي

زين العابدين عبدالغني

﴿ سياسة النشر ﴾

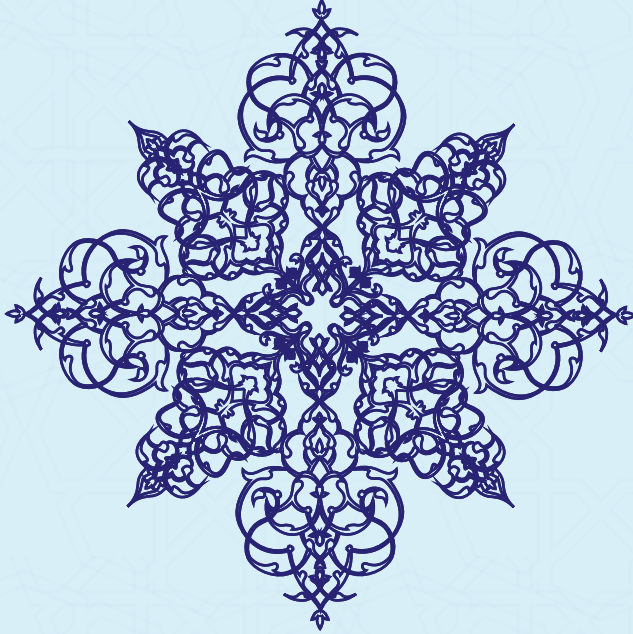
١. أن يكون البحث منسجماً مع اختصاص المجلة وتوجُّهها في نشر الأبحاث التي تتعلَّق بالقرآن الكريم حصرياً.
٢. أن لا يكون البحث منشوراً في مجلة داخل العراق وخارجه، أو مستلاً من كتاب أو رسالة جامعية أو محملاً على الشبكة العنكبوتية على أن يلتزم الباحث بذلك بتعهد خطي على وفق الأنموذج المحرَّر أسفل هذه الضوابط.
٣. أن لا يكون البحث نمطياً أو ممَّا أشبع موضوعه بحثاً، أو سردياً أو إحصائياً أو إجرائياً ممَّا لا يتمثل فيه جهد الباحث الفكري.
٤. أن يحتوي البحث المطلوب للترقية العلمية على عناصر البحث العلمي، من ملخِّص باللغتين العربية والإنجليزية ومقدِّمة ومباحث ونتائج ومسرد مفصَّل بالمصادر.
٥. يُرسل البحث محملاً على CD أو فلاش أو بوساطة البريد الإلكتروني للمجلة مع احتفاظ الباحث بنسخة الأصل عنده. ولا تستوفي المجلة آية مبالغ نقدية عن نشر الأبحاث المطلوبة للتحكيم والترقية.
٦. تقوم المجلة بإشعار الباحث بوصول البحث، ثم تُشعره بقبول النشر في حال موافقة هيئة التحرير على ذلك، وعندها يكون البحث ملكاً للمجلة لا يجوز تقديمه للنشر في مجلة أخرى.
٧. ترتيب الأبحاث في المجلة يخضع لسياق فني صرف ولا علاقة لأهمية البحث أو لمكانة الباحث بذلك.
٨. يهمل كلُّ بحثٍ لا يحمل المعلومات المطلوبة عن الباحث (اسمه - درجته العلمية - مكان عمله - عنوانه الكامل ورقم هاتفه أو عنوان بريده الإلكتروني).
٩. يُستحسن للباحث الإشهار بنشاطه العلمي والثقافي في سطور قليلة.
١٠. تحتفظ هيئة التحرير بحق حذف أو تعديل ما لا يتماشى وسياسة المجلة في نشر علوم القرآن الكريم حصرياً أو ما خرج منها عن منهج البحث العلمي أو الموضوعي أو ما مسَّ جوهر العقائد الإسلامية ورموزها الفكرية والدينية.
١١. الالتزام بالحجم المتعارف للبحث العلمي، بحيث تتراوح عدد كلماته بين (١٠٠٠٠ - ١٥٠٠٠) كلمة.

تهدف المجلة إلى توفير فرص متساوية لجميع الباحثين، حيث تقبل الأبحاث العلمية استناداً إلى محتواها العلمي وأصالتها، وترى المجلة في أن الالتزام بأخلاقيات النشر المهنية تعدُّ أهمية قصوى يجب على الباحثين والمُحكِّمين مراعاتها لتحقيق رؤية المجلة وأهدافها.

وفيما يأتي بيان أخلاقيات النشر العلمي الخاص بالمجلة، ويتضمَّن لوائح وأنظمة أخلاقيَّة خاصَّة برئيس التحرير وأعضاء هيئة التحرير والمُحكِّمين والباحثين، التي تتوافق مع مبادئ لجنة أخلاقيات النشر العالمية (COPE)، وهذه الأخلاقيات هي:

- * رئيس التحرير يقوم بمتابعة وتقويم البحوث تقويماً أولياً، والنظر في مدى صلاحيتها للنشر، أو الاعتذار من النشر، قبل إرسالها إلى السادة المُحكِّمين.
- * يتولَّى رئيس تحرير المجلة بالتعاون مع هيئة التحرير وذوي الاختصاص من خارج هيئة التحرير مسؤوليَّة اختيار المُحكِّمين المناسبين على وفق موضوع البحث، واختصاص المُحكِّم بسريَّة تامَّة.
- * تقدِّم المجلة في ضوء تقارير المُحكِّمين والخبراء خدمة دعم فنيٍّ ومنهجيٍّ ومعلوماتيٍّ للباحثين بحسب ما يستدعي الأمر ذلك ويجدِّم جودة البحث.
- * الالتزام بعدم التمييز بين الباحثين على أساس العرق، أو الجنس، أو النوع الاجتماعي، أو المعتقد الديني أو القيمي، أو أي شكل من أشكال التمييز الأخرى، عدا الالتزام بقواعد البحث ومنهجه ومهارات التفكير العلمي في عرض الأفكار وتقديمها والاتِّجاهات والموضوعات ومناقشتها وتحليلها.
- * تلتزم المجلة بعدم جواز استخدام أي عضو من أعضاء هيأتها، أو المُحكِّمين أفكار البحوث غير المنشورة التي يتضمَّنها البحث المحال على المجلة في أبحاثهم الخاصة. يجب على الباحثين ضمان أصالة أبحاثهم واستيفائها للمعايير المهنية والأخلاقيَّة العالية للباحثين، وما يترتَّب على ذلك من مصداقيَّة عالية في تقديم النتائج من دون تحريف لنتائج البيانات.
- * يجب على الباحثين التحلِّي بالموضوعيَّة، وتعني أخلاقياً ذكر الحقائق التي تمَّ التوصلُ إليها كما هي، سواء عزَّزت وجهة نظر الباحث أو تعارضت معها، من دون أي تغيير أو تحريف عليها.
- * يجب على الباحثين التحلِّي بالدقَّة، وتعني أخلاقياً اعتماد مقاييس دقيقة مستندة إلى قيم وأسس علميَّة، للوصول إلى نتائج علميَّة مقبولة.
- * يجب على الباحثين استخدام الطريقة العلميَّة المنهجية في الوصول إلى الحقيقة.

- * يجب على الباحثين التحلي بالحياديّة، أي الابتعاد عن التعصّب والتزمّت والتمسك بالرأي والذاتيّة، أي أن يكون الباحث منفتحاً عقلياً على الحقيقة العلميّة.
- * يجب على الباحثين اعتماد الأدلّة والبراهين الكافية لإثبات صحّة النظريّات والفرضيّات للتوصّل إلى الحلّ المنطقيّ المعزّز بالأدلّة.
- * يلتزم المحكّمون بالتأكد من حلّ الأبحاث من الانتحال أو السرقة، كما يجب عليهم الإشارة إلى جميع الأعمال المنشورة التي جرى الانتحال منها في متن البحث المحكّم.
- * تلجأ المجلّة إلى استخدام برامج مكافحة الانتحال المناسبة للتحقّق من أوجه التشابه بين الأبحاث المقدّمة والأبحاث المنشورة.
- * حقوق الملكية الفكرية تعود إلى المؤلّفين، وتلتزم المجلّة بالحفاظ عليها، وعدم إعادة نشرها إلاّ بإذن خطّي من المؤلّف.



دليل المؤلف أو المؤلفين

تضمن صفحة ضوابط النشر معظم ما جاء في دليل المؤلفين.

تنشر مجلة المصباح البحوث العلمية، حيث تعتمد في انتقاء محتويات أعدادها المواصفات الشكلية والموضوعية للمجلات الدولية المحكمة وفقاً لما يأتي:

أولاً: أن لا يكون البحث منشوراً كلاً أو جزءاً في أية وسيلة إعلامية، أو تم نشره في مجلة إلكترونية، أو ورقية، داخل العراق أو خارجه.

ثانياً: لا تنشر المجلة مستلآت أو فصولاً أو مباحثاً من رسائل وأطاريح جامعية تمت مناقشتها في أية جامعة من الجامعات العلمية داخل العراق أو خارجه.

ثالثاً: أن يشتمل البحث على العناصر الأساسية الآتية:

١. عنوان البحث باللغتين العربية والإنكليزية، واسم الباحث، والجامعة أو المؤسسة العلمية والبحثية التي ينتمي إليها.

٢. ملخص البحث يكون باللغتين العربية والإنكليزية ما بين (١٠٠-١٥٠) كلمة والكلمات المفتاحية (Key Words) يضم أهداف البحث وأدواته ومنهجه، وأهم النتائج التي توصل إليها البحث.

٣. تحديد مشكلة البحث، وأهميته، وأهدافه، وتحديد المصطلحات والإطار النظري ومناقشة النتائج وتفسيرها التي توصل إليها البحث، على وفق المنهج العلمي المتبع للبحوث الأكاديمية.

٤. أن يقع البحث ضمن مجال أهداف المجلة، واهتماماتها البحثية، مع مراعاة الإضافة المعرفية التي يقدمها الباحث من خلال الدراسة والتحليل.

٥. يقدم البحث مطبوعاً طباعة ليزرية على الحاسوب من نسختين، وعدد صفحات البحث (١٥-٤٠) صفحة، مع قرص يتضمن البحث إلكترونيًا، والملخصين، مع سيرة ذاتية للباحث على قرص (CD)، وأن يكون خاليًا من الأغلاط اللغوية والطباعية.

٦. يتم تنسيق البحث طباعة بأن يكون نوع الخط (Simplified Arabic)، وحجم الخط (١٦) غامق للعنوان الرئيس، و(١٥) غامق للعناوين الفرعية، و(١٤) للنصوص، والمسافة بين الأسطر (١)، وترقيم جميع الصفحات.

٧. توثق الهوامش في الصحيفة نفسها من البحث، وأن يكون حجم الخط (١٢).

٨. أن يتضمن البحث قائمة المصادر والمراجع كاملة التوثيق آخر البحث على وفق صيغة MLA (اسم المؤلف (المؤلفون) أو المحقق (المحققون)، عنوان الكتاب، الطبعة، بلد النشر، الناشر، سنة النشر) مرتبة على وفق الحروف الهجائية، مع أفراد الدوريات، أو المواقع الإلكترونية بعدها.

رابعاً: يوضع كل بحث إلى تحكيم سرّي، يقوم به أستاذان (محكّمان) من المختصين اختصاصاً دقيقاً في موضوع البحث، ومن ذوي الخبرة العلمية، على وفق استمارة محدّدة، وفي حال تباين تقارير الأستاذين، يُحال البحث إلى أستاذ ثالث، وتلتزم المجلّة موافاة الباحث بقرارها الأخير، النشر/ النشر بعد إجراء تعديلات محدّدة/ الاعتذار عن عدم النشر، وذلك في غضون شهرين من تسلم البحث، والتزام الباحث بقرار التحكيم بتعديل البحث ثمّ نشره.

خامساً: تُقبل البحوث المشتركة من باحثين أو أكثر، ويتمّ إشعار الباحث أو الباحثين بقبول البحث بكتاب رسمي صادر من المجلّة.

سادساً: تلتزم المجلّة باحترام الخصوصية والسريّة والموضوعيّة والأمانة العلميّة، وعدم بيان أعضاء هيئة التحرير عن أيّة معلومات بخصوص البحث المحال إليهم، أو إلى أي أستاذ غيرهم.

سابعاً: تنشر المجلّة ما يتعلّق بما تقوم به جهة إصدارها من مؤتمرات، وحلقات نقاشيّة، وندوات علميّة بحثيّة ضمن تخصصات وتوجّهات المجلّة في ملفّ خاصّ بذلك.

ثامناً: يخضع ترتيب نشر البحوث على وفق الموضوعات العلميّة وأبواب المجلّة المختصّة بها، مع مراعاة تسلسل تسلّمها للبحث مرفقاً بكتاب خاصّ يبيّن نسبة الاستلال من البحوث والدراسات الأخرى، فضلاً عن إجراء ملاحظات الخبيرين العلميين للبحث إن تطلّب ذلك.

تاسعاً: يزود الباحث بنسخة واحدة من المجلّة، ونسخة من بحثه (مستل) مجاناً.

عاشراً: تُعنون المراسلات كافة على البريد الإلكتروني الخاص بالمجلة حصراً.

almissbah@imamhussain.org

﴿ دليل المقيمين ﴾

تحرص مجلة المصباح على ضمان أعلى درجات الكفاءة والإنصاف في عملية التقويم فضلاً عن ضمان توحيد آلية التقييم، والاتفاق على مراحلها، والتأكيد على أهمية استيفاء كافة معايير التقويم المنصف والدقيق، لذلك نرى أن المهمة الأساسية للمقوم العلمي للبحوث، هي أن يقرأ البحث الذي يقع ضمن تخصصه العلمي بعناية فائقة، وتقومه على وفق ورؤى ومنظور علمي أكاديمي لا يخضع لأرائه الشخصية، ومن ثم يقوم بتثبيت ملاحظاته الصادقة حول البحث المرسل إليه، وقبل البدء بعملية التقويم ينبغي أن يكون البحث المرسل ضمن تخصصه العلمي، وأن يُعاد البحث إلى المجلة في مدة لا تتجاوز خمسة عشر يوماً، ويتمُّ التقويم على وفق المحددات الآتية:

١. العنوان ومدى اتساقه مع المحتوى.
٢. سلامة المنهج العلمي المستخدم مع المحتوى.
٣. مدى توثيق المصادر والمراجع وحدائتها.
٤. الأصالة والقيمة العلمية المضافة في حقل المعرفة.
٥. هل البحث يتفق مع السياسة العامة للمجلة وضوابط النشر فيها.
٦. هل البحث مستللاً من دراسات سابقة، توجب على المقوم بيان تلك الدراسات لرئيس التحرير في المجلة.
٧. بيان فيما إذا كان ملخص البحث يصف بشكل واضح مضمون البحث وفكرته باللغتين العربية والإنكليزية.
٨. هل تفسير الباحث للنتائج التي توصل إليها خلال بحثه بشكل علمي يستند إلى الأطر النظرية التي اعتمدها عليها.
٩. يجب أن تجري عملية التقويم بشكل سرّي، وعدم اطلاع المؤلف على أي جانب فيها، وتسلم الملاحظات مكتوبة إلى مدير التحرير.
١٠. إن ملاحظات المقوم العلمية وتوصياته سيعتمد عليها وبشكل رئيس في قرار قبول البحث للنشر من عدمه.

إقرار وتعهّد بالملكيّة الفكريّة

- عنوان البحث.....
١. أقرُّ بأنَّ البحث لم يسبق نشره ولم أقدمه لآيَّة جهة لنشره كاملاً أو ملخّصاً وغير مستل من رسالة أو أطروحة.
 ٢. أتعهّد بالتقيّد بتعليّقات وأخلاقيّاته النشر المعمول بها والمنشورة بالمجلّة، وتدقيق البحث لغويّاً، وأن تكون حقوق النشر للمجلّة.
 ٣. في حالة موافقة هيئة التحرير على نشره، أوافق على أنّه ليس من حقّي التصرّف بالبحث إلاّ بعد الحصول على موافقة خطيّة من رئيس التحرير.
 ٤. راجعتُ النسخة النهائيّة للبحث وأتحمّل المسؤوليّة القانونية والأخلاقيّة لما قد يرد فيه، وعليه وقّعت في أدناه.

اسم الباحث الأوّل.....

اسم الوزارة والجامعة والكلية أو المؤسسة التي يعمل فيها الباحث

.....
أسماء الباحثين المشاركين (إن وجدوا).....

توقيع الباحث..... التاريخ / / ٢٠٠٠.

المصنوبات

البحوث

٢٥	الأستاذ المتمرس الدكتور حاكم حبيب عزز الكريطي الجامعة الإسلامية / النجف	ولاية الإمام علي <small>عليه السلام</small> بين حديث الغدير والقرآن الكريم قراءة تأويلية
٤٥	أ.د. خليل خلف بشير جامعة البصرة / كلية الآداب	الغدير في القرآن الكريم
٦٥	الدكتور مروان صلاح خليفات الأردن	﴿بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ﴾ بحث في أسباب النزول
٨٩	أ.م.د. زهراء جواد عباس الجامعة الإسلامية / النجف	المغايرة السياقية في آيتي الغدير دراسة في ضوء إعلامية كسر التوقع النصي
١١٧	أ.م.د. كريم حمزة حميدي كلية الإمام الكاظم / أقسام بابل	دلالة لفظ المولى على ولاية أمير المؤمنين <small>عليه السلام</small> في تفاسير أهل السنة والجماعة
١٥٥	أ.م.د. قاسم عبد سعدون حسن جامعة ميسان / كلية التربية	حادثة الغدير بين الرواية التاريخية والتفسير القرآني المفسرون الأندلسيون أنموذجا
١٨٩	م.م. فرقان مهدي عباس حيدر العتبة العلوية / المكتبة النسوية	توظيف الاقتباس القرآني والنبوي في خطبة الغدير
٢١٥	م.م. أحمد موفق مهدي جامعة البصرة / كلية التربية للبنات	آيات الغدير في القرآن الكريم قراءة تحليلية
٢٦٧	د. مواهب صالح مهدي الخطيب جامعة المصطفى / إيران	محورية الإمامة في الغدير برؤية قرآنية مقارنة

الدراسات الاستشراقية والنقدية

٣٠٣	م.م. كريم جهاد الحساني جامعة بغداد كلية العلوم الإسلامية	الغددير في الدراسات الاستشراقية مقاربة روائية قرآنية
-----	--	---

الدراسات المترجمة

٣٢٧	أ.د. محمد حسين بيات عضو الهيئة العلمية جامعة العلامة الطباطبائي ترجمة: الأستاذ حسين السعداوي	الإمامة عند الشيعة الاثني عشرية دراسة عقلية قرآنية روائية
-----	---	--

التحقيق ونقده

٣٨٩	دراسة وتحقيق الشيخ رافد الغراوي	رسالة في معنى المولى قوله ﷺ (من كنت مولاه فعلي مولاه) لأبي جعفر محمد بن موسى الزامي النحوي كان حيا في القرن السابع الهجري
-----	------------------------------------	--

دراسات بليوغرافية

٤٠٧	الباحث حيدر عبدالباري الحداد وحدة الفهرسة العتبة العلوية المقدسة	فهرس ذخائر آيات الولاية والإمامة والغددير في التراث العربي المخطوط
-----	--	---

نافذة المصباح

٤٧٥	الأستاذ حسين السعداوي كربلاء المقدسة	من كتب الولاية القرآنية كتاب ﴿ثُمَّ نَبِّئْهُمْ﴾ للباحث غلام رضا صادقي فرد قراءة وتوصيف
-----	---	--



عدد خاص عن البحوث القرآنية لمؤتمر الغدير العلمي العالمي الأول

بحوث العدد

البحوث وما تتضمنها من آراء وأفكار تُعبّر عن رأي كُتّابها



وَلَايَةُ الْإِمَامِ عَلِيٍّ عَلَيْهِ السَّلَامُ
بَيْنَ حَدِيثِ الْغَدِيرِ وَالْقُرْآنِ الْكَرِيمِ
قِرَاءَةٌ تَأْوِيلِيَّةٌ

الأستاذ المتمرس الدكتور حاكم حبيب عزر الغريطي

الجامعة الإسلامية/ النجف الأشرف

*Wilayat/Custodianship of Imam Ali (a.s) between the tradition of
Al-Ghadeer and the Noble Quran.*

Interperitonal Reading

Experienced Ph.D Prof. Hakem Habib Ezar Elgoraity

Islamic University/Holy al-Najaf city

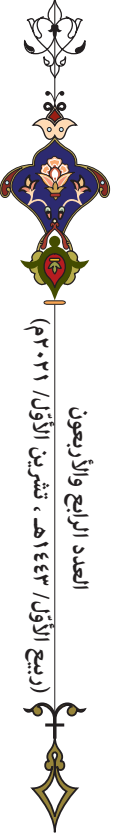
Hakem60@gmail.com

ملخص البحث

يهتمُّ هذا البحثُ ببيانِ دلالةِ (الولاية) على وفقِ ما تُؤدِّيهِ اللغةُ من معانٍ بمنهجِ تأويليٍّ، يلتفتُ إلى المعاني المعجميةِ للألفاظِ المركزيةِ في النصوصِ، ويأخذُ كلَّ المعاني التي يحتملُها السياقُ من دونِ جورٍ عليها، وإنَّما ينظرُ إلى اتساقها مع السياقِ بما يُعطي معانيَّ جديدةً ربما لم يُلتفتِ إليها كثيراً من قبلُ. ومن هنا سنركِّزُ على معاني الولاية التي منحها الله تعالى الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام بعد أن منحها النبي الأكرم صلى الله عليه وآله.

الكلمات المفتاحية:

الولاية - الإمام علي عليه السلام - الغدير - القرآن - حديث - التأويل.



Abstract

This study spotting the light on the connotation of the word (Alwelayah) clarification compatible with the linguistic results of meanings using hermeneutical approach, which is taking on concern the lexical meanings of the Central Words in the texts, and indicating all the meanings which the context holds without changing, but recognizing the context consistency which would give it new meanings which may not being recognized in earlier works.

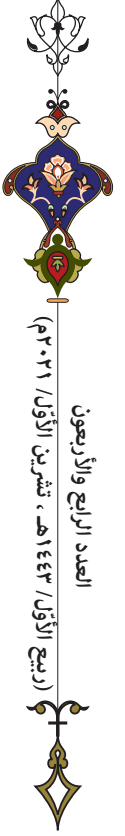
Therefore, we will concentrate on the meanings of Alwelayah which Almighty Allah Has given to Imam Ali bin Abu Talib peace be upon him, after the Nobelist prophet Mohammed peace be upon him and his family.

Key words: Alwelayah – Imam Ali A.S – Alghadeer – Quran – Hadith - interpretation

ولاية الإمام علي عليه السلام

تحفل كتب الحديث والتاريخ والسير بالأخبار والروايات التي يحيط بها الشك أحياناً، أو التي تبعد عن طريق الحق أحياناً أخرى بدافع الولاء والحب لهذا الشخص أو ذاك مرة، وبدافع القصد المريب مرة أخرى، والشواهد على ذلك كثيرة جداً، وآية قراءة متأنية لتلك الروايات تكشف عما نقوله ببسر، والعدل المعرفي يقتضي أن ننظر في أي خبر أو آية رواية على وفق المعيار القرآني وما يتصل به من الأحاديث الصحيحة المروية عن النبي ﷺ، فما توافق مع هذا المعيار، نأخذ به، متمسكين بهديه، وما خالفه لا نقبله ولا نعمل به. واستناداً إلى هذا فإن النظر في الروايات المشار إليها، يظهر بُعد بعضها عن منهج الدين القويم، ولكن البعض جعلها رواية مقدسة؛ لأنها رويت عن أحد الصحابة، فأصبغت عليها قدسية من هذا الجانب، وهذا التوجه لا يتوافق مع منطق العقل السليم، لأن ما يصدر عن الصحابي، يصدر عن بشر يُصيب ويُخطئ، فضلاً عن أنه يصدر عن إنسان يمزج ما يصدر عنه بمشاعره وأحاسيسه، ومن هذا لا يمكن القطع بصحة كل ما يصدر عن الصحابة، إن كان صدر حقاً.

واستناداً إلى ما تقدم، فلا يمكن أن يكون لشخص ولاية على شخص آخر، إلا أن يكون الولي مبرئاً من الخطأ ومعصوماً من الوقوع فيه، حتى يسير بمن يتولاه على الطريق المستقيم الذي ينجي من الهلكة، وتكون سنته قدوة لتابعه، وهذا شأن النبي ﷺ إذ أراد الله تعالى أن يكون ولياً للمسلمين برحمة منه جل شأنه؛ لأنه معصوم من الخطأ والزلل ومبرأ مما يلحق الناس من عيوب، ومسدد من الله تعالى في القول والعمل ﴿ وَمَا



يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ ﴿١﴾. واستناداً إلى هذا حُقَّ له أن يكون ﴿أَوْلَىٰ بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ﴾، وهذا التشريف الإلهي حقاً فرضه الله تعالى على المسلمين، فأمنوا به وعملوا على وفق ما يقتضيه.

وصار عليُّ بن أبي طالب إماماً وولياً للمسلمين بعد النبي ﷺ بنصَّ القرآن الكريم وبنصِّ حديث الغدير. فكيف نتأول هذا كله من المصدرين، وسنبداً قراءتنا التأويلية من نصِّ حديث الغدير لنعطف أبصارنا بعد ذلك إلى القرآن الكريم، فنأخذ منه ما يساند هذه القراءة حتى يستقيم أمرها تماماً.

القراءة اللغوية لحديث الغدير:

أوردت مصادر المسلمين حديث الغدير بصورة واحدة، سوى بعض الاختلافات التي توسَّعت من معناه، واستناداً إلى هذا سنكتفي هنا بالمقطع الذي أجمعت عليه المصادر كلها، وهو قول النبي ﷺ بالحادثة المعروفة في غدير خم «من كنت مولاه فعليُّ مولاه»^(١)، ومن أجل الوقوف على دلالات الحديث، سنكثر من العودة إلى المعجم لالتقاط معاني المفردات المركزية للحديث؛ لأنَّ اللفظة (أية لفظة) تبقى وفيه جذرها اللغوي، مهمَّاً تعددت المعاني التي يُخرجها إليها السياق، ومن هنا سيكون مجدياً تماماً على وفق هذه (الرؤية أن نعود إلى المعجم لأخذ معاني الجذر (ولي)، التي يحتملها السياق، بل يقبلها من دون أيِّ جور عليه وعلى اللفظة. جاء في لسان العرب تحت الجذر (ولي) المعاني الآتية:

١- الولاية: القدرة والتدبير والفعل، وما لم يجتمع هذا في الولاية لم ينطبق عليه اسم الوالي.

٢- الولي: النصير، التابع، المحب، الصديق.

(١) الكافي ١/ ٢٨٧، من لا يحضره الفقيه ١/ ٢٢٩، علل الشرائع ١/ ١٤٤، تهذيب الأحكام ٣/ ١٤٤.

٣- الولي: كلُّ من ولي أمر واحد فهو وليه.

٤- المولى: الرب والمالك والسيد والمنعم والمعتق والناصر والمحب.

إنَّ النظر في هذه المعاني يقود إلى نتيجة مؤداها، أنَّ الولي يمتلك القدرة والفعل بما يجعله قادراً على تدبير شؤون من اتخذه ولياً، وإذا فقد أياً من هذه الصفات الثلاث، لا يصح أن يسمّى ولياً؛ لأنَّ التوصيف لا ينطبق عليه. هذا فضلاً عن أنَّ هذا المعنى يكشف من طرفٍ خفيٍّ عن إيمان المولى، النصير، المحبِّ، التابع، الصديق، بقدرة الولي الذي اتبعه على تدبير شؤونه، فسلم له أمره مؤمناً بقدرته على قيادته في الطريق المستقيم. والنبِيُّ ﷺ يمتلك هذه الصفات كلّها، وآمن المسلمون بذلك كلّهم، ولذلك جعله القرآن الكريم ﴿أَوَّلِيَّ بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنْفُسِهِمْ﴾؛ لأنَّ ولاية النفس على الإنسان قد تقوده إلى مهاوي الردى فهي أمارة بالسوء إلا ما رحم الله تعالى. أمّا ولاية النبيِّ ﷺ فهي ضمان ربانيٌّ للمسلمين، يحميهم ممّا لا يرضاه الله تعالى، وهذا لا يتحصل إلاّ بالإيمان بهذا كلّهم على وفق ما يريده المعنى اللغوي لـ (ولي).

وعودٌ إلى حديث الغدير، فالنبيُّ ﷺ أخبر المسلمين، بأنَّ ولايته على المسلمين المقررة إلهياً بنصِّ القرآن الكريم كما مرَّ هي لعليٍّ عليه السلام، وهو ﷺ لا ينطق عن الهوى، فكلُّ ما يبلغ به عن الله عزَّ وجلَّ، واستناداً إلى هذا تكون ولاية الإمام عليٍّ عليه السلام على المسلمين، ولاية ربانيّة، تشكّل أساً رئيساً من أسس العقيدة الإسلاميّة، استناداً إلى حديث الغدير. وثمة أمر آخر نلاحظه في الحديث، وهو أنَّ النبيَّ ﷺ لم يقل من كنت مولاه فسيكون عليٌّ وليه، أي في المستقبل، إذا توفي ﷺ، وإنما جاء الحديث بهذه الصياغة، لينبئ المسلمين، بأنَّ ولاية عليٍّ عليه السلام قائمة منذ صار النبيُّ نبياً، أي مع أوّل تبليغ للنبيِّ ﷺ بالنبوة، ويمكن أن يترأى هذا المعنى مع الفاعل (كنت) الذي يشير إلى ما سبق من زمن، دون أن يقصر الدلالة عليه؛ لأنَّ صاحب القول يتحدث في الحاضر بلسان الماضي والحاضر، فإذا



حصل وانتقل إلى الحياة الأخرى، تبقى ولاية عليّ بن أبي طالب على المسلمين قائمة كما كانت في حياته عليه السلام.

إنّ ما أثبتناه هنا يكشف أنّ هذه (الولاية) حقّ لعليّ بن أبي طالب عليه السلام، وواجب على المسلمين أن يعملوا على وفق ما يقتضيه هذا الحقّ.

ويعيننا ابن منظور في لسان العرب في إدراك أبعاد هذه القضية حينما يورد حديثاً آخر للنبي صلى الله عليه وآله بهذا المعنى، وهو قوله صلى الله عليه وآله «من تولّاني فليتولّ عليّاً»، وهذا واضح الدلالة على المعاني التي خرج إليها (ولي)، ومعناه على وفق ذلك: من جعلني ولياً له وأملك حقّ التصرف في شؤونه كلّها، فعليه أن يجعل هذا كلّه لعليّ عليه السلام، وهذا التوجيه الذي نطق به ابن منظور يقطع تماماً بصحّة ما تأولناه في توجيهنا السابق، ويتناغم تماماً مع ما تؤدّيه اللغة في دلالة حديث الغدير.

بيد أنّ ما ينبغي أن نشير إليه هنا، هو أنّ أحد علماء اللغة وهو (ثعلب) أجهد نفسه في توجيه حديث الغدير توجيهاً آخر، فلمّا لم يجد ما يعترض عليه في الدلالات اللغويّة لمعاني الجذر (ولي)، فهو ممّن أخذت اللغة عنه، وجهه توجيهاً آخر، ورأى أنّ دلالة الحديث تعني المحبّة والطاعة فقط، ولا تعني مولى الخلق ومالكهم، من دون أن يقدم مسوّغاً لما يقول، وقصر الدلالة على بعض المعاني دون بعضها الآخر، وقد تنبّه ابن منظور لما أراده ثعلب، فقال مستحضراً المعاني التي يؤدّيها (الولي): (وقوله صلى الله عليه وآله: «من كنت مولاه فعليّ مولاه»، يُحمل على أكثر الأسماء المذكورة)^(١)، ثمّ يردف ابن منظور قوله هذا، بقول آخر يتصل به ويكشف عن المضمون الذي يريده لتوجيه الحديث، فقال (... وقول عمر لعليّ رضي الله تعالى عنه أصبحت مولى كلّ مؤمن ومؤمنة، أي

(١) لسان العرب (ولي).

وَلِيَّ كُلِّ مُؤْمِنٍ (١).

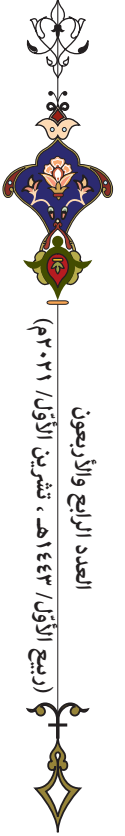
وثمة رواية أخرى تعضد ما بسطناه تأويلاً فيما مرّ، تقول الرواية: حينما قال النبي ﷺ هذا الحديث، قام إليه سلمان المحمدي فقال: (يا رسول الله ولاؤه كماذا؟ فقال ﷺ: «ولاؤه كولائي، من كنت أولى به من نفسه، فعليّ أولى به من نفسه»، فأنزل الله تبارك وتعالى ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾ (٢). وهذه الرواية تلتقي مع ما أوردناه قبل صفحات من توحيد ولاية النبي ﷺ وولاية عليّ بن أبي طالب (عليه السلام)، من أوّل الإسلام، استناداً إلى المعطيات اللغوية التي تحتم علينا أن نقرأ النصوص على وفق مداليل اللغة، وليس على وفق مداليل ما نعتقد به وحسب. وما نخلص إليه من هذا كله أنّ الولاية حقّ مفروض من الله تعالى لعليّ بن أبي طالب (عليه السلام)، ويلفت الإمام (عليه السلام) نظر المسلمين إلى هذه القضية، فيقول في نهج البلاغة مؤكداً هذه الدلالة حينما يصف أهل البيت (عليهم السلام) وهو سيدهم بعد النبي ﷺ «ولهم خصائص حقّ الولاية» (٣). وقول الإمام (عليه السلام) هذا يعني أنّ هذا الحقّ يشمل كلّ ما تخرج إليه دلالة الجذر (ولي) ويتواءم مع السياق، ولو كان بين المسلمين من لا يؤمن بهذا الحقّ لاعتراض على الإمام بحجة أنّه صحابي (مثلاً)، ولا يقرّ بهذا الحقّ، ولكنّ المصادر لم تُشر إلى أيّ اعتراض على هذا الحقّ الإلهي الممنوح منه جلّ شأنه لأهل البيت (عليهم السلام).

لقد أثبتت لنا هذه القراءة التأويلية، من جهة اللغة دقّة حديث الغدير في بيان أنّ ولاية عليّ بن أبي طالب (عليه السلام)، هي ولاية ربانيّة بلّغ بها النبي ﷺ، على وفق منطوق الحديث الذي أعاننا لغويّاً على الوصول إلى تلك الدلالة من دون أن نذهب بعيداً مع الروايات؛ لأنّ من كتب عن حديث الغدير، كثيرون، وجعلوا الروايات وهم على حقّ مسانداً لما كتبوا.

(١) لسان العرب (ولي).

(٢) إكمال الدين ٢٧٦.

(٣) نهج البلاغة ٢/١٣٩.



دلالة حديث الغدير في القرآن الكريم:

والآن نذهب إلى القرآن الكريم لننظر ما ورد فيه عن دلالة (الولاية)، ومدى التطابق بينه وبين حديث الغدير لنطمئن إلى سلامة قراءتنا التأويلية.

إنَّ حَقَّ الْوَلَايَةِ الَّذِي أَشَارَ إِلَيْهِ الْإِمَامُ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ بِتَمَثُّلٍ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ فَإِن تَنَزَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا﴾^(١)، والمقام يقتضي أن نقف على دلالات (أولي الأمر) الذين قرن الله تعالى طاعتهم بطاعته وطاعة نبيه ﷺ.

انقسمت الطاعة في الآية الكريمة على طاعتين، طاعة الله عزَّ وجلَّ وطاعة الرسول ﷺ وأولي الأمر، وطاعة أولي الأمر مرتبطة بطاعة الرسول ﷺ، بدلالة العطف بالواو من جهة، وبدلالة عجز الآية الكريمة من جهة أخرى، إذ يُرَدُّ التنازع في أيِّ شيءٍ إلى الله تعالى وإلى الرسول، فكأنَّ الإشارة الأولى إلى (أولي الأمر) أغنت عن ذكرهم مرَّة ثانية مع ذكر الرسول ﷺ؛ لأنَّ طاعتهم من طاعته بدلالة صدر الآية، وهذا من أساليب التعبير المعهودة في القرآن الكريم، هذا فضلاً عمَّا يؤدبه هذا الأمر من الإشارة إلى التوحد بين طاعتي الرسول ﷺ وأولي الأمر من دون فاصل بينهما.

إنَّ ولي الأمر هنا وعلى وفق دلالة الآية المباركة لا يمكن أن يكون مطاعاً إلا إذا سار على نهج النبي ﷺ في القول والفعل؛ لأنَّ طاعته تُفضي إلى طاعة النبي ﷺ وإلى طاعة الله تعالى، وهذا قد لا ينطبق على السلاطين أو الأمراء أو أهل العلم الذين أشار إليهم بعض المفسرين، وعدَّوهم مقاصد لدلالة الآية^(٢)، فهذا كلام عام يخلو من أيِّ ضابط معرفي يُستند إليه في قبول توجيه دلالة الآية إليه؛ لأنَّه يجعل ولاية الأمر لا حصر لعدددهم بين المسلمين في الأزمان المختلفة، وخاصة من يقال إنَّه من أهل العلم من الفقهاء والعلماء

(١) سورة النساء، الآية: ٥٩.

(٢) ينظر مثلاً لا حصر أزيد المسير ٢/١٤٣، تفسير القرطبي ٥/٢٥٨، تفسير ابن كثير ١/٥٣٠.

في الدين، ورأينا بعض المسلمين ممن يُقال إنهم من هؤلاء يناصب بعضهم بعضاً العداء، ناهيك عن الاتهام الذي يرمي بعضهم بعضاً به لهذه القضية أو تلك، هذا فضلاً عن أنّ السَّير على منهج النبي ﷺ في القول والعمل، وهذا ما أشرنا إليه من قبل، صار ركيزة للخلاف بين المسلمين في العصور المختلفة، فما من فرقة من فرق المسلمين إلا وترى نفسها أنّها الأقرب إلى هذا الذي نقوله، وصار البيان الذي أُشير إليه عند المفسرين غموضاً.

ولكي نجلي حقيقة ما نريد، ونبعد الغموض المشار إليه، ننظر في آية أخرى ورد فيها ذكر (أولي الأمر)، وهي قوله تعالى ﴿وَإِذَا جَاءَهُمْ أَمْرٌ مِنَ الْأَمْنِ أَوْ الْخَوْفِ أَذَاعُوا بِهِ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَى أُولِي الْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنْبِطُونَهُ مِنْهُمْ وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ لَاتَّبَعْتُمُ الشَّيْطَانَ إِلَّا قَلِيلًا﴾^(١)، فأولوا الأمر هنا يستحقون أن يُردَّ إليهم الأمر كما يُرد إلى الرسول ﷺ بدلالة واو العطف، ولا شك أن هؤلاء معروفون من الصحابة المؤمنين الذين أمروا بردّ الأمر إليهم.

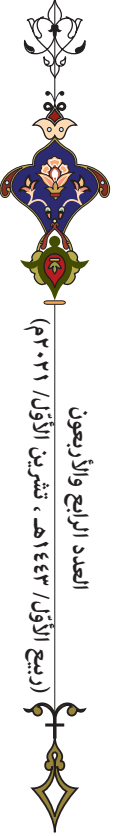
إذن هؤلاء هم الذين أعطاهم الله سبحانه وتعالى ولاية على المسلمين وأمرهم بأنَّ يسلموا أمورهم إليهم، وهم الأئمة عليهم السلام، كما ظهر لنا في الاستدلال اللغوي على ولاية عليّ بن أبي طالب عليه السلام، وولايته هي ولاية لأئمة أهل البيت عليهم السلام، وقد أشارت إلى ذلك كثير من الروايات الصحيحة، ولكن التأويل اللغوي قادنا إلى ذلك فتوافق مع ما جاءت به الروايات الصحيحة الكثيرة مع ذلك، وهو ما قال به المفسرون أيضاً، ولكن بدلالة الروايات.

بيد أن هناك من المفسرين من أورد روايات توجّه دلالة (أولي الأمر) في الآية إلى كبراء الصحابة^(٢)، أو إلى أهل العلم من الصحابة^(٣)، وهنا نقول إن هذا الكلام كلام عام

(١) سورة النساء، الآية: ٨٣.

(٢) ينظر زاد المسير ١٤٣/٢.

(٣) ينظر الدر المنثور ١٧٦/٢.



أيضاً، لا يقف عند صحابي دون آخر، فمن هؤلاء كبار الصحابة (والكبر هنا ليس كبر السن طبعاً)؟، وما الأسس التي يُستند إليها في معرفتهم؟. إن الإجابة عن هذا كله تقود إلى التعظيم أكثر ممّا تقود إلى البيان، خاصة وأن من المسلمين من يقول بعدالة الصحابة جميعاً، وهنا تضرب الرؤية ويختلط الأمر، ولكن المعاني اللغوية التي أشرنا إليها من قبل والتي أشارت إلى حسن التصرف والتدبير وصواب النظر في الأمر ودقته بحسب سياق الآية، فضلاً عن التحكم الحكيم في مجاري الأمور، هذه كلها تعيدنا إلى الدلالة المعجمية لمعنى الولي، فأولو الأمر معروفون من الصحابة بهذه الخصال؛ لذا أمروا بإطاعتهم في الآية، ولم يصل إلينا في حدود اطلاعنا أن صحابياً ادعى أنه من أولي الأمر، إلا ما جاء عن النبي ﷺ بأنهم الأئمة ههنا وهذا نتاج ما تأولناه لغوياً.

وإذا أردنا أن نعيد صياغة الفكرة السابقة على نحو آخر نستمدّه من الروايات واللغة، نقول: إن ولي الأمر الذي تتجسد فيه خصائص الولاية على وفق توصيف الإمام عليّ عليه السلام، هو من يعرف دلالات القرآن الكريم، ليستنبط منها ما يُعني المسلمين في حياتهم، ولما كان القرآن الكريم تبياناً لكل شيء ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِّكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ﴾^(١)، فإن ولي الأمر هو الذي يعرف الوجود كله بعد النبي ﷺ؛ لأنّ (الوجود كله) هو (كل شيء)، الوارد في الآية السابقة، وهذا ما اختص به عليّ بن أبي طالب عليه السلام والأئمة من ولده فقط، فعن أبي بصير قال: قلت لأبي عبد الله عليه السلام: جعلت فداك، أي شيء هو العلم عندكم؟ قال: «ما يحدث بالليل والنهار الأمر بعد الأمر والشيء بعد الشيء إلى يوم القيامة»^(٢).

(١) سورة النحل، الآية: ٨٩.

(٢) بحار الأنوار ٢٦/٦٠، الحديث ٢٠، وينظر الراسخون في العلم ٣٢٠.

فقد أجمع المسلمون على أن المقصود بـ (الذين آمنوا)، الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام وقد أحصى الشيخ الأميني في موسوعة (الغدِير) ستة وستين مصدراً من مصادر المسلمين، أجمعت على أن الآية نزلت في علي عليه السلام بعد أن تصدق بخاتمته وهو يصلي.

والذي سنلتفت إليه أولاً معنى الولاية في الآية الكريمة، ثم نعطف بصرنا على سبب نزولها لنصل إلى حكم قاطع بشأن دلالتها، حكم تقوده اللغة التي نزل بها القرآن الكريم. فالولي في اللغة كما مرّ يعني فيما يعنيه (المالك)، وهذه ولاية الله سبحانه وتعالى على عباده، وترتبط بهذه الولاية على وفق دلالة الآية، ولاية الرسول وولاية الإمام علي عليه السلام (أهل البيت عليهم السلام)، فالولاية واحدة؛ لأنها جاءت في صدر الآية، ثم تثبت لمن ذكروا (الله، الرسول، الذين آمنوا)، فهي إذاً ولاية واحدة، ولا يمكن تجزئتها، لنقول إن لها أكثر من دلالة، وقد تنبّه المفسرون إلى هذا التوجيه اللغوي، ولكنهم لم يذهبوا إلى الدلالة اللغوية التي بسطها التركيب النحوي على نحو قاطع، فقد ذهب صاحب الميزان إلى القول: (إن سياق الآية يدل على وحدة في معنى الولاية المذكورة فيه، حيث تضمن العَدَّ في قوله تعالى ﴿اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا﴾ وأسند الجميع إلى قوله: ﴿وَلِيكُمُ﴾، وظاهره كون الولاية واحدة^(١).

والوحدة التي أشار إليها السيد الطباطبائي لا تخرج عن الدلالات اللغوية التي قدّمها الجذر (ولي) كما مرّ، وهي لا تعدو المعنى العام المشار إليه (الولي الذي يمتلك القدرة والتدبير والفعل)، وهذه ولاية التصرف التي اختص بها الله تعالى ومنحها تفضلاً لنبِيِّهِ عليه السلام ولعلي عليه السلام (ثم لأئمة أهل البيت عليهم السلام من بعده، وهذا كله يتناسب مع مضمون الرواية التي تحدثت عن سبب النزول، والتي تقول (... وخرج النبي عليه السلام إلى باب المسجد، فإذا هو بمسكين قد خرج عن المسجد وهو يحمّد الله عزّ وجلّ فدعاه النبي عليه السلام



فقال: «هل أعطاك أحد شيئاً؟»، قال: نعم يا نبيَّ الله، قال: «من أعطاك؟»، قال: الرجل القائم أعطاني خاتمه، يعني عليَّ بن أبي طالب رضوان الله عليه، فقال النبيُّ ﷺ: «على أيِّ حال أعطاك؟»، قال: أعطاني وهو راعع، فكبر النبيُّ ﷺ وقال: «الحمدُ لله الذي خصَّ علياً بهذه الكرامة»، فأَنزل اللهُ عزَّ وجلَّ ﴿وَالَّذِينَ ءَامَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ﴾ (١).

إنَّ الذي يستوقفنا من هذه الرواية تكبير النبيِّ ﷺ فالتكبير محمودٌ في كلِّ حين، ولكنه هنا وسيلة مباركة إلى لفت أنظار المسلمين إلى أمرٍ ما، وهذا الأمر تصدق عليٌّ ﷺ بخاتمه وهو راعع، بمعنى أنَّ الولاية المذكورة في الآية تخصَّه لوحده بعد النبيِّ ﷺ فهو الذي تصدَّق راععاً، ولا يمكن أن نلقتها إلى غيره من المؤمنين، والذي يقوي هذا التوجيه ويقطع بحجته، أنَّ النبيَّ ﷺ عقب ذلك بحمد الله تعالى على هذه الكرامة التي خصَّ بها عليٌّ ﷺ.

واستناداً إلى هذا فلا يصح على وفق منطق اللغة ومنطق الرواية أن توجه دلالة الولاية هنا إلى (المؤمنين) كلَّهم، على النحو الذي ذهب إليه بعض المفسرين، حينما قالوا: إنَّ الولاية في الآية لكلِّ المؤمنين وأفرد الركوع بالذكر تشريفاً له (٢). وهذا الأمر يُردُّ بها قلناه سابقاً، ونتم الردَّ ونعضده بأمرين:

الأوَّل: إنَّ معنى الولاية في الآية كما بيَّنا هو التدبير والقدرة والفعل، أي حسن التصرف، وكون الولاية واحدة في الآية، لا يصح أن تكون ولاية المؤمنين مطلقة على بعضهم على هذا النحو، هذا فضلاً عن أنَّ دلالة (الذين آمنوا) في الآية، إذا كانت مطلقة، لا يمكن أن يعترض على من يقول إنَّه من (الذين آمنوا)، وتكون له ولاية مطلقة على

(١) تفسير مقاتل بن سليمان ١/ ٤٢٩.

(٢) المصدر نفسه ١/ ٤٢٩.

غيره، ولو كان لا يُحَسِّن التصرف مثلاً، ومن هنا يتفَلَّتْ حَقُّ التصرف من أيدي أصحابه الحقيقيين الذين اختارهم الله، ويكون حقاً للجميع، وهذا لا يبني مجتمعاً يريد الله تعالى للمسلمين، إذ جعل ولايتهم موكولة إلى نبيه وأوليائه (أهل البيت عليهم السلام).

الثاني: إنَّ معنى الركوع في اللغة (الخضوع، يُقال ركع ركعاً وركوعاً، طأطأ رأسه... وأما الركوع في الصلاة، فيعني أن يُخَفِّض المصليَّ رأسه بعد القومة التي فيها القراءة حتى يطمئن ظهره راكعاً، قال لبيد:

أخبر أخبار القرون التي مضتُ أدبٌ كأنِّي كلما متُّ راعُ

فالراعي: المنحني في قول لبيد، وكلُّ شيء ينكبُّ لوجهه فتمس ركبته الأرض، ولا تمسها بعد أن يُخَفِّض رأسه فهو راعٍ^(١)، وهذا الوصف للراعي يعني الراعي في الصلاة، فمن تزكى بهاله في حال الركوع في الصلاة هو الإمام عليُّ بن أبي طالب عليه السلام بإجماع المسلمين، وقد يُقال هنا إنَّ المعنى العام للركوع يعني الخضوع، فتوجَّه اللغة الآية إلى نحو آخر وهذا الأمر مردود أيضاً؛ لأنَّ الخضوع مرتبطٌ بطأطأة الرأس في اللغة واصطلاحاً في الصلاة.

واستناداً إلى ما تقدَّم تتعاقد الدالتان دلالة اللغة ودلالة الرواية لتجعلاً حَقَّ الولاية في الآية الكريمة محصوراً بأهل البيت عليهم السلام، وإذا استذكرنا ما أشار إليه الإمام عليه السلام من خصائص حَقَّ الولاية المشار إليه آنفاً، نظمئن إلى أَنَّهُ عليه السلام أراد أن يعيد إلى أذهان بعض المسلمين ما ندَّ عنها من دلالة (الولاية) في الآية الكريمة.

وثمة أمرٌ آخر يرشحه لنا التركيب النحوي للآية الكريمة فقد بدأت الآية ب (إنما)، وهذا يعني تحقيقاً لما تتضمنه من دلالة (الولاية) المشار إليها وحصره بالله تعالى وبالنبي عليه السلام وبالإمام عليٍّ عليه السَّلَام، جاء في لسان العرب (ومعنى (إنما) إثبات لما يذكر بعدها ونفي

(١) لسان العرب (ركع).



لما سواه... وإن زدت على (إنّ) (ما) صار للتعين كقوله تعالى ﴿ إِنَّمَا الصَّدَقَتُ لِلْفُقَرَاءِ ﴾^(١) لأنه يوجب إثبات الحكم للمذكور ونفيه عمّا عداه^(٢). ومن هنا فاللغة لا تسمح لنا بتوجيه الآية على النحو الذي ذهب إليه بعض المفسّرين؛ لأنّ إطلاق (الذين آمنوا) على المؤمنين جميعاً، ينفي الحصر بـ (إنّما)، وهنا لا يبقى مسوغ لغوي لاستعمال (إنّما)، إذ يحتم هذا المعنى أن يكون التعبير بـ (إنّ) بدل (إنّما)، وهكذا تتبين لنا دقّة الدلالة في الصياغات القرآنيّة للتعبير عن المعاني المحددة.

إنّ هذه الكرامة (كرامة الولاية) على وفق توصيف النبيّ ﷺ كما مرّ بنا، التي حُصّ بها الإمام عليّ عليه السلام تستدعي سمات معينة راکزة في ذاته، يمكن أن نتلمس بعضها في قول له ورد في نهج البلاغة، جاء فيه «إنّ أولياء الله هم الذين نظروا إلى باطن الدنيا، إذ نظر الناس إلى ظاهرها واشتغلوا بأجلها، إذ اشتغل الناس بعاجلها، فأماتوا منها ما خشوا أن يميتهم وتركوا منها ما علموا أنّه سيركهم، ورأوا استكثار غيرهم منها استقلالاً، ودركهم لها فوتاً، أعداء ما سالم الناس وسلم ما عادى الناس، بهم علم الكتاب وبه علموا، ولهم قام الكتاب وبه قاموا، لا يرونّ مرجواً فوق ما يرجون ولا تخوفاً فوق ما يخافون»^(٣).

فالإمام عليّ عليه السلام في هذا النصّ لم يذكر أهل البيت عليه السلام صراحة في هذا القول، إلّا أنّه واضح في دلالته عليهم؛ لأنّ السمات التي وردت في النصّ لا يمكن أن تكون إلّا فيهم عليه السلام، وقد تلمّس هذا ابن أبي الحديد من قبل، فقال معلقاً على هذا القول: (... هذا يصلح أن يجعله الإمامية شرح حال الأئمة المعصومين على مذاهبهم)^(٣).

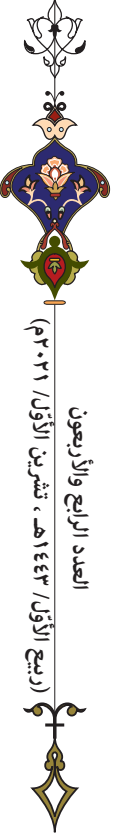
(١) لسان العرب (أنن)، وينظر معاني النحو ١/ ٣٥٥.

(٢) نهج البلاغة ٤/ ١٠١.

(٣) شرح نهج البلاغة ٢٠/ ٧٧.

ومن أجل بيان بعض المراد من توصيف الإمام للأولياء، نقول: إنَّ كلَّ شيء في الكون ظاهر وباطن، فالله سبحانه وتعالى ظاهر وباطن بحسب ما ورد في الحديث القدسي (... كنت كنزاً مخفياً فأحببتُ أن أعرف فخلقتُ خلقاً في عرفوني) ^(١)، فالقرآن الكريم له ظاهر وباطن ^(٢)، والدُّنيا ظاهر وباطن، فأولياء الله وهم (أهل البيت عليه السلام) نظروا إلى باطن الدنيا، والأصل هو الباطن، أمَّا غيرهم فنظر إلى ظاهر الدنيا بما فيها من (الشهوات الحسيَّة) ^(٣)، وركن إلى ما يتحقق له من ملذات، أو نظروا إلى ظاهر الدنيا بتحقيق العبادات والأحكام بالجوارح الظاهرة ^(٤)، أمَّا أهل البيت عليه السلام فنظروا إلى باطن الدنيا بعقولهم، وعقلوها بقلوبهم، وهذا هو علم الباطن، وموضعه القلب وأصله نور يقذفه الله فيه ^(٥)، بل إنه علم موقوف على الهبة الإلهية التي يمنحها الله لمن يشاء من عباده ^(٦)، فاشتغلوا بأجل الدنيا، وهو التدبير في المعارف الإلهية وفي آيات القرآن الكريم التي تحضُّ على تسخير الدنيا بما فيها، إلى ما ينتظر الإنسان في الآخرة.

إنَّ هذه السات التي بسطها الإمام عليه السلام في قوله هذا، لا يمكن أن تنطبق إلَّا على أهل البيت عليه السلام، ولا يصح مرةً أخرى أن تشمل جميع (الذين آمنوا)، فكأنَّ الإمام هنا يريد أن يتنبه الناس إلى جلالة (الولاية) في القرآن الكريم، وتوجيهها إلى أصحابها الشرعيين. وقد وضع عليه السلام منهاجاً للتعامل مع هؤلاء يقوم على التسامح والإرشاد، فحينما تخلف عن بيعته من تخلف لم يجبرهم عليها ما داموا مسلمين، وعدَّهم من المفتونين الذين



(١) كشف الخفاء ٢ / ١٣٢.

(٢) ينظر البرهان في معاني القرآن ٢ / ١٨٠.

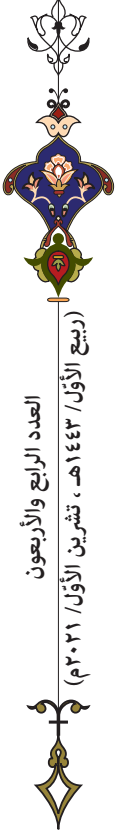
(٣) شرح نهج البلاغة ٢٠ / ٧٧.

(٤) نخالف هنا ما ذهب إليه ابن أبي الحديد في تفسيره قول الإمام. ينظر شرح نهج البلاغة ٢٠ / ٧٧.

(٥) ينظر موسوعة مصطلحات التصوف الإسلامي ١٣٧.

(٦) م. ن.

ينطبق عليهم قوله عيه السلام: «ما كل مفتون يعاتب»^(١)، وعودة إلى الآية المتممة لآية سورة المائدة المشار إليها، تبين لنا دقة التوجيه الذي تمسكنا به، وهي قوله تعالى بعد تلك ﴿وَمَنْ يَتَوَلَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا فَإِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْغَالِبُونَ﴾^(٢)، إذ إن دلالة هذه الآية متعقلة تماماً بدلالة الآية السابقة، وما فيها من بيان ناتج عنها، (فمن يتولّ هؤلاء فهو من حزب الله، وحزب الله غالب)^(٣)؛ لأن الأصل في حزب الله تعالى الرسول ﷺ و(الذين آمنوا) في الآية السابقة، وهو عليّ ﷺ فهما غالبان، ومن يتولى الله ويتولاهما غالب لا محالة، بيد أن الالفت للنظر أن الراغب الأصفهاني في تفسيره، وقف عند الله تعالى ورسوله وتخلّى عمّا أثبتته الآية من ولاية الذين آمنوا، وجعل الغلبة في الآية لهما، ولم يشرك معهما علياً ﷺ بوصفه المصدق الحقيقي لدلالة (الذين آمنوا) في الآية السابقة، على النحو الذي بسطته لنا القراءة التأويلية للآية وعاضدته الرواية الصحيحة.



(١) شرح نهج البلاغة ٤/ ١٠، ١٨، ١١٩.

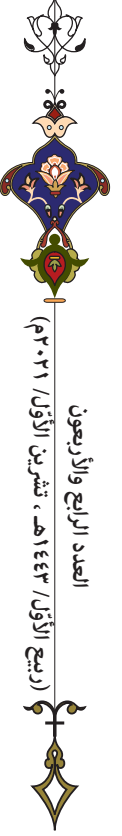
(٢) سورة المائدة، الآية: ٥٦.

(٣) تفسير الراغب الأصفهاني ٤/ ٣٨٢.

الخاتمة

لقد أظهرت صفحات البحث السابقة، أن (الولاية) لأهل البيت عليهم السلام، أمر رباني تكفل ببيانه حديث الغدير بروايته الصحيحة، وعضدته الآيات القرآنية التي استوقفنا في البحث، وعلى الرغم من صحّة الروايات، ورجاحة آراء المفسّرين التي نحت هذا المنحى، فإنّ القراءة التأويلية التي أمدتنا بها اللغة، جعلت مضمون حديث الغدير ومداليل الآيات القرآنية، لا تصل إلّا للدلالة على أنّ علياً وليّ للمسلمين من اعتقد بذلك أو من لم يعتقد؛ لأنّ اللغة لا تبيح غير هذه الدلالة، ولذلك لم يقع خلاف بين المسلمين في صدر الإسلام حول هذه القضية، بل كان الجميع يُسلمون بها؛ لأنهم أهل اللغة ويفهمون ما تؤدّيه تماماً، ولكنّ حينما بعدوا عن العصر الأوّل، تركوا الدلالات اللغوية وتمسّكوا بروايات يمكن أن يُقال فيها أشياء قد تخرج بعضها من ثوب رزانتها الذي غلفت به.

إنّ عدم الالتفات إلى المعاني التي تؤدّدها اللغة في النصوص القديمة عامة، قاد إلى هذا التفكك العقائدي، ولو عاد الناس إلى لغتهم التي تشرفّت بنزول القرآن الكريم بها، وقرؤوا الأحاديث النبوية الشريفة وأقوال الإمام عليّ عليه السلام في نهج البلاغة، على وفق هذه الرؤية المستمدة من اللغة فهي ليست روايات حتى يُطعن بها، وإنّما هي توجيه للنصوص بحسب مقتضيات اللغة، أقول لو فعل الناس ذلك لابتعدوا عن كلّ ما يُبْعدهم عن هدي اللغة.



المصادر والمراجع

القرآن الكريم.

١. بحار الأنوار الجامعة لدرر أخبار الأئمة الأطهار، الشيخ العلامة محمد باقر المجلسي، مؤسسة الوفاء، لبنان، ط ٢، ١٤٠٣ هـ ١٩٨٣ م.
٢. البرهان في علوم القرآن، الزركشي (بدر الدين محمد بن عبد الله ت ٧٩٤ هـ)، تحقيق مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، ط ١، بيروت، لبنان، ١٤٠٨ هـ ١٩٨٨ م.
٣. تفسير الراغب الأصفهاني (أبو القاسم الحسين بن محمد، ت ٥٠٢ هـ)، تحقيق: د. هند بنت محمد بن زاهد سردار، كلية الدعوة وأصول الدين / جامعة أم القرى، ١٤٢٢ هـ ٢٠٠١ م.
٤. تفسير القرطبي (الجامع لأحكام القرآن)، للقرطبي (أبو عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي ت ٦٧١ هـ)، تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم اطفيش، دار الكتب المصرية، ط ٢، ١٣٨٤ هـ ١٩٦٤ م.
٥. تفسير ابن كثير (تفسير القرآن العظيم)، ابن كثير (أبو الفداء إسماعيل بن عمر القرشي البصري الدمشقي، ت ٧٧٤ هـ)، تحقيق: سامي بن محمد سلامة، دار طيبة للنشر والتوزيع، ط ٢، ١٤٢٠ هـ ١٩٩٩ م.
٦. تفسير مقاتل بن سليمان (أبو الحسن مقاتل بن سليمان الأزدي، ت ١٥٠ هـ)، تحقيق: عبد الله محمد شحاتة، دار إحياء التراث، ط ١، بيروت، ١٤٢٣ هـ.
٧. تهذيب الأحكام، الشيخ الطوسي، ت ٤٦٠ هـ، تحقيق: السيد حسن الخراسان، تصحيح: الشيخ محمد الآخوندي، مطبعة خورشيد، نشر دار الكتب الإسلامية، ط ٤، ١٣٦٥ هـ.
٨. الدر المنثور في التفسير بالمأثور (السيوطي، ت ٩١١ هـ)، دار المعرفة، مطبعة الفتوح، جدة، ١٣٦٥ هـ.
٩. الراسخون في العلم - مدخل لدراسة ماهية علم المعصوم وحدوده ومنابع إلهامه، محاضرات

- السيد كمال الحيدري، بقلم الشيخ خليل رزق، ط ٥، دار فراق للطباعة والنشر، ١٤٣١ هـ
٢٠١٠ م، قم، إيران.
١٠. زاد المسير في علم التفسير، ابن الجوزي (جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي ت ٥٩٧ هـ)، تحقيق: عبد الرزاق المهدي، دار الكتاب العربي، بيروت، ط ١، ١٤٢٢ هـ.
١١. شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد المعتزلي، ت ٦٥٦ هـ، تحقيق: محمد أبي الفضل إبراهيم، دار الجليل، بيروت، ط ٢، ١٩٩٦ م.
١٢. الكافي، الشيخ الكليني، تحقيق: علي أكبر غفاري، دار الكتب الإسلامية، ط ٣، ١٣٨٨ هـ.
١٣. كشف الخفاء ومزيل الإلباس، إسماعيل بن محمد العجلوني، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط ٢، ١٤٠٨ هـ.
١٤. كمال الدين وتمام النعمة، الشيخ الصدوق، تحقيق: علي أكبر الغفاري، مؤسسة النشر الإسلامية، جماعة المدرسين، قم، ١٤٠٥ هـ.
١٥. لسان العرب، ابن منظور (أبو الفضل جمال الدين بن محمد بن مكرم بن منظور، ت ٧١١ هـ)، دار صادر، بيروت، لبنان.
١٦. معاني النحو، الدكتور فاضل السامرائي، مطبعة دار الحكمة للطباعة والنشر، الموصل، العراق.
١٧. من لا يحضره الفقيه، الشيخ الصدوق (أبو جعفر محمد بن علي بن الحسين، ت ٣٨١ هـ)، تحقيق: علي أكبر غفاري، جماعة المدرسين، قم، ١٤٠٤ هـ.
١٨. موسوعة مصطلحات التصوف الإسلامي، الدكتور رفيق العجم، مكتبة لبنان - ناشرون، بيروت، لبنان، ١٩٩٩ م.
١٩. تفسير الميزان في تفسير القرآن، العلامة السيد محمد حسين الطباطبائي، دار الكتب الإسلامية، طهران، ١٣٧٩ هـ.
٢٠. نهج البلاغة، الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام، جمع الشريف الرضي، تحقيق وشرح: الشيخ محمد عبده، دار المعرفة، بيروت، لبنان.



الغدير في القرآن الكريم

قراءة في آراء المفسرين

أ.د. خليل خلف بشير

جامعة البصرة / كلية الآداب

Al-Ghadeer in the Noble Quran A reading through interpreters opinions

Assistant Prof. Khalel Khalaf Basheer

University of Basrah - college of Literature

dr.khalel.am@gmail.com

ملخص البحث

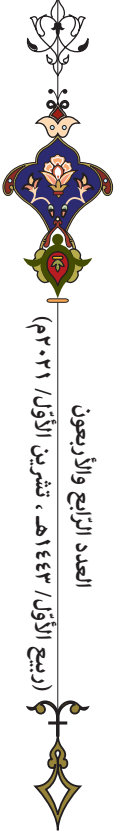
هذا بحث تناولت فيه قضية الغدير من رؤية القرآن مستنطقاً آراء المفسرين من الفريقين مركزاً على ثلاث آيات اختصت بهذه القضية هي (آية التبليغ، وآية إكمال الدين، وآية السائل) مناقشاً آراءهم على أنّها محاولة متواضعة بذلت فيها جهدي، وأعملتُ فكري لتكون زاداً لنا ومعيناً في الدنيا والآخرة، ﴿ وَمَا تَوْفِيقِي إِلَّا بِاللَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ ﴾^(١).

Abstract

In this research I discussed the event of Al-Ghadeer from a Quranic vision, interrogating the opinions of the commentators of the two doctrine, and focusing on three verses specialised on this matter (the verse of Altabligh/ to deliver 'the message', the verse of Ekmal Aldeen/the faith completion, the verse of Alsa-el/ the questioner), and discussing their opinions.

In the other hand, I did my best to present this humble work and wish to benefit from it in this world and hereafter, {And my success is not but through Allah. Upon Him I have relied, and to Him I return}.

(١) سورة هود، الآية: ٨٨.



آيات الغدير

في القرآن الكريم ثلاث آيات تتعلق ببيعة الغدير، وهذه الآيات تحيط بالبيعة وموضوعها إحاطة شاملة وتنبئ عن الأهمية العظمى ليوم الغدير وما جرى فيه، وتضع المسؤولية على عاتق المسلمين لحفظ هذا اليوم وما جرى فيه ليس لأجل الأشخاص المعنيين في تلك البيعة بقدر ما هي لأجل المسلمين أنفسهم.

إن المولى سبحانه شاء (أن يبقى حديث الغدير غصاً طرياً لا يبليه الملوآن، ولا يأتي على جدته مرُّ الحقب والأعوام، فأنزل حوله آيات ناصعة البيان، ترتله الأمة صباحاً ومساءً، فكأنه سبحانه في كلِّ ترتيلة لأيٍّ منها يلفت نظر القارئ، وينكت في قلبه، أو ينقر في أذنه ما يجب عليه أن يدين الله تعالى به في باب خلافته الكبرى)^(١).

وسأتناول الآيات الثلاث نصاً وتفسيراً، وربطاً بالحادثة التاريخية بما يثبت علاقتها بيوم الغدير.

١- آية التبليغ:

قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ﴾^(٢).

أورد السيوطي روايات عدّة في تفسير هذه الآية من ذلك قوله: (... عن أبي سعيد

(١) الغدير، الشيخ الأمين: ٢١٤.

(٢) سورة المائدة، الآية: ٦٧.

الخدري قال لما نصب رسول الله ﷺ علياً عليه يوم غدير خم فنادى له بالولاية هبط جبريل عليه هذه الآية ﴿ **الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ...** ﴾ ، عن أبي هريرة قال: لما كان يوم غدير خم وهو يوم ثمانى عشر من ذي الحجة قال النبي ﷺ «من كنت مولاه فعلي مولاه»، فأنزل الله تعالى: ﴿ **الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ...** ﴾ (١).

وكذا قوله: (... عن ابن مسعود قال: كنا نقرأ على عهد رسول الله ﷺ (يا أيها الرسول بلغ ما أنزل إليك من ربك أن علياً مولى المؤمنين وإن لم تفعل فما بلغت رسالته والله يعصمك من الناس...) (٢).

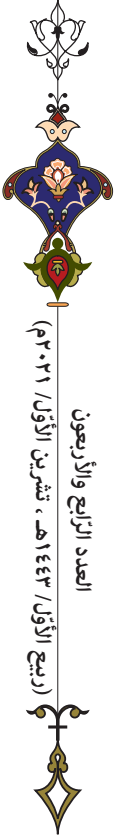
ولو نظرنا إلى الآية من وجهة لغوية لوجدنا أن الآية مبدوءة بقوله: ﴿ **يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ...** ﴾ التي لم ترد إلا مرتين هما قوله تعالى: ﴿ **يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ لَا يَحْزَنكَ الَّذِينَ يُسْرِعُونَ فِي الْكُفْرِ مِنَ الَّذِينَ قَالُوا بِأَفْوَاهِهِمْ وَلَمْ تُؤْمِن قُلُوبُهُمْ وَمِنَ الَّذِينَ هَادُوا سَمَّعُونَ لِلْكَذِبِ سَمَّعُونَ لِقَوْمٍ عَاخِرِينَ لَمْ يَأْتُوكَ يَحْرِفُونَ الْكَلِمَ مِنْ بَعْدِ مَوَاضِعِهِ يَقُولُونَ إِنْ أُوتِينَا هَذَا فَخُذُوهُ وَإِنْ لَمْ تُؤْتُوهُ فَاحْذَرُوا وَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ فِتْنَتَهُ فَلَنْ تَمْلِكَ لَهُ مِنَ اللَّهِ شَيْئاً أُولَئِكَ الَّذِينَ لَمْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يُطَهِّر قُلُوبَهُمْ لَهُمْ فِي الدُّنْيَا خِزْيٌ وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ** ﴾ (٣)، وقوله: ﴿ **يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ** ﴾ (٤)، ولعل هذا الخطاب يختلف عن خطابه للنبي بقوله: ﴿ **يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ...** ﴾ التي تكررت كثيراً في القرآن الكريم فالخطاب الأوّل أهم، إذ يدل على الأهمية الفائقة التي تستلزم أن يقع الرسول الأكرم مورداً للخطاب الإلهي مباشرة، ثم إن كلمة ﴿ **بَلِّغْ** ﴾ التي لم ترد إلا

(١) الدر المنثور، السيوطي: ٢٥٩/٢.

(٢) م.ن: ٢٩٨ / ٢.

(٣) سورة المائدة، الآية: ٤١.

(٤) سورة المائدة، الآية: ٦٧.



في هذا الموضوع تدلُّ على خصوصية المضمون الذي تحمله الآية، فقد أمر الرسول ﷺ بتبليغ أمرٍ على درجة من الأهمية، بحيث لو قصر في تبليغه للناس لذهبت أتعاب ثلاث وعشرين سنة، وذلك مصداق قوله: ﴿وَأَنْ لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ﴾^(١)، فتبليغه كان ثقیلاً على النبي ﷺ خوفاً من استنكاف الناس عن قبوله وإيذائهم له، إذ توعدَّه الله وهدَّه على ترك تبليغه، فإنَّه لا يقال مثل هذا التعبير إلا إذا كان الأمر ثقیلاً على من يُراد خطابه؛ لذا عصمه تعالى من الناس بقوله: ﴿وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ﴾^(٢)، على أنَّ مجيء الفعل مشدداً ﴿بَلَّغْ﴾ أبلغ من تعديته بالهمزة (أبلغ)، وقد خاطبه بالرسالة لكونه أنسب الصفات إلى ما تتضمنه الآية من الأمر بالتبليغ لحكم الله النازل، فهو كالبرهان على وجوب تبليغ هذا الأمر الإلهي، فتحمل الرسالة يفرض عليه القيام بالتبليغ، ولم يصرح باسم الذي أنزل إليه من ربه، وإنما عبر عنه بالنعته، وإنَّه شيء أنزل إليه إشعاراً بتعظيمه ودلالة على أنه أمر ليس فيه لرسول الله ﷺ صنع، ولا له من أمره شيء، ليكون برهاناً آخر على عدم خيرة منه في كتانه وتأخير تبليغه، ويكون معذوراً في إظهاره على الناس، وتلوياً إلى أنه مصيبٌ في تفرسه منهم، وتخوفه عليه، وإيأاً إلى أنه ممَّا يجب أن يظهر من ناحيته ولسانه وبيانه^(٣).

فإذا دققنا النظر قليلاً في آية التبليغ نجد ما يأتي:

أ- الآية تطلب من الرسول ﷺ أن يبلغ ما أنزل إليه من ربه، هذا مع أنه بديهي جداً أن الرسول ﷺ قام بواجبه في التبليغ منذ اليوم الأول للدعوة، فمنذ أن سمع قوله تعالى ﴿قُمْ فَأَنْذِرْ﴾^(٤) قام يدعو إليه تعالى ليله ونهاره ولاقى في سبيل ذلك ما لاقى

(١) ينظر: آيات الولاية في القرآن، مكارم الشيرازي: ١٢-١٣.

(٢) آيات العقائد، إبراهيم الحجازي: ٣١٨.

(٣) ينظر: الميزان، الطباطبائي: ٦ / ٤٩.

(٤) سورة المدثر، الآية: ٢.

حتى قال - بأبي هو وأمي - : «ما أُوذي نبيٍّ مثل ما أُوذيت»^(١)، وذلك من الأقارب والأباعد، قريش وثقيف وهوازن وغطفان وقريظة وقينقاع وغيرها من القبائل، وكان المسارع للتبليغ في كلِّ حين، إذن ما هذا الأمر المجدد في التبليغ؟ هل يحتاج الرسول ﷺ، خاتم الرسل وسيدهم، أن يؤمر بالتبليغ مجدداً؟ ومتى ذلك؟ بعد أن بلغ جميع الأحكام طَوَال ثلاثة وعشرين عاماً من الدعوة ولاسيما في الأعوام العشرة من الهجرة المباركة، التي لخصها في خطبته العظيمة في حجة الوداع قبل أيام قلائل فقط من يوم الغدير، لا بُدَّ أن الخطاب موجّه للرسول ﷺ ظاهراً إلا أنه يعني الذين سيستمعون موضوع التبليغ حقيقة، فكأن الآية تقول إنكم على الرغم من معرفتكم بأن محمد بن عبد الله ﷺ هو الرسول المبلّغ عن ربّه، وأنه بلغكم ما أنزل إليه طَوَال السنين الماضية، إلا أنكم ربما لا ترضون بما سيبلغكم به بعد قليل بحيث ستتهمونه بأنه ليس من عند الله، ولذلك أوكد لكم أنه أمر من عند الله شأنه شأن ما نزل من آلاف الآيات قبله.

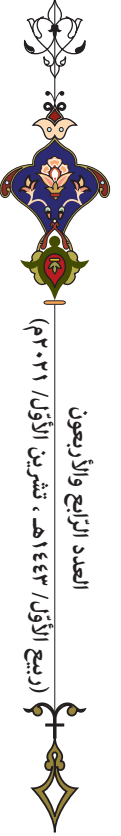
ب- الشطر الثاني من الآية: ﴿وَأَنْ لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ﴾ كلام عجيب حقاً، فهذا الشطر يقول للرسول ﷺ: يا محمد، وإن كنت قد بلّغت كلَّ ما نزل إليك من ربك فيما مضى، فإنه يعدّ لاغياً إن لم تبلغ هذا الأمر الواحد فحسب.

هل يعقل أن هناك احتمالاً بأن الرسول ﷺ الأمين الذي دعا إلى الله سراً منذ أن أمره ﴿فَمُ فَانذِرْ﴾ ثم صدع بالدعوة جهراً بمجرد أن أمره ﴿فَأَصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ﴾^(٢)، سينكص عن تبليغ هذا الأمر؟ قلنا إنه ﷺ من المستحيل أن يتوقف عن التبليغ عن ربّه، وهل كانت حياته كلها إلا وقفاً على الدعوة والتبليغ.

إذن أحد معاني هذا الشطر من الآية هو كما سبق: تنبيه للناس بأن الأمر من الله تعالى وإلا لما تضمنه هذا الكلام، ثم ما هو هذا الأمر العظيم الذي تقوم عليه كفة التبليغ

(١) بحار الأنوار، المجلسي: ٣٩ / ٥٦.

(٢) سورة الحجر، الآية: ٩٤.



كله؟ هنا احتمالان: الأول، يخص قبول الناس أيضاً، أي أن هذا الشطر يقول لهم: يجب أن تقبلوا ما سيبلغكم به الرسول ﷺ لأنكم إن لم تقبلوا فكأنما لم تقبلوا الإسلام كله؛ الثاني، فهو للفكرة ذاتها، أي أن الأمر الآتي هو ليس فقط من الإسلام في الصميم، وإنما هو الضمان لبقاء الرسالة، وبعبارة أخرى فإن الرسالة سيان بلغت أم لم تبلغ، ولكن لم لا يكون الاحتمالان واردين؟

ت- الشطر الثالث: ﴿وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ﴾ يؤكد ما ذهبنا إليه في شأن الشطرين الأولين من أن حالة الناس النفسية، أو بعضهم من الأكابر على الأقل، ممن يُحْسَى منهم الانقلاب على الأمر وممن لهم القدرة والمكانة في الإسلام على تحقيق هذا الانقلاب المحتمل، حالة هؤلاء معروفة، كما يبدو للنبي ﷺ، وبالطبع عند العليم الخبير، بحيث يقول في هذا الشطر ما يأتي:

- ١- ينبئ الناس، في يومها وبعد ذلك، بأن الرسول ﷺ كان محتاجاً لحماية الله تعالى وعصمته من أعدائه الذين هم في أوساط المسلمين.
- ٢- يقول له ﷺ إنه قد عصمه من كيد هؤلاء ومن اتهاماتهم المتوقعة، بأنه إنما نصب علياً عليه السلام لأنه ابن عمه ليس إلا، وأن تبليغه سيصل للناس مهما فعل الراضون له.
- ٣- يقول للناس إنه قد عصم رسوله ﷺ، بمعنى أنكم لن تستطيعوا كتم التبليغ، ولن تستطيعوا أن تطفئوا نور الله.

علماء السنة وآية التبليغ:

على الرغم من أن غالبية علماء السنة، ولاسيما المعاصرين، يكتفون ما أنزل الله في شأن أمير المؤمنين عليه السلام في يوم الغدير، إلا أن بعض القدماء منهم اعترفوا بنزول الآية في ذلك اليوم السعيد، ونستدلُّ بما ذكره الأميني في موسوعته الكبرى^(١):

(١) ينظر: موسوعة الغدير في الكتاب والسنة والأدب، العلامة الأميني: ١/ ٤٢٤-٤٣٨.

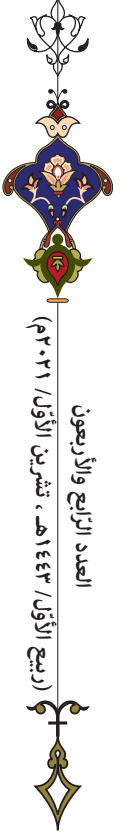
الحفّاظ أبو جعفر محمّد بن جرير الطبري (ت ٣١٠هـ)، والحافظ ابن أبي حاتم الحنظلي الرازي (ت ٣٢٧هـ)، والحافظ أبو عبد الله المحاملي (٣٣٠هـ)، والحافظ أبو بكر الفارسي الشيرازي (ت ٤٠٧هـ، ٤١١هـ) والحافظ ابن مردويه (٤١٠هـ)، والحافظ أبو نعيم الأصبهاني (ت ٤٣٠هـ)، وأبو الحسن الواحدي النيسابوري (٤٦٨هـ)، والحافظ أبو سعيد السجستاني (٤٧٧هـ)، والحافظ أبو القاسم الحاكم الحسكاني، والحافظ أبو القاسم ابن عساكر الشافعي (ت ٥٧١هـ)، وأبو الفتح النطنزي، وأبو عبد الله فخر الدين الرازي الشافعي (ت ٦٠٦هـ)، وأبو سالم النصيبي الشافعي (ت ٦٥٢هـ)، والحافظ عزّ الدين الرسعني الموصل الحنبلي (٦٦١هـ)، وأبو إسحاق الحموي (ت ٧٢٢هـ)، والسيد علي الهمداني (ت ٧٨٦هـ)، وبدر الدين العيني الحنفي (ت ٨٥٥هـ)، ونور الدين بن الصباغ المالكي المكي (ت ٨٥٥هـ)، ونظام الدين القمي النيسابوري، وكمال الدين الميدي (ت ٩٠٨هـ)، وجلال الدين السيوطي الشافعي (ت ٩١١هـ)، والسيد عبد الوهاب البخاري (ت ٩٣٢هـ)، والسيد جمال الدين الشيرازي (ت ١٠٠٠هـ)، ومحمّد محبوب العالم، وميرزا محمد البدخشاني، والقاضي الشوكاني (ت ١٢٥٠هـ)، والسيد شهاب الدين الألوسي الشافعي البغدادي (١٢٧٠هـ)، والشيخ سليمان القندوزي الحنفي (ت ١٢٩٣هـ)، والشيخ محمّد عبده المصري (ت ١٣٢٣هـ)، وغيرهم.

٢ - آية إكمال الدين :

قال تعالى: ﴿الْيَوْمَ يَبَسُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ دِينِكُمْ فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَأَحْسِنُوا الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتَمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾^(١).

أجمع الشيعة الإمامية على نزول هذه الآية في غدیر خم فقد ورد أنّه: لما أخذ رسول الله ﷺ بيد علي بن أبي طالب عليه السلام وقال: «يا أيها الناس، ألتست أولى بالمؤمنين؟»، قالوا:

(١) سورة المائدة، الآية: ٣.



بلى يا رسول الله، قال: «من كنت مولاه فعليّ مولاه»، فقال له عمر: بخ بخ يا بن أبي طالب، أصبحت مولاي ومولى كلّ مسلم، فأُنزل الله عزّ وجلّ: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ﴾^(١).

وورد عن أمير المؤمنين (عليه السلام)، قال: «سمعت رسول الله (صلى الله عليه وآله) يقول: بُني الإسلام على خمس خصال: على الشهادتين والقرينتين، قيل له: أمّا الشهادتان فقد عرفناهما، فما القرينتان؟ قال: الصلاة والزكاة، فإنّه لا يقبل أحدهما إلّا بالأخرى، والصيام، وحجّ البيت من استطاع إليه سبيلاً، وختم ذلك بالولاية، فأُنزل الله عزّ وجلّ: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتَمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيْتُ لَكُمْ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾»^(٢).

ويروى عن أبي سعيد الخدري قوله: إنّ رسول الله (صلى الله عليه وآله) دعا الناس بغدير خم، فأمر بها كان تحت الشجرة من الشوك فقم، وكان ذلك يوم الخميس، ثمّ دعا الناس إليه وأخذ بضع عليّ بن أبي طالب (عليه السلام) فرفعها حتى نظرت إلى بياض إبط رسول الله (صلى الله عليه وآله) فقال: «من كنت مولاه فعليّ مولاه، اللهم وال من والاه، وعاد من عاداه، وانصر من نصره، واخذل من خذله»، قال أبو سعيد: فلم ينزل عن المنبر حتى نزلت هذه الآية: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتَمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيْتُ لَكُمْ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾، فقال رسول الله (صلى الله عليه وآله): «الله أكبر على إكمال الدين وإتمام النعمة ورضا الربّ برسالتي وبولاية عليّ من بعدي»^(٣).

والسؤال هو: لماذا يئس الكفار من هذا الحلم الذي كان يراودهم؟ والجواب

هو أنهم لما فشلوا في حربهم نبيّ الله (صلى الله عليه وآله) في حروب وغزوات متتالية انقطع أملهم من هزيمته إلّا بعد موته، فباتوا يمتنون نفوسهم بموته لانقضاء على دينه بعد أن يفقد

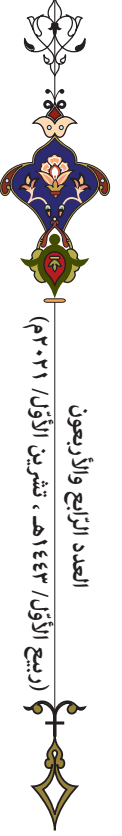
(١) الأُمالي، الشيخ الصدوق: ٥٠.

(٢) م.ن: ٥١٨.

(٣) كتاب سليم بن قيس: ٣٥٥. وينظر: مناقب الإمام أمير المؤمنين (عليه السلام)، محمّد بن سليمان الكوفي: ١ / ١١٩.

المسلمون الوحي الذي كان يحفظ النبيّ ودينه، كما ظنوا، إلا أن الله تعالى عندما نصّب علياً وأولاده المعصومين **عليه** خلفاء لخاتم رسله فإن المسلمين ضمنوا الاستمرارية بعد النبيّ **عليه**، استمرارية تطبيق الشريعة وإظهار ما لم يكن موضع ابتلاء على عهده، ومراقبة تطبيقها وعدم الانحراف عنها، لا سيما وهي الشريعة خاتمة، فلا نبيّ آخر سيأتي ليصحح أيّ انحراف في أمة الإسلام، بغير هذا التفسير ليس هناك إلا التخبط والتحكّم؛ لأنّه لا يمكن أن يئأس الكافرون من المسلمين إلا إذا كان للمسلمين حكام عندهم العلم الكافي وعندهم العصمة اللازمة للأمن من الخطأ أو اتباع الهوى، وهذا لم يتوفر إلا في أئمة الهدى **عليه** الذين عينهم الرسول **عليه** يوم الغدير.

وقد أثر التعبير القرآني تقديم كلمة ﴿ **الْيَوْمَ** ﴾ مرتين في سياق الآيتين للدلالة على تعظيم أمر اليوم لاشتماله على خبر عظيم الجدوى، وهو يأس الكافرين من دين المؤمنين، وإكمال الدين وإتمام النعمة، فالآيتان مسوقتان لغرض واحد^(١) يتفرع إلى فرعين الأوّل: هو تقرير بأنّ الكفار قد يئسوا من أن يستطيعوا تدمير الإسلام ومن ثمّ فلم يعد هناك مبرر لخشيتهم على الإسلام، من هذه الجهة، على أن الأمر الإلهي بخشيته سبحانه هو الضمانة الأكيدة لاستمرار النصر الإلهي على الكافرين، والثاني هو إكمال الدين وإتمام النعمة ورضا الله سبحانه بالإسلام لنا ديناً، وهنا أيضاً ليس هناك شيء جديد، غير إمامة عليّ وأولاده **عليه**، يستدعي أن يبشرنا الله تعالى أنّه به قد أكمل دينه وأتمّ نعمته ورضي لنا الإسلام ديناً، بل إنّ قوله: ﴿ **وَرَضِيْتُ لَكُمُْ الْإِسْلَامَ دِينًا** ﴾ ليس يعني سوى أن الإسلام لا يتم إلا بإمامة الاثني عشر **عليه**، وإلا لكان الله تعالى قد رضي لنا الإسلام قبل ذلك، وهذا يؤكد ما تذهب إليه الشيعة الإمامية الاثنا عشرية من أن الإمامة أصل من أصول الدين لأنّه بهذه الإمامة رضي الله الإسلام ديناً كاملاً، ﴿ **وَرَضِيْتُ لَكُمُْ الْإِسْلَامَ دِينًا** ﴾،



فكان الدين كان ناقصاً فتمَّ بإعلان إمامة الاثني عشر **ههـ** في يوم الغدير السعيد. وللمفسرين رأي في كلمة **﴿الْيَوْمَ﴾** المتقدِّمة على عاملها **﴿يَسَّ﴾** (وأكمل) فالرازي يذكر رأيين لهذه الكلمة الأول: استعمال مجازي كما تقول: (كنتُ بالأمس شاباً واليوم أصبحتُ شيخاً)، والآخر: استعمال حقيقي خاص، وهو يوم عرفة من ذي القعدة في حجَّة الوداع في السنة العاشرة للهجرة، قال الرازي: قوله تعالى: **﴿الْيَوْمَ يَبْس﴾** **الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ دِينِكُمْ﴾** فيه قولان:

الأول: إنَّه ليس المراد هو ذلك اليوم بعينه حتى يقال إنَّهم ما يسُّوا قبله بيوم أو يومين، وإنَّما هو كلام خارج على عادة أهل اللسان، معناه لا حاجة بكم الآن إلى مداهنة هؤلاء الكفار لأنَّكم الآن صرتم بحيث لا يطمع أحد من أعدائكم في توهين أمركم، ونظيره قوله: كنت بالأمس شاباً واليوم قد صرت شيخاً، ولا يريد بالأمس اليوم الذي قبل يومك، ولا باليوم يومك الذي أنت فيه.

والقول الآخر: إنَّ المراد به يوم نزول هذه الآية، وقد نزلت يوم الجمعة وكان يوم عرفة بعد العصر في حجَّة الوداع سنة عشر والنبي **ﷺ** واقف بعرفات على ناقته (العضباء)^(١).

والزمخشري يرى أنَّه (لم يُرد به يوماً بعينه وإنَّما أراد به الزمان الحاضر وما يتصل به ويدانيه من الأزمنة الماضية والآتية كقولك: كنت بالأمس شاباً وأنت اليوم أشيب، فلا تريد بالأمس اليوم الذي قبل يومك ولا باليوم يومك...) ^(٢).

فإذا علمنا أنَّ (ال) في اليوم عهدية التي معهودها حاضر ذهنياً أو عقلياً أو مكانياً أو زمانياً فلا بُدَّ أن يكون هذا اليوم معهوداً ومشهوداً مشاركاً إليه بالبنان، وهو يوم الغدير؛ لذا سمِّي بتسميات عدَّة منها: يوم العهد المعهود ويوم الشاهد والمشهود، ويوم تبيان

(١) مفاتيح الغيب، الرازي: ١١/ ١٣٧.

(٢) الكشاف، الزمخشري: ١/ ٥٩٣. وينظر: تفسير البيضاوي: ٢/ ٢٩٣.

العقود عن النفاق والجحود، ويوم البيان عن حقائق الإيمان، ويوم دحر الشيطان، ويوم البرهان، ويوم الفصل الذي كنتم توعدون، يوم الملاء الأعلى الذي أنتم عنه معرضون، ويوم الإرشاد، ويوم محنة العباد، ويوم الدليل على الذواد، ويوم إبداء أحقاد الصدور ومضمورات الأمور، وغير ذلك^(١).

وكذا كان للمفسرين رأي في إكمال الدين نوجزه على النحو الآتي^(٢):

١- المراد من الدين القوانين، أي قوانين الإسلام، ولعلَّ هذا يؤيد أن اكتمال رسالة السماء موكول بهذا اليوم المعهود - يوم الغدير -.

٢- المراد من الدين الحج، أي أن الله تعالى قد أكمل حجَّ المسلمين في ذلك اليوم العظيم، بيد أن هذا المعنى يتعارض مع المعنى اللغوي والاصطلاحي للدين الذي يعني مجموعة من العقائد والأعمال والعبادات التي يشكل الحجُّ واحداً منها، وهذا تفسير غير مقبول.

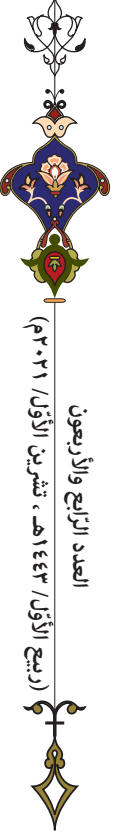
٣- إنَّ إكمال الدين وإتمام النعمة متحقق باليوم الذي نصر الله فيه المسلمين على أعدائهم وخلَّصهم من شرِّ هؤلاء الأعداء، وهو رأي غير مقبول؛ لأنَّ جميع أعداء الإسلام من المشركين واليهود والنصارى قد استسلموا قبل السنَّة العاشرة للهجرة إلاَّ المنافقين، ولكنَّ كيف انهزموا وأصابهم اليأس؟ لذا يبقى السؤال بلا جواب مقنع.

٤- إنَّ تفسير علماء الشيعة يجيب عن جميع الأسئلة الواردة، ويلقي بظلاله على مفهوم الآية وأجوائها، إذ إنَّ تفسير واقعة غدير خم ومسألة الولاية وخلافة أمير المؤمنين تعدُّ أفضل تفسير، بل هو التفسير الصحيح لهذه الآية الكريمة؛ لأنَّ آمال المنافقين وأعداء الإسلام قد تبددت وتبدلت إلى اليأس مع وقوع هذه الحادثة المهمة.

وقد ذكر العلامة الأميني مجموعة من علماء المسلمين ألعوا إلى أن آية إكمال الدين

(١) ينظر: بحار الأنوار: ٣٧ / ١٦٤.

(٢) ينظر: آيات الولاية في القرآن: ٣٧-٣٩.



من الآيات النازلة يوم الغدير في أمير المؤمنين عليه السلام، ومنهم الحافظ أبو جعفر محمد بن جرير الطبري (ت ٣١٠هـ)، والحافظ ابن مردويه الأصفهاني (ت ٤١٠هـ)، والحافظ أبو نعيم الأصبهاني (ت ٤٣٠هـ)، والحافظ أبو بكر الخطيب البغدادي (ت ٤٦٣هـ)، والحافظ أبو سعيد السجستاني (ت ٤٧٧هـ)، وأبو الحسن بن المغازلي الشافعي (ت ٤٨٣هـ)، والحافظ أبو القاسم الحاكم الحسكاني، والحافظ أبو القاسم ابن عساكر الشافعي الدمشقي (ت ٥٧١هـ)، وأخطب الخطباء الخوارزمي (ت ٥٦٨هـ)، وأبو الفتح النطنزي، وأبو حامد سعد الدين الصالحاني (ت ٦١٢هـ)، وغيرهم^(١).

الآية الثالثة : آية السائل

قال تعالى: ﴿سَأَلَ سَائِلٌ بِعَذَابٍ وَاقِعٍ ۝١ لِّلْكَافِرِينَ لَيْسَ لَهُ دَافِعٌ ۝٢ مِّنَ اللَّهِ ذِي الْمَعَارِجِ ۝٣﴾.^(٢)
أجمعت الشيعة، في هذه الآية أيضاً، ومعهم عدد من علماء السنة نحو الذين ذكرناهم في ما تقدم فضلاً عن أبي عبيد الهروي (ت ٢٢٣هـ أو ٢٢٤هـ)، وأبي بكر النقاش الموصلية البغدادي (ت ٣٥١هـ)، وأبي بكر يحيى القرطبي (ت ٥٦٧هـ)، وسبط ابن الجوزي (ت ٦٥٤هـ)، وشهاب الدين أحمد الدولت آبادي (ت ٨٤٩هـ)، والسيد نور الدين السمهودي الشافعي (ت ٩١١هـ)، وشمس الدين الشربيني القاهري الشافعي (ت ٩٧٧هـ)، وأبي عبد الله الزرقاني المالكي (١١٢٢هـ)، والسيد محمد بن إسماعيل اليماني (ت ١١٨٢هـ)، وغيرهم^(٣)
أن هذه الآية من الآيات النازلة يوم الغدير في أمير المؤمنين عليه السلام، وقد ارتبطت بحادثة وقعت في هذا اليوم العظيم مفادها أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لما كان بغدير خم، نادى بالناس فاجتمعوا، فأخذ بيد علي عليه السلام فقال: «من كنت مولاه فعلي مولاه».

(١) ينظر: موسوعة الغدير في الكتاب والسنة والأدب: ١ / ٤٤٧-٤٥٩.

(٢) سورة المعارج، الآيات: ١-٣.

(٣) ينظر: موسوعة الغدير في الكتاب والسنة والأدب: ١ / ٤٦٠-٤٧١.

فشاع ذلك وطار في البلاد، فبلغ ذلك الحرث بن النعمان الفهري فأتى رسول الله ﷺ على ناقة له حتى أتى الأبطح، فنزل عن ناقته وأناخها وعقلها، ثم أتى النبي ﷺ وهو في ملاء من أصحابه فقال: يا محمد أمرتنا عن الله أن نشهد أن لا إله إلا الله وأنك رسول الله فقبلناه منك، وأمرتنا أن نصلي خمساً فقبلناه منك، وأمرتنا بالزكاة فقبلنا، وأمرتنا بالحج فقبلنا، وأمرتنا أن نصوم شهراً فقبلنا، ثم لم ترص هذا حتى رفعت بضبعي ابن عمك فضلته علينا وقلت: من كنت مولاه فعلي مولاه، فهذا شيء منك أم من الله تعالى؟ فقال: «والذي لا إله إلا هو هذا من الله»، فولى الحرث بن النعمان يريد راحلته وهو يقول: اللهم إن كان ما يقوله حقاً فأمطر علينا حجارة من السماء، أو ائتنا بعذاب أليم، فما وصل إليها حتى رماه الله بحجر فسقط على هامته وخرج من دبره فقتله، وأنزل الله سبحانه: ﴿سَأَلِ بَعْدَ ذَلِكَ وَقِيعٌ لِّلْكَافِرِينَ لَيْسَ لَهُ دَافِعٌ﴾^(١).

واختلف المفسرون في شخصية الرجل ما بين جابر بن النضر بن الحارث بن كعدة القرشي والحارث بن النعمان الفهري أو النعمان بن الحارث الفهري، ولكنهم أجمعوا على مساءلته الرسول ﷺ وعلى تحديده إياه بقوله: (اللهم إن كان هذا هو الحق من عندك فأمطر.. إلخ)، وبأنه لم يصل دابته حتى رُمي بحجر فسقط على رأسه فقتله^(٢).

ويرى الطباطبائي أن سياق سورة المعارج سياق يوم القيامة، إذ وصفت السورة ما أعد الله تعالى فيه من أليم العذاب للكافرين، ثم يعرج على سبب نزول الآيات الثلاث الأولى في قول القائل: (اللهم إن كان هذا هو الحق من عندك فأمطر.. إلخ)، ثم يضيف إلى أن السؤال هنا بمعنى الطلب والدعاء؛ ولذا عدِّي بالباء^(٣) كما في قوله تعالى:

(١) تفسير الثعلبي، الثعلبي: ٣٥ / ١٠.

(٢) تفسير مقاتل، مقاتل بن سليمان: ٣ / ٣٩٧. وجامع البيان، الطبري: ٩ / ٣٠٧. وتفسير نور الثقلين، الحويزي: ٥ /

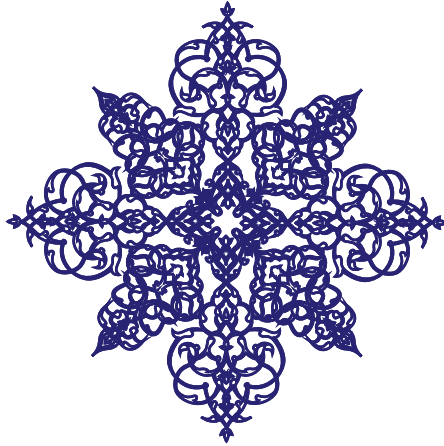
٤١١. والميزان، السيد الطباطبائي: ٢٠ / ١٢. والأمثل في تفسير كتاب الله المنزل، ناصر مكارم الشيرازي: ١٩ / ٧.

(٣) الميزان، السيد الطباطبائي: ٢٠ / ٥-٧.



﴿ يَدْعُونَ فِيهَا بِكُلِّ فِكْهَةٍ ءَامِنِينَ ﴾^(١).

على أنّ فكرة اليوم الآخر التي تحوم حولها السورة المباركة فضلاً عن غيرها من السور المباركة لكنّها في هذه السورة تستهدف ربط هذه الفكرة بحادثة مهمّة في التاريخ هي حادثة الغدير التي حصل فيها العذاب للمكذّب لولاية أمير المؤمنين التي بلّغ بها النبي الكريم ﷺ بطلب وأمر شديدين من البارئ عزّ وجلّ، وهو طرح ثانوي يرتبط بقضية عروج الملائكة ونشاطاتهم التي أوكلوا إليها^(٢).

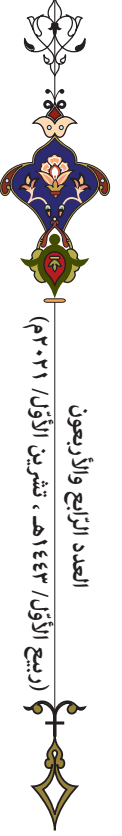


(١) سورة الدخان، الآية: ٥٥.

(٢) ينظر: التفسير البنائي للقرآن الكريم، د. محمود البستاني: ٥ / ١١٦.

الخاتمة

في آية التبليغ جاء الخطاب مختلفاً عن خطابه النبي بقوله ﴿يَتَأْتِيهَا النَّبِيُّ...﴾ الذي تكرر كثيراً في القرآن الكريم، فالخطاب الأول أهم، إذ يدلُّ على الأهمية الفائقة الذي استلزم أن يقع الرسول الأكرم مورداً للخطاب الإلهي مباشرة، ثم إن كلمة ﴿بَلِّغْ﴾ التي لم ترد إلا في هذا الموضع تدلُّ على خصوصية المضمون الذي تحمله الآية، فقد أمر الرسول بتبليغ أمر على درجة من الأهمية بحيث لو قصر في تبليغه للناس لذهبت أتعاب ثلاث وعشرين سنة، وذلك مصداقه قوله تعالى: ﴿وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ﴾ فتبليغه كان ثقیلاً على النبي ﷺ لخوفه من استنكاف الناس عن قبوله وإيذائهم له، إذ توعدده الله وهدده على ترك تبليغه، فإنه لا يقال مثل هذا التعبير إلا إذا كان الأمر ثقیلاً على من يُراد خطابه؛ لذا عصمه تعالى من الناس بقوله: ﴿وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ﴾ على أن مجيء الفعل مشدداً ﴿بَلِّغْ﴾ أبلغ من تعديته بالهمزة (أبلغ)، وقد خاطبه بالرسالة لكونه أنسب الصفات إلى ما تتضمنه الآية من الأمر بالتبليغ لحكم الله النازل، فهو كالبرهان على وجوب تبليغ هذا الأمر الإلهي، فتحمل الرسالة يفرض عليه القيام بالتبليغ، ولم يصحَّ باسم الذي أنزل إليه من ربه، وإنما عبر عنه بالنعته، وإنه شيء أنزل إليه إشعاراً بتعظيمه ودلالته على أنه أمر ليس فيه لرسول الله ﷺ صنع، ولا له من أمره شيء، ليكون برهاناً آخر على عدم الاختيار منه في كتمانها وتأخير تبليغه، ويكون معذوراً في إظهاره على الناس، وتلويحاً إلى أنه مصيبٌ في نفرسه منهم، وتخوفه عليه، وإيحاءاً إلى



أنَّه ممَّا يجب أن يظهر من ناحيته وبلسانه وبيانه.

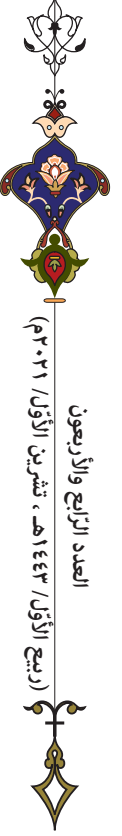
وفي آية إكمال الدين يؤثر التعبير القرآني تقديم كلمة (اليوم) مرتين في سياق الآيتين، للدلالة على تعظيم أمر اليوم لاشتماله على خبر عظيم الجدوى، وهو يأس الكافرين من دين المؤمنين، وإكمال الدين وإتمام النعمة، فالآيتان مسوقتان لغرض واحد يتفرع إلى فرعين الأوَّل: هو تقرير بأنَّ الكفار قد يسوا من أن يستطيعوا تدمير الإسلام، ومن ثمَّ فلم يعد هناك مبرر لخشيتهم على الإسلام من هذه الجهة، على أنَّ الأمر الإلهيَّ بخشيته سبحانه هو الضمانة الأكيدة لاستمرار النصر الإلهيَّ على الكافرين، والثاني هو إكمال الدين وإتمام النعمة ورضا الله سبحانه بالإسلام لنا ديناً، وهنا أيضاً ليس هناك شيء جديد، غير إمامة عليٍّ وأولاده عليه السلام، يستدعي أن يشرنا الله تعالى أنَّه به قد أكمل دينه وأتمَّ نعمته ورضي لنا الإسلام ديناً، بل إنَّ قوله: ﴿وَرَضِيْتُ لَكُمْ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾ ليس يعني سوى أنَّ الإسلام لا يتمُّ إلا بإمامة الاثني عشر عليه السلام، وإلاَّ لكان الله تعالى قد رضي لنا الإسلام قبل ذلك، وهذا يؤكد ما تذهب إليه الشيعة الإمامية الاثني عشرية من أنَّ الإمامة أصل من أصول الدين؛ لأنَّ هذه الإمامة رضي الله الإسلام ديناً كاملاً، ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ﴾، فكانَّ الدين كان ناقصاً فتمَّ بإعلان إمامة الاثني عشر عليه السلام في يوم الغدير السَّعيد.

وفي آية السائل لم يبق شك في بعض النفوس من خطورة الأمر وإطلاقه للجميع ووجوب عدم معارضته ولزوم الخضوع له، جاء جابر بن النضر أو الحارث بن النعمان أو النعمان بن الحارث الفهري وقال ما قال، وأجابه النبيُّ صلى الله عليه وآله بما أجاب، فاستكبر المرتد، فدعا وتحدى، فقتله الله في الحال، فالحمد لله ربَّ العالمين على إكمال الدين وإتمام النعمة.



المصادر والمراجع

١. القرآن الكريم.
٢. الأمالي، الشيخ الصدوق، ط١، تح: قسم الدراسات الإسلامية، مؤسسة البعثة، قم، مركز الطباعة والنشر في مؤسسة البعثة، ١٤١٧هـ.
٣. الأمالي، الشيخ الطوسي، ط١، تحقيق: قسم الدراسات الإسلامية، مؤسسة البعثة، دار الثقافة للطباعة والنشر والتوزيع، قم، ١٤١٤هـ.
٤. الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل، الشيخ ناصر مكارم الشيرازي، مكتبة أهل البيت، (د. ت).
٥. آيات العقائد، آية الله السيد إبراهيم الحجازي، تح: رامين الكلمكاني، ط١، مؤسسة الطبع والنشر التابعة للآستانة الرضوية المقدّسة، مجمع البحوث الإسلامية، مشهد، ١٤٢٤ق - ١٣٨٢ش.
٦. آيات الولاية في القرآن، آية الله العظمى ناصر مكارم الشيرازي، ط١، مطبعة سليمان زاده، مدرسة الإمام عليّ بن أبي طالب عليه السلام، ١٤٢٥ق - ١٣٨٣ش.
٧. بحار الأنوار، العلامة المجلسي، تح: يحيى العابدي الزنجاني، السيد كاظم الموسوي المياموي، مؤسسة الوفاء، بيروت - لبنان، ط٢، ١٤٠٣ - ١٩٨٣م.
٨. التفسير البنائي للقرآن الكريم، د. محمود البستاني، ط١، مؤسسة الطبع التابعة للآستانة الرضويّة المقدّسة، مجمع البحوث الإسلامية، مشهد، ١٤٢٤ق - ١٣٨٢ش.
٩. تفسير البيضاوي، البيضاوي، دار الفكر، بيروت - لبنان، (د. ت).
١٠. تفسير الثعلبي، الثعلبي، تح: الإمام أبي محمّد بن عاشور، مراجعة وتدقيق: الأستاذ نظير الساعدي، ط١، دار إحياء التراث العربي، بيروت - لبنان، ١٤٢٢هـ - ٢٠٠٢م.
١١. تفسير مقاتل بن سليمان، مقاتل بن سليمان، تح: أحمد فريد، ط١، دار الكتب العلمية،



لبنان - بيروت، ١٤٢٤ - ٢٠٠٣ م.

١٢. تفسير نور الثقلين، الشيخ الحويزي، تح: السيد هاشم الرسولي المحلاتي، ط ٤، مؤسسة إسماعيليان للطباعة والنشر والتوزيع، قم، ١٤١٢ هـ - ١٣٧٠ ش.

١٣. جامع البيان، محمد بن جرير الطبري، تح: الشيخ خليل الميس، ضبط وتوثيق وتخريج: صدقي جميل العطار، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت - لبنان، ١٤١٥ - ١٩٩٥ م.

١٤. الدر المنثور، جلال الدين السيوطي، دار المعرفة للطباعة والنشر، بيروت - لبنان، (د. ت).

١٥. الغدير، الشيخ الأميني، ط ٤، دار الكتاب العربي، بيروت - لبنان، ١٣٩٧ - ١٩٧٧ م.

١٦. كتاب سليم بن قيس، تح: محمد باقر الأنصاري، مكتبة أهل البيت، (د. ت).

١٧. الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل، الزمخشري، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر، عباس ومحمد محمود الحلبي، ١٣٨٥ - ١٩٦٦ م.

١٨. مفاتيح الغيب، الرازي، مكتبة أهل البيت (د. ت).

١٩. مناقب الإمام أمير المؤمنين عليه السلام، محمد بن سليمان الكوفي، تح: الشيخ محمد باقر المحمودي، ط ١، مطبعة: النهضة، مجمع إحياء الثقافة الإسلامية، قم المقدسة، محرّم الحرام ١٤١٢ هـ.

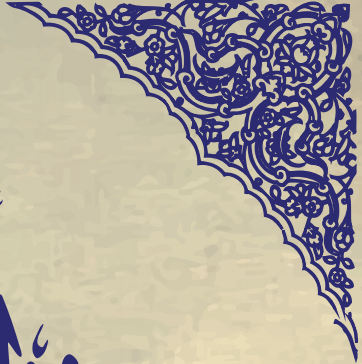
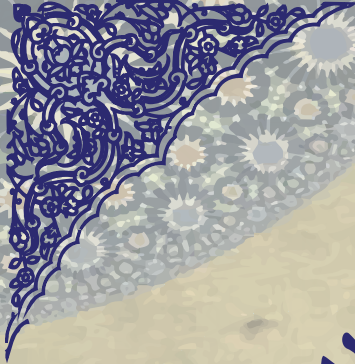
٢٠. موسوعة الغدير في الكتاب والسنة والأدب، العلامة الشيخ عبد الحسين أحمد الأميني النجفي، تح: مركز الغدير للدراسات الإسلامية، إشراف السيد محمود الهاشمي الشاهرودي، مؤسسة دائرة معارف الفقه الإسلامي، ١٤٢٦ ق - ٢٠٠٦ م - ١٣٨٥ ش.

٢١. الميزان في تفسير القرآن، العلامة السيد محمد حسين الطباطبائي، ط ١، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، ١٤١٧ هـ - ١٩٩٧ م.

٢٢. آيات العقائد، آية الله السيد إبراهيم الحجازي، تح: رامين الكلمكاني، ط ١، مؤسسة الطبع والنشر التابعة للأستانة الرضوية المقدسة، مشهد، مجمع البحوث الإسلامية، ١٤٢٤ ق - ١٣٧٧ ش.

٢٣. موسوعة الغدير في الكتاب والسنة والأدب، العلامة الشيخ عبد الحسين أحمد الأميني النجفي، تح: مركز الغدير للدراسات الإسلامية، ط ٤، مؤسسة دار معارف الفقه الإسلامي، قم المقدسة، إيران، ١٤٢٧ هـ - ٢٠٠٩ م.





قال النبي صلى الله عليه وسلم
٧٣ ٧٣

فانزلنا من السماء
مياه فاصبحنا
جبالا من ذهب
فانزلنا من السماء
مياه فاصبحنا
جبالا من ذهب
فانزلنا من السماء
مياه فاصبحنا
جبالا من ذهب

الشرقاوي
١٤٣٩



﴿بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ﴾

بَحْثٌ فِي أَسْبَابِ النُّزُولِ

د. مروان صلاح خليفات

الأردن

Convey what has been sent down to you, search for the reasons for the revelation

Dr. Marwan Salah Khleifat

khleefatmarwan@hotmail.com

ملخص البحث

يعرض هذا البحث روايات ثمانية من الصحابة في شأن نزول قوله تعالى: ﴿بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ﴾ ، ثم يذكر سبب نزولها لدى بعض الفرق الأخرى، ويختتم برأي الإمامية مع بعض التعليقات المرتبطة بالبحث.

الكلمات المفتاحية:

الصحابة - أسباب النزول - بلغ - الإمامية - الإسماعيلية

Abstract

This research presents the narrations of eight of the Companions regarding the revelation of the Almighty's verse:

﴿بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ﴾ Then mentions the reason for its revelation among some other sects, and concludes with the opinion of the Imamiyyah with some comments related to the research.

key words:

The Companions - Reasons for Revelation - reached - Imamiyyah - Isma'iliyyah



التمهيد

إِنَّ آيَةَ ﴿يَتَأْتِيهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ﴾ ^(١) تدلُّ بلا شك على أن أمراً مهماً قد نزل على رسول ﷺ، وأن عدم تبليغه إياه يعني عدم تبليغ الرسالة بأكملها، وفي هذا إشارة إلى ارتباط سائر التشريعات بهذا الأمر، فالفعل (أنزل) في قوله تعالى: ﴿بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ﴾ يشير إلى نزول أمرٍ ما على رسول الله، لكنّه لم يبلغه فور نزوله، ثمّ ذكره الله بهذا الأمر، فقال في تنمة الآية ﴿وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَغْتَ رِسَالَتَهُ﴾ ثمّ وعده بالعصمة من الناس، ممّا يشير إلى كره الناس لهذا الأمر وعدم قبولهم له.

ليست الآية ناظرة إلى بداية الدعوة المحمّديّة كما قد يُظن، حيث إنّهُ ﷺ صدح بما أمره الله، وواجه عتاة قريش دون خوف أو تردد، فلا شكّ أنّه أمر آخر، خاصة إذا عرفنا أنّ الآية قد نزلت في الشهور الأخيرة من حياة النبي ﷺ، قال ابن كثير: (والصحيح أنّ هذه الآية مدنيّة، بل هي من أواخر ما نزل بها والله أعلم) ^(٢).

لقد روى نزول الآية بشأن الإمام عليّ عليه السلام يوم غدیر خم ثمانية من الصحابة، وتكاد أشهر الفرق الإسلاميّة تتفق على نزولها في عليّ عليه السلام، حيث روى نزولها يوم الغدير بعض من أهل الرواية والحديث من جمهور المسلمين، وروى نزولها كذلك المعتزلة والزيدية والإسماعيلية، فضلاً عن الإمامية الذين اتفقوا على شأن نزولها.

سنعرض في هذا البحث روايات الصحابة الثمانية حول سبب نزول الآية، ثمّ نذكر سبب نزولها لدى بعض الفرق الأخرى، خاتماً بحثي برأي الإمامية مع بعض التعقيبات المرتبطة بالبحث، والله ولي التوفيق.

(١) المائدة، الآية: ٦٧.

(٢) تفسير القرآن العظيم، ج ٢، ص ٨١.

المبحث الأول: في كتب الجمهور

رواة نزول الآية في عليٍّ عليه السلام من الصحابة.

١- أبو سعيد الخدري

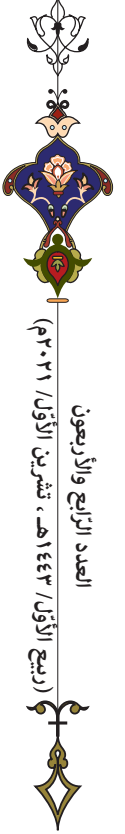
روى ابن أبي حاتم (ت ٣٢٧هـ) في تفسيره: (حدثنا أبي ثنا عثمان بن حرزاد، ثنا إسماعيل بن زكريا، ثنا علي بن عابس عن الأعمش ابني الحجاب^(١))، عن عطية العوفي عن أبي سعيد الخدري قال: نزلت هذه الآية ﴿يَأْتِيهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ﴾ في علي بن أبي طالب) عن أبي الجحاف [داود بن أبي عوف] ^(٢).

٢- ابن عباس

قال الثعلبي (ت ٤٢٧هـ): (روى أبو محمد عبد الله بن محمد القايني نا أبو الحسن محمد بن عثمان النصيبي، نا أبو بكر محمد بن الحسن السبيعي، نا علي بن محمد الدهان، والحسين بن إبراهيم الجصاص قالوا: حدثنا الحسن بن الحكم حدثنا الحسن بن الحسين بن حيان عن الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس في قوله ﴿يَأْتِيهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ﴾ قال:

(١) هكذا في الأصل والصحيح: (وأبي الجحاف).

(٢) تفسير القرآن العظيم، ج ٤، ص ١١٧٢، والرواية عن أبي سعيد الخدري ذكرها أكثر من واحد. راجع: تاريخ مدينة دمشق لابن عساكر، ج ٤٢، ص ٢٣٧، أسباب نزول الآيات للواحدي النيسابوري، ص ١٣٥، فتح القدير للشوكاني، ج ٢، ص ٦٠، شواهد التنزيل لقواعد التفضيل للحاكم الحسكاني الحنفي، ج ١، ص ٢٤٩ - ٢٥٨، تفسير الألوسي للألوسي، ج ٦، ص ١٩٣.



نزلت في عليٍّ (رضي الله عنه) أمر النبي ﷺ أن يبلغ فيه فأخذ ﷺ بيد عليٍّ عليه السلام، وقال: «من كنت مولاة فعليٍّ مولاة، اللهم وال من والاه وعاد من عاده».

وروى الثعلبي^(١) نزول الآية في عليٍّ عليه السلام، عن الإمام محمد بن عليٍّ الباقر عليها السلام. وروى الحاكم الحسكاني الحنفي^(٢) نزولها في عليٍّ عليه السلام عن ابن عباس، قال: (حدثني محمد بن القاسم بن أحمد في تفسيره قال: حدثنا أبو جعفر محمد بن عليٍّ الفقيه، قال: حدثنا أبي قال: حدثنا سعد بن عبد الله قال: حدثنا أحمد بن عبد الله البرقي، عن أبيه، عن خلف بن عمار الأسدي عن أبي الحسن العبدي عن الأعمش، عن عباية بن ربعي: عن عبد الله بن عباس عن النبي ﷺ [وساق] حديث المعراج إلى أن قال: «وإني لم أبعث نبياً إلا جعلت له وزيراً، وإنك رسول الله وإن علياً وزيرك». قال ابن عباس: فهبط رسول الله فكره أن يحدث الناس بشيء منها إذ كانوا حديثي عهد بالجاهلية حتى مضى [من] ذلك ستة أيام، فأنزل الله تعالى: ﴿فَلَعَلَّكَ تَارِكٌ بَعْضُ مَا يُوحَىٰ إِلَيْكَ﴾ فاحتمل رسول الله ﷺ حتى كان يوم الثامن عشر، أنزل الله عليه ﴿يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ﴾، ثم إن رسول الله ﷺ أمر بلائاً حتى يؤذن في الناس أن لا يبقى غداً أحد إلا خرج إلى غدير خم، فخرج رسول الله ﷺ والناس من الغد، فقال: «يا أيها الناس إن الله أرسلني إليكم برسالة وإني ضقت بها ذرعاً مخافة أن تتهموني وتكذبوني حتى عاتبني ربِّي فيها بوعيد أنزله عليٍّ بعد وعيد»، ثم أخذ بيد عليٍّ بن أبي طالب فرفعها حتى رأى الناس بياض إبطيها [إبطها «خ»] ثم قال: «أيها الناس، الله مولاي وأنا مولاكم، فمن كنت مولاة فعليٍّ مولاة، اللهم وال من والاه وعاد من عاده وانصر من نصره واخذل من

(١) الكشف والبيان عن تفسير القرآن، ج ٤، ص ٩٢.

(٢) قال الذهبي في تاريخ الإسلام: ٣٢ / ٣٠٥-٣٠٦: (عبيد الله بن عبد الله بن أحمد بن محمد بن أحمد بن محمد بن حسان) القاضي أبو القاسم بن الحذاء القرشي النيسابوري الحنفي الحاكم، الحافظ. شيخ متقن، ذو عناية تامة بالحديث والسَّماع، أسنَّ وعمر، وهو من ذرية عبد الله بن عامر بن كريز، سمع وجمع وصنَّف، وجمع الأبواب والطُّرق).

خذله»، وأنزل الله: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ﴾^(١)

ورواه بسند آخر، قال: (أخبرنا الحاكم أبو عبد الله الحافظ جملة، [قال: أخبرنا] علي بن عبد الرحمن بن عيسى الدهقان بالكوفة، قال: حدثنا الحسين بن الحكم الحبري قال: حدثنا الحسن بن الحسين العرنى قال: حدثنا حبان بن علي العنزي قال: حدثنا الكلبي عن أبي صالح: عن ابن عباس في قوله عز وجل: ﴿يَأْتِيهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أَنْزَلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ﴾ الآية، [قال]: نزلت في علي، أمر رسول الله ﷺ أن يبلغ فيه، فأخذ رسول الله بيد علي فقال: «من كنت مولاه فعلي مولاه، اللهم وال من والاه وعاد من عاداه».

ثم عقب قائلاً: (رواه جماعة عن الحبري وأخرجه السبيعي في تفسيره عنه، فكأنني سمعته من السبيعي ورواه جماعة عن الكلبي، وطرق هذا الحديث مستقصاة في كتاب دعاء الهداة إلى أداء حق الموالاتة من تصنيفي في عشرة أجزاء)^(٢).

٣- أبو هريرة

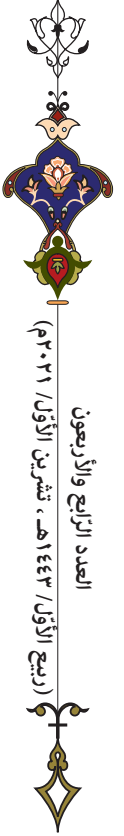
قال الحاكم الحسكاني: (أخبرنا السيد أبو الحسن محمد بن [علي بن] الحسين الحسيني رحمه الله قراءة قال: أخبرنا أبو الحسن محمد بن محمد بن علي الأنصاري بطوس، قال: حدثنا قريش بن خداش بن السائب، قال: حدثنا أبو عصمة نوح بن أبي مريم، عن إسماعيل، عن أبي معشر، عن سعيد المقبري: عن أبي هريرة، عن النبي ﷺ قال: «لما أسري بي إلى السماء سمعت [نداءً من] تحت العرش أن علياً راية الهدى وحيب من يؤمن بي بلِّغ يا محمد»، قال: فلما نزل النبي ﷺ أسر ذلك، فأنزل الله عز وجل: ﴿يَأْتِيهَا الرَّسُولُ

(١) شواهد التنزيل لقواعد التفضيل، ج ١ - ص ٢٤٩ - ٢٥٨.

(٢) المصدر نفسه، ج ١ - ص ٢٤٩ - ٢٥٨، ممن ذكر نزول الآية في علي عليه السلام ابن مردويه كما في مناقب علي بن أبي طالب عليه السلام

وما نزل من القرآن في علي عليه السلام، ص ٢٣٩ - ٢٤١، والمحسن بن كرامة الجشمي (ت ٤٩٤ هـ) في تنبيه الغافلين عن فضائل

الطالبين، ص ٦٤، والألوسي في تفسير الألوسي، ج ٦ - ص ١٩٣.



بَلَّغَ مَا أَنْزَلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ ﴿ فِي عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ، ﴿ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ
وَاللَّهُ يَعِصُكَ مِنَ النَّاسِ ﴾ (١).

٤- عبد الله بن أبي أوفى

روى الحاكم الحسكاني: (أخبرنا أبو بكر السكري قال: أخبرنا أبو عمرو المقري قال: أخبرنا الحسن بن سفيان، قال: حدثني أحمد بن أزهر قال: حدثنا عبد الرحمن بن عمرو بن جبلة، قال: حدثنا عمر بن نعيم بن عمر بن قيس الماصر، قال: سمعت جدي قال: حدثنا عبد الله بن أبي أوفى قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول يوم غدیر خم وتلاه هذه الآية: ﴿ يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أَنْزَلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ ﴿ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ ﴾، ثم رفع يديه حتى يرى بياض إبطيه، ثم قال: «ألا من كنت مولاه فعليٌّ مولاه، اللهم وال من والاه وعاد من عاداه»، ثم قال: «اللهم اشهد» (٢).

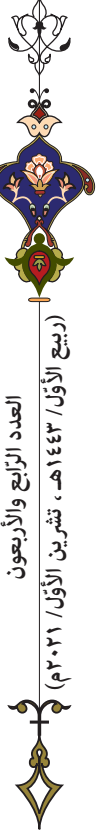
٥- جابر بن عبد الله

روى الحاكم الحسكاني: (حدثني عليُّ بن موسى بن إسحاق، عن محمد بن مسعود بن محمد، قال: حدثنا سهل بن بحر، قال: حدثنا الفضل بن شاذان، عن محمد بن أبي عمير، عن عمر بن أذينة عن الكلبي عن أبي صالح: عن ابن عباس وجابر بن عبد الله قالوا: أمر الله محمدًا ﷺ أن ينصب عليًّا ﷺ للناس ليخبرهم بولايته فتخوف رسول الله ﷺ أن يقولوا حابا ابن عمه وأن يطعنوا في ذلك عليه، فأوحى الله إليه: ﴿ يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أَنْزَلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ ﴾ الآية، فقام رسول الله ﷺ بولايته يوم غدیر خم) (٣).

(١) شواهد التنزيل لقواعد التفضيل: ١ / ٢٤٩-٢٥٨.

(٢) المصدر نفسه.

(٣) المصدر نفسه.



٦- عبد الله بن مسعود

قال السيوطي: (وأخرج ابن مردويه عن ابن مسعود قال: كنا نقرأ على عهد رسول الله ﷺ ﴿يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ﴾^(١)).

٧- البراء بن عازب

قال الحكم الجشمي: (وقد ذكر أهل النظر والتفسير مثل ذلك، وروي عن ابن عباس، والبراء بن عازب، ومحمد بن علي، أنه لما نزل قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ﴾ أخذ رسول الله ﷺ علياً بيده وقال: «من كنت مولاه فعلي مولاه، اللهم وال من والاه، وعاد من عاداه»، فقال عمر: هنيئاً لك يا بن أبي طالب، أصبحت مولاي ومولى كل مؤمن ومؤمنة. وحديث الموالاة وغدير خم قد رواه جماعة من الصحابة، وتواتر النقل به حتى دخل في حيز التواتر)^(٢).

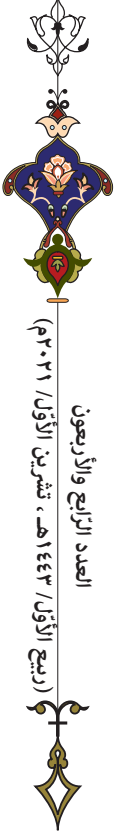
وقال: (فلما بلغ غدير خم ونزل: ﴿يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ﴾ على ما بينه من بعد، نزل في وإدليس بموضع النزول ونصّ عليه وبين فضله وشرفه، وإنه القائم مقامه بعده، وكان المشركون يقولون إنه أبترا لا يقوم مقامه أحد إذ لا ولد له، فبين تعالى أنهم نسوا من ذلك حين نصّ عليه، وثم بين الشرع والدين، وهذه فضيلة ظاهرة)^(٣).
وقال فخر الدين الرازي (ت ٦٠٦هـ) وهو يذكر وجوه نزول آية (بلغ): (العاشر: نزلت الآية في فضل علي بن أبي طالب عليه السلام، ولما نزلت هذه الآية أخذ بيده وقال: «من

(١) الدر المنثور في التفسير بالمأثور: ٢/ ٢٩٨، وراجع نزولها في علي عليه السلام عن ابن مسعود: مناقب علي بن أبي طالب عليه السلام وما

نزل من القرآن في علي عليه السلام لابن مردويه الأصفهاني: ٢٣٩-٢٤١، وتفسير الألويسي: ٦/ ١٩٣.

(٢) تنبيه الغافلين عن فضائل الطالبين: ٦٤.

(٣) المصدر نفسه: ٥٩.



كنت مولاة فعليّ مولاة، اللهم وال من والاه وعاد من عاداه»، فلقبه عمر فقال: هنيئاً لك يا بن أبي طالب أصبحت مولاي ومولى كل مؤمن ومؤمنة، وهو قول ابن عباس والبراء بن عازب ومحمد بن علي^(١).

٨- حذيفة بن اليمان

روى الحاكم الحسكاني بسنده: (عن حذيفة بن اليمان قال: كنت والله جالساً بين يدي رسول الله ﷺ (و) قد نزل بنا غدِير خَم، وقد غصَّ المجلس بالمهاجرين والأنصار، فقام رسول الله ﷺ على قدميه فقال: «يا أيُّها الناس إنَّ الله أمرني بأمر فقال: ﴿يَتَأَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ﴾»، ثم نادى عليّ بن أبي طالب فأقامه عن يمينه، ثم قال: «يا أيُّها الناس، ألم تعلموا أنّي أولى منكم بأنفسكم؟»، قالوا: اللهم بلى. قال: «من كنت مولاة فعليّ مولاة، اللهم وال من والاه، وعاد من عاداه، وانصر من نصره واخذل من خذله». فقال حذيفة: فوالله لقد رأيت معاوية قام وتمطى وخرج مغضباً واضع يمينه على عبد الله بن قيس الأشعري ويساره على المغيرة بن شعبة، ثم قام يمشي متمطئاً وهو يقول: لا نصدق محمداً على مقالته ولا نقرّ لعليّ بولايته. فأنزل الله تعالى: ﴿فَلَا صَدَقَ وَلَا صَلَّى﴾ ^(٢) **وَلَكِنْ كَذَبَ وَتَوَلَّى** ^(٣) **ثُمَّ ذَهَبَ إِلَى أَهْلِهِ يَتَمَطَّى** ^(٤) فهم به رسول الله ﷺ أن يرده فيقتله فقال له جبرئيل: ﴿لَا تُحَرِّكْ بِهِ لِسَانَكَ لِتُجْعَلَ بِهِ﴾، فسكت عنه^(٥).

(١) تفسير الرازي، ج ١٢، ص ٤٩-٥٠.

(٢) شواهد التنزيل لقواعد التفضيل، ج ٢، ص ٣٩١ - ٣٩٢.

البحث الثاني: تعقيب

تبين مما سبق رواية ثمانية من الصحابة نزول آية (بَلِّغْ) بحق أمير المؤمنين عليؑ، وهذا العدد كافٍ لتواتر الرواية عند بعض أعلام الجمهور.

فابن حزم (ت ٤٥٦هـ) عدَّ رواية أربعة من الصحابة لأحد الأحاديث تواتراً، لا يجلُّ مخالفته، قال: (ورويانه أيضاً مسنداً من طريق جابر، فهؤلاء أربعة من الصحابة، فهو نقل تواتر لا تحلُّ مخالفته)^(١).

وقال: (فهذا نقل خمسة من الصحابة بالطرق الثابتة فهو نقل تواتر)^(٢).

وقال عن حديث رواه سبعة من الصحابة: (فهؤلاء شيخان بدریان، ورافع بن خديج، وجابر، وأبو سعيد، وأبو هريرة، وابن عمر كلُّهم يروي عن النبي... فهو نقل تواتر موجب للعلم المتيقن)^(٣).

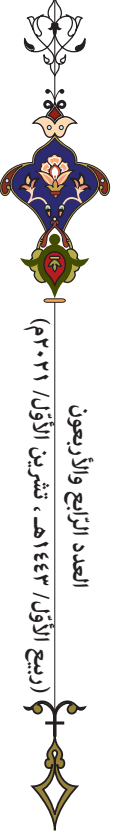
وعدَّ ابن حجر الهيتمي (٩٧٣هـ) حديثاً رواه ثمانية من الصحابة متواتراً بهذا العدد، وهو كحال روايات آية (بَلِّغْ) التي ذكرناها قال: (اعلم أن هذا الحديث متواتر فإنه ورد من حديث عائشة وابن مسعود وابن عباس وابن عمر وعبد الله بن زمعة وأبي سعيد وعلي بن أبي طالب وحفصة)^(٤).

(١) المحلي، ج ٢، ص ١٣٥.

(٢) المصدر نفسه، ج ٨، ص ٤٥٣.

(٣) المصدر نفسه، ج ٨، ص ٢١٢.

(٤) الصواعق المحرقة في الرد على أهل البدع والزندقة، ص ٢٣.



فنخلص ممّا سبق إلى أنّ النقل قد تواتر ولا سيما في طبقة الصحابة بشأن نزول آية (بَلِّغْ) يوم غدِير خم.

ينبغي الالتفات إلى أنّ الحديث المتواتر لا يُبحث في صحّة سنده.

قال الشريف المرتضى من الإماميّة: (... لأنّ الأخبار المتواترة لا يشترط فيها عدالة رواتها، بل قد يثبت التواتر وتجب المعرفة برواية الفاسق بل الكافر؛ لأنّ العلم بصحّة ما رووه يبتني على أمور عقلية تشهد بأنّ مثل تلك الجماعة لا يجوز عليها وهي على ما هي عليه)^(١).

وقال الألباني: (ولا يشترط في الحديث المتواتر سلامة طرقة من الضعف؛ لأنّ ثبوته إنّما هو بمجموعها، لا بالفرد منها، كما هو مشروح في المصطلح)^(٢).

هل صحّ شيء من هذه الروايات؟

اشترط ابن أبي حاتم الرازي في تفسيره أن لا يخرج رواياته إلّا بأصحّ الأسانيد، إذ قال: (سألني جماعة من إخواني إخراج تفسير القرآن مختصراً بأصحّ الأسانيد وحذف الطرق والشواهد والحروف والروايات وتنزيل السور، وأن نقصد لإخراج التفسير مجرداً دون غيره متقّصين تفسير الآي حتى لا نترك حرفاً من القرآن يوجد له تفسيرٌ إلّا أخرج ذلك، فأجبتهم إلى ملتسمهم وبالله التوفيق وإياه نستعين ولا حول ولا قوة إلّا بالله، فتحرّيت إخراج ذلك بأصحّ الأخبار إسناداً)^(٣).

قال السيوطي (ت ٩١١ هـ) تعليقاً على حديث في تفسير ابن أبي حاتم: (وأخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره، وقد التزم أن يخرج فيه أصح ما ورد، ولم يخرج حديثاً موضعاً البتة)^(٤).

(١) رسائل الشريف المرتضى، ج ٣، ص ٣١١ - ٣١٢.

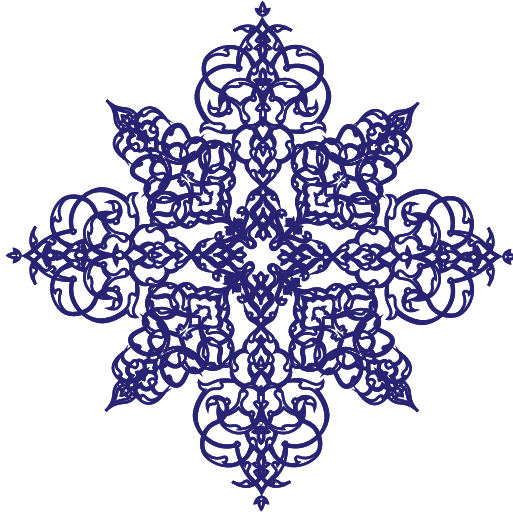
(٢) إرواء الغليل، ج ٦، ص ٩٥.

(٣) تفسير القرآن العظيم، ج ١، ص ١٤.

(٤) اللآلئ المصنوعة في الأحاديث الموضوعة للسيوطي، ص ١١.

وقد أوردنا رواية ابن أبي حاتم^(١) نزول الآية في عليّ عليه السلام عن أبي سعيد الخدري، ممّا يعني صحة الرواية عند ابن أبي حاتم.

أمّا عنعنة الأعمش^(٢) التي قد يتذرع بها بعضهم لردّ الرواية، فهي معتبرة عند ابن أبي حاتم، بدليل احتجاجه بها، كما وأنّ البخاري احتجّ بعنعة الأعمش في أكثر من ٢٠٠ مورد، واحتجّ مسلم بعننته أكثر من ٣٠٠ مرة، فمن لا يحتج بعننته فعليه أن يرمي أحاديثه التي خرّجها الشيخان والتي تربو على ٥٠٠ حديث.



(١) تفسير القرآن العظيم، ج ٤، ص ١١٧٢.

(٢) أي روايته بصيغة عن، وقد ذهب المتأخرون إلى رفض رواياته التي رواها بصيغة (عن) واتهموه بالتدليس.

البحث الثاني: نزول الآية لدى سائر الفرق

الإمامية أولاً:

تتفق المصادر الإمامية على نزول آية (بَلِّغْ) بشأن الإمام عليٍّ عليه السلام، بل نقل بعض أعلام الجمهور سبب نزول الآية عن بعض أئمة أهل البيت عليهم السلام.

قال الثعلبي: (وقال أبو جعفر محمد بن علي: معناه بَلِّغْ ما أنزل إليك في فضل عليٍّ بن أبي طالب، فلما نزلت الآية أخذ عليٌّ بيد عليٍّ عليه السلام، فقال: «من كنت مولاه فعليٌّ مولاه»^(١)).

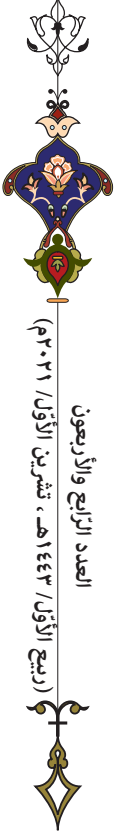
ونقل الرواية الحسكافي الحنفي فقال: (أخبرنا عمرو بن محمد بن أحمد العدل بقراعتي عليه من أصل سماع نسخته، قال: أخبرنا زاهر بن أحمد، قال: أخبرنا أبو بكر محمد بن يحيى الصولي قال: حدثنا المغيرة بن محمد، قال: حدثنا علي بن محمد بن سليمان النوفلي قال: حدثني أبي قال: سمعت زياد بن المنذر يقول: كنت عند أبي جعفر محمد بن عليٍّ وهو يحدث الناس، إذ قام إليه رجل من أهل البصرة يقال له: عثمان الأعشى - كان يروي عن الحسن البصري - فقال له: يا بن رسول الله، جعلني الله فداك، إن الحسن يخبرنا أن هذه الآية نزلت بسبب رجل، ولا يخبرنا من الرجل ﴿يَتَأْتِيهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ﴾، فقال: «لو أراد أن يخبر به لأخبر به، ولكنه يخاف، إن جبرئيل

(١) الكشف والبيان عن تفسير القرآن، ج ٤، ص ٩٢.

﴿ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ ﴾ بحث في أسباب النزول **الْبَصِيحَاتُ**

هبط على النبي ﷺ فقال له: إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكَ أَنْ تَدُلَّ أُمَّتَكَ عَلَى صَلَاتِهِمْ، فَدَلَّمْ عَلَيْهِا، ثُمَّ هَبَطَ فَقَالَ: إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكَ أَنْ تَدُلَّ أُمَّتَكَ عَلَى زَكَاتِهِمْ، فَدَلَّمْ عَلَيْهِا، ثُمَّ هَبَطَ فَقَالَ: إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكَ أَنْ تَدُلَّ أُمَّتَكَ عَلَى صِيَامِهِمْ، فَدَلَّمْ، ثُمَّ هَبَطَ فَقَالَ: إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكَ أَنْ تَدُلَّ أُمَّتَكَ عَلَى حُجَّتِهِمْ فَعْمَلْ، ثُمَّ هَبَطَ فَقَالَ: إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكَ أَنْ تَدُلَّ أُمَّتَكَ عَلَى وَلِيَّتِهِمْ عَلَى مِثْلِ مَا دَلَلْتَهُمْ عَلَيْهِ مِنْ صَلَاتِهِمْ وَزَكَاتِهِمْ وَصِيَامِهِمْ وَحُجَّتِهِمْ لِيَلْزِمَهُمُ الْحُجَّةَ فِي جَمِيعِ ذَلِكَ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: يَا رَبِّ إِنَّ قَوْمِي قَرِيبُوا عَهْدًا بِالْجَاهِلِيَّةِ وَفِيهِمْ تَنَافُسٌ وَفَخْرٌ، وَمَا مِنْهُمْ رَجُلٌ إِلَّا وَقَدْ وَتَرَهُ وَلِيَّتِهِمْ، وَإِنِّي أَخَافُ فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ﴾ يريد فما بلغتْها تامَّة ﴿وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ﴾، فَلَمَّا ضَمِنَ اللَّهُ [له] بِالْعَصْمَةِ وَخَوْفَهُ أَخَذَ بِيَدِ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ ثُمَّ قَالَ: يَا أَيُّهَا النَّاسُ مِنْ كُنْتُمْ مَوْلَاهُ فَعَلِيٌّ مَوْلَاهُ، اللَّهُمَّ وَالِ مِنْ وَالَاهُ وَعَادِ مِنْ عَادَاهُ، وَانصُرْ مِنْ نَصْرِهِ وَاخْذَلْ مِنْ خِذْلِهِ وَأَحِبَّ مِنْ أَحَبِّهِ وَأَبْغَضْ مِنْ أَبْغَضِهِ». قَالَ زِيَادٌ: فَقَالَ عِثْمَانُ: مَا انصرفت إلى بلدي بشيء أحبُّ إليَّ من هذا الحديث^(١).

قال الشيخ المفيد (ت ٤١٣هـ): (وكان سبب نزوله في هذا المكان أي غدير خم نزول القرآن عليه بنصبه أمير المؤمنين عليه السلام خليفة في الأمة من بعده، وقد كان تقدّم الوحي إليه في ذلك من غير توقيت له فأخره لحضور وقت يأمن فيه الاختلاف منهم عليه، وعلم الله سبحانه أنه إن تجاوز غدير خم انفصل عنه كثير من الناس إلى بلادهم وأماكنهم وبوادئهم، فأراد الله تعالى أن يجمعهم لسماع النصِّ على أمير المؤمنين عليه السلام تأكيداً للحجة عليهم فيه، فأُنزلت جلت عظمتة عليه: ﴿يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ﴾ يعني في استخلاف عليِّ بن أبي طالب أمير المؤمنين عليه السلام والنصِّ بالإمامة عليه



(١) شواهد التنزيل لقواعد التفضيل، ج ١، ص ٢٤٩ - ٢٥٨.

﴿ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ ﴾ فأكد به الفرض عليه بذلك، وخوفه من تأخير الأمر فيه، وضمن له العصمة ومنع الناس منه...^(١).

وقال الشريف المرتضى (ت ٤٣٦هـ): وإنَّ قوله تعالى ﴿ يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ ﴾ نزل في هذا الموضع أي غدِير خم^(٢).

وقال في موضع آخر: (إنَّه تعالى أنزل على رسوله ﷺ: ﴿ يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ ﴾ فأمر النبي ﷺ عند ذلك في غدِير خم بجمع أصحابه)^(٣).

ومن الروايات في ذلك، ما رواه الشيخ الكليني بسند صحيح، قال: (علي بن إبراهيم، عن أبيه، عن ابن أبي عمير، عن عمر بن أذينة، عن زرارة والفضيل بن يسار، وبكير بن أعين ومحمد بن مسلم وبريد بن معاوية وأبي الجارود جميعاً عن أبي جعفر عليه السلام قال: «أمر الله عزَّ وجلَّ رسوله بولاية عليٍّ وأنزل عليه ﴿ إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ ﴾ وفرض ولاية أولي الأمر، فلم يدروا ما هي، فأمر الله محمداً ﷺ أن يفسر لهم الولاية، كما فسَّر لهم الصلاة، والزكاة والصوم والحج، فلما أتاه ذلك من الله، ضاق بذلك صدر رسول الله ﷺ وتخوف أن يردوا عن دينهم وأن يكذبوه فضاق صدره وراجع ربه عزَّ وجلَّ فأوحى الله عزَّ وجلَّ إليه ﴿ يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ ﴾ فصدع بأمر الله تعالى ذكره فقام بولاية عليٍّ عليه السلام يوم غدِير خم، فنادى الصلاة جامعة وأمر الناس أن يبلغ الشاهد الغائب»، - قال عمر بن أذينة: قالوا جميعاً غير أبي

(١) الإرشاد، ج ١، ص ١٧٥ - ١٧٧.

(٢) رسائل الشريف المرتضى، ج ٤، ص ١٣٠.

(٣) الشافي في الإمامة، ج ٢، ص ٢٥٩.

﴿بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ﴾ بحث في أسباب النزول ﴿الْبَصِيحَاتِ﴾

الجارود - وقال أبو جعفر عليه السلام: «وكانت الفريضة تنزل بعد الفريضة الأخرى، وكانت الولاية آخر الفرائض، فأُنزل الله عزَّ وجلَّ ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتَمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي﴾»، قال أبو جعفر عليه السلام: «يقول الله عزَّ وجلَّ: لا أنزل عليكم بعد هذه فريضة، قد أكملت لكم الفرائض»^(١).

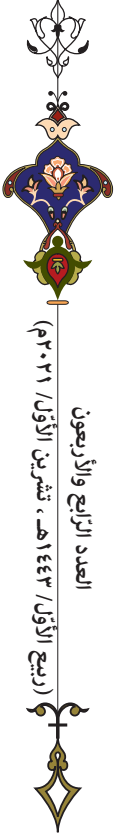
قال ابن شهر آشوب (ت ٥٨٨هـ): (قوله سبحانه: ﴿يَأْتِيهَا الرُّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ﴾ ذكر أبو عبيدة والنقاش وسفيان بن عيينة والواحدي وابن جريح والثوري وعطا وابن عباس والكلبي وأبو صالح والمرزباني وإبراهيم الثقفي وابن عقدة وغيرهم في روايات متفقات المعاني أتمها نزلت في أمير المؤمنين عليه السلام، وقد رواه أكثر الناقلين منهم أحمد بن حنبل وابن بطة وأبو بكر بن مالك وأبو سعيد الخركوشي وأبو المظفر السمعاني وأبو بكر الباقلاني ممَّا يطول بذكره الكتاب ويؤيده إجماع أهل البيت عليهم السلام)^(٢).

الإسماعيلية ثانياً:

قال القاضي النعمان المغربي (ت ٣٦٣هـ): (وروي عن أبي جعفر محمد بن علي

(١) الكافي، ج، ص ٢٨٩، والروايات من طرق الإمامية كثيرة، فراجع: الكافي، ج ١، ص ٢٩٠ - ٢٩١ و ص ٢٩٣ - ٢٩٦، الأمالي للشيخ الصدوق، ص ٤٣٥ - ٤٣٧ و ص ٥٨٤ - ٥٨٢، بصائر الدرجات لمحمد بن الحسن بن فروخ (الصفار) ص ٥٣٥ - ٥٣٦، كتاب سليم بن قيس، سليم بن قيس الهلالي الكوفي، ص ٢٨٨ - ٢٨٩، تفسير أبي حمزة الثمالي لأبي حمزة الثمالي، ص ١٥٩ - ١٦٠، تفسير العياشي لمحمد بن مسعود العياشي، ج ١، ص ٣٢٨، تفسير القمي لعلي بن إبراهيم القمي، ج ١، ص ١٧١، التبيان في تفسير القرآن، الشيخ الطوسي، ج ٣، ص ٥٨٨، روضة الواعظين للفتان النيسابوري، ص ٨٩، المسترشد لمحمد بن جرير الطبري (الشيعة)، ص ٤٦٥ - ٤٦٧ و ص ٦٠٥ - ٦٠٦، الاحتجاج للشيخ الطبرسي، ج ١، ص ٦٦ - ٧١، الثاقب في المناقب، ابن حمزة الطوسي، ص ١٢٧ - ١٣٠، المزار لمحمد بن جعفر المشهدي، ص ٢٦٣ - ٢٧٢ و ص ١٦ - ١٧، عمدة عيون صحاح الأخبار في مناقب إمام الأبرار لابن البطريق، ص ٩٩ - ١٠٠، إقبال الأعمال للسيد ابن طاووس، ج ٢، ص ٢٤٤، بشارة المصطفى لمحمد بن أبي القاسم الطبري، ص ٢٧٥ - ٢٧٦.

(٢) مشابه القرآن ومختلفه، ج ٢، ص ٣٠.



صلوات الله عليه أن رجلاً قال له: يا بن رسول الله، إن الحسن البصري حدثنا أن رسول الله ﷺ قال: إن الله أرسلني برسالة فضاقت بها صدري وخشيت أن يكذبني الناس، فتواعدني إن لم أبلغها أن يعذبني، قال له أبو جعفر عليه السلام: «فهل حدثكم بالرسالة؟»، قال: لا، قال: «أما والله إنه ليعلم ما هي ولكنّه كتمها متعمداً»، قال الرجل: يا بن رسول الله، جعلني الله فداك، وما هي؟ فقال عليه السلام: «إن الله تبارك وتعالى أمر المؤمنين بالصلاة في كتابه فلم يدروا ما الصلاة ولا كيف يصلون، فأمر الله عز وجل محمداً نبيه ﷺ أن يبين لهم كيف يصلون، فأخبرهم بكل ما افترض الله عليهم من الصلاة مفسراً، وفرض الصلاة في القرآن جملة ففسرها رسول الله ﷺ في سنته، وأعلمهم بالذي أمرهم به من الصلاة التي فرض الله عليهم، وأمر بالزكاة فلم يدروا ما هي ففسرها رسول الله ﷺ، وأعلمهم بما يؤخذ من الذهب والفضة والإبل والبقر والغنم والزرع ولم يدع شيئاً مما فرض الله من الزكاة إلا فسره لأمته وبينه لهم، وفرض عليهم الصوم فلم يدروا ما الصوم ولا كيف يصومون ففسره لهم رسول الله ﷺ، وبين لهم ما يتقون في الصوم وكيف يصومون، وأمر بالحج فأمر الله نبيه ﷺ أن يفسر لهم كيف يحجون حتى أوضح لهم ذلك في سنته، وأمر الله عز وجل بالولاية فقال: ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ﴾، وفرض الله ولاية ولادة الأمر فلم يدروا ما هي فأمر الله نبيه ﷺ أن يفسر لهم ما الولاية مثل ما فسّر لهم الصلاة والزكاة والصوم والحج، فلما أتاه ذلك من الله عز وجل ضاقت به رسول الله ﷺ ذرعاً وتخوّف أن يردوا عن دينه وأن يكذبوه، فضاقت صدره وراجع ربه فأوحى إليه: ﴿يَأْتِيهَا الرُّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ﴾، فصعد بأمر الله وقام بولاية أمير المؤمنين علي بن أبي طالب صلوات الله عليه يوم غدیر خم ونادى لذلك: الصلاة جامعة

﴿يَلْغُ مَا أَنْزَلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ﴾ بحث في أسباب النزول **الْبَصِيحَاتُ** .

وأمر أن يبلغ الشاهد الغائب، وكانت الفرائض ينزل منها شيء بعد شيء، تنزل الفريضة ثم تنزل الفريضة الأخرى وكانت الولاية آخر الفرائض...»^(١).

الزبيديّة ثانياً:

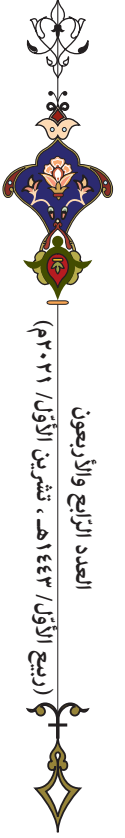
قال يحيى بن الحسين الزبيدي (ت ٢٩٨هـ): (وفيه أنزل الله على رسوله بغدير خم: ﴿يَأْتِيهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ﴾ فوقف ﷺ وقطع سيره، ولم يستجز أن يتقدم خطوة واحدة، حتى ينفذ ما عزم به عليه في عليٍّ عليه السلام، فنزل تحت الدوحة مكانه وجمع الناس ثم قال: «يا أيها الناس أأستأوى بكم من أنفسكم؟»، قالوا: بلى يا رسول الله، فقال: «اللهم اشهد»، ثم قال: «اللهم اشهد»، ثم قال: «فمن كنت مولاه، فعليٌّ مولاه، اللهم وال من والاه، وعاد من عاداه، واخذل من خذله، وانصر من نصره»^(٢).

وقال المرشد بالله يحيى بن الحسين الحسني الشجري (ت ٤٩٩هـ): (قال أخبرنا أبو الحسن بن محمد بن أحمد العتيقي البزاز، بقراءتي عليه، قال: أخبرنا أبو عمر عثمان بن محمد بن أحمد المخزومي، قال: أخبرنا الحسن بن علي بن عبد الرحمن بن عيسى بن ماتي الكاتب، قال: حدثني الحسين بن الحكم الجبري، قال: حدثنا الحسن بن الحسين، عن حيان، عن الكلبي، عن أبي صالح، عن ابن عباس رضي الله عنه، في قوله عز وجل: ﴿يَأْتِيهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ﴾ نزلت في عليٍّ عليه السلام، أمر رسول الله ﷺ أن يبلغ فيه، فأخذ رسول الله ﷺ بيد عليٍّ عليه السلام، فقال: «من كنت مولاه فعليٌّ مولاه، اللهم وال من والاه وعاد من عاداه»^(٣).

(١) دعائم الإسلام، ج ١، ص ١٤، وراجع كتاب شرح الأخبار للقاظمي الإسماعيلي النعمان المغربي، ج ١، ص ١٠١-١٠٤.

(٢) الأحكام، ج ١، ص ٣٧-٣٨.

(٣) ترتيب الأمالي الخميسية للشجري، ج ١، ص ١٩١.



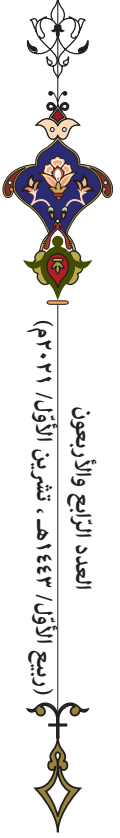
الخاتمة

روي نزول آية (بَلِّغْ) بحقَّ أمير المؤمنين عليٍّ عليه السلام عن ثمانية من الصحابة، وهو ما يعدُّ تواتراً لدى بعض أعلام الجمهور، ثمَّ ذكرنا اتفاق الإمامية والزيدية والإسماعيلية على نزول الآية بحقَّ الأمير عليٍّ عليه السلام، وهذا التوافق يؤكد حقيقة نزول الآية يوم غدیر، على أنَّه لا ينبغي التشدد في دراسة أسانيد روايات التفسير، فهي ليست بأحكام شرعية، ومع ذلك قد سبقت الإشارة إلى صحة إحدى الروايات لدى أحد المحدثين وهو ابن أبي حاتم الرازي.

وبهذا يتبين أهمية غدیر وعلاقة الآية بتلك الحادثة، ونزولها يوم غدیر خم، وأنَّ عدم تبليغ ولاية أمير المؤمنين هو عدم تبليغ الرسالة، والحمد لله ربَّ العالمين.

المصادر والمراجع

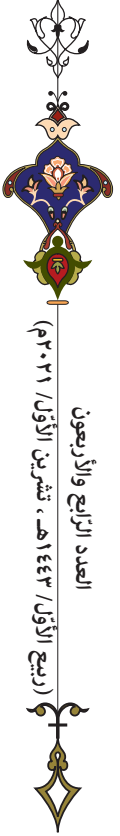
1. الاحتجاج تأليف أبي منصور أحمد بن علي بن أبي طالب الطبرسي تعليقات وملاحظات السيد محمد باقر الخراسان منشورات
2. طبع في مطابع النعمان النجف الأشرف حسن الشيخ إبراهيم الكتبي تلفون ٩٧٧ المسكن ٢٢٧ حي ١٣٨٦ - ١٩٦٦ م
3. كتاب الأحكام في الحلال والحرام يجيب بن الحسين بن القاسم بن ابراهيم (٢٤٥هـ / ٢٩٨هـ)، مكتبة أهل البيت عليه السلام، الطبعة الثانية، ١٤٣٥هـ، صعدا، اليمن.
4. الإرشاد الشيخ المفيد (ت ٤١٣هـ) تحقيق: مؤسسة آل البيت عليه السلام لتحقيق التراث، الطبعة الثانية، ١٤١٤هـ / ١٩٩٣م.
5. إرواء الغليل في تخرج أحاديث منار السبيل، أبو عبد الرحمن محمد ناصر الدين الألباني، نشر المكتب الإسلامي، الطبعة الأولى، ١٩٧٩م.
6. أسباب النزول الآيات، أبي الحسن علي بن أحمد الواحدي النيسابوري، دار الاتحاد العربي للطباعة، مكة المكرمة، ١٩٦٨م، نشر مؤسسة الحلبي وشركائه للنشر والتوزيع.
7. إقبال الأعمال السيد رضي الدين علي بن موسى بن جعفر بن طاووس، تحقيق جواد القيومي الأصفهاني، مركز النشر مكتب الإعلام الإسلامي، الطبعة الأولى، ١٤١٤هـ، قم المقدسة، إيران.
8. الأمالي، الشيخ الصدوق أبي جعفر محمد بن علي بن الحسين ابن موسى بن بابويه القمي تحقيق قسم الدراسات الإسلامية - مؤسسة البعثة، الطبعة الأولى، ١٤١٧هـ، طهران، إيران.
9. بشارة المصطفى صلى الله عليه وآله لشيعته المرتضى عليه السلام، تأليف عماد الدين أبي جعفر محمد بن أبي القاسم الطبري (من علماء الإمامية في القرن السادس)، تحقيق جواد القيومي الأصفهاني، مؤسسة



- النشر الاسلامي التابعة لجماعة المدرسين بقم المشرفة، الطبعة الأولى، ١٤٢٠هـ، قم المقدسة، إيران.
١٠. بصائر الدرجات الكبرى في فضائل آل محمد عليهم السلام، للثقة الجليل والمحدث النبيل شيخ القميين أبو جعفر محمد بن الحسن بن فروخ (الصفار) (ت ٢٩٠هـ) من أصحاب الإمام الحسن العسكري تقديم وتعليق وتصحيح العلامة الحجة الحاج ميرزا محسن (كوجه باغي) منشورات الأعلمي، مطبعة الأحمدي، ١٤٠٤هـ، طهران، إيران.
١١. تاريخ الإسلام، وذيله، الذهبي؛ محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز الذهبي، شمس الدين، أبو عبد الله، تحقيق عمر عبد السلام تدمري، نشر دار الكتاب العربي، طبع دار المغني للنشر والتوزيع، الطبعة الثانية، ١٤١٠هـ / ١٩٩٠م.
١٢. تاريخ مدينة دمشق وذكر فضلها وتسمية من حلها من الأماثل أو اجتاز بنواحيها من واردتها وأهلها لحافظ الدنيا، علي بن الحسن بن هبة الله بن عبد الله الشافعي المعروف بابن عساكر (٤٩٩-٥٧١هـ)، ١٤١٥هـ.
١٣. التبيان في تفسير القرآن، شيخ الطائفة أبي جعفر محمد بن الحسن الطوسي، نشر مكتب الاعلام الاسلامي، تحقيق وتصحيح أحمد حبيب قصير العاملي، دار إحياء التراث العربي، طبع مطابع مكتب الاعلام الاسلامي، الطبعة الأولى، ١٢٠٩هـ.
١٤. ترتيب الأمالي الحميسية للشجري، يحيى (المرشد بالله) بن الحسين (الموفق) بن إسماعيل بن زيد الحسني الشجري الجرجاني (ت ٤٩٩هـ)، رتبها القاضي محيي الدين محمد بن أحمد القرشي العبشمي (ت ٦١٠هـ)، تحقيق محمد حسن محمد حسن إسماعيل، نشر دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى، ١٤٢٢هـ / ٢٠٠١م، بيروت، لبنان
١٥. تفسير أبي حمزة الثمالي، تأليف أبو حمزة الثمالي (ت ١٤٨هـ)، أعاد جمعه وتأليفه عبد الرزاق محمد حسين حرز الدين، مراجعة وتقديم الشيخ محمد هادي معرفة، الطبعة الأولى، ١٤٢٠هـ.
١٦. روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني شهاب الدين محمود بن عبد الله الحسيني الألويسي (ت ١٢٧٠هـ)، تحقيق علي عبد الباري عطية، نشر دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى، ١٤١٥هـ، بيروت، لبنان.

﴿بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ﴾ بحث في أسباب النزول (الْبَصِيحَاتُ)

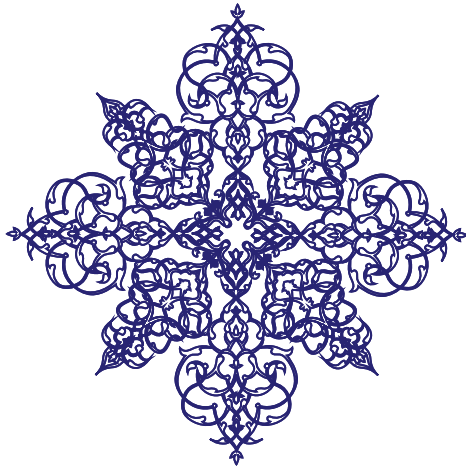
١٧. مفاتيح الغيب التفسير الكبير المعروف بـ(تفسير الرازي)، أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الرازي الملقب بفخر الدين الرازي خطيب الري (ت ٦٠٦هـ)، نشر دار إحياء التراث العربي، الطبعة الثالثة، ١٤٢٠هـ، بيروت.
١٨. تفسير العياشي، محمد بن مسعود العياشي (ت ٣٢٠هـ)، تصحيح سيد هاشم رسولي محلاتي، المطبعة العلمية، الطبعة الأولى، ٢٠٠١م، طهران، إيران.
١٩. تفسير القرآن العظيم، عبد الرحمن بن محمد ابن إدريس الرازي ابن أبي حاتم، تحقيق أسعد محمد الطيّب، نشر مكتبة نزار مصطفى الباز.
٢٠. تفسير القمي، علي بن إبراهيم القمي (من أعلام القرن الثالث)، تصحيح السيد طيّب الموسوي الجزائري، نشر دار الكتاب، الطبعة الثالثة، ١٤٠٤هـ، قم المقدسة، إيران.
٢١. تنبيه الغافلين عن فضائل الطالبين، شرف الاسلام بن سعيد المحسن بن كرامة (ت ٤٩٤هـ)، تحقيق السيد تحسين آل شبيب الموسوي، نشر مركز الغدير للدراسات الإسلامية، الطبعة الأولى، ١٤٢٠هـ / ٢٠٠٠م.
٢٢. الثاقب في المناقب، عماد الدين أبي جعفر محمد بن علي الطوسي، تحقيق الشيخ نبيل رضا علوان، نشر مؤسسة أنصاريان للطباعة والنشر، مطبعة الصدر، إيران.
٢٣. الدر المنثور في التفسير بالمأثور، عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي (ت ٩١١هـ)، نشر دار الفكر، بيروت، لبنان.
٢٤. دعائم الإسلام، القاضي النعمان بن محمد التميمي المغربي أبو حنيفة (ت ٣٦٣هـ)، نشر مؤسسه آل البيت عليه السلام، الطبعة الثانية، ٢٠٠٥م، قم المقدسة، إيران.
٢٥. رسائل المرتضى، الشريف المرتضى (ت ٤٣٦هـ)، تقديم السيد أحمد الحسيني، إعداد السيد مهدي الرجائي، نشر دار القرآن الكريم، مطبعة الخيام، ١٤٠٥هـ، قم المقدسة، إيران.
٢٦. روضة الواعظين وبصيرة المتعظين، محمد بن أحمد فتال النيشابوري (ت ٥٠٨هـ)، انتشارات الرضي، الطبعة الأولى، ١٩٩٥م، قم المقدسة، إيران.
٢٧. الشافي في الإمامة، أبو القاسم علي بن الحسين الموسوي المعروف بـ(الشريف المرتضى) (ت ٤٣٦هـ)، تحقيق وتعليق السيد عبد الزهراء الحسيني الخطيب، الطبعة الثانية، ١٤١٠هـ، إيران.

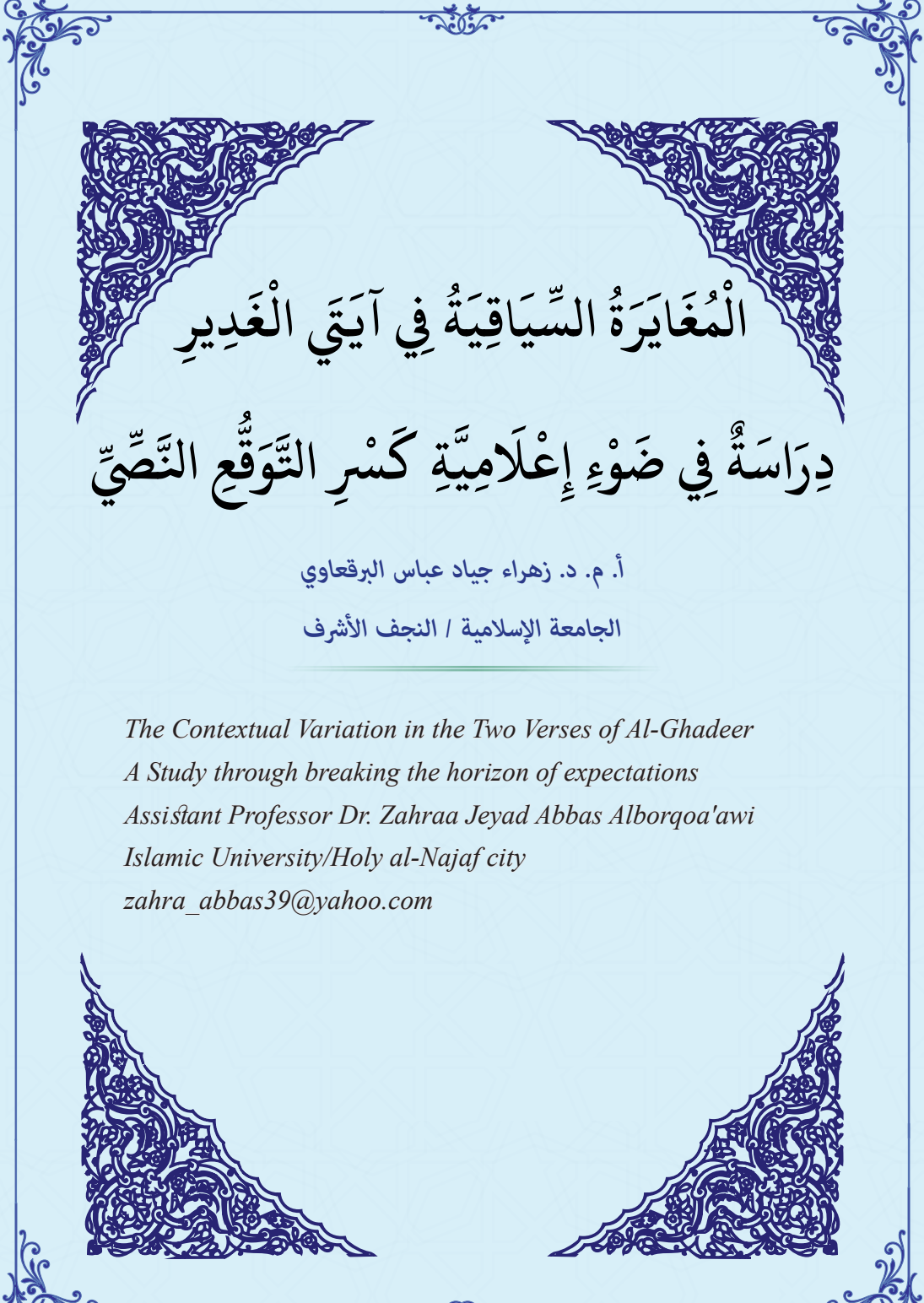


٢٨. شرح الأخبار في فضائل الأئمة الأطهار، القاضي النعمان بن محمد التميمي المغربي، تحقيق السيد محمد الحسيني الجلاي، نشر وطبع مؤسسة النشر الإسلامي، قم المقدسة، إيران.
٢٩. شواهد التنزيل لقواعد التفضيل في الآيات النازلة في أهل البيت صلوات الله وسلامه عليهم، الحافظ الكبير عبيد الله بن عبد الله بن أحمد المعروف بالحاكم الحسكاني الخذاء الحنفي النيسابوري من أعلام القرن الخامس الهجري، تحقيق وتعليق الشيخ محمد باقر المحمودي، مؤسسة الطبع والنشر التابعة لوزارة الثقافة والإرشاد الإسلامي مجمع إحياء الثقافة الإسلامية، الطبعة الأولى، ١٤١١هـ / ١٩٩٠م / طهران، إيران.
٣٠. الصواعق المحرقة في الرد على أهل البدع والزندقة، أبو العباس أحمد بن محمد ابن حجر الهيثمي، نشر دار الكتب العلمية، ٢٠٠٩م، بيروت، لبنان.
٣١. عمدة عيون صحاح الأخبار في مناقب إمام الأبرار، شمس الدين يحيى بن الحسن الأسدي الربيعي الحلبي [الحافظ ابن البطريق]، نشر مؤسسة النشر الإسلامي، قم المقدسة، إيران.
٣٢. فتح القدير، محمد بن علي بن محمد بن عبد الله الشوكاني اليمني (ت ١٢٥٠هـ)، نشر دار ابن كثير، دار الكلم الطيب - دمشق، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٤هـ.
٣٣. الكافي الشريف، الشيخ محمد بن يعقوب الكليني (ت ٣٢٩هـ)، تصحيح علي أكبر غفاري ومحمد آخوندي، نشر دار الكتب الإسلامية، الطبعة الرابعة، ١٤٠٧هـ، طهران، إيران.
٣٤. كتاب سليم بن قيس الهلالي، سليم بن قيس الهلالي العامري الكوفي من أعلام القرن الأول، تحقيق محمد باقر الأنصاري الزنجاني، نشر وطبع مؤسسة الهادي الطبعة الأولى، ١٤٢٠هـ، قم المقدسة، إيران.
٣٥. الكشف والبيان عن تفسير القرآن، أحمد بن محمد بن إبراهيم الثعلبي، أبو إسحاق (ت ٤٢٧هـ)، تحقيق محمد بن عاشور، مراجعة وتدقيق الأستاذ نظير الساعدي، نشر دار إحياء التراث العربي، الطبعة الأولى، ١٤٢٢هـ / ٢٠٠٢م، بيروت، لبنان.
٣٦. اللآلئ المصنوعة في الأحاديث الموضوعة، عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي (ت ٩١١هـ)، تحقيق أبو عبد الرحمن صلاح بن محمد بن عويضة، نشر دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى، ١٤١٧هـ / ١٩٩٦م، بيروت، لبنان.
٣٧. متشابه القرآن ومختلفه، بيان المشكلات من الآيات المتشابهات، ابن شهر آشوب المازندراني،

﴿يَلْغُ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ﴾ بحث في أسباب النزول **الْمَصْنُوعَاتُ**

- رشيد الدين محمد بن علي (ت ٥٨٨هـ)، نشر دار البيدار للنشر، الطبعة الأولى، ١٩٨٧م، قم المقدسة، إيران.
٣٨. المحلى بالآثار (المحلى في شرح المجلى)، أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد (٣٨٤-٤٥٦هـ)، جمع: أحمد محمد شاكر، نشر دار الجليل، بيروت، لبنان.
٣٩. المزار الكبير، محمد بن المشهدي (ت ٦١٠هـ)، تحقيق جواد القيومي الاصفهاني، الطبعة الأولى، ١٤١٩هـ.
٤٠. المسترشد في إمامة علي بن أبي طالب عليه السلام، ابن جرير الطبري (ت ٣٢٦هـ)، مصحح أحمد محمودي، نشر كوشانور، الطبعة الأولى، ١٤١٥هـ، قم المقدسة، إيران.
٤١. مناقب علي بن أبي طالب عليه السلام وما نزل من القرآن في علي عليه السلام، أبو بكر أحمد بن موسى ابن مردويه الأصفهاني (ت ٤١٠هـ)، تجمعي وترتيب وتقديم عبدالرزاق محمد حسين حرز الدين، الطبعة الثانية، ١٤٢٤هـ.





المُغَايِرَةُ السِّيَاقِيَّةُ فِي آيَتِي الغَدِيرِ

دِرَاسَةٌ فِي ضَوْءِ إِعْلَامِيَّةِ كَسْرِ التَّوْفِيعِ النَّصِيِّ

أ. م. د. زهراء جواد عباس البرقعواوي

الجامعة الإسلامية / النجف الأشرف

The Contextual Variation in the Two Verses of Al-Ghadeer

A Study through breaking the horizon of expectations

Assistant Professor Dr. Zahraa Jeyad Abbas Alborqoa'awi

Islamic University/Holy al-Najaf city

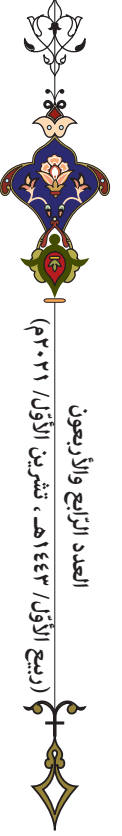
zahra_abbas39@yahoo.com

المخلص

لما كان الخطاب في النص القرآني يهدف إلى الإقناع والتأثير وكان المتلقي يشغل موقعا وسطا بين التأويل والبيان بوصفهما انعكاسا لعملية التواصل ومثالا للتواصل، فإنه في لحظة ما قد ينتقل النص من سياق معين إلى سياق آخر لتنبية المتلقي ولفت نظره إلى أهمية السياق الذي انتقل إليه النص بصورة مفاجئة، وبذلك يكون (غير المتوقع) هو المسؤول عن المفاجأة، التي تساعد المتلقي على التواصل مع النص، والحرص على استبصار مكوناته، لأن كسر التوقع إنما جاء نتيجة للطارئ المبتدع، وليس للعادي المؤلف (المتوقع من النفس).

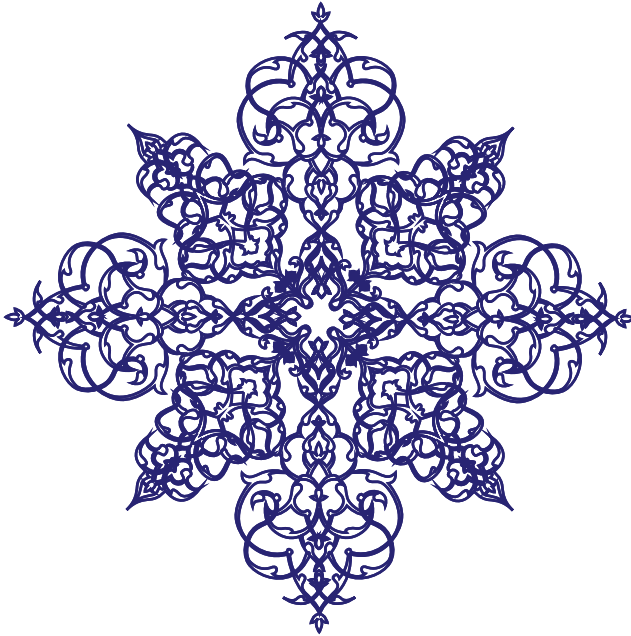
إذ إن أهمية النص لا تنبع من كونه نصا إخباريا ينقل إلينا كما من المعلومات، وإنما مهمّة النص أن يجعلنا نتفاعل معه، ونستلهم منه أشياء جديدة، تكسر توقعنا فثمة علاقة عكسية بين التوقع من جهة وبين المفاجأة التي يحدثها ما هو غير متوقع من جهة أخرى، فإذا زادت نسبة التوقع قلت نسبة المفاجأة.

وتعتمد عملية التواصل والتأثير ما بين النص والمتلقي على مشاركة المتلقي، وحسن تلقيه للإشارات النصية التي تقود خطاه، ويحدث هذا عندما يرصد القارئ في بنية النص إجراء أسلوبيا غير منتظر، أو مقابلات دلالية غير متوقعة، أو مفاجآت سياقية، أو عند تحويل اتجاه النص فجأة نحو مسار آخر ليكسر أفق توقعه، إذ يعد لأسلوب المفاجأة أو الدهشة القدرة على جذب المتلقي وتشويقه.



من هنا فإن آيتي حادثة الغدير في سورة المائدة قد وردتا في سياقين مغايرين لمضمون الآيتين والمراد منهما، وذلك للفت عناية القارئ وكسر توقعه ومفاجأته بمضمونها المختلف عن السياق السابق واللاحق لهما لأهمية هذه الحادثة ولضرورة التنبيه عليها.
الكلمات المفتاحية:

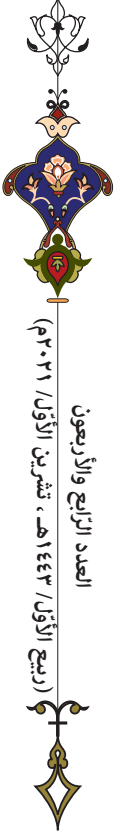
كسر التوقع - المفاجأة - المغايرة السياقية - آيتي الغدير - دراسة نصية - إعلامية
النص - آراء المفسرين في آيتي الغدير.



Abstract

Since the Qur'anic text aims to persuasion and influence, while the receiver has taken position the middle between Interpretation and elucidation due to rule as a reflection for the communication process and an example of communication, but at some point the text change from one context to another on purpose to alert the receiver and obtain his attention to the importance of the context which the text moved to it all of sudden, and for this reason the (unexpected) is the reason behind the sudden change, which will help the receiver to connect with the text and paying attention to the details, because breaking the expectation process was a result for the Innovative Contingency and not the regular expected) Expected from oneself(.

For sure, the importance of the text does not come being a news text bringing us amount of information, but the mission/ purpose of the text is to make us interact with it, and take inspiration for new matters from it, that break our expectation since there is an inverse relationship between the expectation and the surprise that resulted from the unexpected on the



other hand, and if the expectation ratio increase the surprise ration decrease.

Communication and influence process between the text and the receiver based on the interact of the receiver and the quality of his reception for the text signs which are enlightening him, and this happens when the reader spotting in the text body an unexpected stylistic action, unexpected acceptability of evidence, contextual surprises, or when you change the direction of the text into different course suddenly to break it's expectation horizon, because the method of surprise or astonishment has the ability to attract and intrigue the recipient.

Therefore, the two verses of Al-Ghadeer in Surat-Almaeda has been revealed in two different contexts from the content of the two verses on purpose to obtain the attention of the reader and breaking his expectations and then surprise him with their content which is different than the previous and subsequent contexts for the importance of this incident and the need to spotting the lights on it.

Keywords: break expectation - surprise, Contextual contrast - the verses of Al-Ghadeer - a textual study - the informational text - the views of the commentators on the verses of Al-Ghadeer.

يصعب الفصل بين تلقي العمل والأثر الذي يحدثه؛ لأنَّ أيَّ عمل كيفما كان يرتبط بالمتلقي من ناحيتين: تلقيه من ناحية وأثره من ناحية أخرى، فالأثر الجمالي يقوم على جدلية ثلاثية الأطراف هي النص، والقارئ، وتفاعلها المشترك^(١).

إذ يعدُّ التفاعل بين بنية النص والمتلقي الأساس في قراءة كلِّ عمل أدبي، إذ يجب ألا تقتصر دراسة العمل الأدبي على النصِّ الفعلي فحسب، وإنما بالدرجة نفسها يجب الاهتمام بالأفعال المرتبطة بالتجاوب مع ذلك النص^(٢).

إذ إنَّ أولية الاشتغال بين النصِّ والقارئ تقوم على خاصية الفهم، فالعمل يحاول دائماً أن يوفر لقارئه المناخ الأدبي والاقتراحات التي يمكن أن توجه عملية الفهم لديه، حتى يصل في النهاية إلى تشكيل أو إعادة تشكيل الأُفق الأدبي الخاص بالعمل، فالقارئ يستنطق النصِّ في حدود استحضاره لفهمه المسبق لكن في إطار المرجعيَّات الأدبية التي يعرضها النصُّ نفسه.

وتعدُّ الطريقة التي يهتم بها ضبط الحوار بين المتلقي والنصِّ، من أهم جوانب نظرية التواصل، وتتجسد هذه الطريقة في العلاقة الجدلية بين التوقع واللاتوقع، فالتوقع هو انتظار يشوبه التمني، مثل درجة النجاح التي يتمنى المرء بلوغها في عمل ما^(٣).

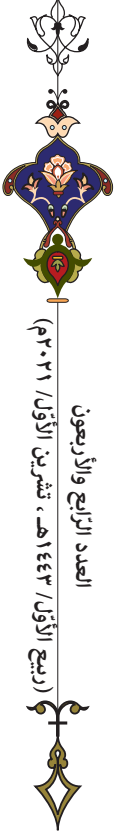
أمَّا اللاتوقع فهو كسر لهذا الانتظار، وخيبة تواجه عملية التوقع، وأفق الانتظار هو ذلك الافتراض الأوَّلي الذي ينطلق منه القارئ ظاناً أنَّه سيصل إليه عند إنهاء قراءته للعمل الأدبي الذي بين يديه، مستقيماً إياه من تجاربه الماضية^(٤)، وهنا نجد أنفسنا أمام ثلاث حالات:

(١) ينظر: ظاهرة التلقي في الأدب، محمّد علي الكردي، مجلة علامات في النقد، المجلد ٨، ج ٣٢، ١٩٩٩م: ٢١.

(٢) ينظر: فعل القراءة - نظرية جمالية التجاوب (في الأدب) فولفغانغ أيزر، ترجمة: د. حميد حمداني، د. الجلالي الكدية:

(٣) معجم مصطلحات علم النفس، عربي، فرنسي، إنكليزي، إعداد: د. عبد المجيد سامي، د. نور الدين خالد: ٨٢.

(٤) ينظر: بحوث في القراءة والتلقي، مجموعة من الباحثين، ترجمة: محمد خير البقاعي: ٣٥.



- إمّا أن لا يخيب النصُّ توقعاتنا، ويأتي كما نتوقع، وعندئذٍ لا يكون فيه أيُّ جدّة أو إعلاميّة.

- وإمّا أن يكسر أفق التوقع لدينا بشكل سلبيّ، فيكون أقلّ ممّا نتوقع، وهنا يكون النصُّ ليس ذا قيمة جماليّة.

- وإمّا أن يكسر أفق التوقع لدينا بشكل إيجابي، فيكون أعلى ممّا توقعنا وهذه هي خاصيّة النصوص المبدعة.

إذ إنّ أهميّة النصِّ لا تنبع من كونه نصّاً إخبارياً ينقل إلينا كماً من المعلومات، فهذا أمر يتجاوز الزمن، وإنّما مهمّة النصِّ أن يجعلنا نتفاعل معه، ونستلهم منه أشياء جديدة، تكسر توقعنا وتزيد من إعلاميّة النصِّ المقروء، فأنت تزيد في إخبار بلاغ من البلاغات كلّما كانت الوحدة المتتقا لبعض الوحدات الأخرى ضعيفة التوقع^(١)، أي أنّ ثمة علاقة عكسية، إنّ صح التعبير، بين التوقع من جهة وبين المفاجأة التي يحدثها ما هو غير متوقع من جهة أخرى، فإذا زادت نسبة التوقع قلّت نسبة المفاجأة ومن ثمّ نسبة الانتباه^(٢).

وتعتمد عمليّة التواصل والتأثير ما بين النصِّ والمتلقي على مشاركة المتلقي، وحسن تلقيه للإشارات النصّيّة التي تقود خطاه، وتتحكم في نشاطه لتجنب الشطحات التأويليّة، وعدم إنطاق النصِّ بما لم يقله، فد القراءة نشاط موجه من طرف النص^(٣)، ويحدث هذا، ويتعمق التواصل، عندما يرصد القارئ في بنية النصِّ إجراءً أسلوبياً غير منتظر، أو مقابلات دلاليّة غير متوقعة، أو مفاجآت سياقيّة، أو عندما يعزز ظاهرة إمساك النصِّ عن معلومات، أو عند تحويل اتجاه النصِّ فجأة نحو مسار آخر ليكسر

(١) ينظر: مفاتيح الألسنيّة، جورج موانان، ترجمة الطيب البكوش: ١٣٤-١٣٦.

(٢) ينظر: اللغة والإبداع مبادئ علم الأسلوب العربي: د. شكري محمد عباد: ٨١.

(٣) فعل القراءة نظريّة جماليّة التجاوب (في الأدب) فولفغانغ آيزر: ترجمة: د. حميد لحداني، د. الجلالي الكديّة: ٩٤.

أفق توقعه^(١)، إذ يعدُّ لأسلوب المفاجأة أو الدهشة القدرة على جذب المتلقي وتشويقه للوصول إلى معنى النص.

وبذاك يبقى النص ثابتاً، لكونه يمثل النقطة التي ينطلق منها القارئ لبناء توقعاته، التي تتعدد وتختلف وتباین تبعاً لخبرته وممارسته ف(حين يشرع المتلقي في قراءة عمل حديث الصدور، فإنه يُنتظر منه أن يستجيب لأفق انتظاره، أي أن ينسجم مع المعايير الجمالية، التي تكوّن تصوّره للأدب، لكن للعمل أيضاً أفقه الخاص، الذي قد يأتلف مع أفق القارئ ممّا ينتج عن ذلك حوار أو صراع بين الأفقين)^(٢).

وقد اصطلح على تسمية هذا الصراع أو التصادم الذي يحدث بين ما يفرزه النص، وما يتوقعه القارئ بمصطلح المسافة الجمالية (Aestnic Dictance)^(٣).

فالمسافة الجمالية مصطلح أطلقه (ياوس) قاصداً به (التعارض بين ما يقدمه النص، وبين ما يتوقعه القارئ)^(٤)، أو هي الفرق بين التوقعات وبين الشكل المعين لعمل جديد ويقوم الطابع الفني على أنه (تعديل للأفق)^(٥).

فعندما يستجيب (أفق انتظار القارئ) ل(أفق النص) ويتفق معه، فإنّ هذا يعني أنّ هناك (ائتلافاً) و(تأثراً) سيحصل بينهما، ومن ثمّ سيكون هناك تواصل ومشاركة وتفاعل بين الطرفين: (النص) و(القارئ)، بيد أنّ هذا لا يعني بطبيعة الحال أنّ (النص) ذو طبيعة فنيّة عالية، بل على العكس من ذلك، فقد يكون (النص) دون المستوى الفني المأمول، وهذا التفاعل الذي حصل إنّما كان بسبب استجابة النصّ ل(أفق توقع القارئ) وتوافقه مع أفق انتظاره، ولا علاقة لذلك بالمستوى الجمالي الذي يتمتع به (النص).

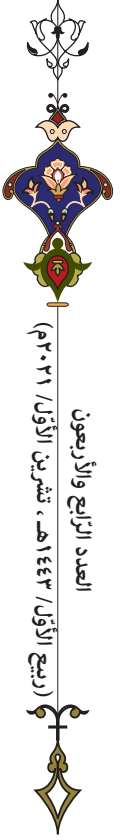
(١) ينظر: جماليات الأسلوب والتلقي، د. موسى رابعة: ١٢٩.

(٢) قراءة في القراءة، رشيد بنحدو، مجلة الفكر العربي المعاصر، مج ١، ع ٤٨٤، ١٩٨٨ م: ٢١.

(٣) ينظر: جماليات التلقي - دراسة في نظرية التلقي عند هانز روبرت ياوس وفولفجانج آيزر، د. سامي إسمايل: ٩٥.

(٤) جماليات الأسلوب والتلقي: ٩٣.

(٥) ينظر: نظرية اللغة الأدبية، خوسيه ايفانكوس، ترجمة: حامد أبو أحمد: ١٢١.



أمّا النصُّ الذي يمتلك المقومات الفنيّة العالية والقيمة الجماليّة المرتفعة فإنّه لا يهيم أن يكون متوافقاً مع أفق القارئ أو مختلفاً معه ومتصادماً مع طبيعة استجابته فهذا النوع من (النصوص) هو وحده القادر على أن يؤثر على القارئ وينفذ في نفسه ويقلب لديه الموازين، خصوصاً حين يكون (أفق) ذلك النصِّ مختلفاً عن (أفق انتظار) القارئ ومخيباً لـ(أفق توقعه).

إذا أصبح مدى انزياح النصِّ عن معايير القارئ وتعديله لأفق توقعه، مقياساً لتقدير القيمة الجماليّة للأدب فكلّما كان أثر كسر أفق الانتظار قوياً، كان هذا النصُّ ذا قيمة فنيّة عالية^(١).

ولذلك ربط ريفارتيير بين السياق الأسلوبي والأبعاد غير المتوقعة داخل النص، فحسب قوله إنّ السياق الأسلوبي هو نموذج منكسر بعنصر غير متوقع^(٢)، وتلتقي أسلوبيّة ريفارتيير مع الإعلاميّة إذ (دعا الكاتب إلى تشفير نصّه، ومن آرائه المهمّة كذلك (عدم التوقع)، إذ إنّ التوقع يسطح القراءة ويطيح هيمنتها)^(٣)؛ ولذلك فإنّ (البنية الأسلوبيّة في نصّ معين تكمن في سلسلة من العناصر المتوقعة التي تدخل في علاقة تعارض مع العناصر غير المتوقعة)^(٤)، علاوة على أنّ (الخطاب الأدبي لا يوجد إلّا بفعل الاتصال، وهذا لا يتحقق إلّا بفعل الكاتب الذي ضمّن نصّه بنية شكلية وضمّنه إيّاه مقاصده، أمّا المتلقي فهو النصف الآخر الذي تستدعيه بنية الشكل ويقع في حبال المقاصد الأدبيّة التي يضمّنها الكاتب)^(٥).

(١) ينظر: جماليّة التلقي من أجل تأويل جديد للنصّ الأدبي، هانس روبرت ياوس، ترجمة رشيد بنحدو: ١٢٩.

(٢) ينظر: علم الأسلوب مبادئه وإجراءاته، د. صلاح فضل: ١٩٤-١٩٥.

(٣) نظريّة التلقي والأسلوبيّة منهاج التقابل الدلالي والصوتي، محمّد رضا مبارك، عالم الفكر، ع١، ٢٠٠٤م: ٧٤.

(٤) المصدر نفسه: ٧٥.

(٥) ينظر: الشعريّة اللسانيّة والشعريّة الأسلوبيّة، محمّد القاسمي، مجلة فكر ونقد، ع٥٨، شبكة المعلومات، WWW.

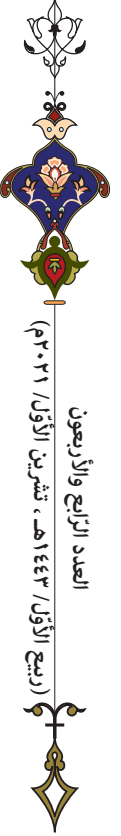
ومن ثمّ، فإنّ (قيمة كلّ إجراء أسلوبِي يتحدد من خلال المفاجأة التي تحدثها في المتلقي، فكلّما كانت غير متوقعة كان أثرها في نفس المتلقي عميقاً)^(١).

فعملية العدول عن أصل إلى صورة لغويّة تركيبية أخرى تجعل النفس تنتقل عبر موضعين قد تربطهما علاقة، إذ إنّ المسافة تقطع درجة الصفر، أي لحظة الفراغ التي ترفضها السُنن الكونيّة والنفسية، فتندفق عليها أمواج من مشاعر الدهشة تتباين حسب طول المسافة بين المرحلتين، فكلّما زادت المسافة زاد تدفق الدهشة وأثرها، حتى إذا ما طالت المسافة أكثر ممّا يدرك العقل البشري، انقلب التأثير إلى فوضي، إذ يصبح كسر الإمكانيات الهادف إلى نقل المعاني العادية من أهم عناصر القول الجمالي^(٢).

فكلّما زاد العدول للنصوص زادت القيمة الجماليّة لها، وعندئذٍ تكون (رحلة القارئ في الكتاب عمليّة متواصلة)^(٣).

فعندما يبدأ بالقراءة يمضي على نحو متصل في إدراكه، وفقاً لتوقعاته المستندة إلى خلفيته الثقافية؛ لذلك فإنّ ورود شيءٍ غير متوقع، ينتج عنه احتمال تعديل وجهة نظره ليتجه صوب العناصر غير المحدودة في النصّ والتفاوض معها وتحقيقها^(٤)، وهذا التغيير لأفق التوقعات يسميه آيزر (وجهة النظر الجوّالة)^(٥)، وهي تتيح للقارئ أن يسافر عبر النصّ كاشفاً بذلك كثرة المنظورات التي يترابط بعضها مع بعض، والتي تعدل كلّما حدث انتقال من واحد منها إلى الآخر^(٦).

وعبر هذا الانتقال وهذا الكشف تتم عمليّة التفاعل بين النصّ والمتلقي، وتبلغ



(١) المصدر نفسه: ٩.
 (٢) ينظر: نظريّة النباية في النقد الأدبي، د. صلاح فضل: ٣٧٠.
 (٣) معايير تحليل الأسلوب، ميخائيل ريفاتير، ترجمة: د. حميد الحمداني: ٥٦.
 (٤) ينظر: النظرية الأدبية المعاصرة، امان سلدن، ترجمة: سعيد الغانمي: ١٦٤-١٦٥.
 (٥) نظريّة التلقي (مقدمة نقدية)، روبرت هولب، ترجمة: د. عز الدين إسماعيل: ٢١٥.
 (٦) نظريّة المصدر نفسه.

مستويات تتعدى القراءة السطحية^(١)، لتصبح احترافاً وتجاوزاً لما هو متوقع ومنتظر، فالمتوقع أو المنتظر لا يثير شيئاً ذا بال في وعي القارئ، في حين تثير العناصر غير المتوقعة وعي القارئ وتستفزّه.

وبذلك تصبح الإعلامية كسراً لردود فعل القارئ إزاء المنبهات والمثيرات الكائنة في النصّ والقارئ عندما يواجه تصادماً تتعارض مع موقفه ووعيه، وخبرته، وعندما تخلخل توقعاته، وافتراضاته، فإنه يخلق لديه إمكانية التفاعل مع النصّ، وهذا التفاعل كفيل بخلق الحسّ الجمالي لديه، إذ بمقدور اللاتوقع، أو كسر أفق التوقع الذي هو مظهر من مظاهرها أن يفعل علاقة المتلقي بالنصّ، وينأى بها عن أن تكون علاقة أحادية، من النصّ إلى القارئ، إلى علاقة تبادلية تسير فيها عملية القراءة في اتجاهين متبادلين من النصّ إلى القارئ ومن القارئ إلى النصّ^(٢) أي قابلة للتأثر والتأثير.

تعتمد الإعلامية على إثارة انتباه المتلقي فهي (مدى توقع عناصر النصّ المقدمة أو عدم توقعها أو معرفتها أو عدم معرفتها وغموضها، ففي الواقع أن كلّ نصّ هو إخباري على نحو ما، إذ إنه ينقل على الأقل معلومة صغرى، غير أن مقدار (الإعلامية) هو ما يوجه اهتمام السامع)^(٣)، وقد جاء تعريف بحيري متناغماً مع التعريفات السابقة ويلاحظ أنه استخدم مصطلح الإخبارية، فذكر أنّها (تتعلق بتحديد جدّة النصّ، أي توقع المعلومات الواردة فيه أو عدم توقعها)^(٤)، إذ نجد أنّ الإعلامية ترتبط بمفهوم التوقع، فهناك دائماً النمط المألوف المتوقع لتركيب جملة ما، وهو يدخل ضمن نطاق التوقع الأدبي الذي يتوقع المتلقي أن الجملة ستأتي على وفق ذلك الترتيب، أمّا لو

(١) نظريّة التلقي (مقدمة نقدية)، روبرت هولب، ترجمة: د. عز الدين إساعيل: ٢١٥.

(٢) ينظر: جماليات الأسلوب والتلقي: ٨٩-٩١.

(٣) مدخل إلى علم اللغة النصي فولفانجهايته، ترجمة: فالح بن شبيب العجمي: ٨٠.

(٤) علم لغة النص - المفاهيم والاتجاهات: ١٤٦.

حدثت انزياحات أو عدولات في النصّ فإنّ أفق التوقع سيكسر عند المتلقي، وبذلك تتحقق هذه الجدّة، فالمقدار المناسب من المعلوماتيّة في النصّ المعتمد على المقصد والتوقع والموقف يشكل بذلك عاملاً نصياً أساسياً، ويكون مقدار التواصل^(١).

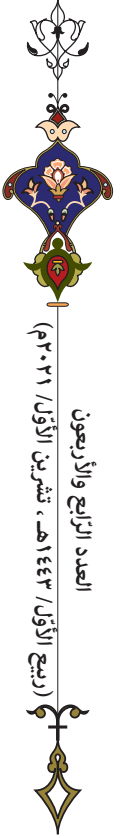
وهذه الجدّة يحددها الكاتب أولاً في اختياراته الأسلوبية والموضوعية (الشكل والمضمون) عند إنشائه النصّ، ويحددها المتلقي بمعيار عدم التوقع، فهي تفترض ابتداءً أنّ للكلام محتوى يجري إبلاغه للمتلقي بواسطة النصّ، ومن ثمّ فهي لا تعالج نصّاً غير منسق أصلاً، ولكنها تعنى بالكيفية التي يجري بها عرض هذا المحتوى، إنّها تتعلق بحكم المتلقي على طريقة عرض المحتوى وبمدى اتسام عناصره النصية بالطرافة والإغراب على حدّ قول ابن سينا، إذ يرتبط ذلك بما سآه ابن سينا (الإغراب) أو تحقق الطرافة ويزاد على ذلك إخلاف التوقع لدى المتلقي بما يرتفع به الكلام في سلّم النصية^(٢)، ويشير سعد مصلوح إلى طريقة توزيع المعلومات في النصّ قائلاً: (ترتبط الإعلامية بمعدل ظهور النقاط التي تمثل نقلات أو منعطفات جديدة في تسلسل عرض المحتوى بالنسبة للمتلقي، إذ تتمايز النصوص باختلافها من حيث معدل البطء والسرعة في حدوث النقلات، ومن ثمّ تتفاوت في مدى تحقق صفة النصية لها؛ لذلك يرتبط مفهوم الإعلامية بما يسمّى الانتباه (Attention) أو التركيز (Focusing)، وينصرف إلى استجابات المتلقي أصالة^(٣)، إنّ مفهوم القيمة الأسلوبية يفترض وجوده عدّة أنماط للتعبير عن الفكرة الواحدة، وهذا ما يعرف بـ(المتغيرات الأسلوبية) التي يؤلف كلّ منها (شكلاً خاصاً) للتعبير عن المفهوم الواحد^(٤).

(١) ينظر: مدخل إلى علم اللغة النصي: ٩٤.

(٢) ينظر: في الدراسات العربية المعاصرة - دراسات وثقافات، سعد مصلوح: ٢٣٣-٢٣٤.

(٣) المصدر نفسه: ٢٣٤.

(٤) ينظر: الإبلاغية فرع من الألسنية ينتمي إلى علم أساليب اللغة، د. عفيف دمشقية، مجلة الفكر العربي، ٨-٩،



لما كان الخطاب في النصّ القرآني يهدف إلى الإقناع والتأثير وكان المتلقي يشغل موقعاً وسطاً بين التأويل والبيان بوصفهما انعكاساً لعملية التواصل ومثالاً للتواصل يمثل تجميعاً لكلّ الإمكانات التي يمكن أن تتحقق ونحن نمر عبر النصوص، فإنّه في لحظة ما قد ينتقل النصّ من سياق معين إلى سياق آخر لتنبية المتلقي ولفت نظره إلى أهمية السياق الذي انتقل إليه النصّ بصورة مفاجئة، وكلّما زاد السياق الجديد اختلافاً عن السياق الأوّل ارتفعت قيمة الإعلامية لعدم حصول خفض تقديمي أو رجعي للسياق الجديد، ومن استعمالات القرآن لهذا النوع من الإعلامية قوله تعالى: ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أَلْمِيتَةُ وَالْدَّمُ وَلَحْمُ الْخِنْزِيرِ وَمَا أَهَلَ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ وَالْمُنْخَنِقَةُ وَالْمَوْقُوذَةُ وَالْمُتَرَدِّيَةُ وَالنَّطِيحَةُ وَمَا أَكَلَ السَّبُعُ إِلَّا مَا ذَكَّيْتُمْ وَمَا ذُبِحَ عَلَى النُّصُبِ وَأَنْ تَسْتَقْسِمُوا بِالْأَزْلَمِ ذَٰلِكُمْ فِسْقٌ ۗ الْيَوْمَ يَيسَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ دِينِكُمْ فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَاخْشَوْنِ الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتَمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيْتُ لَكُمْ الْإِسْلَامَ دِينًا فَمَنِ اضْطُرَّ فِي مَخْمَصَةٍ غَيْرِ مُتَجَانِفٍ لِإِثْمِهِ فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ۝﴾^(١).

فقد تحدّث النصّ عن أنواع المحرمات من الأطعمة وعدّها ووصفها بأنّها فسق، ثمّ انتقل من سياق التحريم إلى قوله ﴿الْيَوْمَ يَيسَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ دِينِكُمْ فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَاخْشَوْنِ الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتَمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيْتُ لَكُمْ الْإِسْلَامَ دِينًا فَمَنِ اضْطُرَّ فِي مَخْمَصَةٍ غَيْرِ مُتَجَانِفٍ لِإِثْمِهِ فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ۝﴾، فأی يوم هو ذلك اليوم الذي اجتمعت فيه هذه الأحداث الأربعة المصيرية وهي (يأس الكفار)، و(إكمال الدين)، و(إتمام النعمة)، و(قبول الله الإسلام ديناً) ختامياً لكلّ البشريّة؟ وأنّ اليوم المتكرر في الآية المتخلل مسألة التحريم سياقه واحد، ثمّ عاد النصّ لإكمال الآية بقوله ﴿فَمَنِ اضْطُرَّ فِي مَخْمَصَةٍ غَيْرِ مُتَجَانِفٍ لِإِثْمِهِ﴾ فيبدو الحديث عن يوم يأس الكفار ويوم

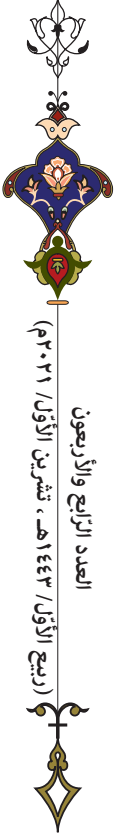
إكمال الدين كلاماً غير متناسب مع ما قبله، ومتقطعاً عمّا بعده، يقول السيد الطباطبائي: (أمر الآية في حلولها محلّها ثمّ في دلالتها عجيب، فإنّك إذا تأملت صدر الآية أعني قوله تعالى: ﴿ حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ الْمَيْتَةُ وَالْدَّمُ ﴾ إلى قوله ﴿ ذَلِكُمْ فَسُقُ ﴾ وأضفت إليه ذيلها أعني قوله ﴿ فَمَنْ أَضْطَرَّ فِي مَخْصَصَةٍ غَيْرِ مُتَجَانِفٍ لِإِثْمٍ فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾ وجدته كلاماً تاماً غير متوقف في تمام معناه وإفادة المراد منه إلى شيء من قوله: ﴿ الْيَوْمَ يَبْسُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ دِينِكُمْ ﴾ أصلاً، وألفيته آية كاملة ماثلة لما تقدّم عليها في النزول من الآيات الواقعة في سور الأنعام والنحل والبقرة المبينة لمحرّمات الطعام، ففي سورة البقرة ﴿ إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةَ وَالْدَّمَ وَلَحْمَ الْخِنْزِيرِ وَمَا أُهْلَ بِهِ لِغَيْرِ اللَّهِ فَمَنْ أَضْطَرَّ غَيْرِ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾^(١).

وهذا ما نريد إثارته في إعلامية الخطاب القرآني، فمن خلال استعمال النصّ لأسلوب المغايرة السياقية والتي ستؤدي حتماً إلى كسر توقع المتلقي وإدهاشه ومفاجأته، فهذا المقطع من الآية إنّما جاء لتنبه المتلقي على عظم هذا اليوم وأهميته، وأنّ الحديث عن هذا اليوم في سياق الحديث عن المحرّمات من الأطعمة واللحوم وقطع سلسلة التماسك النصي أمر مقصود تمثله قصديّة إدهاش المتلقي وكسر توقعه؛ لأنّ النصّ تحدّث عن الأطعمة وإذا به يفاجئ المتلقي بالانتقال السياقي إلى مسألة لا ترتبط بالأولى لا شكلاً ولا مضموناً، ولو وضع هذا المقطع من الآية في مكان غير هذا المكان لأوّل تأويلاً مناسباً لسياق ترتيبه، بيد أنّ وضعه في هذا المكان فيه إعلامية بارعة ودقيقة تجرّ المتلقي على البحث عن معنى ذلك اليوم الذي يئس فيه الكفار.

وقد ذهب المفسّرون في بيان المراد من هذا اليوم في هذا المقطع من الآية:

أ- يئسوا من أن يجللوا هذه الخبائث بعد أن جعلها الله محرّمة.

(١) الميزان في تفسير القرآن، السيد محمد حسين الطباطبائي: ١٧٠ / ٥.



ب- يسوا من أن يغلبوكم على دينكم؛ لأنه تعالى وعد بإعلاء هذا الدين على كل الأديان، وهو قوله ﴿لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ﴾ فتحققت تلك النصره وأزال الخوف بالكليّة وجعل الكفار مغلوبين بعد أن كانوا غالبين^(١)، أي أن الله تعالى حوّل الخوف الذي كان يلحقهم من الكافرين اليوم إليهم ويسوا من بطلان الإسلام وجاءكم ما كنتم توعدون به^(٢).

وقد ذهب الرازي إلى أن قوله ﴿الْيَوْمَ يَبِّسُ﴾ أنه ليس يوماً بعينه حتى يقال إنهم ما يسوا قبله بيوم أو يومين، وإنما هو كلام خارج على عادة أهل اللسان، معناه لا حاجة لكم الآن إلى مدهانة هؤلاء الكفار لأنكم صرتم بحيث لا يطمع أحد من أعدائكم في توهين أمركم^(٣).

ومن غير المعقول أن الله يخبر المسلمين أن المشركين قد يسوا من دينهم بعد أن أنزل الله أحكام الحرام والحلال الخاصة باللحوم بل إن ما يسبب بأسهم هو وجود يرسخ الإسلام ويضمن استمراره بالنهج الذي أنزل به.

وبذلك تكون الموجّهات النصيّة في الآية الكريمة ذات سلطة على القارئ تدفعه نحو بناء علاقة تفاعليّة للبحث عن رؤية النص وقصديّته متجاوزاً القراءة الخارجيّة محاولاً القراءة الاستبطائيّة للنصّ.

والحقيقة (أن هاتين الجملتين أعني قوله ﴿الْيَوْمَ يَبِّسُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ دِينِكُمْ﴾ وقوله ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ﴾ متقاربتان مضموناً، مرتبّتان مفهوماً بلا ريب، لظهور ما بين بأس الكفار من دين المسلمين وبين إكمال دين المسلمين من الارتباط القريب، وقبول المضمونين لأنّ يمتزجا فيتركبا مضموناً واحداً مرتبّطاً بالأجزاء، متصل

(١) ينظر: التفسير الكبير: ٥ / ٤٦٦.

(٢) ينظر: جامع البيان في تفسير القرآن: ٢ / ١٥٩.

(٣) ينظر: التفسير الكبير: ٥ / ٤٦٦.

الأطراف بعضها ببعض، مضافاً إلى ما بين الجملتين من الاتحاد في السياق^(١).

أمّا قوله ﴿ **الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ** ﴾ فقد قيل فيه أقوال:

١- أي أكملت لكم فرائضي وحدودي وحلالي وحرامي بتنزيلي ما أنزلت وبياني ما بينت لكم، فلا زيادة في ذلك ولا نقصان منه بالنسخ بعد هذا اليوم، وهو يوم عرفة عام حجة الوداع، عن ابن عباس والسدي واختاره الجبائي والبلخي قالوا: ولم ينزل بعد هذا على النبي ﷺ شيء من الفرائض في تحليل ولا تحريم، وإنه مضى بعد ذلك بإحدى وثمانين ليلة.

٢- إنَّ معناه اليوم أكملت لكم حجكم وأفردتكم بالبلد الحرام تحجونه من دون المشركين ولا يخالطكم مشرك.

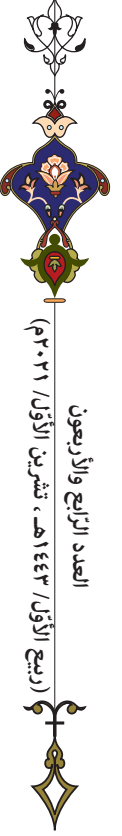
٣- إنَّ معناه اليوم كفيتمكم الأعداء وأظهرتكم عليهم، مثلما تقول الآن كمل لنا الملك وكمل لنا ما نريد بأن كفيتمنا ما كنّا نخافه، وقد روي عن الإمامين أبي جعفر وأبي عبد الله ﷺ أنه نزل بعد أن نصب النبي ﷺ علياً ﷺ علماً للأمام يوم غدير خم منصرفه عن حجة الوداع وهي آخر فريضة أنزلها الله.

وعندما نزلت هذه الآية قال: «الله أكبر على إكمال الدين وإتمام النعمة ورضا الرب برسالتي وولاية علي بن أبي طالب من بعدي»، وقال: «من كنت مولاه فعلي مولاه، اللهم وال من والاه وعاد من عاداه وانصر من نصره واخذل من خذله»^(٢).

ولا يمكن القول إنَّ اليوم الذي أكمل فيه الدين وتمت فيه النعمة هو أيضاً ليس يوماً بعينه، بل هو اليوم نفسه الذي يتس فيه الذين كفروا ولا يكون ذلك بتحريم بعض الخبائث.

(١) الميزان: ٥ / ١٧١.

(٢) ينظر: مجمع البيان في تفسير القرآن: ٢ / ١٥٩



وهذه الإعلامية المفاجئة المدهشة للمتلقي التي كسرت توقعه من خلال الانتقال السياقي المفاجئ من سياق التحريم لبعض الخبائث إلى سياق الحديث عن يوم قامت عليه أهم المسائل بين الله والمسلمين فيما يخص الإسلام.

وهذا يدعو المتلقي إلى البحث عن مخفضٍ خارجيٍّ للإعلامية؛ لأنَّ السياق مقطوع دلاليًّا عمَّا قبله وبعده، فعندما يواجه المتلقي بعناصر نصية غير متوقعة فإنه يتعين عليه أن يتبنى إحدى عمليات خفض الإعلامية الآتية:

أ- الخفض الأمامي: وذلك بأن يمضي المتلقي قدماً في قراءة النص حتى يجد إحدى الوقائع النصية التي تضيء العنصر النصي الذي استوقفه من قبل.

ب- الخفض الخلفي: يعني ذلك أن يعود المتلقي أدراجه لعله يجد فيما سبقت قراءته ما يفسر له ما غمض عليه.

ج- الخفض الخارجي: ويكون ذلك بالخروج من إطار النص المائل بين يدي المتلقي بالاعتماد على سياق الموقف أو التناسل^(١).

ويكون المخفض الخارجي متمثلاً بأسباب النزول التي حددت نزول هذه الحادثة ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيْتُ لَكُمْ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾.

وقد تعدد الآراء في تحديد هذا اليوم ومنها، أنه يوم نزول الآية، أو يوم بعثة الرسول محمد ﷺ أو أن المراد باليوم هو ما بعد فتح مكة، وقيل اليوم الذي نزلت فيه سورة براءة، وقيل هو يوم عرفة من حجة الوداع^(٢).

وقد نقل الطبري عن قتادة أن الآية نزلت على رسول الله ﷺ يوم عرفة يوم الجمعة حين نفى الله المشركين عن المسجد الحرام وأخلص للمسلمين حجهم^(٣).

(١) ينظر: النص والخطاب والإجراء: ٢٥٥-٢٥٦.

(٢) ينظر: التفسير الكبير: ١١ / ١٠٧-١٠٨، وتفسير الطبري: ٦٠-٦٣.

(٣) ينظر: جامع البيان عن تأويل آي القرآن، الطبري: ٩ / ٥١٦.

ويروى أن يهودياً قال لعمر: لو علمنا معشر اليهود حين نزلت هذه الآية ﴿ **الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتَمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيْتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا** ﴾ لو يعلم ذلك اليوم اتخذنا ذلك اليوم عيداً فقال عمر، قد علمت اليوم الذي نزلت فيه والساعة، وأين رسول الله ﷺ حين نزلت: نزلت ليلة الجمعة، ونحن مع رسول الله ﷺ بعرفات^(١). فلو كانت هذه الآية نازلة بعرفات وفيها أكمل الدين وتمت النعمة يقتضي عدم نزول آية بعد ذلك، وقد وردت روايات كثيرة بنزول أحكام وفرائض بعد ذلك اليوم كما في آية الصيف (آية الكلاله) وآيات الربا^(٢) فيكون ذلك اليوم ليس هو يوم عرفة^(٣)، ولا يمكن أن يكون هذا اليوم هو يوم فتح مكّة، فالآية تدلّ على إكمال الدين وإتمام النعمة ولما يكمل الدين بفتح مكّة، وكان في السنّة الثامنة من الهجرة، فكم من فريضة نزلت بعد ذلك وكم من حلال أو حرام شرع^(٤)، ولا هو المقصود به اليوم بعد نزول البراءة فلا سبيل إلى ذلك أيضاً؛ لأنّ أحكاماً كثيرة قد نزلت بعد ذلك، ما في هذه السورة من الحرام والحلال.

بل يكون (بأنّ ينصب الله لهذا الدين من يقوم مقام النبيّ في حفظه وتديير أمره وإرشاد الأمة القائمة به، فيعقب ذلك يأس الذين كفروا من دين المسلمين لما شاهدوا خروج الدين عن مرحلة القيام بالحامل الشخصي إلى مرحلة القيام بالحامل النوعي، وليكون ذلك إكمالاً للدين بتحويله من صفة الحدوث إلى صفة البقاء، وإتماماً لهذه النعمة)^(٥).

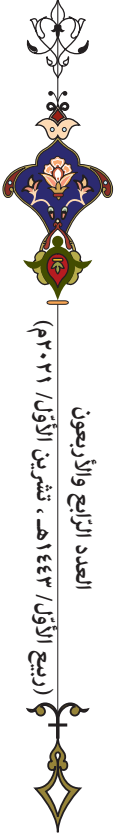
(١) ينظر: جامع البيان عن تأويل آي القرآن، الطبري: ٩ / ٥٢٤.

(٢) ينظر: الميزان في تفسير القرآن، الطباطبائي: ٥ / ١٧٤.

(٣) ينظر: المصدر نفسه: ٥ / ١٧٤.

(٤) ينظر: المصدر نفسه: ٥ / ١٧٥.

(٥) ينظر: المصدر نفسه: ٥ / ١٨٠.



وهذا يؤيد ما ورد من الروايات أنَّ الآية نزلت يوم غدیر خم، وهو اليوم الثامن عشر من ذي الحجة سنة عشر من الهجرة في أمر ولاية عليٍّ عليه السلام ^(١)، إذ ذكر مجموعة من المفسرين أنَّ النبيَّ صلى الله عليه وآله لم يعش أكثر من واحد وثمانين يوماً بعد نزول هذه الآية، وهذا أمر يثير الانتباه في حدِّ ذاته، إذ حين نرى أنَّ وفاة النبيِّ صلى الله عليه وآله كانت في اليوم الثامن والعشرين من شهر صفر نستنتج أنَّ نزول الآية كان بالضبط في يوم الثامن عشر من شهر ذي الحجة الحرام وهو يوم غدیر خم ^(٢).

أي اليوم الذي نصب النبيُّ صلى الله عليه وآله عليًّا أمير المؤمنين عليه السلام بصورة رسمية وعلنية خليفة له، حيث غشى الكفار في هذا اليوم سيل من اليأس، بعد أن كانوا يتوهمون بأنَّ دين الإسلام سينتهي بوفاة الرسول صلى الله عليه وآله وأنَّ الأوضاع ستعود إلى سابق عهدها في الجاهلية، لكنَّهم حين رأوا أنَّ النبيَّ أوصى بالخلافة بعده لرجل فريد بين المسلمين في تقواه وعلمه وعدالته وقوته، وهو عليٌّ بن أبي طالب عليه السلام، وشاهدوا النبيَّ وهو يأخذ البيعة لعليٍّ عليه السلام أحاط اليأس بهم من كلِّ جانب، وفقدوا الأمل فيما توقعوه من شرِّ مستقبل الإسلام وأدركوا رسوخ الإسلام وبقائه ^(٣).

ذكرت روايات كثيرة أنَّ الآية الكريمة نزلت في يوم غدیر خم بعد تبليغ النبيِّ بولاية عليٍّ عليه السلام، يتضح من ذلك أنَّ الروايات والأخبار التي أكدت نزول الآية في واقعة غدیر خم ليست أخباراً آحاداً لیتم تجاهلها أو تضعيف سندها، بل هي أخبار إنَّ لم تكن في حكم المتواتر فهي على أقلِّ تقدير من الأخبار المستفيضة التي تناقلتها المصادر الإسلامية المشهورة ^(٤).

(١) ينظر: الميزان في تفسير القرآن: ١٨٠ / ٥

(٢) ينظر: الأمل في تفسير كتاب الله المنزل: ٣ / ٣٥٦-٣٥٧.

(٣) ينظر: المصدر نفسه: ٣ / ٣٥٥.

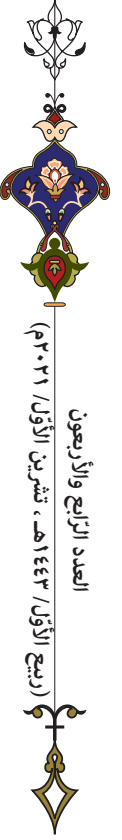
(٤) الأمل في تفسير كتاب الله المنزل، الشيخ ناصر مكارم الشيرازي: ٣ / ٣٥٦-٣٥٧.

وإنَّ تقديم يأس الكفار على سبب يأسهم وهو إكمال الدين وإتمام النعمة كان لقصديّة إعلاميّة مهمّة وهي تفخيم أمر اليوم، وتعظيم شأنه؛ لما فيه من خروج الدين عن مرحلة القيام بالقيّم الشخصي إلى مرحلة القيام بالقيّم النوعي، ومن صفة الظهور والحدوث إلى صفة البقاء والدوام.

والنصّ الذي استطاع أن يفعل كسر توقع القارئ من خلال الآيات المختلفة السياق هو بلا شكّ نصّ استثنائيّ وخطابٌ متميزٌ على المستويات كافة، فالقارئ عندما يقوم بممارسة القراءة للنصوص المعتادة المكررة فإنّها بلا شكّ ستراعي (أفق انتظاره)؛ لأنّه تعود على قراءتها من خلال معايير وآليات تحليليّة معروفة، بيد أنّه إذا قام بهذه الممارسة لنصوص متميزة ومختلفة عن أفق توقّعه فإنّها بطبيعة الحال ستصدمه بطرائق فنيّة جديدة تتجاوز ما ألفه من مفاهيم القراءة التقليديّة بسبب التباين الفني بين الطرائق الموجودة في النصوص التقليديّة والنصوص الحديثة.

وفي قوله تعالى ﴿ **وَلَوْ أَنَّهُمْ أَقَامُوا التَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ وَمَا أَنْزَلْنَا إِلَيْهِمْ مِنْ رَبِّهِمْ لَأَكَلُوا مِنْ فَوْقِهِمْ وَمِنْ تَحْتِ أَرْجُلِهِمْ وَمِنْهُمْ أُمَّةٌ مُّقْتَصِدَةٌ وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ سَاءَ مَا يَعْمَلُونَ ﴿٦٦﴾ *يَتَأْتِيهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أَنْزَلَ إِلَيْكَ مِنَ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ ﴿٦٧﴾** ﴾^(١).

إنّ هذه الآية ﴿ **يَتَأْتِيهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أَنْزَلَ إِلَيْكَ مِنَ رَبِّكَ ﴿٦٦﴾** ﴾ أيضاً من الآيات التي فيها كسر لتوقع المتلقي من خلال وضع الآية في نظم يختلف عنها مضموناً، أي أنّ الآية غايرت سياق ما قبلها وما بعدها، وفي هذا الأسلوب كسرٌ لتوقع المتلقي ومفاجأة له بما يحدثه من شدّ المتابع والسيطرة عليه وشدّ انتباهه من بين يديه قسراً عنه عن طريق الجدّة في العرض ولفت انتباه المتلقي إلى قطع سلسلة المعلومات والإتيان بمعلومة جديدة



تجعله يبحث عن معناها ومقصدها.

إنَّ (الإمعان في التدبر في الآية نفسها وارتباط الجمل المنصودة فيها يزيد الإنسان عجباً على عجب، فلو كانت الآية متصلة بما قبلها وما بعدها في سياق واحد في أمر أهل الكتاب لكان محصلها أمر النبي ﷺ أشدَّ الأمر بتبليغ ما أنزله الله سبحانه في أمر أهل الكتاب، وتعين بحسب السياق أنَّ المراد بها أنزل إليه من ربه هو ما يأمره بتبليغه في قوله: ﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَسْتُمْ عَلَىٰ شَيْءٍ حَتَّىٰ تُقِيمُوا التَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْكُمْ مِن رَّبِّكُمْ﴾^(١) وسياق الآية يأباه، فإنَّ قوله: ﴿وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ﴾ يدلُّ على أنَّ هذا الحكم المنزل المأمور بتبليغه أمر مهم فيه مخافة الخطر على نفس النبي ﷺ أو على دين الله تعالى من حيث نجاح تبليغه، ولم يكن من شأن اليهود ولا النصارى في عهد النبي ﷺ أن يتوجه إليه من ناحيتهم خطر يسوغ له ﷺ أن يمسك عن التبليغ أو يؤخره إلى حين فيبلغ الأمر إلى حيث يحتاج إلى أن يعده الله بالعصمة منهم إن بلغ ما أمر به فيهم حتى في أوائل هجرته ﷺ إلى المدينة وعند حدة اليهود وشدتهم حتى انتهى إلى وقائع خيبر وغيرها)^(٢).

وقد تعدد الآراء في ذكر سبب نزول هذه الآية حتى عدَّ الرازي عشرة أقوال في نزولها منها أنَّها نزلت في فضل عليِّ بن أبي طالب عليه السلام، وحين نزلت هذه الآية أخذ الرسول ﷺ بيده وقال: «من كنت مولاه فعليُّ مولاه، اللهم وال من والاه وعاد من عاداه»، فلقبه عمر بن الخطاب فقال: هنيئاً لك يا بن أبي طالب أصبحت مولاي ومولى كلِّ مؤمن ومؤمنة، وهو قول ابن عباس والبراء بن عازب ومحمد بن علي^(٣).

(١) سورة المائدة، الآية: ٦٨.

(٢) الميزان في تفسير القرآن: ٤٣ / ٦.

(٣) ينظر: التفسير الكبير، الرازي: ١١٣ / ٦، وينظر: تفسير ابن أبي حاتم: ٣٢ / ٥، وينظر: فتح البيان في مقاصد

القرآن: ١٩ / ٤، وينظر: الكشف والبيان للثعلبي: ١٣١ / ٥، وينظر: المنار، محمد رشيد رضا: ٣٨٤ / ٦، وينظر:

فتح القدير: ٣٣٦ / ٢.

وعلى الرغم من تعدد الآراء في نزولها فإنّ الرازي يختار رأياً ضعيفاً لا ينسجم مع سياق الآية بما تحمله من تحذير لم يسبق له مثيل، بل لا يمكن أن يستقيم هذا التفسير مع السياق الذي يضعها فيه فيقول (واعلم أنّ هذه الروايات وإن كثرت إلا أنّ الأولى حملة على أنّ الله تعالى آمنه من مكر اليهود والنصارى، وأمره بإظهار التبليغ من غير مبالاة منه بهم؛ وذلك لأنّ ما قبل هذه الآية بكثير وما بعدها بكثير؛ لما كان كلاماً مع اليهود والنصارى، امتنع إلقاء هذه الآية الواحدة في البين على وجه تكون أجنبيّة عمّا قبلها وما بعدها)^(١).

ونلاحظ هنا أنّ الفخر الرازي يتجاهل تماماً أنّه لم يكن قد بقي في تلك الفترة وجود لليهود في شبه جزيرة العرب، بعد حوادث بني النضير وبني قريظة وبني قينقاع وخيبر وفدك ونجران، ولم يكن هناك وجود للنصارى، وحتى نصارى الحبشة كانوا قد دفعوا الجزية بعد يوم المباهلة.

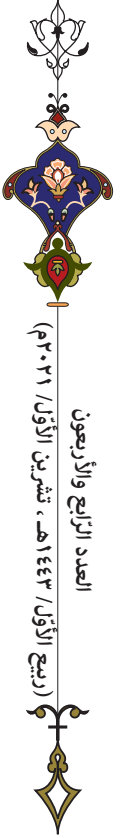
ويوافق الرازي في الرأي محمّد رشيد رضا فيرى أنّ (الوصيّة بالخلافة لا مناسبة لها في سياق محاجة أهل الكتاب، فهي ممّا لا ترضاه بلاغة القرآن)^(٢)، ويؤكد هذا الرأي دروزة بقوله (وما سبق الآية وما لحقها يسوغان الجزم بأنّها جزء من موضوع السياق المتصل بالنهي عن موالاتة أهل الكتاب ولومهم؛ لأنّهم لم يقيموا التوراة والإنجيل وما أنزل على رسول الله ﷺ)^(٣).

والحقيقة التي نذهب إليها أنّه من غير الممكن أن يكون وجود هذه الآية على وفق سياق آيات أخرى يخرجها عن معناها الحقيقي خاصة وأننا نعرف تماماً أنّ جمع القرآن الكريم لم يكن على وفق ترتيب النزول على الإطلاق، وهنا يمكن ملاحظة قصديّة النصّ القرآني في وضع الآية مع آيات ليست من جنسها في المعنى لتحقيق غاية مقصودة

(١) التفسير الكبير: ٤ / ٤٠١.

(٢) المنار: ٦ / ٤٦٧.

(٣) التفسير الحديث: ١١ / ١٥١.



وهي المحافظة على معنى الآية، وذلك من خلال كسر توقع المتلقي بالسياق الجديد والالتفات الحاصل في الخطاب، ليحثه ذلك على البحث عن المعنى الخاص بهذا الآية، إذ إن لهذه الآية نفساً خاصاً يميزها عما قبلها وعما بعدها من آيات، إنَّها تتوجه إلى رسول الله ﷺ وحده وتبيِّن له واجبه، فهي تبدأ بمخاطبة الرسول ﴿يَتَأْتِيهَا الرَّسُولُ﴾ وتأمِّره بكلِّ جلاء ووضوح أن ﴿بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ﴾ ثمَّ لكي يكون التوكيد أشدَّ وأقوى تحذره وتقول ﴿وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَغْتَ رِسَالَتَهُ﴾ ثمَّ تطمئن الآية الرسول ﷺ وكأنَّ أمراً يقلقه وتطلب منه أن يهدئ من روعه وأن لا يخشى الناس فتقول له: ﴿وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ﴾^(١).

وفي ختام الآية إنذار وتهديد بمعاقبة الذين ينكرون هذه الرسالة ثمَّ يقول: أسلوب هذه الآية ولحنها الخاص وتكرار توكيداتها وكذلك ابتداؤها بمخاطبة الرسول ﴿يَتَأْتِيهَا الرَّسُولُ﴾ التي لم ترد في القرآن الكريم سوى مرتين، وتهديده بأنَّ عدم تبليغ هذه الرسالة الخاصة إنَّها هو تقصير وهذا لم يرد إلا في هذه الآية وحدها، كلُّ ذلك يدلُّ على أنَّ الكلام يدور حول أمر مهمٍّ جداً بحيث إنَّ عدم تبليغه يعدُّ عدم تبليغ للرسالة كلّها^(٢).

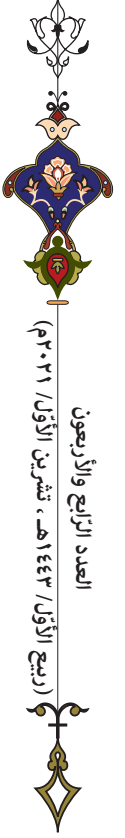
ولأنَّ الكفاءة الإعلامية لهذه الآية مرتفعة فيحتاج المتلقي إلى البحث عن مخفضات خارجية؛ لأنَّ المخفضات التقدميَّة والتراجعيَّة غير منسجمة مع مضمون الآية، إذ لا يمكن أن يكون الأمر بالتبليغ ممَّا يخصُّ التوحيد والشرك وتحطيم الأصنام، وهو ممَّا أنهاه الرسول ﷺ قبل ذلك بسنوات، ولا يمكن أن يتعلق بالأحكام والقوانين الإسلاميَّة التي سبق نزولها ذلك الوقت، وليس ممَّا له صلة بشأن المنافقين؛ لأنَّهم طردوا من المجتمع الإسلامي بعد فتح مكَّة وامتداد نفوذ المسلمين وسيطرتهم على أرجاء الجزيرة العربيَّة وهي مخفضات سياقيَّة اختارها بعض المفسِّرين الذين رفضوا أن تكون هذه الآية خاصَّة

(١) تفسير الأمل: ٤ / ٨٣.

(٢) المصدر نفسه.

بتبليغ أمر الولاية، وخير المخفضات الخارجية هي أسباب النزول، إذ وردت نصوص كثيرة تؤكد أن نزول هذه الآية قطعاً في أواخر حياة الرسول الأكرم (ص)، في حادثة الغدير عندما أمره بالتبليغ بولاية علي (عليه السلام) ^(٢).

وبذلك يكون غير المعتاد (غير المتوقع) هو المسؤول عن المفاجأة، التي تساعد المتلقي على التواصل مع النص، والحرص على استبصار مكوناته؛ لأن كسر التوقع إنَّما جاء نتيجة للطارئ المبتدع، وليس للعادي المألوف (المتوقع من النفس)؛ لأن النفس (إذا أنست بالمعتاد فربما قلَّ تأثيرها له، وغير المعتاد يفجئها، بما لم يكن به له استئناس قط) ^(٣). وقد تبين من كل ما تقدّم أن وضع الآيتين الخاصتين بحادثة الغدير في سياق آيات غريبة عنها وليست من جنسها يعدُّ أمراً مقصوداً يحقق عملية التواصل مع المتلقي في أقصى حالته؛ لأنه سيزيد من كسر أفق توقعه ويشعره بغرابة السياق حتى يبحث عن المعنى المنشود وللأمر غاية أخرى، إذ لو وضعت هاتين الآيتين مع أي آيات أخرى لأولت تأويلاً يُخرج الآية عن مرادها كما حدث مع هاتين الآيتين عند بعض المفسرين.



(١) التفسير الأمثل: ٤ / ٨٣.

(٢) ينظر: الأمالي للجرجاني: ١ / ١٩١، وينظر: الشهرستاني في الملل والنحل: ١ / ١٦١، وينظر: مختصر تاريخ دمشق: ٥ /

٣٩٤، وينظر: غرائب القرآن للنيسابوري: ٢ / ٦١٦، وينظر: الدر المنثور: ٣ / ١١٧، وينظر: روح المعاني: ٦ / ١٩٣.

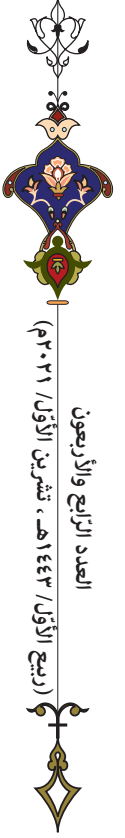
(٣) منهاج البلاغ: ٩٦.

المصادر والمراجع

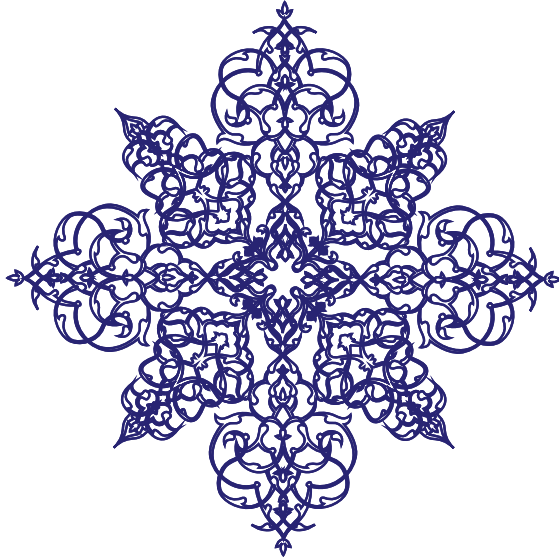
١. الإبلاغية فرع من الألسنية ينتمي إلى علم أساليب اللغة د. عفيف دمشقية، مجلة الفكر العربي ٨٤-٩، ١٩٧٩م، ٢٠٦.
٢. الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل: ناصر مكارم الشيرازي، دار إحياء التراث العربي، بيروت- لبنان، ط١، ٢٠٠٢م.
٣. بحوث في القراءة والتلقي: مجموعة من الباحثين، ترجمة: محمد خير البقاعي، مركز الإنماء الحضاري، ط١، ١٩٩٨م.
٤. التفسير الكبير المسمى (مفاتيح الغيب): محمد بن عمر بن الحسن الفخر الرازي (ت ٦٠٦هـ)، المطبعة البهية - مصر.
٥. جامع البيان عن تأويل آي القرآن: أبو جعفر محمد بن جرير الطبري (ت ٣١٠هـ): تحقيق: محمود شاكر، علي عاشور، دار إحياء التراث العربي، بيروت - لبنان، ط١ (د.ت).
٦. جماليات الأسلوب والتلقي: أ.د. موسى رابعة، مؤسسة حمادة للدراسات الجامعية والنشر والتوزيع، أبرد- الأردن، ط١، ٢٠٠٠م.
٧. جامع البيان عن تأويل آي القرآن: أبو جعفر محمد بن جرير الطبري (ت ٣١٠هـ): تحقيق: محمود شاكر، علي عاشور، دار إحياء التراث العربي، بيروت - لبنان، ط١ (د.ت).
٨. جماليات التلقي دراسة في نظرية التلقي عند هانز روبرت ياكوب وفولفجانج إيزر: د. سامي إسماعيل، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، ط١، ٢٠٠٢م.
٩. روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني: للعلامة أبي الفضل شهاب الدين السيد محمود الالوسي البغدادي (١٢٧٠هـ) دار الفكر؛ بيروت - لبنان، ١٩٨٧م.
١٠. الشعرية اللسانية والشعرية الأسلوبية، محمد القاسمي، مجلة فكر ونقد، ٥٨ع، شبكة المعلومات، www.aleflam.net.

المغاربة السياقية في آيتي الغدير دراسة في ضوء إعلامية كسر التوقع النصي البصباح

١١. ظاهرة التلقي في الأدب، محمد علي الكردي، مجلة علامات في النقد، المجلد ٨، ج ٣٢، ١٩٩٩م، ٢١.
١٢. علم الأسلوب مبادئه وإجراءاته: د. صلاح فضل، النادي الثقافي، جده، ط ١، ١٩٨٨م.
١٣. علم لغة النص - المفاهيم والاتجاهات: د. سعيد حسن بحيري، الشركة المصرية العالمية للنشر - لونجمان، القاهرة، ط ١، ١٩٩٧م.
١٤. غرائب القرآن ورغائب الفرقان: الحسن بن محمد بن الحسين القمي النيسابوري، تحقيق: إبراهيم عطوة عوض، مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده - مصر، ط ١، ١٩٦٢م.
١٥. فتح البيان في مقاصد القرآن: أبو الطيب محمد صديق خان بن حسن بن علي الحسيني البخاري القنوجي (١٣٧هـ) المكتبة العصرية للطباعة والنشر، صيدا - بيروت، ١٩٩٢م، (د. ط.).
١٦. فعل القراءة - نظرية جمالية التجاوب (في الأدب) فولفغانغ آيزر: ترجمة د. حميد حمداني، د. الجلاي الكدية، الفاس - المغرب، د. ت.
١٧. اللغة والإبداع مبادئ علم الأسلوب العربي: د. شكري محمد عياد، مكتبة زهراء الشرق، ط ١، ١٩٩٨م.
١٨. مجمع البيان في تفسير القرآن: الفضل بن الحسن الطبرسي (ت ٥٤٨هـ) تح: لجنة من العلماء والمحققين، منشورات مؤسسة الأعلمي للمطبوعات - بيروت، ١٩٩٥م.
١٩. مدخل إلى علم اللغة النصي: فولفانجهائنه، تر، فالح بن شبيب العجمي، مطابع جامعة الملك سعود، ١٩٩٩م.
٢٠. مفاتيح الألسنية: جورج موان، ترجمة الطيب البكوش، منشورات الجديد تونس، ١٩٨١م.
٢١. تفسير المنار: محمد رشيد رضا، دار المعرفة، بيروت، لبنان، ط ١، د. ت.
٢٢. منهاج البلغاء وسراج الأدباء: أو الحسن حازم القرطاجي (٦٨٤هـ) تحقيق محمد الحبيب ابن الخوجة، دار الكتب الشرقية - تونس، ١٩٦٦م.
٢٣. تفسير المنار: محمد رشيد رضا، دار المعرفة، بيروت، لبنان، ط ١، د. ت.
٢٤. النص والخطاب والإجراء: روبرت دي بوجراند، ترجمة د. تمام حسان، عالم الكتب - القاهرة، ط ٢، ٢٠٠٧م.



٢٥. النظرية الأدبية المعاصرة: راما ن سلدن، ترجمة سعيد الغانمي، بيروت المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ط١، ١٩٩٦م.
٢٦. نظرية البنائية في النقد الأدبي: د. صلاح فضل، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، ١٩٧٨م.
٢٧. نظرية التلقي (مقدمة نقدية) روبرت هولب: د. عز الدين إسماعيل النادي الأدبي الثقافي بجدة - السعودية، ط١، ١٩٩٤م.
٢٨. نظرية اللغة الأدبية: خوسيه يافانكوس، ترجمة حامد أبو أحمد، مكتبة غريب، مصر، د.ت.
٢٩. الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل: محمود بن عمر الزمخشري (٥٣٨هـ)، رتبه وضبطه: محمد عبد السلام شاهين، دار الكتب العلمية - بيروت، ط١، ١٩٩٥م.





دَلَالَةُ لَفْظِ الْمَوْلَى

عَلَى وَلايَةِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عَلَيْهِ السَّلَامُ

فِي تَفَاسِيرِ أَهْلِ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ

أ.م.د. كريم حمزة حميدي

كلية الإمام الكاظم عليه السلام / أقسام بابل

The meaning of the word “Mawla” on the guardianship of the Commander of the Faithful in the interpretations of Ahlus-Sunnah wal-Jama’ah

Assistant Professor Dr. Karim Hamza Hamidi

Imam Al-Kadhim College - Departments of Babylon

karimhamza@alkadhumi-col.edu.iq

ملخص البحث

جاءت فكرة هذا البحث لمعرفة دلالة لفظ (المولى) وما يُرادفها من ألفاظ، على ولاية أمير المؤمنين عليه السلام في تفاسير أهل السنة والجماعة، إذ ذكرت تلك التفاسير مشاهد مهمة في تاريخ بيعة الغدير وحوادثها، وإن حاول بعضهم التشكيك، والتأويل، من أجل إبعاد هذه المنقبة، غير أننا بعد التوكل على الله رَصَدنا ما يعالج فكرة البحث، بالرجوع إلى أمّات التفاسير المتقدّمة والمتأخّرة، فجاء البحث على مقدّمة، وتمهيد، وثلاثة مباحث، تتلوها خلاصة لأهمّ ما جاء في البحث.

الكلمات المفتاحية: علي - كلمة المولى - اللفظ - تفاسير السنة - الدلالة

Abstract

The main idea of this research is about to know the word (Almawla) and its correspondings to referring to the Wilayah/ leadership of commander of the faithful Imam Ali peace be upon him in the Tafseer/interpretations books of the Sunnis, since those books mentioned important scenes in the history of Bay'at Al-Ghadeer and it's events, even though some of the Sunnis tried to doubt and misinterpret the events on purpose to divert this virtue.

In spite of Allah above, and after willing on the power of the almighty Allah I was able to monitor solutions and ideas to support the idea of the research through referring to the major authentic classic and modern interperitions, and the research included; an introduction, a preface, three topics, tailed with a summary for the important points of the research.

Keywords: Ali - the word Almawla - the word - sunni Tafseer - Semantics



المقدمة

فقد كانت حادثة الغدير مفصليّة في التاريخ الإسلاميّ؛ لأنّها جاءت في نهاية رسالة سماويّة، خصّصها البارئ عزّ وجلّ بكتاب لا يأتيه الباطل من بين يديه، ولا من خلفه، وخصّصها بنبيّ ليس كمثلها من البشر، من الصفات الكمالية والخلقية، فقال تعالى بحقه: ﴿وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ﴾^(١)، فكان من اللائق أن يخصّصها أيضاً بإمام معصوم، يتحلّى بشمائل وصفات متناغمة مع ما ذكر آنفاً، وهو ما حصل بالفعل في يوم غدير خم، إذ كان الموعد مناسباً، لكي يعلن رسول الله ﷺ عن بيعته لوصيه وخليفته أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه. ومن المصاديق المهمة لتلك البيعة النصّ القرآنيّ؛ ذلك أنّنا نجد نصوصاً قرآنيّة متعدّدة، أشارت إلى تلك البيعة، وخصّصت فارسها، (المولى) كما عبّر عنه رسولنا الكريم. وليس خفياً ما تعرّضت له تلك البيعة من خذلان، وتشكيك، وتغييب، ولكنّ الله شاء أن تبقى تلك اللحظات خالدة في نفوس الموالين، وفي مدونات التاريخ المنصفة. أمّا التمهيد، فقد تناولت فيه دلالة لفظ المولى في المعجمات اللغويّة، وأمّا المبحث الأوّل، فقد جاء بعنوان: (معاني المولى ودلالاتها على ولاية أمير المؤمنين رضي الله عنه)، تناولت فيه معاني مختلفة للفظ (المولى) وما يُشتق منه، أو يقاربه في الدلالة، ممّا يعطي دلالات مختلفة على ولاية أمير المؤمنين رضي الله عنه، في حين خصّصت المبحث الثاني بآية الولاية ودلالاتها على ولاية أمير المؤمنين رضي الله عنه في تفاسير أهل السنّة والجماعة، وقد انفردت في هذا المبحث؛ لأنّها من أكثر الآيات دلالة وقرباً من حادثة الغدير، وأمّا المبحث الثالث والأخير، فقد جاء بعنوان: (آيات أخرى تعرّض فيها المفسرون إلى معنى المولى)، وقد اخترنا ثلاث آيات تضمنت الإشارة إلى دلالة هذه اللفظة، وإلى موضوعها الأهم بيعة الغدير.

(١) سورة النجم، الآية: ٣.

التمهيد: دلالة لفظ المولى في العهومات اللغوية

تُطالِعنا لفظة (المولى) في أوَّل معجم في الموروث اللغويّ، وهو معجم العين، في مادة (ولي)، إذ يقول الخليل - رحمه الله تعالى - (ولي: الولاية: مصدرُ المُوَالاةِ، والولاية مصدر الوالي، والولاء: مصدر المُوَلَّى، والموالي: بنو العمِّ، والموالي من أهل بيت النبي ﷺ من يجرم عليه الصدقة، والمُوَلَّى: المعتق والحليف والويّ. والويّ: وليّ النعم. والمُوَالاة: اتّخاذ المولى، والمُوَالاة أيضاً: أن يُوالي بين رَمِيَّتَيْنِ أو فعلين في الأشياء كلّها. وتقول: أصبته بثلاثة أسهم ولاء. و[تقول]: على الولاء، أي: الشّيء بَعْدَ الشّيء. والويّ: المطر الذي يكون بعد الوسميّ، [يقال]: وُلِيَتِ الأَرْضُ وُلِيّاً فهي مَوْلِيّة، وقد ولاها المطر والغيث) (١).

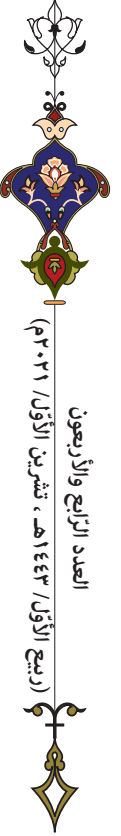
يقول ابن فارس في مادة (ولي): (وَمِنَ البَابِ المُوَلَّى: المَعْتِقُ والمُعْتَقُ، والصَّاحِبُ، والحَلِيفُ، وابنُ العمِّ، والنَّاصِرُ، والجَارُ، كُلُّ هُوَ لاءٍ مِنَ الوَلِيِّ وَهُوَ القُرْبُ، وَكُلُّ مَنْ وَلِيَ أَمْرًا آخَرَ فَهُوَ وَلِيُّهُ، وَفُلَانٌ أَوْلَى بِكَذَا، [أَيَّ آخَرَى بِهِ وَأَجْدَرُ... وَالوَالِئُ: المُوَالُونَ، يُقَالُ هُوَ لاءٍ وَلاءٍ فُلَانٍ، وَالوَالِئُ أَيضاً: وَهُوَ أَنْ يَكُونَ وَلاؤُهُ لِمُعْتِقِهِ، كَأَنَّهُ يَكُونُ أَوْلَى بِهِ فِي الإِرْثِ مِنْ غَيْرِهِ إِذَا لَمْ يَكُنْ لِلْمُعْتِقِ وَارِثٌ نَسَبٌ) (٢).

(١) كتاب العين، أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد بن عمرو بن تميم الفراهيدي البصري (ت ١٧٠هـ)، المحقق: د. مهدي

المخزومي، د. إبراهيم السامرائي، دار ومكتبة الهلال، (د. ط) (د. ت): ٨ / ٣٦٥.

(٢) مقاييس اللغة، أحمد بن فارس بن زكرياء القزويني الرازي، أبو الحسين (ت ٣٩٥هـ)، المحقق: عبد السلام محمد

هارون، دار الفكر / ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م: ٦ / ١٤١.



وقال ابن الأثير: (وَقَدْ تَكَرَّرَ ذِكْرُ (المَوْلَى) فِي الْحَدِيثِ، وَهُوَ اسْمٌ يَقَعُ عَلَى جَمَاعَةٍ كَثِيرَةٍ، فَهُوَ الرَّبُّ، وَالْمَالِكُ، وَالسَّيِّدُ، وَالْمُنْعَمُ، وَالْمُعْتَقُ، وَالنَّاصِرُ، وَالْمُحِبُّ، وَالتَّابِعُ، وَالجَارُ، وَابْنُ العَمِّ، وَالْحَلِيفُ، وَالْعَقِيدُ، وَالصَّهْرُ، وَالْعَبْدُ، وَالْمُعْتَقُ، وَالْمُنْعَمُ عَلَيْهِ، وَأَكْثَرُهَا قَدْ جَاءَتْ فِي الْحَدِيثِ، فَيُضَافُ كُلُّ وَاحِدٍ إِلَى مَا يَقْتَضِيهِ الْحَدِيثُ الْوَارِدُ فِيهِ، وَكُلُّ مَنْ وُلِيَ أَمْرًا أَوْ قَامَ بِهِ فَهُوَ مَوْلَاهُ وَوَلِيُّهُ، وَقَدْ تَخْتَلَفَ مَصَادِرُ هَذِهِ الْأَسْمَاءِ، فَالْوَلَايَةُ بِالْفَتْحِ، فِي النَّسَبِ وَالنُّصْرَةِ وَالْمُعْتَقِ، وَالْوَلَايَةُ بِالْكَسْرِ، فِي الْإِمَارَةِ، وَالْوَلَاءُ، الْمُعْتَقُ وَالْمَوْلَاةُ مِنَ وَالِي الْقَوْمِ)^(١).

لقد تعددت المعاني التي يحملها لفظ (المولى)، حتى عدَّ من (المشترك اللفظي)، فهو يأتي بمعنى: ابن العم، والناصر، والحليف، والأولى بالأمر، والمحب، والجار، وغيرها من المعاني المذكورة آنفاً، وفي هذا البحث لا يهمننا سوى المعنى الذي يدلُّ على ولاية أمير المؤمنين (عليه السلام)، سواء أكان صريحاً، أم غير صريح، وهذا لا يعني أنَّ البحث سيُعنى بالفاظ (المولى) جميعاً؛ لأنَّ بعضها قد لا يعني الولاية، أو التوَلَّى للأُمور، والمستحق للتصرّف فيها. وممَّا يجدرُ ذكره أنَّ المعاني التي تتولَّد من الجذر (ولي) - وتحمل معنى الولاية، أو التوَلَّى للأُمور - كثيرةٌ، فقد تأتي من أَلْفَاظِ: (المولى، الأولى، وأولي الأمر، والولي)، من هنا سنعالج دلالة (المولى) على ولاية أمير المؤمنين (عليه السلام) في الآيات القرآنيَّة، التي يتعرَّض فيها مفسرو أهل السُنَّة والجماعة لهذا الموضوع.

(١) النهاية في غريب الحديث والأثر، مجد الدين أبو السعادات المبارك بن محمد بن محمد بن محمد بن عبد الكريم الشيباني الجزري ابن الأثير (ت ٦٠٦هـ)، تحقيق: طاهر أحمد الزاوي - محمود محمد الطناحي، المكتبة العلمية - بيروت / ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م: ٥ / ٢٢٨.

المبحث الأول

معاني (المولى) ودلالاتها على ولاية أمير المؤمنين عليه السلام

سنتناول في هذا المبحث معاني مختلفة للفظ (المولى) وما يُشتق منه، أو يقاربه في الدلالة، مما يُعطي دلالات مختلفة على ولاية أمير المؤمنين عليه السلام، ومنها مجيء المولى بمعنى الأولى، أو الولي، أو الناصر، فعالجت هذه المعاني حادثة الغدير في تفاسير أهل السنة والجماعة، وقد اقتصرنا في هذا المبحث على آياتٍ محدودة؛ وذلك لأنّها كانت سبباً في معالجة المفسرين لدلالة المولى، بمعناها الدالّة على ولاية أمير المؤمنين عليه السلام دون غيره من المعاني، وهذه المعاني هي:

أولاً: دلالة المولى في قوله تعالى: ﴿مَأْوَانِكُمُ النَّارُ هِيَ مَوْلَانِكُمْ وَبئسَ الْمَصِيرُ﴾^(١)؛ وجاء ذلك في قوله تعالى: ﴿مَأْوَانِكُمُ النَّارُ هِيَ مَوْلَانِكُمْ وَبئسَ الْمَصِيرُ﴾^(٢)؛ إذ ذهب المفسرون إلى أنّ معنى قوله: (هي مولاكم) في الآية، أي: النار أولى بكم^(٣). وعجيبٌ أمرُ المفسرين، فهم قد أجمعوا على أنّ (مولاكم) هنا بمعنى الأولى بكم، وأنكروا ذلك في معاني (المولى) جميعها الواردة في القرآن الكريم؛ لأنّها تؤكّد أولوية أمير المؤمنين عليه السلام في الخلافة كما سيتبيّن لنا.

(١) سورة الحديد، الآية: ١٥.

(٢) ينظر جامع البيان في تأويل القرآن، محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الأملي، أبو جعفر الطبري (ت ٣١٠هـ)، المحقق: أحمد محمد شاكر، مؤسسة الرسالة، ط ١ / ١٤٢٠ هـ - ٢٠٠٠ م: ٢٣ / ١٨٧. ومعاني القرآن وإعرابه، إبراهيم بن السري بن سهل، أبو إسحاق الزجاج (ت ٣١١هـ)، المحقق: عبد الجليل عبده شلبي، عالم الكتب - بيروت، ط ١ / ١٤٠٨ هـ - ١٩٨٨ م: ٥ / ١٢٥. وبحر العلوم، (تفسير السمرقندي)، أبو الليث نصر بن محمد بن أحمد بن إبراهيم السمرقندي (ت ٣٧٣هـ)، دار الكتب العلميّة / ١٩٩٣ م، (د. ط.): ٣ / ٤٥٥.

لذلك حاول الرازي تأويل هذا التفسير، بقوله: (وفي لفظ المولى ها هنا أقوال: أَحَدَهَا قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: مَوْلَاكُمْ أَي مَصِيرُكُمْ، وَتَحْقِيقُهُ أَنَّ الْمَوْلَى مَوْضِعُ الْوَلِيِّ، وَهُوَ الْقُرْبُ، فَالْمَعْنَى أَنَّ النَّارَ هِيَ مَوْضِعُكُمْ الَّذِي تَقْرُبُونَ مِنْهُ وَتَصِلُونَ إِلَيْهِ، وَالثَّانِي: قَالَ الْكَلْبِيُّ: يَعْنِي أَوْلَى بِكُمْ، وَهُوَ قَوْلُ الرَّجَاجِ وَالْفَرَّاءِ وَأَبِي عُبَيْدَةَ، وَاعْلَمْ أَنَّ هَذَا الَّذِي قَالُوهُ مَعْنَى وَلَيْسَ بِتَفْسِيرٍ لِلْفِظِ؛ لِأَنَّ لَوْ كَانَ مَوْلَى وَأَوْلَى بِمَعْنَى وَاحِدٍ فِي اللَّغَةِ، لَصَحَّ اسْتِعْمَالُ كُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا فِي مَكَانِ الْآخَرِ، فَكَانَ يَجِبُ أَنْ يَصَحَّ أَنْ يُقَالَ: هَذَا مَوْلَى مِنْ فُلَانٍ كَمَا يُقَالَ: هَذَا أَوْلَى مِنْ فُلَانٍ، وَيَصَحُّ أَنْ يُقَالَ: هَذَا أَوْلَى كَمَا يُقَالَ: هَذَا مَوْلَى فُلَانٍ، وَمَا بَطَلَ ذَلِكَ عَلِمْنَا أَنَّ الَّذِي قَالُوهُ مَعْنَى وَلَيْسَ بِتَفْسِيرٍ، وَإِنَّمَا نَبَّهْنَا عَلَى هَذِهِ الدَّقِيقَةِ؛ لِأَنَّ الشَّرِيفَ الْمُرْتَضَى لَمَّا تَمَسَّكَ بِإِمَامَةِ عَلِيِّ عليه السلام، بِقَوْلِهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ: «مَنْ كُنْتُ مَوْلَاهُ فَعَلِيٌّ مَوْلَاهُ».

قال: أَحَدُ مَعَانِي مَوْلَى أَنَّهُ أَوْلَى، وَاحْتَجَّ فِي ذَلِكَ بِأَقْوَالِ أَيْمَةِ اللَّغَةِ فِي تَفْسِيرِ هَذِهِ الْآيَةِ، بِأَنَّ مَوْلَى مَعْنَاهُ أَوْلَى، وَإِذَا ثَبَتَ أَنَّ اللَّفْظَ مُحْتَمِلٌ لَهُ وَجَبَ حَمْلُهُ عَلَيْهِ؛ لِأَنَّ مَا عَدَاهُ إِذَا بَيَّنَّ الثُّبُوتَ، كَكُونِهِ ابْنِ الْعَمِّ وَالنَّاصِرِ، أَوْ بَيْنَ الْإِنْتِفَاءِ، كَالْمُعْتَقِ وَالْمُعْتَقِ، فَيَكُونُ عَلَى التَّقْدِيرِ الْأَوَّلِ عَبْنًا، وَعَلَى التَّقْدِيرِ الثَّانِي كَذِبًا، وَأَمَّا نَحْنُ فَقَدْ بَيَّنَّا بِالذَّلِيلِ أَنَّ قَوْلَ هَؤُلَاءِ فِي هَذَا الْمَوْضِعِ مَعْنَى لَا تَفْسِيرٌ، وَحِينَئِذٍ يَسْقُطُ الْإِسْتِدْلَالُ بِهِ، وَفِي الْآيَةِ وَجْهٌ آخَرٌ: وَهُوَ أَنَّ مَعْنَى قَوْلِهِ: هِيَ مَوْلَاكُمْ أَي لَا مَوْلَى لَكُمْ، وَذَلِكَ لِأَنَّ مَنْ كَانَتْ النَّارُ مَوْلَاهُ فَلَا مَوْلَى لَهُ، كَمَا يُقَالُ: نَاصِرُهُ الْخِذْلَانُ وَمُعِينُهُ الْبُكَاءُ، أَي لَا نَاصِرَ لَهُ وَلَا مُعِينَ، وَهَذَا الْوَجْهُ مُتَأَكِّدٌ بِقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَأَنَّ الْكٰفِرِينَ لَا مَوْلَى لَهُمْ﴾ ^(١) ^(٢).

وفي تحليل هذا القول أمور عدة، منها:

(١) سورة محمد، الآية: ١١.

(٢) مفاتيح الغيب، (التفسير الكبير)، أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الرازي الملقب بفخر

الدين الرازي خطيب الري (ت ٦٠٦هـ)، دار إحياء التراث العربي - بيروت، ط ٣/ ١٤٢٠هـ: ٢٩/ ٤٥٩.

دلالة لفظ (المولى) على ولاية أمير المؤمنين عليه السلام **الْبَصِيحَاتُ** .

١- إجماعُ المفسرين على أنَّ (مولاكم) في الآية بمعنى (أولى بكم)، ويؤيِّد ذلك ما ذهب إليه اللغويون^(١)، قال الصاحب بن عباد: (وتكونُ بمعنى الأولى؛ كقوله عزَّ ذِكْرُهُ: ﴿هِيَ مَوْلَانَكُمْ﴾ أي هي أولى بكم)^(٢).

٢- واضح أن تأويله قد جاء معارضةً لرأي الشريف المرتضى؛ لكونه قد استدللَّ بهذا المعنى على ولاية أمير المؤمنين عليه السلام، فهو بذلك يعترف بعدائه لآل البيت عليهم السلام، ولا سيَّما الآيات المرتبطة بالولاية؛ لأنَّها من صميم معتقد الشيعة الإمامية.

٣- استدللَّ على أنَّ معنى (مولاكم) هو (لا مولى لكم) كما جاء في قوله تعالى: ﴿وَأَنَّ الْكٰفِرِينَ لَا مَوْلٰى لَهُمْ﴾، ولكنه يعترضُ على الشريف المرتضى استدلاله بآية ﴿هِيَ مَوْلَانَكُمْ﴾ على أنَّها بمعنى (أولى بكم)؛ لتعزُّيد حديث: «مَنْ كُنْتُ مَوْلَاهُ فَعَلِيٌّ مَوْلَاهُ».

وبذلك يتبيَّن لنا ضعف ما ذهب إليه الرَّازي في تفسيره؛ لأنَّه جاء لغاية واحدة، وهي تضعيف استدلال الشريف المرتضى.

ثانياً: دلالة لفظ المولى في قوله تعالى: ﴿ذٰلِكَ بِأَنَّ اللّٰهَ مَوْلٰى الَّذِيْنَ ءَامَنُوْا وَّأَنَّ الْكٰفِرِيْنَ لَا مَوْلٰى لَهُمْ﴾

ذكر أكثرُ المفسرين أن معنى (المولى) في الآية بمعنى (الولي)، قال الطبري: (في قوله ﴿ذٰلِكَ بِأَنَّ اللّٰهَ مَوْلٰى الَّذِيْنَ ءَامَنُوْا﴾ قال: وليهم. وقد ذكر لنا أن ذلك في قراءة عبد الله ﴿ذٰلِكَ بِأَنَّ اللّٰهَ مَوْلٰى الَّذِيْنَ ءَامَنُوْا﴾، وأنَّ التي في المائدة التي هي في مصاحفنا ﴿إِنَّمَا

(١) ينظر التفنية في اللغة، أبو بشر، اليان بن أبي اليان البندنجي، (ت ٢٨٤هـ)، المحقق: د. خليل إبراهيم العطية،

الجمهورية العراقية - وزارة الأوقاف - إحياء التراث الإسلامي - مطبعة العاني - بغداد/ ١٩٧٦ م: ١١٥.

والمحيط في اللغة، إسمايل بن عباد بن العباس، أبو القاسم الطالقاني، المشهور بالصاحب بن عباد (ت ٣٨٥هـ)،

المحقق: محمد حسن آل ياسين، عالم الكتب - بيروت، ط ١ / ١٩٩٤ م: ٢ / ٤٦٨.

(٢) المحيط في اللغة: ٢ / ٤٦٨.



وَلَيْكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ ﴿١﴾ إِنَّهَا مَوْلَاكُمْ اللَّهُ ﴿٢﴾ في قراءته. وقوله ﴿وَأَنَّ الْكٰفِرِينَ لَا مَوْلٰى لَهُمْ﴾ يقول: وبأن الكافرين بالله لا ولي لهم، ولا ناصر^(١)، وتابعه أكثر المفسرين^(٢)، ويفسر الرّازي (ت ٦٠٦ هـ) معنى الولي بقوله: (الوليُّ هو القريب في اللّغة فإذا كان العبد قريباً من حضرة الله بسبب كثرة طاعاته وكثرة إخلاصه وكان الربُّ قريباً منه برحمته وفضله وإحسانه فهناك حصلت الولاية)^(٣).

غير أن بعض المفسرين أشار إلى أن معنى المولى هو الناصر، ومن ثم يتأكد هذا المعنى في نصره أمير المؤمنين عليه السلام، قال مكي بن أبي طالب القيسي: (قال ابن عباس: المولى الناصر وأكثر المفسرين على أن المولى هنا: الولي، والمعنى واحد، وعلى هذا يتناول قول النبي صلى الله عليه وآله: «من كنت مولاه فعليّ مولاه» أي: من كنت وليه وناصره فعليّ وليه وناصره. وقيل معناه: من كان يتولاني وينصرني فهو يتولّى [عليّاً] وينصره)^(٤). والمعنى الأخير يؤكد ولاية ونصرة الرسول صلى الله عليه وآله للإمام عليّ عليه السلام، وهذا إقرار من القيسي بهذا

(١) جامع البيان: ٢٢ / ١٦٣.

(٢) ينظر الوسيط في تفسير القرآن المجيد، أبو الحسن علي بن أحمد بن محمد بن علي الواحدي، النيسابوري، الشافعي (ت ٤٦٨ هـ)، تحقيق وتعليق: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود، وآخرين، قدمه وقرظه: الأستاذ الدكتور عبد الحي الفرماوي، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، ط ١ / ١٤١٥ هـ - ١٩٩٤ م: ٤ / ١٢٢. ومعالم التنزيل في تفسير القرآن (تفسير البغوي)، أبو محمد الحسين بن مسعود بن محمد بن الفراء البغوي الشافعي (ت ٥١٠ هـ)، المحقق: عبد الرزاق المهدي، دار إحياء التراث العربي - بيروت، ط ١ / ١٤٢٠ هـ: ٤ / ٢١١. والكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، الزمخشري جار الله (ت ٥٣٨ هـ)، دار الكتاب العربي - بيروت، ط ٣ / ١٤٠٧ هـ: ٤ / ٣١٩.

(٣) مفاتيح الغيب: ٢١ / ٤٣١.

(٤) الهداية إلى بلوغ النهاية في علم معاني القرآن وتفسيره، وأحكامه، وجمل من فنون علومه، أبو محمد مكي بن أبي طالب حوَّش بن محمد بن مختار القيسي القيرواني ثم الأندلسي القرطبي المالكي (ت ٤٣٧ هـ)، المحقق: مجموعة رسائل جامعية بكلية الدراسات العليا والبحث العلمي - جامعة الشارقة، بإشراف أ. د: الشهيد البوشيخي، مجموعة بحوث الكتاب والسنة - كلية الشريعة والدراسات الإسلامية - جامعة الشارقة، ط ١ / ١٤٢٩ هـ - ٢٠٠٨ م: ١١ / ٦٨٩٣.

المعنى، وإلا فإنَّ بعض المفسرين قد ذكر أنَّ المولى هنا بمعنى الناصر، ولكنَّ من دون الإشارة إلى حديث الرسول ﷺ، ومنهم عبد الكريم القشيري (ت ٤٦٥هـ) (١).

ومن المعاني التي ذُكرت في معنى (المولى) في هذه الآية هو (المحبّ)، قال القشيري: (أو المولى من الموالة وهي ضدّ المعادة، فيكون بمعنى المحب فهو مولى الذين آمنوا أي محبّهم، وأمّا الكافرون فلا يحبهم الله) (٢).

وقد أشار الشافعيّ إلى أنَّ المولى بمعنى الوليِّ، وأقرَّ أنّها بحقّ أمير المؤمنين ﷺ، وذلك في الخبر المنقول عنه، ونصّه: (أخبرنا أبو عبد الرحمن السُّلمي قال: أخبرنا محمَّد بن محمَّد بن يعقوب قال: حدثنا العباس بن يوسف الشكلي قال: سمعت الربيع بن سليمان يقول: سمعت الشَّافعي يقول في معنى قول النبي ﷺ، لعليّ بن أبي طالب، رضي الله عنه: «من كنت مولاه فعليّ مولاه» الحديث. يعني بذلك ولاء الإسلام، وذلك قول الله تعالى:

﴿ ذَلِكْ بِأَنَّ اللَّهَ مَوْلَى الَّذِينَ ءَامَنُوا وَأَنَّ الْكُفْرِينَ لَا مَوْلَى لَهُمْ ﴾ .

وأما قول عمر بن الخطاب لعليّ ﷺ: (أصبحت مولى كلِّ مؤمن) الحديث. يقول: ولي كلِّ مسلم) (٣).

إنَّ تفسير الشافعيّ (المولى) بـ(ولاء الإسلام) هي محاولة لإبعاد المعنى القيادي الذي يكتنزه حديث الرسول ﷺ، كما أنَّ شرحه حديث عمر: (أصبحت مولى كلِّ مؤمن) بمعنى (ولي كلِّ مسلم)، يدلُّ من حيث الظاهر على ولاية أمير المؤمنين ﷺ، ولا سيَّما أنَّ الحديث جاء بعد بيعة الغدير بلحظات، ولكنّه من حيث الباطن يدلُّ على معنى

(١) ينظر لطائف الإشارات (تفسير القشيري)، عبد الكريم بن هوزان بن عبد الملك القشيري (ت ٤٦٥هـ)، المحقق: إبراهيم البسيوني، الهيئة المصرية العامة للكتاب - مصر، ط ٣، (د.ت): ٣/ ٤٠٦.

(٢) المصدر نفسه والصفحة نفسها.

(٣) تفسير الشافعي، أبو عبد الله محمد بن إدريس بن العباس بن عثمان بن شافع بن عبد المطلب بن عبد مناف المطلبي القرشي المكي الشافعي (ت ٢٠٤هـ)، جمع وتحقيق ودراسة: د. أحمد بن مصطفى الفرّان (رسالة دكتوراه)، دار التدمرية - المملكة العربية السعودية، ط ١/ ١٤٢٧ - ٢٠٠٦ م: ٣/ ١٢٥٧.



الولاية في الإسلام وحسب، وليس قيادة الأمة كما أراد الرسول ﷺ، وعمر نفسه.

ثالثاً: دلالة لفظ المولى في قوله تعالى: ﴿يَوْمَ لَا يُغْنِي مَوْلَى عَنْ مَوْلَى شَيْئًا﴾

قال الطبري: (وقوله ﴿يَوْمَ لَا يُغْنِي مَوْلَى عَنْ مَوْلَى شَيْئًا﴾^(١) يقول: لا يدفع ابن عمّ عن ابن عمّ، ولا صاحب عن صاحبه شيئاً من عقوبة الله التي حلت بهم من الله ﴿وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ﴾ يقول: ولا ينصر بعضهم بعضاً، ويستعيذون ممن نالهم بعقوبة كما كانوا يفعلونه في الدنيا)^(٢). وذكر القيسي المعنى نفسه، ولكنه قد أشار إلى معنى المولى في حديث: «من كنت مولاه...» قائلًا: (والمولى والولي في اللغة: الناصر، وقول النبي ﷺ:

«مَنْ كُنْتُ مَوْلَاهُ فَعَلِيٌّ مَوْلَاهُ» في تفسيره ثلاثة أقوال:

- أحدها: إنَّ معناه: من كنت أتولاه فعليُّ يتولاه.

- والثاني: من كان (يتولاني، يتولاه) عليٌّ.

- والثالث: إنَّه كان قوله ذلك في سبب، وذلك أن أسامة بن زيد قال لعليٍّ ﷺ: لست

مولاي، إنَّما مولاي رسول الله، فقال رسول الله ﷺ: «من كنت مولاه فعليٌّ مولاه»^(٣).

إنَّ إشارة القيسي إلى حديث الرسول ﷺ بشأن ولاية أمير المؤمنين ﷺ ونصرته في

هذه الآية مع إجماع المفسرين على أن معنى قوله تعالى: ﴿يَوْمَ لَا يُغْنِي مَوْلَى عَنْ مَوْلَى

شَيْئًا﴾: يوم لا يدفع ابن عمّ عن ابن عمّ، ولا صاحب عن صاحبه شيئاً، فيها دلالة

واضحة على أن الرَّجُلَ يَعْتَقِدُ أَنَّ الْوَلِيَّ بِحَسَبِ الْفَهْمِ الْقُرْآنِيِّ هُوَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ ﷺ.

(١) سورة الدخان، الآية: ٤١.

(٢) جامع البيان: ٤٢ / ٢٢.

(٣) الهداية إلى بلوغ النهاية: ١٠ / ٦٧٤٨.

رابعاً: **دلالة لفظ (أولي الأمر) في قوله تعالى: ﴿أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ﴾ على ولاية أمير المؤمنين عليه السلام**

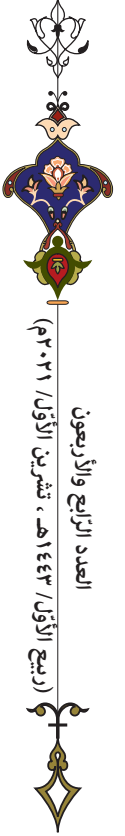
اتفق المفسرون من الموالين لآل بيت رسول الله صلوات الله عليهم أجمعين أنّ الآية: ﴿أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ﴾^(١) نزلت في أمير المؤمنين عليه السلام وولده، جاء في تفسير العياشي: (عن جابر الجعفي قال: سألت أبا جعفر عليه السلام عن هذه الآية ﴿أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ﴾ قال: «الأوصياء». وفي رواية أبي بصير قال: «نزلت في عليّ بن أبي طالب عليه السلام»، قلت له: إنّ الناس يقولون لنا: فما منعه أن يسمّي علياً وأهل بيته في كتابه؟ فقال أبو جعفر عليه السلام: «قولوا لهم: إنّ الله أنزل على رسوله الصّلاة ولم يسمّ ثلثاً ولا أربعاً حتى كان رسول الله صلى الله عليه وآله هو الذي فسّر ذلك، وأنزل الحج فلم ينزل طوفوا أسبوعاً حتى فسّر ذلك لهم رسول الله صلى الله عليه وآله، وأنزل ﴿أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ﴾، فنزلت في عليّ والحسن والحسين»^(٢).

أمّا مفسرو أهل السنّة والجماعة، فقد تعدّدت تأويلاتهم في الآية المذكورة، فقالوا: إنّ (أولي الأمر) هم: السلاطين، أو العلماء، أو الأمراء، أو هم أهل العلم والفقه، أو هم أصحاب محمد صلى الله عليه وآله، أو هم أبو بكر وعمر^(٣)، غير أنّ بعضهم قد أشار إلى مقصود الآية كما نقله مفسرنا، ولكن من دون الإقرار بها، حتى لو ورد هذا التفسير عن رسول الله صلى الله عليه وآله، أو من أئمة أهل البيت عليهم السلام.

(١) سورة النساء، الآية: ٥٩.

(٢) تفسير العياشي، أبو النظر محمد بن مسعود بن عياش السلميّ السمرقندي، المعروف بالعياشي، تحقيق: السيد هاشم الرسولي المحلاتي، المكتبة العلمية الإسلامية - طهران، (د. ط) (د. ت): ١ / ٢٥٦ - ٢٥٧. وينظر تفسير فرات الكوفي، فرات بن إبراهيم الكوفي، مؤسسة الطبع والنشر التابعة لوزارة الثقافة والإرشاد الإسلامي - طهران، ١ / ١٩٩٠ م، ١٠٧ - ١٠٨.

(٣) ينظر جامع البيان: ٨ / ٤٩١ - ٥٠٢.



ومن المفسرين الذين أشاروا إلى أن (أولي الأمر) هم الأئمة المعصومون، هو الفخر الرازي، وإن حاول تفنيد هذا الرأي، يقول بعد أن ذكر المعاني المحتملة للفظه: (وَرَابِعُهَا: نُقِلَ عَنِ الرَّوَافِضِ أَنَّ الْمُرَادَ بِهِ الْأَئِمَّةُ الْمُعْصُومُونَ، وَلَمَّا كَانَتْ أَقْوَالُ الْأُمَّةِ فِي تَفْسِيرِ هَذِهِ الْآيَةِ مَحْضُورَةً فِي هَذِهِ الْوُجُوهِ، وَكَانَ الْقَوْلُ الَّذِي نَصَرْتُمُوهُ خَارِجًا عَنْهَا كَانَ ذَلِكَ بِإِجْمَاعِ الْأُمَّةِ بَاطِلًا)^(١)، وقال في موضع آخر: (وَأَمَّا حُمْلُ الْآيَةِ عَلَى الْأَئِمَّةِ الْمُعْصُومِينَ عَلَى مَا تَقُولُهُ الرَّوَافِضُ فَفِي غَايَةِ الْبُعْدِ لُجُوه)^(٢).

وليس قوله هذا بمقبول بعد أن تبين لنا توافق معنى (أولي الأمر) مع أهل البيت عليهم السلام، فضلاً عن توافقه مع ما اشترطه الفخر الرازي نفسه بأن أولي الأمر يجب أن يكونوا من المعصومين، وقد ثبت بالتواتر عصمتهم عليهم السلام كما سبتين.

وقد اشترط الفخر الرازي أن يكون ولي الأمر معصوماً، قائلاً: (إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى أَمَرَ بِطَاعَةِ أَوْلِي الْأَمْرِ عَلَى سَبِيلِ الْجَزْمِ فِي هَذِهِ الْآيَةِ وَمَنْ أَمَرَ اللَّهُ بِطَاعَتِهِ عَلَى سَبِيلِ الْجَزْمِ وَالْقَطْعِ لَا بُدَّ أَنْ يَكُونَ مَعْصُومًا عَنِ الْخَطَأِ... فَتَبَّتْ قَطْعًا أَنَّ أَوْلِي الْأَمْرِ الْمَذْكُورِينَ فِي هَذِهِ الْآيَةِ لَا بُدَّ أَنْ يَكُونُوا مَعْصُومِينَ فِي هَذِهِ الْآيَةِ، ثُمَّ نَقُولُ: ذَلِكَ الْمَعْصُومُ إِذَا مَجْمُوعُ الْأُمَّةِ أَوْ بَعْضُ الْأُمَّةِ، لَا جَائِزُ أَنْ يَكُونَ بَعْضُ الْأُمَّةِ، لِأَنَّا بَيَّنَّا أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى أَوْجَبَ طَاعَةَ أَوْلِي الْأَمْرِ فِي هَذِهِ الْآيَةِ قَطْعًا، وَإِجَابُ طَاعَتِهِمْ قَطْعًا مَشْرُوطٌ بِكُونِنَا عَارِفِينَ بِهِمْ قَادِرِينَ عَلَى الْوُصُولِ إِلَيْهِمْ وَالِاسْتِفَادَةِ مِنْهُمْ، وَنَحْنُ نَعْلَمُ بِالضَّرُورَةِ أَنَّا فِي زَمَانِنَا هَذَا عَاجِزُونَ عَنِ مَعْرِفَةِ الْإِمَامِ الْمَعْصُومِ، عَاجِزُونَ عَنِ الْوُصُولِ إِلَيْهِمْ، عَاجِزُونَ عَنِ اسْتِفَادَةِ الدِّينِ وَالْعِلْمِ مِنْهُمْ)^(٣).

ولأن مفهوم (أولي الأمر) يشترط فيه العصمة كما يرى الرازي، فهذا يعني أنّها

(١) مفاتيح الغيب: ١٠ / ١١٣.

(٢) المصدر نفسه: ١٠ / ١١٤.

(٣) المصدر نفسه: ١٠ / ١١٣.

دلالة لفظ (المولى) على ولاية أمير المؤمنين عليه السلام **البَصِيحَاتُ** .

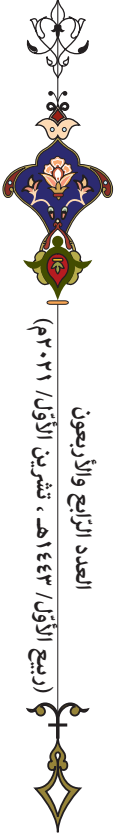
لا تخرج عن دائرة أهل البيت عليهم السلام، ولا سيّما أمير المؤمنين عليه السلام، وهم من قال بحقّهم الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله كما ينقل ابن شهر آشوب عن أنس: «الأئمة بعدي من عترتي، فقيل: يا رسول الله فكم الأئمة بعدك؟»، فقال: «عدد نقباء بني إسرائيل»، فاطمة عليها السّلام سألت أباهما عن قول الله تعالى ﴿وَعَلَى الْأَعْرَافِ رِجَالٌ﴾ ^(١) قال: «هم الأئمة بعد عليّ، وسبطاي، وتسعة من صلب الحسين، فهم رجال الأعراف لا يدخل الجنة إلّا من يعرفهم ويعرفونه، ولا يدخل النار إلّا من أنكرهم وينكروه لا يعرف الله تعالى إلّا على سبيل معرفتهم» ^(٢).

وبعد هذا لا يمكننا أن نبعد أئمة أهل البيت عليهم السلام عن دائرة (أولي الأمر)؛ لأنّهم معصومون، وإذا كان الفخر الرازي يقول: (إِنَّا فِي زَمَانِنَا هَذَا عَاجِزُونَ عَنْ مَعْرِفَةِ الْإِمَامِ الْمُعْصُومِ)، فكيف يعتقد أنّها نزلت بحقّ أبي بكر وعمر؟! ثمّ إنّ وقف وقفة طويلة في اعتقاد الشيعة بأنّها نزلت بحقّ أئمة أهل البيت عليهم السلام، وحاول تفنيد الأدلّة التي استدلّوا بها، في المقابل لا نجد معترضاً إزاء ما اعتقده الآخرون من أنّها نزلت بحقّ أبي بكر وعمر! كل ذلك لا يدع مجالاً للشك في أنّ الفخر الرازي نصب العداء لأهل البيت عليهم السلام ولمن والاهم.

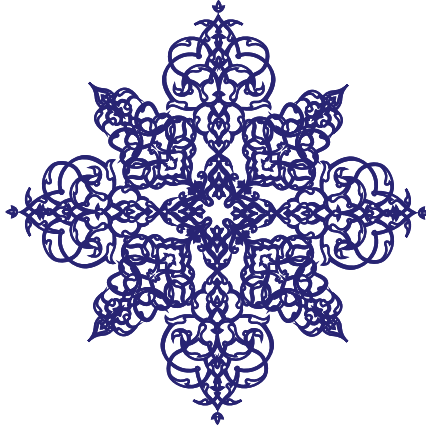
وممّا يلاحظ في كلام الفخر الرازي ذكره أنّ (أولي الأمر) هم أهل البيت عليهم السلام عند الشيعة الإمامية في هذه الآية، من دون أن يُحدّد أمير المؤمنين بها، ويبدو لي أنّ عدم ذكره عليه السلام في تفسيره للآية؛ لأنّ ذكره عليه السلام سيكون تمهيداً لاعترافه بآية الولاية المذكورة آنفاً، ولا سيّما بعد تقارب الدلالة بين (أولي الأمر)، و(الولي) في معنى إدارة الأئمة، مع الأخذ بنظر

(١) سورة الأعراف، الآية: ٤٦.

(٢) مناقب آل أبي طالب، رشيد الدين، أبو عبد الله، محمد بن علي بن شهر آشوب (ت ٥٨٨هـ)، قام بتصحيحه وشرحه ومقابلته لجنة من أساتذة النجف الأشرف، المطبعة الحيدرية - النجف الأشرف، ط ١ / ١٩٥٦ م: ١ / ٢٥٤.



الاعتبار محاولة الفخر الرازي وإصراره الكبير على نفي آية الولاية عنه عليه السلام.
 ومَن أشار إلى أن معنى (أولي الأمر) هم أهل البيت عليهم السلام، وبالتحديد أمير المؤمنين عليه السلام أبو حيان النحوي: (وقيل: الخلفاء الأربعة، وقال عكرمة: أبو بكر وعمر، وقال جابر، والحسن، وعطاء، وأبو العالية، ومجاهد أيضاً: العلماء، واختاره مالك، وقال ميمون، ومقاتل، والكلبي، أمراء السرايا، أو الأئمة من أهل البيت قاله: الشيعة، أو علي وحده قالوه أيضاً)^(١)، وهذا تطور في فهم الآية القرآنية بعد أن تعددت تأويلاتهم لأولي الأمر، وإن ذهب إلى ما ذهب إليه الفخر الرازي من رفض نسبتها إلى أمير المؤمنين عليه السلام، ولكن ما يلاحظ في كلام أبي حيان أنه قد ذكر اسم أمير المؤمنين عليه السلام في تفسيرها بخلاف من تقدمه من المفسرين الذين ذكروا أهل البيت عليهم السلام من دون تحديد.



(١) البحر المحيط في التفسير، أبو حيان محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيان أثير الدين الأندلسي (ت ٧٤٥هـ)،

المحقق: صدقي محمد جميل، دار الفكر - بيروت / ١٤٢٠هـ: ٣ / ٦٨٦.

البحث الثاني

آية الولاية ودلالاتها على ولاية أمير المؤمنين عليه السلام

في تفاسير أهل السنة والجماعة

آية الولاية هي قوله تعالى: ﴿ **إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ** ﴾ ^(١) . وهي من أكثر الآيات دلالة على ولاية أمير المؤمنين عليه السلام، تأكيداً لما جاء في خطبة الغدير، فكان لمفري أهل السنة والجماعة وقفة كبيرة عندها، بين التأييد لموضوع الولاية، أو النفي والتشكيك، ويتفق معظم المفسرين على أن هذه الآية نزلت بحق علي بن أبي طالب عليه السلام، وأول ما يُطالعا في ذلك مقاتل في تفسيره، قائلاً: (خرج النبي صلى الله عليه وآله إلى باب المسجد، فإذا هو بمسكين قد خرج من المسجد وهو يحمد الله عز وجل، فدعاه النبي صلى الله عليه وآله فقال له: «هل أعطاك أحد شيئاً؟»، قال: نعم يا نبي الله، قال: «من أعطاك؟»، قال: الرجل القائم أعطاني خاتمه، يعني علي بن أبي طالب رضوان الله عليه، فقال النبي صلى الله عليه وآله (وآله) وسلم: «علي أي حال أعطاك؟»، قال: أعطاني وهو راع، فكبر النبي صلى الله عليه وآله (وآله) وسلم وقال: «الحمد لله الذي خصص علياً بهذه الكرامة»، فأنزل الله عز وجل: ﴿ **وَالَّذِينَ ءَامَنُوا** ﴾



الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ ﴿١﴾.

وينقل الطبري جملة من الروايات التي تؤكد هذا المعنى، وهي (٢):

أ- رواية منقولة عن السدي قال: ثم أخبرهم بمن يتولاهم فقال: ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمْ

اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ﴾، هؤلاء جميع

المؤمنين، ولكن علي بن أبي طالب عليه السلام مرَّ به سائل وهو راكع في المسجد، فأعطاه خاتمه.

ب- روي عن هناد بن السري قال، حدثنا عبدة، عن عبد الملك، عن أبي جعفر عليه السلام

قال: سألته عن هذه الآية: ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمْ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ

وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ﴾، قلت: من الذين آمنوا؟ قال: «الذين آمنوا!»، قلنا: بلغنا

أنها نزلت في علي بن أبي طالب! قال: «علي من الذين آمنوا».

ت- روي عن عبد الملك قال: سألت أبا جعفر عليه السلام عن قول الله: ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمْ اللَّهُ

وَرَسُولُهُ﴾، وذكر نحو حديث هناد، عن عبدة.

ث- روي عن عتبة بن أبي حكيم في هذه الآية: ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمْ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ

آمَنُوا﴾، قال: علي بن أبي طالب.

ج- سُمع من مجاهد يقول في قوله: ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمْ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا﴾،

الآية، قال: نزلت في علي بن أبي طالب، تصدَّق وهو راكع.

هذه هي الروايات التي أكدت أنَّ المعنى بالآية هو أمير المؤمنين عليه السلام، قال ابن حجر

الهيتمي (ت ٩٧٤هـ): (وقد أجمع أهل التفسير على أنَّ المراد بالذين يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ

(١) تفسير مقاتل بن سليمان، أبو الحسن مقاتل بن سليمان بن بشير الأزدي البلخي (ت ١٥٠هـ)، المحقق: عبد الله

محمد شحاته، دار إحياء التراث - بيروت، ط ١ / ١٤٢٣هـ: ٥ / ٢٤٧.

(٢) ينظر جامع البيان: ١٠ / ٤٢٥ - ٤٢٦.

الرَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ عَلَيَّ؛ إِذْ سَبَبَ نُزُولَهَا أَنَّهُ سُئِلَ وَهُوَ رَاكِعٌ، فَأَعْطَى خَاتَمَهُ^(١).

وحاول بعضهم تأويل الآية تأويلاً آخر، على النحو الآتي:

أ- قال بعض المفسرين إنَّها نزلت في أبي بكر^(٢)، ذكر الرَّاظِي: (أَنَّ الْمُرَادَ مِنْ هَذِهِ الْآيَةِ شَخْصٌ مُعَيَّنٌ، وَعَلَى هَذَا فَفِيهِ أَقْوَالٌ: الْأَوَّلُ: رَوَى عِكْرِمَةُ أَنَّ هَذِهِ الْآيَةَ نَزَلَتْ فِي أَبِي بَكْرٍ. وَالثَّانِي: رَوَى عَطَاءٌ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ أَنَّهَا نَزَلَتْ فِي عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ^(٣)).

ب- قال الطبري: (وقيل إنَّ هذه الآية نزلت في عبادة بن الصامت، في تبرُّئه من ولاية يهود بني قينقاع وحلفهم، إلى رسول الله ﷺ والمؤمنين)^(٤).

ت- نقل ابن أبي حاتم رواية عن ابن عباس قائلًا: (حَدَّثَنَا أَبِي ثنا أَبُو صَالِحٍ كَاتِبُ اللَّيْثِ، حَدَّثَنَا مُعَاوِيَةُ بْنُ صَالِحٍ عَنْ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَلْحَةَ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ قَوْلُهُ: ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا﴾^(٥) يَعْنِي: إِنَّهُ مَنْ أَسْلَمَ تَوَلَّاهُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا).

ث- قال الواحدي: (والآية عامَّة في جميع المؤمنين، فكلُّ مؤمن وليٌّ لكلِّ مؤمن، لقوله تعالى: ﴿وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ﴾^(٦)).

(١) الصواعق المحرقة على أهل الرفض والضلال والزندقة، أحمد بن محمد بن علي بن حجر الهيتمي السعدي الأنصاري، شهاب الدين شيخ الإسلام، أبو العباس (ت ٩٧٤هـ)، المحقق: عبد الرحمن بن عبد الله التركي - وكامل محمد الخراط، مؤسسة الرسالة - لبنان، الطبعة: الأولى، ١٤١٧هـ - ١٩٩٧م: ١٠٤ / ١.

(٢) ينظر الكشف والبيان عن تفسير القرآن، أحمد بن محمد بن إبراهيم الثعلبي، أبو إسحاق (ت ٤٢٧هـ)، تحقيق: الإمام أبي محمد بن عاشور، مراجعة وتدقيق: الأستاذ نظير الساعدي، دار إحياء التراث العربي، بيروت - لبنان، ١ / ١٤٢٢هـ - ٢٠٠٢م: ٨١ / ٤.

(٣) مفاتيح الغيب: ٣٨٣ / ١٢.

(٤) جامع البيان: ٤٢٤ / ١٠.

(٥) تفسير القرآن العظيم لابن أبي حاتم، أبو محمد عبد الرحمن بن محمد بن إدريس بن المنذر التميمي، الحنظلي، الرازي ابن أبي حاتم (ت ٣٢٧هـ)، المحقق: أسعد محمد الطيب، مكتبة نزار مصطفى الباز - المملكة العربية السعودية، ط ٣ / ١٤١٩هـ: ١١٦٢ / ٤.

(٦) سورة التوبة، الآية: ٧١.

(٧) الوسيط في تفسير القرآن المجيد: ٢٠١ / ٢.



ج- جاء في زاد المسير: (أثما نزلت فيمن مضى من المسلمين ومن بقي منهم، قاله الحسن)^(١).

هذه أكثر الأقوال التي تناقلها المفسرون، ولا يهمننا صحة هذه الروايات من عدمها في تفسير هذه الآية، وإن ما يهمننا منها بعد تأكيد نزولها بحق أمير المؤمنين ﷺ معنى الولاية، وأحقيته ﷺ بها، وهو معنى قلما يلتفت إليه المفسرون من أهل السنة والجماعة. ومن المفسرين الذين أشاروا إلى هذا المعنى الدقيق الثعلبي في تفسيره، ناقلاً حديثاً طويلاً عن أبي ذر الغفاري: (أبو الحسن محمد بن القاسم بن أحمد، أبو محمد عبد الله بن أحمد الشعرائي، أبو علي أحمد بن علي بن زرین، المظفر بن الحسن الأنصاري، السدي بن علي العزاق، يحيى بن عبد الحميد الحماي عن قيس بن الربيع عن الأعمش عن عبادة بن الربيع، قال: بينا عبد الله بن عباس جالس على شفير زمزم إذ أقبل رجل متعمم بالعمامة فجعل ابن عباس لا يقول، قال رسول الله: إلا قال الرجل: قال رسول الله؟ فقال ابن عباس: سألتك بالله من أنت؟ قال: فكشف العمامة عن وجهه، وقال: يا أيها الناس من عرفني فقد عرفني ومن لم يعرفني فأنا جندب بن جنادة البدري، أبو ذر الغفاري: سمعت رسول الله ﷺ بهاتين وإلا صمتا ورأيت بهاتين وإلا فعميتا يقول: «عليٌّ قائد البررة، وقاتل الكفرة، منصور من نصره، مخذول من خذله»، أما إنني صليت مع رسول الله يوماً من الأيام صلاة الظهر فدخل سائل في المسجد فلم يعطه أحد فرفع السائل يده إلى السماء وقال: اللهم اشهد إنني سألت في مسجد رسول الله فلم يعطني أحد شيئاً، وكان عليٌّ راکعاً فأوماً إليه بخنصره اليمنى وكان يتختم فيها، فأقبل السائل حتى أخذ الخاتم من خنصره وذلك بعين النبي ﷺ، فلما فرغ النبي ﷺ من الصلاة فرفع رأسه

(١) زاد المسير في علم التفسير، جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي (ت ٥٩٧هـ)، المحقق: عبد

الرزاق المهدي، دار الكتاب العربي - بيروت، ط ١ / ١٤٢٢ هـ: ١ / ٥٦١.

إلى السماء وقال: «اللهم إن أخي موسى سألك، فقال: ﴿قَالَ رَبِّ اشْرَحْ لِي صَدْرِي ﴿٢٥﴾ وَيَسِّرْ لِي أَمْرِي ﴿٢٦﴾ وَأَحْلِلْ عُقْدَةَ مِنِّ لِسَانِي ﴿٢٧﴾ يَفْقَهُوا قَوْلِي ﴿٢٨﴾ وَاجْعَلْ لِي وَزِيرًا مِّنْ أَهْلِي ﴿٢٩﴾ هَرُونَ أَخِي ﴿٣٠﴾ أَشَدُّ بِهِ أَرْزَى ﴿٣١﴾ الآية، فأنزلت عليه قرآنًا ناطقًا سَنَشُدُّ عَضُدَكَ بِأَخِيكَ وَنَجْعَلُ لَكُمَا سُلْطَانًا، اللهم وأنا محمد نبيك وصفيك، اللهم فاشْرَحْ لِي صَدْرِي وَيَسِّرْ لِي أَمْرِي... وَاجْعَلْ لِي وَزِيرًا مِّنْ أَهْلِي علياً أشدد به ظهري»، قال أبو ذر: فو الله ما استتم رسول الله الكلمة حتى أنزل عليه جبرئيل من عند الله، فقال: «يا محمد اقرأ»، فقال: وما أقرأ؟، قال: «اقرأ ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ﴾» (٢).

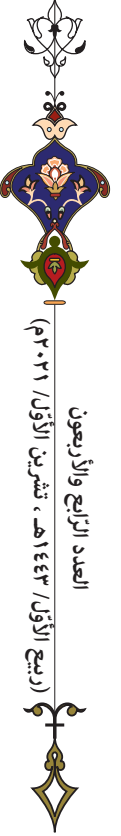
يتبين لنا من هذا النص أمور عدة، منها:

- جُرأة الطرح من كتب التفسير المنسوبة إلى علماء أهل السنة والجماعة؛ إذ أشار الثعلبي صراحةً إلى خصوصية الإمام عليه السلام في هذه الآية دون غيره.
- اختلاف نص الرواية عما نقله المفسرون الذين سبقوا الثعلبي، وهذا تطور في معالجة الموضوعات المتعلقة بأهل البيت عليه السلام.

- تضمّنت الرواية المنقولة عن أبي ذر دعاء النبي عليه السلام بحق الإمام عليه السلام إشارات صريحة بأحقية الإمام علي عليه السلام بولاية المسلمين بعد رسول الله عليه السلام، بل تطابق مضمون الدعاء مع خطبة الغدير، من أمثال عبارات: «اللهم إن أخي موسى سألك... وَاجْعَلْ لِي وَزِيرًا مِّنْ أَهْلِي علياً أشدد به ظهري»، بمقابل قول الرسول عليه السلام في خطبته: «إِنَّ عَلِيَّ بْنَ أَبِي طَالِبٍ أَخِي وَوَصِيِّي، وَخَلِيفَتِي وَالْإِمَامَ مِنْ بَعْدِي الَّذِي مَحَلُّهُ مِنِّي مَحَلُّ هَارُونَ مِنْ مُوسَى إِلَّا أَنَّهُ

(١) سورة طه، الآيات: ٢٥-٣١.

(٢) الكشف والبيان: ٨٠ - ٨١.



لا نبيَّ بعدي»^(١).

ومع تأكيد المفسرين نزول الآية بحق أمير المؤمنين عليه السلام نلاحظ أن السمعاني كان له رأيٌ مختلفٌ في تفسير الآية بما يخص الإمام علياً عليه السلام؛ إذ قال: (وقوله: ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ﴾ أراد به: الولاية في الدين، لا ولاية الإمارة والسلطنة، وهم فوق كل ولاية، قال أبو عبيدة: وكذلك معنى قوله: «من كنت مولاه فعلي مولاه» يعني: من كنت ولياً له، أعينه وأنصره، فعلي يُعينه وينصره في الدين)^(٢)، وهذا خلاف ما ذهب إليه المفسرون، وفيه تعسفٌ في تأويل النص؛ ذلك أن سياق الآية يتحدث عن الأولوية والأحقق بالأمر، وليس الناصر والمعين، ولنا شواهد قرآنية كثيرة في ذلك، ومنها قوله تعالى: ﴿الَّتِي أُولَىٰ بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أُنفُسِهِمْ﴾^(٣)، قال الزمخشري في تفسيرها: (النبيُّ أولى بالمؤمنين في كل شيء من أمور الدين والدنيا من أنفسهم ولهذا أطلق ولم يقيد، فيجب عليهم أن يكون أحب إليهم من أنفسهم، وحكمه أنفذ عليهم من حكمها، وحقه أثر لديهم من حقوقها، وشفقتهم عليه أقدم من شفقتهم عليها، وأن يبدلوا دونه ويجعلوها فداءه إذا أعضل خطب، ووقاهه إذا لقت حرب، وأن لا يتبعوا ما تدعوهم إليه نفوسهم ولا ما تصرفهم عنه، ويتبعوا كل ما دعاهم إليه رسول الله صلى الله عليه وسلم وصرّهم عنه؛ لأن كل ما دعا إليه فهو إرشاد لهم إلى نيل النجاة والظفر بسعادة الدارين)^(٤)، فالأمر لا يقتصر على أمور الدين، بل يتعداه في كل شيء، يُزاد على ذلك أن المفسرين

(١) روضة الواعظين، محمد بن الفثال النيسابوري الشهيد (ت ٥٠٨هـ)، وضع المقدمة: السيد محمد مهدي السيد حسن

الخرسان، منشورات الرضي، قم - إيران، ١٠٨.

(٢) تفسير السمعاني، أبو المظفر، منصور بن محمد بن عبد الجبار ابن أحمد المروزي السمعاني التميمي الحنفي ثم

الشافعي (ت ٤٨٩هـ)، المحقق: ياسر بن إبراهيم وغنيم بن عباس بن غنيم، دار الوطن، الرياض - السعودية،

ط ١ / ١٤١٨ هـ - ١٩٩٧ م: ٤٨ / ٢.

(٣) سورة الأحزاب، الآية: ٦.

(٤) الكشاف: ٥٢٣ / ٣.

دلالة لفظ (المولى) على ولاية أمير المؤمنين عليه السلام **الْبَصِيحَاتُ** .

واللغويين يتفقون على أن لفظة (المولى) وما يتعلّق بها من المشترك اللفظي، التي تحتلّ ما تحتلّ من المعاني، فلا يمكن بأيّ حالٍ من الأحوال حصر الدلالة بأمر الدين.

أمّا استعانتُهُ بتفسير أبي عبيدة لقول الرسول ﷺ: «من كنت مولاه فعليّ مولاه»، بأنّ المولى بمعنى الولي والمعين والناصر في الدين، فهو لا يستقيم من وجوه: أوّلها أنّه غير موجود في كتب أبي عبيدة، وثانيها: ثبوت دلالة المولى بمعنى الأولى والأحق في الحديث المذكور آنفاً، كما نقل ابن عساكر في معرض حديثه عن فضائل أمير المؤمنين ﷺ: (الرابعة يوم غدِير خم، قام رسول الله ﷺ فأبلغ، ثمّ قال: «يا أيّها الناس ألسْتُ أولى بالمؤمنين من أنفسهم؟» ثلاث مرات، قالوا: بلى، قال: «ادنُ يا عليّ»، فرفع يده، ورفع رسول الله ﷺ يده، حتى نظرت إلى بياض إبطيه، فقال: «من كنت مولاه فعليّ مولاه» حتى قالها ثلاث مرات^(١).

ومن المفسّرين الذين تعرّضوا لآية الولاية الفخر الرّازي، فهو ابتداءً حاول إبعاد نسبتها إلى أمير المؤمنين ﷺ، عندما نسبها إلى أبي بكر^(٢)، ثمّ حصر دلالة المولى بالناصر والمعين^(٣)، وهذا خلاف ما أثبتناه آنفاً، غير أنّه ومن باب الأمانة العلميّة قد ذكر ما ذكره الثعلبي، وهي رواية أبي ذر^(٤)، من دون أن يُعلّق عليها.

ومن وقف وقفة طويلة في تفسير هذه الآية، وأكّد نسبتها إلى أمير المؤمنين ﷺ السيوطي، في قوله: (وأخرج عبد الرّزاق وعبد بن حميد وابن جرير وأبو الشّيخ وابن مردويه عن ابن عبّاس في قوله: ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ﴾ الآية، قال: نزلت في عليّ

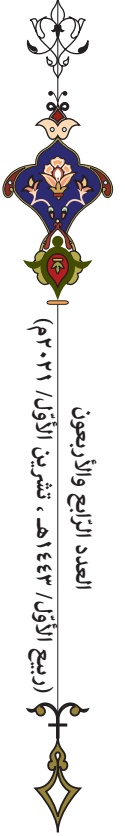
(١) تاريخ دمشق، أبو القاسم علي بن الحسن بن هبة الله المعروف بابن عساكر (ت ٥٧١هـ)، المحقق: عمرو بن غرامة

العمروي، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع / ١٤١٥ هـ - ١٩٩٥ م، (د. ط): ٤٢ / ١١٧.

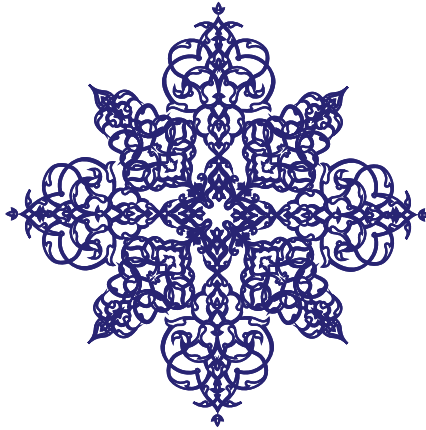
(٢) مفاتيح الغيب: ١٢ / ٣٧٨.

(٣) المصدر نفسه: ١٢ / ٣٨٣.

(٤) مفاتيح الغيب: ١٢ / ٣٨٣.



بن أبي طالب. وأخرج الطبراني في الأوسط وابن مردويه عن عمار بن ياسر قال: وقف بعلي سائل وهو راعٍ في صلاة تطوع فنزع خاتمه فأعطاه السائل فأتى رسول الله ﷺ فأعلمه ذلك فنزلت على النبي ﷺ هذه الآية ﴿ إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ ﴾ ، فقرأ رسول الله ﷺ على أصحابه، ثم قال: «من كنت مولاه فعلي مولاه، اللهم وال من والاه وعاد من عاداه»^(١)، ويكاد يكون السيوطي من أكثر المفسرين إنصافاً في نقل الروايات المتعلقة بآية الولاية، فلاحظنا في ما تقدم أن المفسرين من أهل السنة والجماعة، وعلى الرغم من نقلهم الروايات المؤكدة لحق أمير المؤمنين عليه السلام في هذه الآية، إلا أنهم نسبوها إلى غيره أيضاً، فضلاً عن تأويلها تأويلاً آخر، لا يتوافق مع دلالتها المنصفة بحق أمير المؤمنين عليه السلام.



(١) الدر المنثور، عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي (المتوفى: ٩١١هـ)، دار الفكر - بيروت (د. ط)، (د. ت).

المبحث الثالث

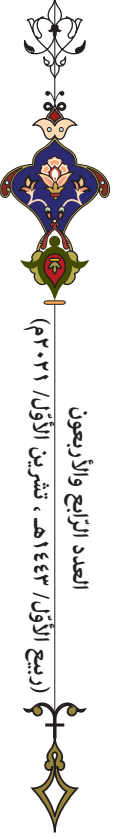
آيات أخرى تعرّض فيها المفسّرون إلى معنى (المولى)

سنتناول في هذا المبحث الآيات القرآنيّة التي لم يرد فيها لفظ (المولى) ومشتقاته، غير أنّها ارتبطت بولاية أمير المؤمنين عليه السلام؛ لذا اضطر المفسّرون إلى التعرّض إلى معنى (الولاية)، أو الآيات التي تضمّنت معناها، أو حتى الأحاديث المرتبطة بها، ولا سيّما حديث: «من كنت مولاه، فعليّ مولاه»، الذي أصبح علامةً على هذا الموضوع؛ لصحّته، ولا ارتباطه المباشر بحادثة الغدير، وقد اقتصرنا على ثلاث آيات لمعالجة الموضوع في تفاسير أهل السنّة والجماعة على النحو الآتي:

أولاً: قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَأِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾

تحدّث القرطبي عن موضوع الإمامة في قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَأِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾ ^(١)، وهل تكون بالنصّ أو بالاختيار؟ ولا يهمننا ذكر الآراء المختلفة في هذا الموضوع، بقدر اهتمامنا بولاية أمير المؤمنين عليه السلام، التي قال في معرض ردّه على مذهب الإماميّة، قائلاً: (في ردّ الأحاديث التي احتجّ بها الإماميّة في النصّ على عليّ رضي الله عنه، وأنّ الأمّة كفرت بهذا النصّ وارتدت، وخالفّت أمر الرّسول عناداً، منها قوله صلى الله عليه وآله: «من كنت مولاه فعليّ مولاه، اللهم وال من والاه وعاد من عاداه»، قالوا: والمولى في اللّغة بمعنى أولى، فلمّا قال: «فعلّيّ مولاه» بفاء التعقيب علم أنّ

(١) سورة البقرة، الآية: ٣٠.



المُرَادِ بِقَوْلِهِ «مَوْلَى» أَنَّهُ أَحَقُّ وَأَوْلَى، فَوَجِبَ أَنْ يَكُونَ أَرَادَ بِذَلِكَ الْإِمَامَةَ وَأَنَّهُ مُفْتَرَضُ الطَّاعَةِ، وَقَوْلُهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ لِعَلِيٍّ: «أَنْتَ مِنِّي بِمَنْزِلَةِ هَارُونَ مِنْ مُوسَى إِلَّا أَنَّهُ لَا نَبِيَّ بَعْدِي»، قَالُوا: وَمَنْزِلَةُ هَارُونَ مَعْرُوفَةٌ، وَهُوَ أَنَّهُ كَانَ مُشَارِكًا لَهُ فِي النَّبُوءَةِ وَلَمْ يَكُنْ ذَلِكَ لِعَلِيٍّ، وَكَانَ أَخَاهُ وَلَمْ يَكُنْ ذَلِكَ لِعَلِيٍّ، وَكَانَ خَلِيفَةً، فَعَلِمَ أَنَّ الْمُرَادَ بِهِ الْخِلَافَةَ^(١).

ثمَّ استعرض أدلته في رفض الروايات التي تُثبت ولاية أمير المؤمنين عليه السلام^(٢)، وهي مرفوضة جملةً وتفصيلاً؛ لما تضمَّنته من تغيير للحقائق التاريخية الثابتة، والتي أقرها بعض علماء السُّنَّة قبل علماء الشيعة، وقد أعرضنا عن ردِّها في هذا الموضوع؛ لأنَّ أدلَّة إثبات النصوص الدالَّة على إمامته عليه السلام قد مرَّ ذكرها في أكثر صفحات البحث في ما تقدَّم.

ثانياً: قوله تعالى: ﴿سَأَلْ سَائِلٌ بِعَذَابٍ وَاقِعٍ﴾

ذكر بعضُ المفسِّرين من علماء أهل السُّنَّة والجماعة حديثَ الغدير عند تفسير قوله تعالى: ﴿سَأَلْ سَائِلٌ بِعَذَابٍ وَاقِعٍ﴾^(٣)، وأوَّل مَنْ ذَكَرَ ذَلِكَ الثَّعْلَبِيُّ، قَائِلاً: (وسئل سفيان بن عيينة عن قول الله سبحانه: ﴿سَأَلْ سَائِلٌ بِعَذَابٍ وَاقِعٍ﴾ فيمن نزلت؟ فقال: لقد سألتني عن مسألة ما سألني أحد قبلك، حدَّثني أبي عن جعفر بن محمد عن آبائه، فقال: «لما كان رسول الله صلى الله عليه وآله بغدير خم، نادى بالناس فاجتمعوا، فأخذ بيد عليٍّ (رضي الله عنه) فقال: من كنت مولاه فعليٌّ مولاه»، فشاع ذلك وطار في البلاد، فبلغ ذلك الحرث بن النعمان الفهري، فأتى رسول الله صلى الله عليه وآله على ناقه له حتى أتى الأبطح، فنزل عن ناقته وأناخها وعقلها، ثم أتى النبيَّ صلى الله عليه وآله وهو في ملاء من أصحابه فقال: يا محمد أمرتنا

(١) الجامع لأحكام القرآن (تفسير القرطبي)، أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي

شمس الدين القرطبي (ت ٦٧١هـ)، تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، دار الكتب المصرية - القاهرة، ط ٢/

١٣٨٤هـ - ١٩٦٤م / ١ / ٢٦٦.

(٢) ينظر المصدر نفسه: ١ / ٢٦٧ - ٢٦٨.

(٣) سورة المعارج، الآية: ١.

عن الله أن نشهد أن لا إله إلا الله وأنك رسول الله فقبلناه منك، وأمرتنا أن نصليّ خيساً فقبلناه منك، وأمرتنا بالزكاة فقبلنا، وأمرتنا بالحجّ فقبلنا، وأمرتنا أن نصوم شهراً فقبلنا، ثمّ لم ترض بهذا حتّى رفعت بضبعي ابن عمّك فضصلته علينا وقلت: من كنت مولاه فعليّ مولاه، فهذا شيء منك أم من الله تعالى؟ فقال: «والذي لا إله إلا هو هذا من الله»، فولى الحرث بن النعمان يريد راحلته وهو يقول:

اللهم إن كان ما يقوله حقاً فأمطر علينا حجارة من السماء، أو اثبتنا بعذاب أليم، فما وصل إليها حتّى رماه الله بحجر فسقط على هامته وخرج من دبره فقتله، وأنزل الله سبحانه: ﴿سَأَلَ سَائِلٌ بِعَذَابٍ وَاقِعٍ ۝ لِّلْكَافِرِينَ لَيْسَ لَهُ دَافِعٌ ۝﴾^(١)، فهذه الرواية من أهم الروايات التي ذكرت حادثة الغدير، وقد أخذها أكثر العلماء والمفسرين من تفسير الثعلبيّ. وردت هذه الرواية من طرق علماء الشيعة بكثرة، وممن ذكرها من مفسري الشيعة فرات الكوفي^(٢)، والطبرسي^(٣)، وابن البطريق^(٤)، وغيرهم، وتكاد تنعدم في تفاسير علماء أهل السنّة والجماعة، وأنّ ورودها في تفسير الثعلبي، هو تطوّر مهمّ في تناول هذه الموضوعات المفصليّة في تاريخ الإسلام والمسلمين.

وتابع أبو السعود الثعلبي في نقل الرواية التفسيرية بحق أمير المؤمنين عليه السلام اختصاراً بقوله: (وقيل هو الحرث بن النعمان الفهريّ، وذلك أنّه لما بلغه قول رسول الله ﷺ في عليّ عليه السلام:

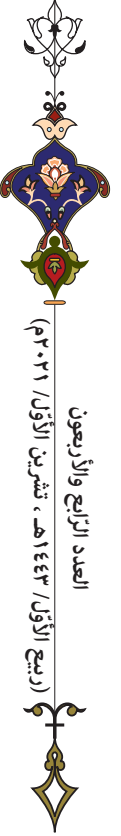
(١) الكشف والبيان: ١٠ / ٣٥. وينظر السراج المنير في الإعانة على معرفة بعض معاني كلام ربنا الحكيم الخبير، شمس الدين، محمد بن أحمد الخطيب الشربيني الشافعي (ت ٩٧٧هـ)، مطبعة بولاق (الأميرية) - القاهرة / ١٢٨٥هـ (د. ط): ٤ / ٣٨٠.

(٢) تفسير فرات الكوفي: ٥٠٣ - ٥٠٤.

(٣) مجمع البيان في تفسير القرآن، أبو عليّ، الفضل بن الحسن الطبرسي، حققه وعلّق عليه: لجنة من العلماء والمحققين، قدّم له: السيد محسن الأمين العاملي، مؤسسة الأعلمي - بيروت، لبنان، ط ١ / ١٩٩٥ م: ١٠ / ١١٩.

(٤) خصائص الوحي المبين، للحافظ ابن البطريق، شمس الدين يحيى بن الحسن الأسدي الحلبيّ (ت ٦٠٠هـ)، تحقيق:

الشيخ مالك المحمودي، دار القرآن الكريم - قم، ط ١ / ١٤١٧هـ: ٨٨.



«من كنت مولاه فعلي مولاه»، قال: اللهم إن كان ما يقول محمد حقاً فأمطر علينا حجارة من السماء، فما لبث حتى رمأه الله تعالى بحجرٍ فوقَ على دماغه وخرج من أسفله فهلك من ساعته، وقيل هو الرسول ﷺ استعجلَ عذابهم^(١).

فهذه الرواية من الروايات التفسيرية المهمة بحق ولاية أمير المؤمنين (عليه السلام)؛ ذلك أنها أصبحت تُذكر مع حديث الغدير، ويُستدلُّ بها على صحة الواقعة، وهذا ما فعله ابن الجوزي، قائلاً: (اتفق علماء السير على أن قصة الغدير كانت بعد رجوع النبي ﷺ من حجة الوداع في الثامن عشر من ذي الحجة، جمع الصحابة وكانوا مائة وعشرين ألفاً، وقال: «من كنت مولاه فعلي مولاه» الحديث، نصَّ ﷺ على ذلك بصريح العبارة دون التلويح والإشارة.

وذكر أبو إسحاق الثعلبي في تفسيره بإسناده أن النبي ﷺ لما قال ذلك طار في الأفطار وشاع في البلاد والأمصار، فبلغ ذلك الحرث بن النعمان الفهري، فأتاه على ناقة له فأناخها على باب المسجد ثم عقلها وجاء فدخل في المسجد فجثا بين يدي رسول الله ﷺ، فقال: يا محمد إنك أمرتنا أن نشهد أن لا إله إلا الله وأنك رسول الله فقبلنا منك ذلك...^(٢).

ثالثاً: قوله تعالى: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتَمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمْ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾^(٣).

نقل ابن كثير رواية تؤكد أن هذه الآية نزلت على رسول الله ﷺ في حجة الوداع،

(١) إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، (تفسير أبي السعود)، أبو السعود العادي محمد بن محمد بن مصطفى

(ت ٩٨٢هـ)، دار إحياء التراث العربي - بيروت، (د. ت)، (د. ط): ٢٩ / ٩.

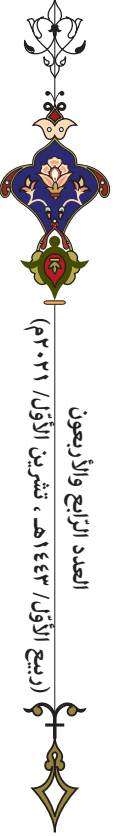
(٢) تذكرة الخواص، للعلامة سبط ابن الجوزي (ت ٦٥٤هـ)، منشورات الشريف الرضي، مطبعة أمير - قم/

١٤١٨هـ: ٣٧.

(٣) سورة المائدة، الآية: ٣.

قائلاً: (قُلْتُ: وَقَدْ رَوَى ابْنُ مَرْذُويَه مِنْ طَرِيقِ أَبِي هَارُونَ الْعَيْدِي، عَنْ أَبِي سَعِيدِ الْخُدْرِيِّ؛ أَنَّهَا أُنزِلَتْ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ يَوْمَ غَدِيرِ خُمٍ حِينَ قَالَ لَعَلِّي: «مَنْ كُنْتُ مَوْلَاهُ فَعَلِيٌّ مَوْلَاهُ»، ثُمَّ رَوَاهُ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ وَفِيهِ: أَنَّهُ الْيَوْمُ الثَّامِنَ عَشَرَ مِنْ ذِي الْحِجَّةِ، يَعْنِي مَرْجِعَهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ مِنْ حِجَّةِ الْوَدَاعِ)^(١).

ونقل النيسابوري الرواية نفسها بتعديلٍ طفيف، قائلاً: (عن أبي سعيد الخدري أن هذه الآية نزلت في فضل عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه وكرم الله وجهه يوم غدير خم، فأخذ رسول الله ﷺ بيده وقال: «من كنت مولاه فهذا عليّ مولاه، اللهم وال من والاه وعاد من عاداه»، فلقبه عمر وقال: هنيئاً لك يا بن أبي طالب أصبحت مولاي ومولى كل مؤمن ومؤمنة، وهو قول ابن عباس والبراء بن عازب ومحمد بن علي)^(٢)، فزاد النيسابوري تهنئة عمّراً لأمير المؤمنين ﷺ، متضمناً لفظ (المولى) بقوله: (أصبحت مولاي ومولى كل مؤمن ومؤمنة)، فلا يخلو لفظ (المولى) سوى النصّ على إمامته ﷺ في ذلك الموقف، كما استدلل الشريفة المرتضى بمقولة عمّراً على ذلك، بقوله: (دليل لهم آخر من طريق السنّة، قالوا قد ثبت عنه ﷺ يوم غدير خم ما يدلّ على أنه نصّ على أمير المؤمنين ﷺ بالإمامة؛ لأنّه مع الجمع العظيم في ذلك المقام قام فيهم خطيباً فقال: «ألست أولى بكم منكم بأنفسكم؟» فقالوا: اللهم نعم، فقال بعده إشارة إليه: «فمن كنت مولاه فهذا عليّ مولاه، اللهم وال من والاه وعاد من عاداه وانصر من نصره واخذل من خذله»، حتى قال عمر بن الخطاب له: بخٍ بخٍ، أصبحت مولاي ومولى كل مؤمن ومؤمنة، ولا يجوز أن يريد بقوله: «من



(١) تفسير القرآن العظيم، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي (ت ٧٧٤هـ)، المحقق:

سامي بن محمد سلامة، دار طيبة للنشر والتوزيع، ط ٢ / ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م: ٢٨ / ٣.

(٢) غرائب القرآن و رغائب الفرقان، (تفسير النيسابوري)، نظام الدين الحسن بن محمد بن حسين القمي النيسابوري

(ت ٨٥٠هـ)، المحقق: الشيخ زكريا عميرات، دار الكتب العلمية - بيروت، ط ١ / ١٤١٦ هـ: ٦٦٦ / ٢.

كنت مولاه» إلا ما تقتضيه مقدمة الكلام، وإلا لم يكن لتقديمها فائدة^(١)، وقال في موضع آخر: (إنَّ عمر لم يصرح بشيء يدلُّ على ما يخالف مذهبنا ويوافق مذهبه، وإنَّها شهد لأمر المؤمنين ﷺ بمثل ما تضمنه لفظ الرسول ﷺ)^(٢).

وتعدُّ حادثة الغدير من الأسباب الرئيسة لنزول آية: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ﴾؛ قال السيوطي - بعد أن ذكر طرفاً من الحادثة - : (وأخرج ابن مردويه وابن عساکر بسند ضعيف عن أبي سعيد الخدري قال: لما نصب رسول الله ﷺ علياً يوم غدير خم فنأدى له بالولاية، هبط جبريل عليه هذه الآية ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ﴾، وأخرج ابن مردويه والخطيب وابن عساکر بسند ضعيف عن أبي هريرة قال: لما كان يوم غدير خم وهو يوم ثماني عشر من ذي الحجة قال النبي ﷺ: «من كنت مولاه فعلي مولاه»، فأنزل الله ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ﴾^(٣)، فكلُّ هذه الروايات المنقولة من مفسري أهل السنة والجماعة تدلُّ على أنَّ حادثة الغدير لم تكن غفلاً عن مدونتهم التفسيرية، وإنَّ حاول بعضهم التشكيك والتضعيف، ولكننا بجمع الآيات التي ترتبط بالحادثة يمكننا الجزم بأنَّها كانت حاضرة بشواهدها وأحداثها ورجالها، والآية السابقة هي آخر آية ارتبطت بالحادثة، فضلاً عن كونها آخر آية قالها الرسول ﷺ في حجته الأخيرة.

(١) الشافي في الإمامة، الشريف المرتضى (قدس سره)، حققه وعلّق عليه: السيد عبد الزهراء الحسيني الخطيب، راجعه:

السيد فاضل الميلاني، مؤسسة الصادق - طهران، ط ٢ / ١٩٨٦ م / ٢ / ٢٥٨.

(٢) المصدر نفسه: ٢ / ٢٩٠.

(٣) الدر المنثور: ٣ / ١٩.

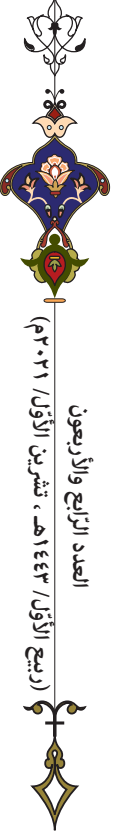
فائمة البحث

بعد رحلة علمية في رحاب حادثة الغدير، وإعلان البيعة لأمر المؤمنين ﷺ توصل البحث إلى جملة من النقاط المضيئة في معالجة الموضوع، والتي يمكن تلخيصها على النحو الآتي:

- إن المعاني التي تتولد من الجذر (ولي) - وتحمل معنى الولاية، أو التولي للأمر - كثيرة، فقد تأتي من ألفاظ: (المولى، الأولى، وأولي الأمر، والولي).
- عجيب أمر المفسرين؛ فهم قد أجمعوا على أن (مولاكم) هنا بمعنى الأولى بكم، وأنكروا ذلك في معاني (المولى) جميعها الواردة في القرآن الكريم؛ لأنها تؤكد أولوية أمير المؤمنين ﷺ في الخلافة؟!

- إن تأويل الفخر الرازي لقوله تعالى: ﴿مَا وَلَكُمْ آلُ النَّارِ هِيَ مَوْلَاكُمْ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ﴾ بتأويلات مختلفة على الرغم من إجماع المفسرين على أن (مولاكم) في الآية بمعنى (أولى بكم)، قد جاء لمعارضة رأي الشريف المرتضى؛ لكونه قد استدلل بهذا المعنى على ولاية أمير المؤمنين ﷺ، فهو بذلك يعترف بعوائده لآل البيت ﷺ، ولا سيما الآيات المرتبطة بالولاية؛ لأنها من صميم معتقد الشيعة الإمامية.

- إن تفسير الشافعي (المولى) ب(ولاء الإسلام) هي محاولة لإبعاد المعنى القيادي الذي يكتنزه حديث الرسول ﷺ: «مَنْ كُنْتَ مَوْلَاهُ، فَعَلِيٌّ مَوْلَاهُ»، كما وأن شرحه حديث عمر: (أصبحت مولى كل مؤمن) بمعنى (ولي كل مسلم)، - يدل من حيث الظاهر



على ولاية أمير المؤمنين عليه السلام، ولا سيّما أنّ الحديث جاء بعد بيعة الغدير بلحظات، ولكنه من حيث الباطن يدلُّ على معنى الولاية في الإسلام فقط، وليس قيادة الأمة كما أراد الرسول صلى الله عليه وآله، وعُمر نفسه.

- إنَّ إشارة القيسيِّ إلى حديث الرسول صلى الله عليه وآله بشأن ولاية أمير المؤمنين عليه السلام ونصرته في هذه الآية مع إجماع المفسِّرين على أنّ معنى قوله تعالى: ﴿يَوْمَ لَا يُغْنِي مَوْلَىٰ عَنْ مَوْلَىٰ شَيْئًا﴾: يوم لا يدفع ابن عمّ عن ابن عمّ، ولا صاحب عن صاحبه شيئاً، فيها دلالة واضحة على أنّ الرّجل يعتقد بأنّ الولي بحسب الفهم القرآني هو أمير المؤمنين عليه السلام.

- لا يمكننا أن نبعد أئمة أهل البيت عليهم السلام عن دائرة (أولي الأمر)؛ لأنّهم معصومون، وإذا كان الفخر الرازي يقول: (إنّا في زماننا هذا عاجزون عن معرفة الإمام المعصوم)، فكيف يعتقد أنّها نزلت بحقّ أبي بكر وعمر؟! في المقابل لا نجده معترضاً إزاء ما اعتقده الآخرون من أنّها نزلت بحقّ الأول والثاني! كلُّ ذلك لا يدع مجالاً للشك في أنّ الفخر الرازي نصب العداء لأهل البيت عليهم السلام ولمن والاهم.

- آية الولاية هي من أكثر الآيات دلالة على ولاية أمير المؤمنين، تأكيداً لما جاء في خطبة الغدير، فكان لمفسّري أهل السُّنة والجماعة وقفة كبيرة عندها، بين التأييد لموضوع الولاية، أو النفي والتشكيك.

- إنّ اختلاف نصّ الرواية في حديث الغدير في تفسير الثعلبي عند تفسير آية الولاية عمّا نقله المفسِّرون الذين سبقوه، يُعدُّ تطوّراً في معالجة الموضوعات المتعلقة بأهل البيت عليهم السلام.

- تضمّنت الرواية المنقولة عن أبي ذر دعاء النبي صلى الله عليه وآله بحقّ الإمام عليه السلام إشارات صريحة بأحقّية الإمام عليّ عليه السلام بولاية المسلمين بعد رسول الله صلى الله عليه وآله، بل تطابق مضمون الدعاء مع خطبة الغدير.

- إنَّ استعانة السمعاني بتفسير أبي عبيدة لقول الرسول ﷺ: «من كنت مولاه فعليُّ مولاه» بأنَّ المولى بمعنى الولي والمعين والناصر في الدين، لا يستقيم؛ لأنَّه غير موجود في كتب أبي عبيدة، ولثبوت دلالة المولى بمعنى الأولى والأحقَّ في الحديث المذكور آنفًا.

- يكادُ يكون السيوطي من أكثر المفسِّرين إنصافًا في نقل الروايات المتعلِّقة بآية الولاية، فلاحظنا أنَّ المفسِّرين من أهل السُنَّة والجماعة، وعلى الرغم من نقلهم الروايات المؤكِّدة لحقِّ أمير المؤمنين ﷺ في هذه الآية، إلَّا أنَّهم نسبوها إلى غيره أيضًا، فضلًا عن تأويلها تأويلًا آخر، لا يتوافق مع دلالتها المنصفة بحقِّ أمير المؤمنين ﷺ.

- هناك آيات لم يرد فيها لفظ (المولى) ومشتقاته، غير أنَّها ارتبطت بولاية أمير المؤمنين ﷺ، ممَّا اضطرَّ المفسِّرون إلى التعرُّض إلى معنى (الولاية)، أو الآيات التي تضمَّنت معناها، أو حتى الأحاديث المرتبطة بها، ولا سيَّما حديث: «من كنت مولاه، فعليُّ مولاه»، الذي أصبح علامةً على هذا الموضوع؛ لصحَّته، ولارتباطه المباشر بحادثة الغدير.

- نقل الثعلبيُّ روايةً تُعدُّ من الروايات التفسيرية المهمة بحقِّ ولاية أمير المؤمنين ﷺ؛ ذلك أنَّها أصبحت تُذكر مع حديث الغدير، ويُستدلُّ بها على صحَّة الواقعة.

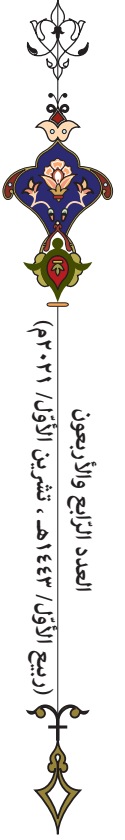
- إنَّ كثرة الروايات المنقولة من مفسِّري أهل السُنَّة والجماعة والمرتبطة بحادثة الغدير، تدلُّ على أنَّها لم تكن غفلاً في مدونتهم التفسيرية، وإنَّ حاول بعضهم التشكيك والتضعيف، ولكنَّنا بجمع الآيات التي ترتبط بالحادثة يُمكننا الجزم بأنَّها كانت حاضرة بشواهدها وأحداثها ورجالها.



المصادر والمراجع

١. القرآن الكريم.
٢. إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، (تفسير أبي السعود)، أبو السعود العمادي محمد بن محمد بن مصطفى (ت ٩٨٢هـ)، دار إحياء التراث العربي - بيروت، (د. ت)، (د. ط).
٣. بحر العلوم، (تفسير السمرقندي)، أبو الليث نصر بن محمد بن أحمد بن إبراهيم السمرقندي (ت ٣٧٣هـ)، دار الكتب العلميّة / ١٩٩٣ م، (د. ط).
٤. البحر المحيط في التفسير، أبو حيان محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيان أثير الدين الأندلسي (ت ٧٤٥هـ)، المحقق: صدقي محمد جميل، دار الفكر - بيروت / ١٤٢٠هـ.
٥. تاريخ دمشق، أبو القاسم عليّ بن الحسن بن هبة الله المعروف بابن عساكر (ت ٥٧١هـ)، المحقق: عمرو بن غرامة العمروي، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع / ١٤١٥ هـ - ١٩٩٥ م، (د. ط).
٦. تذكرة الخواص، للعلامة سبط ابن الجوزي (ت ٦٥٤هـ)، منشورات الشريف الرضي، مطبعة أمير - قم / ١٤١٨هـ.
٧. تفسير الإمام الشافعي، الشافعي أبو عبد الله محمد بن إدريس بن العباس بن عثمان بن شافع بن عبد المطلب بن عبد مناف المطلب القرشي المكي (ت ٢٠٤هـ)، جمع وتحقيق ودراسة: د. أحمد بن مصطفى الفرّان (رسالة دكتوراه)، دار التدمرية - المملكة العربية السعودية، ط ١ / ١٤٢٧هـ - ٢٠٠٦ م.
٨. تفسير السمعاني، أبو المظفر، منصور بن محمد بن عبد الجبار بن أحمد المروزي السمعاني التميمي الحنفي ثمّ الشافعي (ت ٤٨٩هـ)، المحقق: ياسر بن إبراهيم وغنيم بن عباس بن

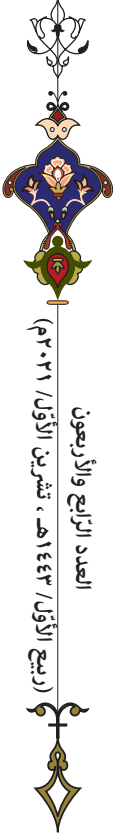
- غنيم، دار الوطن، الرياض - السعودية، ط ١ / ١٤١٨ هـ - ١٩٩٧ م.
٩. تفسير العياشي، أبو النظر محمد بن مسعود بن عياش السلمي السمرقندي، المعروف بالعياشي، تحقيق: السيد هاشم الرسولي المحلاتي، المكتبة العلمية الإسلامية - طهران، (د. ط) (د. ت).
١٠. تفسير فرات الكوفي، فرات بن إبراهيم الكوفي، مؤسسة الطبع والنشر التابعة لوزارة الثقافة والإرشاد الإسلامي - طهران، ط ١ / ١٩٩٠ م.
١١. تفسير القرآن العظيم لابن أبي حاتم، أبو محمد عبد الرحمن بن محمد بن إدريس بن المنذر التميمي، الحنظلي، الرازي ابن أبي حاتم (ت ٣٢٧ هـ)، المحقق: أسعد محمد الطيب، مكتبة نزار مصطفى الباز - المملكة العربية السعودية، ط ٣ / ١٤١٩ هـ.
١٢. تفسير القرآن العظيم، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثمَّ الدمشقي (ت ٧٧٤ هـ)، المحقق: سامي بن محمد سلامة، دار طيبة للنشر والتوزيع، ط ٢ / ١٤٢٠ هـ - ١٩٩٩ م.
١٣. تفسير مقاتل بن سليمان، أبو الحسن مقاتل بن سليمان بن بشير الأزدي البلخي (ت ١٥٠ هـ)، المحقق: عبد الله محمود شحاته، دار إحياء التراث - بيروت، ط ١ / ١٤٢٣ هـ.
١٤. التلفية في اللغة، أبو بشر، اليمان بن أبي اليمان البندنجي، (ت ٢٨٤ هـ)، المحقق: د. خليل إبراهيم العطية، الجمهورية العراقية - وزارة الأوقاف - إحياء التراث الإسلامي - مطبعة العاني - بغداد / ١٩٧٦ م.
١٥. جامع البيان في تأويل القرآن، محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الأملي، أبو جعفر الطبري (ت ٣١٠ هـ)، المحقق: أحمد محمد شاكر، مؤسسة الرسالة، ط ١ / ١٤٢٠ هـ - ٢٠٠٠ م.
١٦. الجامع لأحكام القرآن (تفسير القرطبي)، أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين القرطبي (ت ٦٧١ هـ)، تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، دار الكتب المصرية - القاهرة، ط ٢ / ١٣٨٤ هـ - ١٩٦٤ م.
١٧. خصائص الوحي المبين، للحافظ ابن البطريق، شمس الدين يحيى بن الحسن الأسدي



- الخلي (ت ٦٠٠هـ)، تحقيق: الشيخ مالك المحمودي، دار القرآن الكريم - قم، ط ١ / ١٤١٧هـ.
١٨. الدر المنثور، عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي (المتوفى: ٩١١هـ)، دار الفكر - بيروت (د. ط)، (د. ت).
١٩. روضة الواعظين، محمد بن الفتال النيسابوري الشهيد (ت ٥٠٨هـ)، وضع المقدمة: السيد محمد مهدي السيد حسن الخرسان، منشورات الرضي، قم - إيران (د. ط)، (د. ت).
٢٠. زاد المسير في علم التفسير، جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي (ت ٥٩٧هـ)، المحقق: عبد الرزاق المهدي، دار الكتاب العربي - بيروت، ط ١ / ١٤٢٢هـ.
٢١. السراج المنير في الإعانة على معرفة بعض معاني كلام ربنا الحكيم الخبير، شمس الدين، محمد بن أحمد الخطيب الشربيني الشافعي (ت ٩٧٧هـ)، مطبعة بولاق (الأميرية) - القاهرة / ١٢٨٥هـ (د. ط).
٢٢. الشافي في الإمامة، الشريف المرتضى (قدس سره)، حققه وعلّق عليه: السيد عبد الزهراء الحسيني الخطيب، راجعه: السيد فاضل الميلاني، مؤسسة الصادق - طهران، ط ٢ / ١٩٨٦م.
٢٣. الصواعق المحرقة على أهل الرفض والضلال والزندقة، أحمد بن محمد بن علي بن حجر الهيثمي السعدي الأنصاري، شهاب الدين شيخ الإسلام، أبو العباس (ت ٩٧٤هـ)، المحقق: عبد الرحمن بن عبد الله التركي - وكامل محمد الخراط، مؤسسة الرسالة - لبنان، الطبعة: الأولى، ١٤١٧هـ - ١٩٩٧م.
٢٤. العين، أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد بن عمرو بن تميم الفراهيدي البصري (ت ١٧٠هـ)، المحقق: د. مهدي المخزومي، د. إبراهيم السامرائي، دار ومكتبة الهلال، (د. ط) (د. ت).
٢٥. غرائب القرآن و رغائب الفرقان، (تفسير النيسابوري)، نظام الدين الحسن بن محمد بن حسين القميّ النيسابوري (ت ٨٥٠هـ)، المحقق: الشيخ زكريا عميرات، دار الكتب العلمية - بيروت، ط ١ / ١٤١٦هـ.
٢٦. الكشف عن حقائق غوامض التنزيل، أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، الزمخشري جار الله (ت ٥٣٨هـ)، دار الكتاب العربي - بيروت، ط ٣ / ١٤٠٧هـ.

دلالة لفظ (المولى) على ولاية أمير المؤمنين عليه السلام **الْبَصِيحَاتُ**

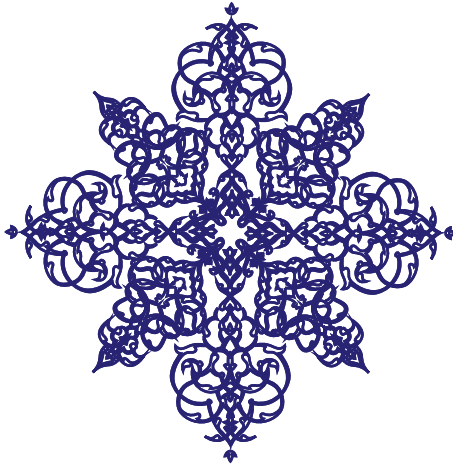
٢٧. الكشف والبيان عن تفسير القرآن، أحمد بن محمد بن إبراهيم الثعلبي، أبو إسحاق (ت ٤٢٧هـ)، تحقيق: الإمام أبي محمد بن عاشور، مراجعة وتدقيق: الأستاذ نظير الساعدي، دار إحياء التراث العربي، بيروت - لبنان، ط ١ / ١٤٢٢هـ - ٢٠٠٢م.
٢٨. لطائف الإشارات (تفسير القشيري)، عبد الكريم بن هوازن بن عبد الملك القشيري (ت ٤٦٥هـ)، المحقق: إبراهيم البسيوني، الهيئة المصرية العامة للكتاب - مصر، ط ٣، (د. ت).
٢٩. المحيط في اللغة، إسماعيل بن عباد بن العباس، أبو القاسم الطالقاني، المشهور بالصاحب بن عباد (ت ٣٨٥هـ)، المحقق: محمد حسن آل ياسين، عالم الكتب - بيروت، ط ١ / ١٩٩٤م.
٣٠. مجمع البيان في تفسير القرآن، أبو علي، الفضل بن الحسن الطبرسي، حققه وعلّق عليه: لجنة من العلماء والمحققين، قدّم له: السيد محسن الأمين العاملي، مؤسسة الأعلمي - بيروت، لبنان، ط ١ / ١٩٩٥م.
٣١. في تفسير القرآن (تفسير البغوي)، أبو محمد الحسين بن مسعود بن محمد بن الفراء البغوي الشافعي (ت ٥١٠هـ)، المحقق: عبد الرزاق المهدي، دار إحياء التراث العربي - بيروت، ط ١ / ١٤٢٠هـ.
٣٢. معاني القرآن وإعراجه، إبراهيم بن السري بن سهل، أبو إسحاق الزجاج (ت ٣١١هـ)، المحقق: عبد الجليل عبده شلبي، عالم الكتب - بيروت، ط ١ / ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م.
٣٣. مفاتيح الغيب، (التفسير الكبير)، أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الرازي الملقب بفخر الدين الرازي خطيب الري (ت ٦٠٦هـ)، دار إحياء التراث العربي - بيروت، ط ٣ / ١٤٢٠هـ.
٣٤. مقاييس اللغة، أحمد بن فارس بن زكرياء القزويني الرازي، أبو الحسين (ت ٣٩٥هـ)، المحقق: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر / ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م.
٣٥. مناقب آل أبي طالب، رشيد الدين، أبو عبد الله، محمد بن علي بن شهر آشوب (ت ٥٨٨هـ)، قام بتصحيحه وشرحه ومقابلته لجنة من أساتذة النجف الأشرف، المطبعة الحيدرية - النجف الأشرف، ط ١ / ١٩٥٦م.



٣٦. النهاية في غريب الحديث والأثر، مجد الدين أبو السعادات المبارك بن محمد بن محمد بن محمد بن عبد الكريم الشيباني الجزري ابن الأثير (ت٦٠٦هـ)، تحقيق: طاهر أحمد الزاوي - محمود محمد الطناحي، المكتبة العلمية - بيروت / ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م.

٣٧. الهداية إلى بلوغ النهاية في علم معاني القرآن وتفسيره، وأحكامه، وجمل من فنون علومه، أبو محمد مكي بن أبي طالب حمّوش بن محمد بن مختار القيسي القيرواني ثمّ الأندلسي القرطبي المالكي (ت٤٣٧هـ)، المحقق: مجموعة رسائل جامعية بكلية الدراسات العليا والبحث العلمي - جامعة الشارقة، بإشراف أ.د.: الشاهد البوشيخي، مجموعة بحوث الكتاب والسنة - كلية الشريعة والدراسات الإسلامية - جامعة الشارقة، ط ١ / ١٤٢٩هـ - ٢٠٠٨م.

٣٨. الوسيط في تفسير القرآن المجيد، أبو الحسن علي بن أحمد بن محمد بن علي الواحدي، النيسابوري، الشافعي (ت٤٦٨هـ)، تحقيق وتعليق: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود، وآخرين، قدمه وقرظه: الأستاذ الدكتور عبد الحي الفرماوي، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، ط ١ / ١٤١٥هـ - ١٩٩٤م.



قال صلى الله عليه وسلم

فلا يزال الله عز وجل يبعث في كل أمة من عباده
مباركاً يهديهم إلى صراط مستقيم
فلا يزال الله عز وجل يبعث في كل أمة من عباده
مباركاً يهديهم إلى صراط مستقيم
فلا يزال الله عز وجل يبعث في كل أمة من عباده
مباركاً يهديهم إلى صراط مستقيم

عبدالله بن محمد بن فهد

حَادِثَةُ الْغَدِيرِ
بَيْنَ الرَّوَايَةِ التَّارِيخِيَّةِ وَالتَّفْسِيرِ الْقُرْآنِيِّ
الْمُفَسِّرُونَ الْأَنْدَلِيسِيُّونُ أَنْمُودَجًا

أ.م.د. قاسم عبد سعدون حسن
جامعة ميسان / كلية التربية

*The Al-Ghadir incident between the historical novel and the
Qur'anic interpretation, the Andalusian interpreters as a model
Assistant Professor Dr. Qassem Abd Saadoun Hassan*

ukm_2012@yahoo.com

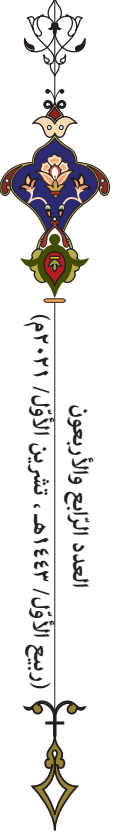
ملخص البحث

جاءت أهمية هذه الدراسة بوصفها دراسة مُغيية في تاريخ الأندلس، ولضرورة تقتضيها طبيعة البحث فقد انتظمت الدراسة بمقدمة ومبحثين وخاتمة، إذ تطرق المبحث الأوّل على ذكر حادثة الغدير في الرواية التاريخية، وانتظم المبحث الثاني لتجسيد حادثة الغدير في التفسير القرآني ولا سيما عند المفسرين الأندلسيين.

وجاءت الخاتمة لتجسد النتائج التي توصلت إليها الدراسة، وقد اتبع الباحث المنهج التاريخي القائم على ربط الأحداث التاريخية بعضها ببعض؛ لغرض الوصول إلى نتائج يمكن الاعتماد عليها، بالاعتماد على تحليل الروايات التاريخية، وقراءة تفسير الآيات القرآنية التي تخص حادثة الغدير على وفق ما يتسم بالدقة والموضوعية لقراءة الأحداث والوقائع التاريخية.

الكلمات المفتاحية:

حادثة الغدير - الرواية - التاريخ - التفسير - القرآن - الأندلس - المفسرون



Abstract

and due to that the importance of this research appeared as a hidden study for the Andalusian history, and due to the necessity required by the nature of the research, the study was organized as following; an introduction, two chapters and a conclusion.

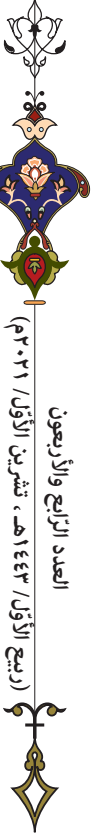
The first topic studied the event of Al-Ghadeer in the historical narrations, and the second topic was organized to spotting the light on the embodiment of Al-Ghadeer event in the Quranic interpretation, especially among the Andalusian commentators, and the conclusion presents the findings of the research.

the researcher followed The Historical Method which is based on linking historical events with each other; on purpose of reaching reliable results, by relying on the analysis of historical narrations, and reading the interpretation of the Quranic verses related to the Al-Ghadeer event according to what is accurate and objective in order to obtain a realistic reading for historical events and facts.

keywords: Al-Ghadeer event - narration - History - Interpretation of the Quran - Andalusia

المقدمة

أفرز الواقع المعاصر في فهمه للحوادث التاريخية كثيراً من الإشكالات التي تحتاج الإجابة عنها بأسلوب يتناسب مع التطورات السياسيّة التي عصفت بالأُمَّة الإسلاميّة، ومن هنا أنبثقت أهميّة هذه الدراسة؛ لتسلط الضوء على حادثة مهمة -الغدير- في التاريخ الإسلامي اختلف فيها جمهور المسلمين، بحيث عدت دراستها من الدراسات التي يتوجب على الباحث أن يتعامل معها بمهنيّة عالية؛ لأجل الوصول للحقيقة التاريخيّة، فهي حادثة ليست لقراءة نصّ مختلف اختلف المسلمون في فهمه وتأسست على إثره حكومة إسلاميّة بعد رحيل النبيّ محمد ﷺ، أو هي حادثة عابرة احتوت السداجة والسطحية فيما ترتب عليها، بل هي حادثة كبيرة أحدثت تغييراً في مجرى الرسالة الإسلاميّة كان لها شأن كبير في تاريخها الطويل ترتب عليها تأسيس لبناء حكومة، تمخض عنها اختلاف كبير في تاريخ الدعوة الإسلاميّة حتى قيل: (ما سئل سيفٌ بالإسلام على قاعدة دينيّة مثل ما سئل على الإمامة عبر العصور)^(١)، وعلى الرغم من أهمية هذه الحادثة إلا أنّها غُيّبت تفاصيلها عن بعض كتب التفاسير الأندلسيّة، ولا سيما التفاسير موضع الدراسة^(٢).



(١) الملل والنحل، الشهرستاني، ج ١، ص ٢٠.

(٢) ستقتصر دراستنا على تفسير الآيات الواردة في القرآن الكريم والتي تخص آيات الخلافة وبيعة الغدير حصراً، والتي فُسرّت من قبل كبار المفسرين الأندلسيين أمثال: ابن عطية الأندلسي، القرطبي، ابن جُزي والمفسر ابن حيان.

المبحث الأول

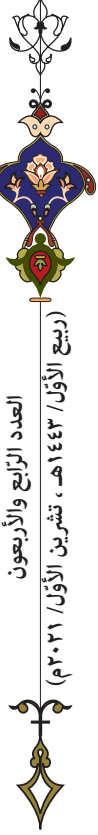
حادثة الغدير في الرواية التاريخية

تعدُّ حادثة الغدير من أهم القضايا الخلافية التي اختلفت فيها الأمة الإسلامية؛ إذ ترتب على هذا الاختلاف نتائج حددت مسار هذه الأمة ومستقبلها، فهي ليست حادثة عابرة، بل إنَّها حادثة مهمَّة مثلت نقطة انطلاق لحقبة زمنية بعد وفاة النبي الأكرم محمد ﷺ، التي أرادها أن تكون امتداداً حقيقياً لتجربته الإسلامية، فمن الطبيعي إذا ما أُريد تحقيق ذلك أن تكون هناك شخصية فذة نشأت ونهلت من فيوضات النبوة وتربَّت بين يدي النبي الأكرم ﷺ، لتكون قادرة على تسنم منصب الخلافة وتحمل مسؤوليتها الكبيرة. فالخلافه بهذا اللحاظ تشكّل ركناً رئيساً من أركان العقيدة والكيان الفكري والاجتماعي للمسلمين^(١)؛ ومن هنا يمكننا تفسير اهتمام الله سبحانه وتعالى ونبيّه الأكرم ﷺ في بيان هذا المنصب، وتشخيص المستحق للإمامة من بعده، ونظراً لحرص النبي الأكرم على مسيرة الإسلام ومستقبل الأمة، إذ لم يترك الناس تتخبط وتدور في فلك الفوضى والخلاف من بعده، رغم أن المدة التي عاشها النبي ﷺ لم تكن كافية للتخلص من كلِّ العادات والتقاليد التي كانت سائدة في المدة التي سبقت ظهور الإسلام؛ ذلك لأنَّ هذه العادات كانت قد تأصلت واستحكمت في كثيرٍ من نفوس الناس، رغم أن الإسلام قد عالج وتخلَّص من كثيرها، لكنّه بلا شك لم يقضِ عليها جميعاً^(٢).

ولعلَّ مسألة السُّلطة وتحديد قيادة الأمة الإسلامية من بعد النبي الأكرم ﷺ، كانت

(١) الغدير والتأسيس، الحساني: ٩١-٩٢.

(٢) تفسير ابن كثير، ابن كثير: ٢ / ٦٩، ١٧٥.



واحدة من أهم هذه العادات إذ أنف بعضهم ورفض أن تكون القيادة خارجة عن قريش، أو أن تجتمع النبوة والإمامة في بيت واحد، حتى وإن توافرت الكفاءة العالية التي تؤهل الشخص للقيادة بجميع امتيازاتها، فكان يعيش حالة الرفض في باطنه، ولو من ناحية ظاهرية كان يبدي قبولاً لها^(١).

ومن هنا بدأ الخلاف يدبُّ في جسد الأمة الإسلامية، وتفرَّق المسلمون إلى طرائق عدة؛ لذا فلا بدُّ أن نعرف تفاصيل هذه الحادثة، وكيف تعامل معها المفسرون ولاسيما الأندلسيون، وكيف غُيبت هذه الحادثة عن الفكر الأندلسي.

مكانة الإمام عليٍّ عليه السلام عند النبي محمد صلى الله عليه وآله

كان للإمام عليٍّ عليه السلام أثر كبيرٌ في أحداث التاريخ الإسلامي بشكل عام والسيرة النبوية بشكل خاص، ولعلَّ هذا الأثر انبثق من المكانة المتميزة التي شغلها في نفس النبي محمد صلى الله عليه وآله، الأمر الذي أغاض بعضهم ومثَّل نقطة انطلاق لكره الإمام وتهميش دوره في مسيرة الإسلام^(٢).

عمل النبي محمد صلى الله عليه وآله على زيادة الأواصر وتحقيق المودة بين المسلمين فأخى بين المهاجرين في مكة، ثمَّ أخى بين المهاجرين والأنصار بالمدينة، وكان في كلِّ واحدة منهما يقول: «يا عليُّ أنت أخي في الدنيا والآخرة»، وأخى بينه وبين نفسه، وفي رواية أخرى قال: «أنت أخي وصاحبي»، وقول الإمام عليه السلام في هذا الشأن أيضاً: «أنا عبد الله وأخو رسول الله لا يقوِّلها أحدٌ إلا كذاب»^(٣).

ولم يكن أحدٌ في الخلق أشبه بالنبي الأكرم صلى الله عليه وآله من أمير المؤمنين عليه السلام، ولا أولى بمؤاخاة النبي منه، فانفرد الإمام بمؤاخاة النبي الأكرم صلى الله عليه وآله، وظفر بها لتقدمه على

(١) حادثة الغدير، القزويني: ٤٣.

(٢) الفصل في الملل والنحل، ابن حزم: ٤ / ٢٠٠-٢١٠.

(٣) ابن عبد البر: ٣ / ٢٠٣-٢٠٤.



القوم، وكانت مؤاخاة الإمام أفضل من مؤاخاة غيره لفضله على سائر الخلق^(١).
لم تكن هذه المؤاخاة بعيدة عن أقلام المؤرخين فقد عمل بعضهم على إغفال ذكر
هذه المؤاخاة في مكة، وعمد بعضهم على تشويه صورة مؤاخاتهم في المدينة عبر تشويه
صورتها من خلال التدليس وتزوير الحقائق بغية تشويه صورة الإمام علي عليه السلام،
ومنها الرواية التي نُقلت حسب سندهم عن ابن عباس وهي: (لما آخى النبي بين
أصحابه وبين المهاجرين والأنصار فلم يؤاخ بين علي بن أبي طالب وبين أحد منهم
خرج علي مغضباً حتى أتى جدولاً من الأرض فتوسد ذراعه فتسفي عليه الريح فطلب
النبي حتى وجده فوكزه برجله فقال له قم فما صلحت إلا أن تكون أبا تراب أغضبت
علي حين آخيت بين المهاجرين والأنصار ولم يؤاخ بينك وبين أحد منهم، أما ترضى أن
تكون مني بمنزلة هارون من موسى إلا أنه ليس بعدي نبي، ألا من أحبك حف بالآمن
والإيمان ومن أبغضك أماته الله ميتة جاهلية)^(٢).

ولعل في هذه الرواية تجاوزاً واضحاً وصريحاً على مقام النبي الأكرم ﷺ، وهو
الذي بُعث ليتمم مكارم الأخلاق، إذ ليس من أخلاق النبي الأكرم أن يستخدم رجله
لتحريك أمير المؤمنين ﷺ، لم يتوقف بعض المؤرخين عند هذا الحد، بل عملوا على تشويه
صورة المؤاخاة وقالوا: إن أمير المؤمنين عليه السلام دخل على السيدة فاطمة الزهراء
عليها السلام باكياً شاكياً لما فعله النبي الأكرم، وأن رد السيدة فاطمة كان هو أنها كانت
تعلم أن الإمام علياً عليه السلام لم يؤاخ الرسول بينه وبين غيره؛ لأنه أراد أن يكون أخاً
له فكيف أن فاطمة تعلم بما يحدث وعلي لا يعلم بذلك^(٣).

(١) المعتزلي المعيار والموازنة: ٢٠٨.

(٢) الطبراني المعجم الأوسط: ٨ / ٣٩-٤٠. ابن شهر آشوب مناقب آل أبي طالب: ٢ / ٣٠٦. الخوارزمي، المناقب:

٣٩. الإرزلي، كشف الغمة: ١ / ٦٧. الهيثمي مجمع الزوائد: ٩ / ١١١. المجلسي، بحار الأنوار: ٣٥ / ٦١.

(٣) الكعبي، شخصية الإمام علي: ١٣٣-١٣٤.

وجاء في الرواية التاريخية أنَّ النبي ﷺ آخى بين المهاجرين والأنصار، وكان عليٌّ واقفاً يراه ويعرف مكانه، لم يؤاخِ بينه وبين أحد، فانصرف عليٌّ باكي العين، فافتقده النبيُّ فقال: «ما فعل أبو الحسن؟» فقالوا: انصرف باكي العين يا رسول الله قال: «يا بلال اذهب، فأتني به»، فمضى بلال إلى عليٍّ، وقد دخل منزله باكي العين، فقالت فاطمة: «ما يبكيك؟! لا أبكي الله عينيك»، قال: «يا فاطمة آخى النبيُّ بين المهاجرين والأنصار، وأنا واقف يراني، ويعرف مكاني ولم يؤاخِ بيني وبين أحد»، قالت: «لا يجوز لك الله لعلَّه إنَّما أدخرك لنفسه»، فقال بلال: يا عليُّ أجب النبيَّ، فأتى عليٌّ النبيَّ، فقال النبيُّ: «ما يبكيك يا أبا الحسن؟!»، قال: «آخيت بين المهاجرين والأنصار يا رسول الله، وأنا واقف تراني وتعرف مكاني ولم تؤاخِ بيني وبين أحد»، قال ﷺ: «إنَّما أدخرتك لنفسي، أما يسرك أن تكون أبا نبيك»، قال: «بلى يا رسول الله أنى لي بذلك؟»، فأخذ بيده، وأرقاه المنبر فقال: «اللهم، إن هذا مني وأنا منه، ألا وإنه مني بمنزلة هارون من موسى، ألا من كنت مولاه فهذا عليٌّ مولاه»، قال: فانصرف عليٌّ قرير العين، فاتبعه عمر بن الخطاب، فقال: بخ بخ يا أبا الحسن، أصبحت مولاي ومولى كلِّ مسلم^(١)، وفي مورد آخر ذكر أنَّه قال لعليٍّ: (هنيئاً لك يا بن أبي طالب أصبحت وأمست مولى كلِّ مؤمن ومؤمنة)^(٢).

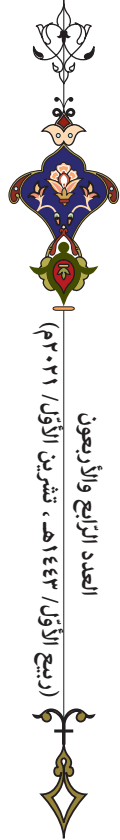
إذن فقد تعددت الروايات في حديث المؤاخاة لإبعاد هذه المنزلة والفضيلة عن الإمام عليٍّ عليه السَّلام.

وذكر أن آية التطهير: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾^(٣)، نزلت بحق الإمام عليٍّ والسيدة فاطمة الزهراء ووسبطيهما الإمامين

(١) ابن البطريق عمدة عيون صحاح الأخبار: ١٦٩ - ١٧٠، ابن طاووس الطرائف: ١٤٨ - ١٤٩.

(٢) تاريخ ابن عساکر، ٢٤ / ٢٢٠. البداية ابن كثير، ٧٣ / ١١.

(٣) سورة الأحزاب، الآية: ٣٣.



الحسن والحسين عليهما السلام، إذ دعا رسول الله صلى الله عليه وسلم فاطمة وعلياً وحسناً، وحسيناً في بيت أم سلمة وقال: «اللهم إن هؤلاء أهل بيتي فأذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً»^(١). وجاء في تفسير حديث النبي الأكرم: «يا علي أنت مني بمنزلة هارون من موسى إلا أنه لا نبي بعدي»، أو «أنت مني بمنزلة هارون من موسى»^(٢)، إن الحديث كان إكراماً لأمر المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام ومكانته العليا عند الله سبحانه وتعالى ونبيه الأكرم.

حادثة الغدير (المضمون ودلالة الإمامة)

في السنة العاشرة للهجرة خرج النبي محمد صلى الله عليه وسلم وبأمر من الله سبحانه وتعالى، معلناً عن قصده الحج في هذه السنة، مؤذناً للناس في ذلك، فجاء المدينة خلق كثير يأتون به في حجته تلك، التي أُطلق عليها حجة الوداع، أو حجة الإسلام، أو حجة البلاغ، أو حجة الكمال^(٣)، فقد كانت حجته الأخيرة ولم يحج غيرها منذ أن هاجر إلى أن توفاه الله تعالى^(٤).

خرج النبي محمد صلى الله عليه وسلم قاصداً الحج، وكان برفقته أهل بيته وعدد كبير من المهاجرين والأنصار، يرافقهم خلق كثير من عامة الناس بلغ عددهم تسعين ألفاً، وقيل مائة ألف وقيل كانوا مائة وأربعة وعشرين ألفاً^(٥)، وفي هذه الأثناء كان أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام في اليمن، يعمل على تبليغ تعاليم الدين الإسلامي، وبعد أن وصلت إليه أنباء حج النبي الأكرم صلى الله عليه وسلم، قصد مكة مع جمع غفير من أهل اليمن ليلتحقوا بالنبي

(١) الاستيعاب: ٢٠٤/٣.

(٢) المصدر نفسه: ٢٠١/٣-٢٠٣.

(٣) الغدير، الأميني: ٩/١.

(٤) الطبقات الكبرى، ابن سعد: ١٧٢/٢-١٧٣.

(٥) ابن حزم، حجة الوداع: ١١٦/١.

الأكرم قبل بدء مناسك الحج^(١).

لبس الرسول لباس الإحرام مع أصحابه في ذي الحليفة وهو ميقات الشجرة، ومن ثم بدأ بمناسك الحج، وعقب الانتهاء منه رجع النبي الأكرم إلى المدينة ووصل منطقة غدير خم^(٢)، وفي اليوم الثامن عشر من ذي الحجة نزل جبرئيل وبلغ النبي الأكرم بالآية المباركة: ﴿يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ﴾^(٣)، وقد كان المسلمون جميعاً بالقرب من الجحفة، فأمر النبي الأكرم ﷺ أن يرد من تقدّم ويحبس من تأخر، وأن يهيب له أصحابه مكاناً تحت الأشجار ويزيلوا الأشواك، ويجمعوا الأحجار من تحتها^(٤).

ولعل هذه الآية حملت أمراً عظيماً بالغ الخطورة، واجب التبليغ، واقع التنفيذ لا يحمل وجهاً للمسامحة والمحابة والإبعاد، أو التأخير والتعطيل لا محال، وإلا لما قورن هذا الأمر بإبلاغ الرسالة بمستوى واحد، ولضاع جهد ومشقة سنين طوال قضاها النبي الأكرم تبليغاً بدعوته الإسلامية، يضاف إلى ذلك التوقيت والجمع الغفير اللذان اختيرا للبت هذا الأمر وهي فرصة قد لا تتكرر ثانية؛ لذا فإنّ منع الأمر وعدم القيام به يعني حرمان المسلمين من نبع الهداية والرعاية الإلهية، ولعطل الدين، وحينها لا يوجد جريمة أكبر وأشنع من ذلك^(٥).

اجتمع المسلمون في منطقة غدير خم ذات الحرارة الشديدة، ونودي إلى فريضة الظهر، فأتّم المسلمون لصلاة الظهر بجموع غفيرة، ظلل بعضهم للنبي الأكرم بوضع

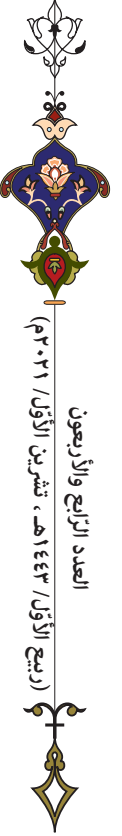
(١) الحلي، السيرة الحلبية، ٣/ ٢٢٥.

(٢) البداية والنهاية، ابن كثير، ٧/ ٤١١ وما بعدها.

(٣) سورة المائدة، الآية: ٦٧.

(٤) الحاكم النيسابوري، المستدرک، ٣/ ١١٠.

(٥) عبد الرضا، كتاب الإمام علي، ص ١١٢.



ثياب على شجرة من أشجار تلك المنطقة^(١)، وأخذ النبي ﷺ يخطب بالناس قائلاً: «الحمد لله ونستعينه ونؤمن به ونتوكل عليه... وأشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً عبده ورسوله، أما بعد أيها الناس، قد نبأني اللطيف الخبير أنني أوشك أن أدعى فأجيب، وإني مسؤول وأنتم مسؤولون، فماذا أنتم قائلون؟»، قال الحاضرون: نشهد أنك قد بلغت ونصحت وجهدت، فجزاك الله عنا أفضل الجزاء، ثم قال لهم: «ألستم تشهدون أن لا إله إلا الله وأن محمداً عبده ورسوله، وأن جنته حق وناؤه حق وأن الموت حق؟»، قالوا: نشهد بذلك، قال: «اللهم اشهد على ما يقولون، ألا وإني أشهدكم أنني أشهد أن الله مولاي، وأنا مولى كل مسلم، وأنا أولى بالمؤمنين من أنفسهم، فهل تقرّون لي بذلك، وتشهدون لي به؟» فقالوا: نعم نشهد لك بذلك، فقال: «ألا من كنت مولاه فأني مولاه وهو هذا»، ثم أخذ بيد عليٍّ فرفعها مع يده حتى بدت أباطهما، ثم قال: «اللهم وال من والاه، وعاد من عاداه، وانصر من نصره، واخذل من خذله»^(٢).

بعدها هبط جبريل الأمين وأبلغ النبي الأكرم بالآية المباركة: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتَمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيْتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾^(٣)، فلما نزلت هذه الآية قال النبي: «الله أكبر على إكمال الدين وإتمام النعمة، ورضى الله برسالتي ولولاية عليٍّ من بعدي»^(٤)، بعدها بدأت الناس تهنيئ أمير المؤمنين عليٍّ بن أبي طالب عليه السلام، ومُنَّ هنأه في مقدّم الصحابة أبو بكر وعمر، وقال عمر: بخ بخ لك يا بن أبي طالب، أصبحت وأمست مولاي ومولى كل مؤمن ومؤمنة»^(٥).

(١) أحمد بن حنبل، مسند أحمد: ٤/٣٧٢.

(٢) المصدر نفسه: ٤/٣٧٢.

(٣) سورة المائدة، الآية: ٣.

(٤) المناقب، الكوفي: ٦٦/١١٩.

(٥) ابن البطريق، عمدة عيون صحاح: ص ١٦٩-١٧٠.



المبحث الثاني

حادثة الغدير في التفسير القرآني

(الفسرون الأندلسيون أتموزها)

أكدت الروايات التاريخية المأثورة التي وردت في كثير من كتب التفاسير نزول عشرات الآيات في أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب وأهل بيته عليهم السلام، والتي تُبين رفعة شأنهم وسمو مكانتهم، إذ أراد الله سبحانه وتعالى بيان أحقيتهم وأهميتهم عند الخلق، فمن هذه الآيات ما وردت بحق آل البيت جميعاً، ومنها ما ورد بحق أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب عليه السّلام حصراً، وتعضد هذا الحديث وتؤكدّه أحاديث عدّة، منها ما ورد عن ابن عباس إذ قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «ما أنزل الله آية فيها: ﴿يَتَأَيَّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾ إِلَّا وَعَلِيٌّ عَلَى رَأْسِهَا وَأَمِيرُهَا»^(١).

من هذا المنطلق يمكننا القول إنّ القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة هما أفضل وثيقة دالة على عظمة أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب عليه السّلام، ناطقة بجلالته وسمو شأنه، ومن هنا يسعى الباحث إلى ذكر الآيات القرآنية التي خصّ بها الله سبحانه وتعالى خلافة الإمام عليّ بن أبي طالب عليه السّلام وإثباتها للقارئ، وكيف تعامل كبار

(١) تفسير الرازي ١/١٩٦. تاريخ ابن عسّكر، ٤٢/٣٦٣. شواهد التنزيل، الحاكم الحسكاني: ١/٦٨. الدر المنثور،

المفسرين الأندلسيين مع هذه الآيات، إذ إن بعضهم أخذ على عاتقه تغييب الأثر القرآني لخلافة أمير المؤمنين، وإيهام الأمة الإسلامية عن القصد الإلهي الهادف بحصر الإمامة والخلافة بأمر المؤمنين وآل بيته عليهم السلام، آخذين بنظر الاعتبار أهمية هؤلاء المفسرين، وأثرهم الفكري في المجتمع الأندلسي، ومن هذه الآيات هي:

١- قال الله تعالى: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ﴾^(١)، ذكر المفسر ابن عطية الأندلسي (ت ٥٤٢هـ)^(٢) أن هذه الآية ما هي إلا إشارة إلى أبي بكر وعمر خاصة، وقيل إنها نزلت في أمراء رسول الله صلى الله عليه وآله، لما جاء رجل إلى معسكر خالد بن الوليد، فدخل إلى عمار بن ياسر فقال: يا أبا اليقظان، إن قومي قد فروا، وإني قد أسلمت، فإن كان ينفعني إسلامي بقيت، وإلا فررت، فقال له عمار: هو ينفعك، فأقم، فلما أصبحوا أغار خالد فلم يجد سوى الرجل المذكور فأخذه وأخذ ماله، فجاء عمار فقال: خلّ عن الرجل فإنه قد أسلم وإنه في أمان مني، فقال خالد: وأنت تجير؟ فاستبأ وارفعنا إلى رسول الله صلى الله عليه وآله، فأجاز أمان عمار، ونهاه أن يجير الثانية على أمير، واستبأ عند رسول الله صلى الله عليه وآله، فقال خالد: يا رسول الله أترك هذا العبد الأجدع يسبني؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وآله: «يا خالد لا تسب عماراً، فإنه من سبَّ عماراً سبَّ الله، ومن أبغض عماراً أبغضه الله، ومن لعن عماراً لعنه الله»، فغضب عمار، فقام فذهب، فتبعه خالد حتى اعتذر إليه فتراضيا، فكانت سبباً في نزول هذه الآية^(٣).

ويتضح من كلام المفسر ابن عطية الأندلسي أنه غيب مكانة أمير المؤمنين علي بن

(١) سورة النساء، الآية: ٥٩.

(٢) ابن عطية الأندلسي، عبد الحق بن غالب بن عبد الرحمن بن عطية المحاربي، من محارب قيس الغرناطي، مفسر فقيه أندلسي، من أهل غرناطة عارف بالأحكام والحديث، وبارع في الشعر، ولد سنة ٤٨١هـ، بغرناطة مع بداية عهد دولة المرابطين في الأندلس، ينتمي لأسرة مهاجرة من المشرق، عرفت بالعلم والمعرفة ونهل منها الشيء الكثير، مكَّنه من أن يكون عالماً بارعاً في مختلف الميادين، توفي سنة ٥٤٦هـ. ينظر: بغية الملتبس، الضبي: ص ٣٨٩-٣٩١.

(٣) المحرر الوجيز، ابن عطية: ٢/ ٦٩-٧٠.



أبي طالب عليه السَّلام، واستبعد نزول هذه الآية بحقِّه، لا بل رجح أنَّها نزلت في طاعة أولي الأمر من المسلمين، ولا سيما أبي بكر وعمر دون أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السَّلام.

أمَّا القرطبي (ت ٦٧١هـ)^(١) فقد فسَّر هذه الآية على أنَّها جاءت في عبد الله بن حذافة بن قيس بن عدي السهمي، إذ بعثه النبي ﷺ في سرية وكان في عبد الله دعابة معروفة، ومن دعابته أنَّ رسول الله أمره على سرية فأمرهم أن يجمعوا حطباً ويوقدوا ناراً، فلمَّا أوقدوها أمرهم بالتقحم فيها، فقال لهم: ألم يأمركم رسول الله ﷺ بطاعتي؟ وقال: من أطاع أميرى فقد أطاعني، فقالوا: ما آمنَّا بالله واتبعنا رسوله إلاَّ لننجو من النار، فصوب رسول الله ﷺ فعلهم وقال: «لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق»^(٢).

أمَّا ابن جُزي الكلبي (ت ٧٤١هـ)^(٣) فقد فسَّر هذه الآية بقوله: إنَّها نزلت بحقِّ الولاية والعلماء وإنَّها نزلت في عبد الله بن حذافة^(٤)، ويتضح أنَّ ابن جزي عمل على تغييب الأثر القرآني في نزول هذه الآية بحقِّ أمير المؤمنين عليه السَّلام، مستبعداً أنَّ تكون هذه الآية قد نزلت بحقِّ الإمام علي بن أبي طالب عليه السَّلام.

(١) القرطبي: هو الإمام أبو عبد الله، محمَّد بن أحمد بن أبي بكر بن فزح، الأنصاري، الخزرجي، الأندلسي، القرطبي المفسِّر، وعلى الأرجح أنَّ ولادته كانت سنة ٥٩٥هـ، في عهد يعقوب بن يوسف بن عبد المؤمن، نشأ في رعاية أبيه الذي كان يعمل مزارعاً، وقُتل والده على يد النصارى وتلقى القرطبي تعليمه للقرآن الكريم واللغة العربية والشعر في قرطبة، ثمَّ واصل تعليمه وترقى فيه وتنقل بين حلقات العلم في قرطبة إلى أن غادرها، حيث كانت حلقات العلم منتشرة في جميع المدن الأندلسية، وكانت المساجد هي المناطق التي تعقد فيها، توفي سنة ٦٧١هـ. ينظر: الوافي بالوفيات، الصفدي: ١٢٢/٢. الديباج المذهب، ابن فرحون: ص ٣١٥.

(٢) الجامع لأحكام القرآن، القرطبي: ٤٣٠-٤٣١.

(٣) ابن جُزي الكلبي، محمَّد بن أحمد بن عبد الله بن يحيى بن عبد الرحمن بن جزي الكلبي، ولد سنة ٦٩٣هـ، في مدينة غرناطة، ونهل من علومها وبرع في مجال الفقه والشعر والخطابة، كتب عن السلطان أبي الحجاج يوسف، ثمَّ ارتحل ولحق بجناب السلطان أبي عنان، وهو الذي كتب رحلة ابن بطوطة ورتبها، ينظر: الإحاطة، ابن الخطيب: ٢٥٦-٢٥٧. نفع الطيب، المقرئ: ١٧٠/٢.

(٤) التسهيل، ابن جزي الكلبي: ١٩٦/١.



وقال أبو حيان (ت ٧٤٥هـ)^(١) في تفسير هذه الآية: إنها نزلت في أمراء رسول الله ﷺ، وذكر قصة طويلة مضمونها: أن عماراً أجار رجلاً قد أسلم، وفر أصحابه حين أنذروا بالسرة فهربوا، وأقام الرجل وإن أميرها خالداً أخذ الرجل وماله، فأخبره عمار بإسلامه وإجارته إياه فقال خالد: وأنت تجير؟ فاستبأ وارتفعاً إلى رسول الله ﷺ، فأجاز أمان عمار، ونهاه أن يجير على أمير^(٢)، ولعلَّ أبا حيان قد تأثر بتفسير ابن عطية الأندلسي في تفسير هذه الآية.

وفي هذه الآية يتضح أن الله أوجب طاعة أولي الأمر بإطاعة النبي الأكرم محمد ﷺ، إذ لم يفرق الله بين النبي الأكرم وأولي الأمر، من حيث وجوب الطاعة، وكلاهما يتمتعان بالعصمة، واقتصرت العصمة بالنبي الأكرم وآل بيته الأطهار، ونؤكد أن (أولي الأمر) الذي ورد ذكره في سياق الآية يقصد به الإمام علي بن أبي طالب، وأولاده الأطهار، وما يدعم صحة قولنا هو ما ذهب إليه أحد المفسرين في تفسير هذه الآية وبين أن المراد بأولي الأمر هو الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام، خصه الله بولاية هذه الأمة بعد وفاة النبي الأكرم ﷺ، فأمر الله العباد بطاعته وترك خلافه^(٣)، فضلاً عن ذلك أن النبي الأكرم قال: «إن الله قد فرض عليكم طاعتي ونهاكم عن معصيتي وفرض عليكم طاعة عليّ بعدي ونهاكم عن معصيته، وهو وصيي ووارثي، وهو مني وأنا منه...»^(٤).

ولعلَّ المراد بكلمة أولي الأمر التي وردت في سياق الآية المباركة، أن النبي أولى

(١) أبو حيان: أثير الدين، أبو عبد الله، محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيان، الأندلسي الغرناطي، الحياي، الشهر بأبي حيان، ولد في غرناطة في آخر شوال سنة ٦٥٤هـ، وبها نشأ، بدأ أبو حيان حياته بدراسة القرآن الكريم وحفظه، حتى ألمَّ رحمه الله بالقراءات صحيحتها وشاذها، وجال في بلاد المغرب، ورحل إلى مالقا، ثمَّ قدم إلى مصر قبل سنة ثمانين وستائة، وقد أخذ العلم بالتلقي؛ فقال: (وعدة من أخذت عنهم أربعمائة وخمسون شخصاً، وأمّا من أجازني فكثير جداً)، توفي سنة ٧٤٥هـ. ينظر: الدرر الكامنة، ابن حجر: ٣٠٧/٤. طبقات الشافعية الكبرى، السبكي: ٢٧٧/٩.

(٢) تفسير البحر المحيط، أبو حيان: ١٧٣/٤.

(٣) غاية المرام، البحراني: ٨-٧/٢.

(٤) ينابيع المودة: ١٢٣/١.

بتدبير المسلمين، والقيام بأمرهم من حيث وجبت طاعته عليهم، ونحن نعلم أنه لا يكون أولى بتدبير الخلق وأمرهم ونهيهم إلا من كان إماماً لهم مفترض الطاعة عليهم، والمقصود به أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام.

٢- قال الله تعالى: ﴿ إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ ﴾^(١).

تتفق كتب التفسير الأندلسية أن نزول هذه الآية في الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام بعد أن تصدق بخاتمته وهو راکع في الصلاة^(٢)، وبعدها قال النبي الأكرم ﷺ: «علي قائد البرة، وقاتل الكفرة، منصور من نصره، مخذول من خذله»^(٣)، ويمكن إدراج جملة من الحقائق المهمة التي تخص هذه الآية:

أ- اتفقت روايات جمع كثير من علماء التفسير والحديث، على اختصاص الآية الكريمة بشأن الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام، فالأخبار مستفيضة في ذلك وبلغت الأحاديث حد التواتر عند الشيعة ودون ذلك عند السنة، وقد وردت روايات عديدة وبطرق وأسانيد مختلفة تصب في المعنى ذاته، وكلها تشهد أن الآية الكريمة تدل على إمامة أمير المؤمنين بعكس الأقوال الأخرى التي تعد شاذة وتحتاج إلى أدلة وإلى ما يسندها^(٤).

ب- وصف الله سبحانه وتعالى الذين آمنوا بصفات ليست حاصلة إلا فيه، ويتحقق ذلك بقوله: ﴿ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ ﴾^(٥)، فبين

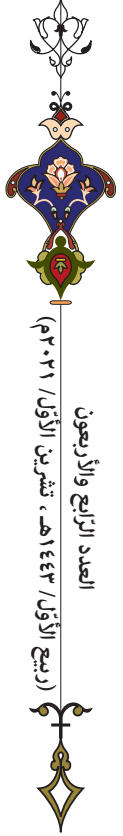
(١) سورة المائدة، الآية: ٥٥.

(٢) المحرر الوجيز، ابن عطية الأندلسي: ٢/٢٠٨. الجامع لأحكام القرآن، القرطبي: ٨/٥٤-٥٥. التسهيل، ابن جزي: ١/٢٤٢. تفسير البحر المحيط، أبو حيان: ٤/٤٦١.

(٣) خلافة علي، البامباني: ص ٨٢.

(٤) البرهان، البحراني: ص ٣١٥-٣٢٨.

(٥) سورة المائدة، الآية: ٥٥.



أنَّ المعنى من الآية على أنه لم يؤت الزكاة في حالة الركوع غير أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب عليه السّلام، الأمر الذي يتفق عليه أغلب المفسرين.

ج- يستدلُّ من سياق الآية أنَّ الولاية مختصةٌ بأمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب عليه السّلام، وذلك بالقول (إنَّما وليكم الله) فخاطب جميع المؤمنين، ودخل الخطاب النبيّ الأكرم ﷺ، ثمَّ قال: (ورسوله)، فأخرج النبيّ لكونهم مضافين إلى ولايته، ثمَّ قال ﴿وَالَّذِينَ ءَامَنُوا﴾ فوجب أن يكون الذي خوطب بالآية غير الذي جعلت له الولاية، وإلا أذى المعنى إلى أن يكون المضاف إليه بعينه، وإلى أن يكون كلُّ واحد من المؤمنين وليّ نفسه وذلك محال، ولما تحقّق أن المعنى بالآية هو أمير المؤمنين تحققت إمامته بالنصّ الصريح^(١).

د- وردت كلمة (إنَّما)، والتي تدلُّ على الحصر، وعليه فإنَّ وليكم أيها المؤمنون هم الثلاثة المذكورون في الآية القرآنية لا غير^(٢).

٣- قال الله تعالى: ﴿يَأْتِيهَا الرُّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ﴾^(٣).

ذكر ابن عطية الأندلسي في تفسير هذه الآية، أن الله أمر رسوله بالتبليغ على الاستيفاء والكمال؛ لأنَّه قد بلغ، فإنَّما أمر في هذه الآية بأن لا يتوقف عن شيء مخافة أحد؛ وذلك أن رسالته ﷺ وسلّم تضمنت الطعن على أنواع الكفرة، وبيان فساد حالهم، فكان يلقي منهم عنتاً وربما خافهم أحياناً قبل نزول هذه الآية، فقال الله له ﴿بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ﴾ أي كاملاً متمماً، ثمَّ توعده تعالى بقوله: ﴿وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَغْتَ رِسَالَتَهُ﴾، أي أنك إن تركت شيئاً فكأنما قد تركت الكلَّ، وصار ما بلغت غير معتدِّ به، فقله تعالى: ﴿وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ﴾ معناه وإن لم تستوف، وهنا يتضح أن المفسر ابن عطية

(١) الرسائل العشر، الطوسي: ص ١٣١. وينظر أيضاً السنافي، الإمام عليّ: ص ٣٢٢-٣٢٣.

(٢) السنافي، الإمام عليّ، ص ٣٢٣.

(٣) سورة المائدة، الآية: ٦٧.

الأندلسي ابتعد عن المقصد الإلهي، والتفسير الحقيقي للآية المباركة ولم يشر إلى حادثة الغدير وأحقية الإمام علي عليه السلام في خلافة الأمة الإسلامية.

أمّا القرطبي فقد فسّر هذه الآية على أنّها إظهار لتبليغ الرسالة الإسلامية؛ لأنّ النبي الأكرم ﷺ، أخفى إسلامه في بداية الدعوة الإسلامية خوفاً من المشركين، ثمّ جاء الأمر بإظهاره في هذه الآية وأخبره الله أنّه سيعصمه من الناس، وكان عمر أول من أظهر إسلامه وقال: لا نعبد الله سراً وفي ذلك نزلت: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ حَسْبُكَ اللَّهُ وَمَنِ اتَّبَعَكَ

مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾^(١)، فدلت الآية على ردّ قول من قال: إنّ النبي ﷺ كتم شيئاً من أمر الدين تقيّة وعلى بطلانه وهم الرافضة (حسب قول القرطبي)، ولعلّ القرطبي ابتعد كلّ البعد عن القصد الإلهي في تفسير هذه الآية المباركة، وأراد أن يضيف منقبة لعمر، مع تغييب الأثر القرآني الدال على مكانة أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام.

كذلك قيل: إنّ هذه الآية نزلت في أمر زينب بنت جحش^(٢)، وقيل غير هذا والصحيح القول بالعموم قال ابن عباس: المعنى بلغ جميع ما أنزل إليك من ربك فإنّ كتمت شيئاً منه فما بلغت رسالته.

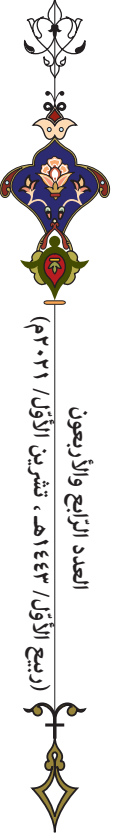
وهذا تأديب للنبي ﷺ وتأديب لحملة العلم من أمته ألا يكتموا شيئاً من أمر شريعته، وقد علم الله تعالى من أمر نبيه أنّه لا يكتم شيئاً من وحيه^(٣).

ويتضح أنّ القرطبي تجاهل أهمية حادثة الغدير، مستبعداً أن تكون هذه الآية قد نزلت بحقّ أمير المؤمنين عليه السلام، ولم يكتفِ بذلك، بل إنّهُ تناول على مقام النبي

(١) - الأنفال، الآية: ٦٤.

(٢) - زينب بنت جحش بن رثاب بن يعمر بن صبيرة بن مرة بن كثير بن غنم بن دودان بن أسد بن خزيمه، أمّها أميمة بنت عبد المطلب بن هاشم عمّة رسول الله ﷺ، تزوجها رسول الله ﷺ في سنة خمس من الهجرة، وتوفيت سنة عشرين للهجرة في حكومة عمر بن الخطاب، ينظر: ابن عبد البر، الاستيعاب، ٩٧ / ٢.

(٣) الجامع لأحكام القرآن، القرطبي: ٢٢٨ / ٦، ولعلّ ما أورده القرطبي في تفسير هذه الآية جرأة وتجاوز على مقام النبي الأكرم ﷺ.



الأكرم ﷺ، حينما فسّر هذه الآية على أنّها تأديب للنبيّ ولحملة العلم من المسلمين، فأثي جراً يمتلكها هذا المفسر تمكنه من التطاول على مقام نبيّ هذه الأمة؟!!!

أمّا المفسر ابن جزى الكلبي فقد قال: إنّ الله أمر النبيّ محمداً ﷺ بتبليغ جميع ما أوحى إليه على الاستيفاء والكمال وأمره ألا يتوقف عن شيء مخافة أحد، وإن لم يفعل فما بلغ رسالته، وهذا وعيد على تقدير عدم التبليغ، وفي ارتباط هذا الشرط مع جوابه قولان: أحدهما أنّ المعنى إنّ تركت منه شيئاً فكأنك لم تبلغ شيئاً، وصار ما بلغت لا يعتدّ به، فمعنى إنّ لم تفعل أنّك لم تستوفِ التبليغ على الكمال، والآخر أنّ المعنى إنّ لم تبلغ الرسالة وجب عليك عقاب كتمها ووضع السبب موضع المسبب، والله يعصمك من الناس، وعدّ وضمان للعصمة، وكان رسول الله ﷺ يخاف أعداءه ويحترس منهم في غزواته وغيرها، فلمّا نزلت هذه الآية قال: «يا أيّها الناس انصرفوا فإنّ الله قد عصمني وترك الاحتراس»^(١)، ولعلّ هذا التفسير بعيد كلّ البعد عن القصد الإلهي الذي نزلت لأجله هذه الآية المباركة.

أمّا المفسّر أبو حيان فقد فسّر الآية الكريمة على أنّها نداء بالصفة الشريفة التي هي أشرف أوصاف الجنس الإنساني، وأمر بتبليغ ما أنزل إليه وهو ﷺ قد بلغ ما أنزل إليه، فهو أمر بالديمومة، ولعلّ أبا حيان استند في تفسير هذه الآية على قول ابن عباس: إنّ النبيّ ﷺ قال: «لما بعثني الله برسالته ضقت بها ذرعاً وعرفت أنّ من الناس من يكذبني فأنزل الله هذه الآية»، وقيل: هو أمر بتبليغ خاص، أي: ما أنزل إليك من الرجم والقصاص الذي غيره اليهود في التوراة والنصارى في الإنجيل، وقيل: أمر بتبليغ قضية زينب بنت جحش ونكاحها، وقيل أمر بتبليغ معائب آهنتهم، وقيل بتبليغ الجهاد والحث عليه، وأن لا يتركه لأجل أحد، وكلّ واحد من هذا التبليغ الخاص قيل إنّها

(١) التسهيل، ابن جزى الكلبي: ١/ ٢٤٤.

نزلت بسببه، والذي يظهر أنه تعالى آمنه من مكر اليهود والنصارى، وأمره بتبليغ ما أنزل إليه في أمرهم وغيره من غير مبالاة بأحد؛ لأنَّ الكلام قبل هذه الآية وبعدها هو معهم، فيبعد أن تكون هذه الآية بعيدة عمَّا قبلها وعمَّا بعدها، ﴿وَأَنَّ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ﴾ أي وإن لم تفعل بتبليغ ما أنزل إليك، وظاهر هذا الجواب لا ينافي الشرط، إذ صار المعنى: وإن لم تفعل، والجواب لا بُدَّ أن يغيّر الشرط حتى يترتب عليه أثر ما^(١).

وتبعاً لما تقدّم لم يبين هؤلاء المفسرون المقصد الشريف لهذه الآية المباركة، وما أرادته الله سبحانه وتعالى من نبيه الأكرم أن يبلغه للناس، بحيث يساوي به جميع الرسالة الإسلامية؛ لذا فإنهم ابتعدوا عن الحقيقة التاريخية، وتجاهلوا حادثة الغدير بكلِّ أحداثها وما حملته هذه الحادثة من معانٍ وقيم فكرية، نتج عنها اختلاف كبير في المواقف والرؤى، فتمخض عنها انشقاق كبير عصّف جسد الأمة الإسلامية فاختلفت أيديولوجية المسلمين وعقيدتهم في فهم مسألة الإمامة والخلافة.

والجدريُّ بالذكر القول على الرغم من اختلاف هؤلاء المفسرين وتجاهلهم لحادثة الغدير وما دار بها من حديث مُعتبر، إلا أنّهم أوردوا ما يؤيد هذا الحديث حينما فسروا سورة المعارج ﴿سَأَلْ سَائِلٌ بِعَذَابٍ وَاقِعٍ﴾^(٢).

وقد فسّر بعضهم سورة المائدة وتحديدًا الآية ٦٧، بأنّها نزلت في أمر زينب بنت جحش، وهذا من المستبعد؛ لأنّه هل يستحق أمر زينب بنت جحش أن يساوي بجميع الرسالة الإسلامية، وهل يستحق لهجة الوعيد والتهديد التي وردت في سياق الآية؟ علماً أنّ زواج النبي الأكرم من زينب كان قد تمّ في السنة الخامسة من الهجرة^(٣)، وأنّ الآية ٦٧، هي من أواخر السور التي نزلت على النبي الأكرم ﷺ، أي أنّها نزلت في السنة

(١) تفسير البحر المحيط، أبو حيان: ٤٨٩/١ - ٤٩٠.

(٢) سورة المعارج، الآية: ١.

(٣) تاريخ ابن عساکر: ٢١١/٣.



العاشرة من البعثة وهي آخر سنة من حياة النبي الأكرم ﷺ، أي أن بين أمر الزواج وبين نزول الآية خمس سنوات، فهل يعقل أن النبي الأكرم ﷺ لم يبلغ بأمرها مدة خمس سنوات، وهل يستحق هذا أن يساوى بجميع الرسالة الإسلامية؟

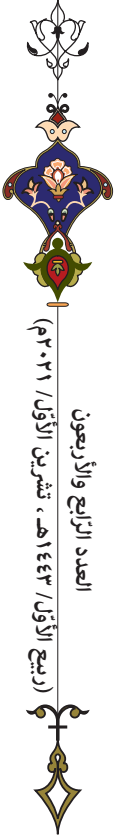
ولعل مجيء هذه الآية في سياق آيات تتحدث عن أهل الكتاب، دفعت بعض المفسرين من أهل السنة لأن يعتقدوا أن المقصود من هذه الآية هو تبليغ الإسلام لأهل الكتاب لا تبليغ خلافة أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام، ولعل هؤلاء المفسرين أرادوا إبعاد الآية عن مقصدها الشريف وحاولوا تغطية الحق، في الوقت الذي أشارت فيه الآية إلى الخطر الذي يحيط بالنبي الأكرم ﷺ، ومن البدهي أن الخطر لم يتوجه للنبي من أهل الكتاب حتى يستدعي وعد الله بالعصمة ﴿وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ﴾، بل المعلوم من حال النبي أنه قد بلغ ما أمر به لأهل الكتاب، حتى في أوائل هجرته إلى المدينة، في وقت كان فيه اليهود يتمتعون بالقوة والحدّة، حتى انتهى إلى وقائع خيبر، وقد قام النبي بتبليغ ما هو أشد من ذلك، وهو تبليغ التوحيد ونفي الوثنية إلى كفار قريش ومشركيهم، وهم أغلظ جانباً، وأسفك للدماء، وأشد بطشاً، وأفتك من اليهود وسائر أهل الكتاب، ناهيك عن أن اليهود حينما نزلت سورة المائدة وآياتها قد كسرت شوكتهم، وأفلت قوتهم فلا معنى لخوف النبي الأكرم منهم في دين الله، بل دخلوا في السلم وقبلوا الجزية، فلا معنى لإقرار الله تعالى لنبيه وخوفه منهم، ولا معنى أيضاً لاضطراب النبي في تبليغ أمر الله إليهم، وهنا على القارئ أن لا يشك في مقصد الآية الشريفة وسبب نزولها هو لتبليغ أمر الخلافة، وهي ظاهرة في أن هناك أمراً مهماً، قد أمر الله نبيه بتبليغه إلى الناس، وكان النبي يخافهم؛ لأنه ثقيل على أنفسهم فتأخر، وأخذ ينتظر الظرف المناسب تجنباً للاصطدام بالمنحرفين، لكن الله تعالى حث النبي ﷺ على التبليغ وعصمه عن كل مكروه، وهدده على الترك بقوله: ﴿وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَغْتَ رِسَالَتَهُ﴾، فولاية علي بن أبي طالب عليه السلام

هي الأمر المهم الذي أمر النبي بتبليغه^(١)، ولعلَّ النبي الأكرم كان يدرك إذا نصَّ على خلافة أمير المؤمنين سيَّتهم بالمحاباة والتحيز لأمر المؤمنين كما وقع هذا الاتهام من قبل الحارث بن النعمان الفهري، ويخشى النبي أن يتخذ المنافقون من هذا النصِّ مادةً للدعاية الإعلامية ضدَّه والتشكيك في نبوّته وعصمته، ومن البديهي أن هذه الدعاية يتقبلها بعض البسطاء والسذج والمنافقين، وهم أشدُّ خلق الله فتكاً بالإسلام والمسلمين، والتاريخ الإسلامي حافل بمكرهم وحيلهم، ولا سيما ما فعله الحرث بن النعمان، حيث كان معادياً لأمر المؤمنين عليّ بن أبي طالب عليه السَّلام، وحاقداً على آل بيت النبوة ﷺ، وقد ازداد حقه، وارتفعت نيرانه حينما بلغه حديث الغدير، واختيار الإمام خليفة من بعد النبي الأكرم، فأتى إلى النبي لكي ينتقد هذه الخطوة ويقلل من شأنها معبراً عن حقه قائلاً: (يا محمد أمرتنا أن نشهد أن لا إله إلا الله فقبلنا، وأمرتنا أن نشهد أنك رسول الله فقبلنا، وأمرتنا بالصلاة والزكاة والصوم والحج فقبلنا، ثم لم ترص حتى أخذت بعضد ابن عمك وفضلته علينا، فقلت: من كنت مولاه فعليُّ مولاه فهذا شيء منك أم من الله؟)، فقال النبي ﷺ: «والذي لا إله إلا هو، إنَّ هذا من الله عزَّ وجلَّ»، فوَلَّى الحرث إلى راحلته وهو يقول: اللهم إن كان ما يقوله محمد حقاً فأمطر علينا حجارة من السماء أو ائتنا بعذاب أليم، فما وصل إلى راحلته حتى رماه الله عزَّ وجلَّ بحجر سقط على رأسه فخرج من دبره، فقتله فأنزَل الله عزَّ وجلَّ هذه الآية ﴿سَأَلَ سَائِلٌ بِعَذَابٍ وَاقِعٍ﴾^(٢).

قال الإمام الباقر عليه السلام: «إنَّ جبرئيل هبط على رسول الله ﷺ...، فقال: إنَّ الله تبارك وتعالى يأمرك أن تدلَّ أُمَّتَكَ من وليِّهم، على مثل ما دلتهم عليه في صلاتهم وزكاتهم وصيامهم وحجهم، قال: فقال رسول الله ﷺ: ربِّ أُمَّتِي حديثو عهد بالجاهلية، فأُنزل

(١) خلافة علي، البامباني، ص ٩٦.

(٢) سورة المعارج، الآية: ١.



الله هذه الآية المباركة، فقام رسول الله فأخذ بيد أمير المؤمنين عليه السلام فرفعها وقال: من كنت مولاه فعليّ مولاه»^(١).

٤- قال الله تعالى: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾^(٢)، ذكر ابن عطية في تفسير هذه الآية أنها نزلت في يوم الحج الأكبر ولما قرأها رسول الله صلى الله عليه وآله بكى عمر بن الخطاب، فقال له رسول الله صلى الله عليه وآله: ما يبكيك؟ فقال: أبكاني أننا كنا في زيادة من ديننا، فأما إذا كمل فإنه لم يكمل شيء إلا نقص، فقال له النبي صلى الله عليه وآله صدقت، وروي أن عمر بن الخطاب قال له يهودي: آية في كتابكم تقرؤونها لو علينا معشر اليهود نزلت لاتخذنا ذلك اليوم عيداً، فقال له عمر آية آية هي؟ فقال له: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ﴾، فقال له عمر: قد علمنا ذلك اليوم، نزلت على رسول الله وهو واقف بعرفة يوم الجمعة.

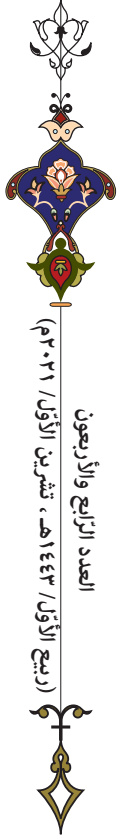
وكذلك ذكر ابن عطية في تفسير هذه الآية أن في ذلك اليوم عيدين لأهل الإسلام إلى يوم القيامة، مبيناً أن اليهود تقول كيف لم تحفظ العرب هذا اليوم الذي كمل الله لها دينها فيه، موضحاً أن سورة المائدة نزلت بالمدينة يوم الإثنين، وقيل إنَّها نزلت في مسير النبي الأكرم صلى الله عليه وآله إلى حجة الوداع، وهذا كله يقتضي أن السورة مدنيّة بعد الهجرة، وإتمام النعمة هو في ظهور الإسلام ونور العقائد وإكمال الدين وسعة الأحوال وغير ذلك ممّا انتظمت هذه الملة الحنيفيّة إلى دخول الجنة والخلود في رحمة الله هذه كلّها نعم الله المتممة قبلنا، وقوله تعالى: ﴿وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾ يحتمل الرضا في هذا الموضع أن يكون بمعنى الإرادة ويحتمل أن يكون صفة فعل عبارة عن إظهار الله إياه؛ لأنّ الرضا من الصفات المترددة بين صفات الذات وصفات الأفعال، والله تعالى قد أراد لنا

(١) الملل والنحل، الشهرستاني: ١ / ١٦١. تفسير العياشي: ١ / ٣٣٣. المجلسي، بحار الأنوار: ٣٧ / ١٤١.

(٢) سورة المائدة، الآية: ٣.

الإسلام ورضيه لنا، وثمَّت أشياء يريد الله تعالى وقوعها ولا يرضاها^(١).
 والملاحظ في تفسير هذه الآية عند ابن عطية، نجده يغيب حقيقة نزولها في تنصيب
 أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السَّلام خليفة للمسلمين بعد النبي الأكرم، لا بل
 إنَّه لم يشر إلى حادثة الغدير لا من قريب ولا من بعيد، إلَّا أَنَّهُ يعترف أَنَّ الله سبحانه
 وتعالى أكمل دين الإسلام في هذا اليوم.

كذلك عمل القرطبي على تفسير هذه الآية فنجده يقول: إنَّ النبي ﷺ حين كان
 بمكة لم تكن إلَّا فريضة الصلاة وحدها فلمَّا قدم المدينة أنزل الله الحلال والحرام إلى أن
 حجَّ فلمَّا حجَّ وكمل الدين، وإِنَّها نزلت في يوم جمعة وكان يوم عرفة بعد العصر في حجة
 الوداع السنة العاشرة للهجرة، ورسول الله ﷺ واقف بعرفة على ناقته فكاد عضد الناقة
 ينقد من ثقلها فبركت، واليوم قد يعبر بجزء منه عن جميعه، وكذلك عن الشهر ببعضه
 تقول: فعلنا في شهر كذا وفي سنة كذا كذا، ومعلوم أَنَّك لم تستوعب الشهر ولا
 السنة وذلك مستعمل في لسان العرب والعجم، والدين عبارة عن الشرائع التي شرف
 وفتح لنا فإنَّها نزلت نجومًا، وآخر ما نزل منها هذه الآية ولم ينزل بعدها حكم، قاله ابن
 عباس والسدي وقال الجمهور: المراد معظم الفرائض والتحليل والتحريم قالوا: وقد
 نزل بعد ذلك قرآن كثير ونزلت آية الربا ونزلت آية الكلالة إلى غير ذلك، وإنَّها كمل
 معظم الدين وأمر الحج إذ لم يطف معهم في هذه السنَّة مشرك ولا طاف بالبيت عريان
 ووقف الناس كلُّهم بعرفة وقيل: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ﴾ بأنَّ أهلكت لكم
 عدوكم وأظهرت دينكم على الدين كلِّه كما تقول: قد تمَّ لنا ما نريد إذا كفيت عدوك،
 أمَّا قوله تعالى: ﴿وَأَتَمَّمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي﴾ أي ياكمال الشرائع والأحكام وإزهار
 دين الإسلام كما وعدتكم، وكذلك قال في تفسير هذه الآية ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ



(١) المحرر الوجيز، ابن عطية: ٢ / ١٥٤ - ١٥٥.

دِينَكُمْ ﴿: إِنَّمَا تَدُلُّ عَلَى أَنَّ الدِّينَ كَانَ يَمُرُّ فِي وَقْتِ عَصِيبٍ، وَأَنَّ جَمِيعَ مَنْ مَاتَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ وَالَّذِينَ شَهِدُوا بَدْرًا وَالْحُدَيْبِيَّةَ وَبَايَعُوا رَسُولَ اللَّهِ الْبَيْعَتَيْنِ جَمِيعًا وَبَدَلُوا أَنْفُسَهُمْ لِلَّهِ مَعَ عَظِيمٍ مَا حَلَّ بِهِمْ مِنْ أَنْوَاعِ الْمُحَنِّ مَاتُوا عَلَى دِينٍ نَاقِصٍ، وَأَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ فِي ذَلِكَ كَانَ يَدْعُو النَّاسَ إِلَى دِينٍ نَاقِصٍ، وَمَعْلُومٌ أَنَّ النِّقْصَ عَيْبٌ وَدِينُ اللَّهِ تَعَالَى قِيَمٌ وَكَامِلٌ عَلَى وَجْهَيْنِ:

١- أن يكون المراد بلغته أقصى الحد الذي كان له عندي في ما قضيته وقدرته، وذلك لا يوجب أن يكون ما قبل ذلك ناقصاً نقصان عيب.

٢- أراد الله سبحانه وتعالى بقوله: ﴿ **الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ** ﴾ أنه وفقهم للحج الذي لم يكن بقي عليهم من أركان الدين غيره، فحجوا فاستجمع لهم الدين أداءً لأركانه وقيامه^(١).
أمّا المفسر ابن جزى الكلبي فقد فسّر قوله تعالى: ﴿ **الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ** ﴾ هذا الإكمال يحتل أن يكون بالنصر والظهور أو بتعليم الشرائع وبيان الحلال والحرام^(٢)، مستبعداً أن تكون هذه الآية قد نزلت لأجل حادثة الغدير.

أمّا أبو حيان فقد فسّر هذه الآية على أنّها نزلت لإكمال الدين الإسلامي وإظهاره، واستيعاب عظيم فرائضه، وتحليله وتحريمه، وقد نزل بعد ذلك قرآن كثير كآيات الربا، وآية الكلاله، وغير ذلك، وإنّما كمل معظم الدين، وأمر الحج، أن حجوا وليس معهم مشرك، وقيل أكملت لكم شرائع دينكم ونفي المشركين عن البيت الحرام، فلم يحج مشرك، وكمال الدين هو عزّه وظهوره، وذلل الشرك ودروسه، لا تكامل الفرائض والسنن، وروي أن هذه الآية نزلت يوم الحج الأكبر^(٣).

لعلّ أبا حيان لم يختلف عمّن سبقه بالتفسير فقد دأب في تغييب الأثر القرآني الدال

(١) الجامع لأحكام القرآن، القرطبي: ٢٩٢/٧ - ٢٩٥.

(٢) التسهيل، ابن جزى الكلبي: ٢٢٥/١.

(٣) تفسير البحر المحيط، أبو حيان: ٣٥٧/٤.

على حادثة الغدير في القرآن، إذ لم يشر إلى هذه الحادثة، ولم يلمح لها أبداً، وكأن هذه الآية لم يكن سبب نزولها تنصيب الإمام علي بن أبي طالب عليه السّلام خليفة للمسلمين بعد النبي الأكرم ﷺ.

وقد اتفقت الإمامية على نزول هذه الآية المباركة في يوم الغدير بعد إبلاغ النبي محمد ﷺ بولاية أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السّلام، وقد وافق على ذلك كثير من علماء التفسير وأئمة الحديث وحفظة الآثار من أهل السنة^(١).

جاء في الروايات التاريخية أن النبي الأكرم ﷺ دعا الناس إلى علي بن أبي طالب عليه السّلام، في يوم غدير خم، وأمر بما تحت الشجرة من الشوك، فدعا علياً فأخذ بضبعيه فرفعهما، حتى نظر الناس إلى بياض إبطيهما، ولم تتفرق الناس حتى نزلت الآية المباركة ﴿ **الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتَمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيْتُ لَكُمْ الْإِسْلَامَ دِينًا** ﴾^(٢)، فقال النبي الأكرم: «الله أكبر على إكمال الدين، وإتمام النعمة ورضا الرب برسالتي، والولاية لعلي بن أبي طالب من بعدي»، ثم قال: «من كنت مولاه فعلي مولاه، اللهم وال من والاه، وعاد من عاداه، وانصر من نصره، وأخذل من خذله»^(٣).

ويتضح أن المفسرين المذكورين آنفاً، يذكرون أن الآية المباركة نزلت يوم عرفة وهذا لا ينافي نزولها يوم الغدير، بعد تأخر النبي عن تبليغ أمر الخلافة إلى يوم غدير خم، ولعل قولهم إن الآية نزلت يوم عرفة ليس إلا تغطية للحق، وتضليل الناس بغضاً بعلي، وإنكاراً لحقه في خلافة المسلمين.

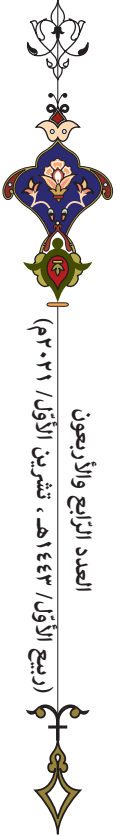
(١) المسند، أبو داود: ص ٢٩. الطبقات الكبرى، ابن سعد: ٣/ ٢٤. المسند، ابن حنبل: ١/ ١٧٣-١٨٥. الترمذي،

السنن: ٥/ ٣٠١-٣٠٢. السنن الكبرى، النسائي: ٥/ ١٢٣-١٢٤. الحاكم النيسابوري، المستدرک: ٣/ ١٣٣.

بشارة المصطفى، الطبري: ص ٣١٦. تاريخ ابن عساکر: ٤٢/ ١٤٢-١٤٣.

(٢) سورة المائدة، الآية: ٣.

(٣) خلافة علي، البامباني: ص ٩٩.



الخاتمة

١- لم تكن حادثة الغدير حدثاً استثنائياً بالنسبة لأمر المؤمنين عليّ بن أبي طالب عليه السّلام، بل كان ذلك هو الحقّ الطبيعي له؛ لأنّه هو المؤهل الوحيد بين المسلمين جميعاً لأن يكمل الرسالة الإسلاميّة في عمقها وامتدادها الصحيح.

٢- خلّفت حادثة الغدير بكلّ ما تحمله من إيجابيات ودلائل آثاراً كبيرة في كيان التاريخ الإسلامي، برز من خلالها ملامح الاختلاف والصراع العقائدي والفكري، ولا سيما بعد أن تمّ إكمال الدين على يد النبيّ الأكرم ﷺ، إذ أمّتها بولاية أمير المؤمنين وأهل بيته عليهم السّلام.

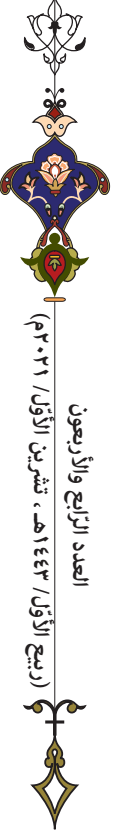
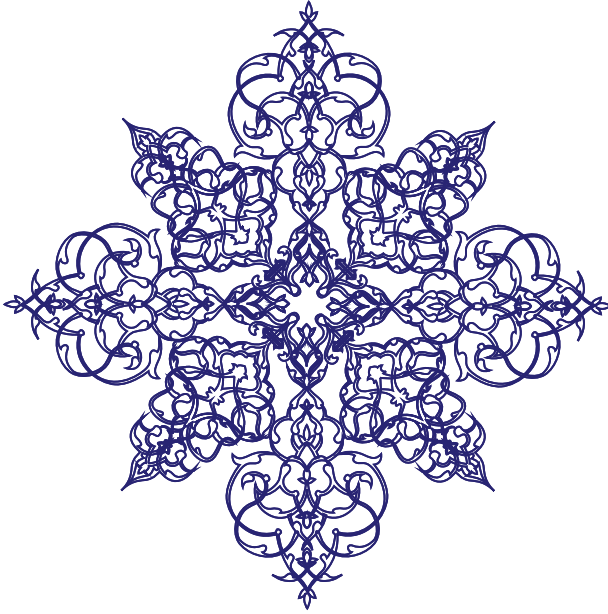
٣- تمخض عن حادثة الغدير، اختلاف كبير عصف بالأُمَّة الإسلاميّة، نتج عنه اختلاف في كتابة التاريخ، والفكر، الأدب، الفلسفة والمنطق.

٤- يُعدُّ نزول الآيات القرآنيّة الدالة على خلافة الإمام عليّ بن أبي طالب عليه السّلام، وتهيئة الأول والثاني وجمع غفير من الصحابة له، دليلاً واضحاً على بيعة الغدير وتنصيب الإمام عليّ بن أبي طالب خليفة للمسلمين بعد النبيّ الأكرم محمد ﷺ.

٥- انطوت حادثة الغدير بعنوانها ومفهومها بوصفها ميثاقاً للأُمَّة وطريقاً لمستقبلها الواعد من خلال ظرفها الزماني الدالّ على حقيقة مفادها أن لا دين بلا ولاية.

٦- على الرغم من دخول التشيع إلى الأندلس منذ بدايات الفتح الإسلامي لمنطقة شبه الجزيرة الأيبيرية سنة ٩٢هـ/ ٧١٠م، وظهور دولة بني حمود الشيعية إلا أن الأندلس

ظلت أمويّة الهوى، الأمر الذي انعكس سلباً على آراء المفسرين الأندلسيين وأفكارهم الذين غيبوا حادثة الغدير في تفسيرهم للآيات القرآنيّة، ولا سيما تلك التي تؤكد أحقية أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب في منصب الخلافة بعد النبيّ الأكرم ﷺ.

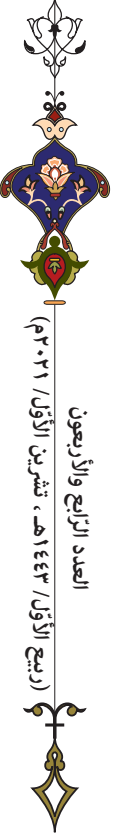


قائمة المصادر والمراجع

المصادر

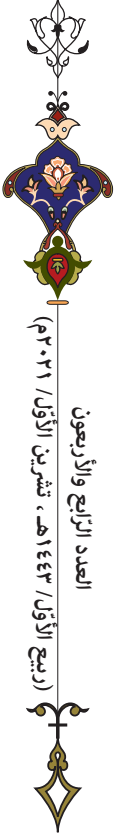
١. القرآن الكريم.
٢. العسقلاني، أحمد بن علي بن حجر (٨٥٢هـ / ١٤٤٨م).
٣. الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة، دار إحياء التراث العربي، بيروت، د. ت.
٤. ابن البطريق يحيى بن الحسن الأسدي (ت ٦٠٠هـ / ١٢٠٤م).
٥. عمدة عيون صحاح الأخبار في مناقب إمام الأبرار، مؤسسة النشر الإسلامي، قم، ١٩٨٦م.
٦. البحراني، هاشم التوبلي البحراني، (ت ١١٠٧هـ / ١٦٩٥م).
٧. البرهان في تفسير القرآن، تحقيق قسم الدراسات الإسلامية، مؤسسة البعثة، قم، د. ت.
٨. غاية المرام وحجة الخصام في تعيين الإمام من طريق الخاص والعام، تحقيق: السيد علي عاشور، الناشر مؤسسة التاريخ العربي، د. ت.
٩. الترمذي، أبو عيسى محمد بن عيسى، (ت ٢٧٩هـ / ٨٩٢م).
١٠. سنن الترمذي، تحقيق: عبد الوهاب عبد اللطيف، دار الفكر، بيروت، ١٤٠٣هـ.
١١. أبو القاسم ابن جُزي الكلبي، أبو القاسم محمد بن أحمد، (٧٤١هـ / ١٣٤٠م).
١٢. التسهيل لعلوم التنزيل، ضبطه وصححه وخرج آياته: محمد سالم هاشم، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٥م.
١٣. ابن حزم، أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد، (ت ٤٥٦هـ / ١٠٦٣م).
١٤. حجة الوداع، تحقيق: أبي صهيب الكرمي، الناشر بيت الأفكار الدولية للنشر والتوزيع، الرياض، ١٩٩٨م.

١٥. الفصل في الملل والأهواء والنحل، تحقيق: محمد إبراهيم نصر وعبد الرحمن عميرة، دار الجليل، بيروت، ١٩٩٦م.
١٦. الحاكم النيسابوري، أبو عبد الله محمد بن عبد الله، (ت ٤٠٥هـ / ١٠١٤م).
١٧. المستدرک على الصحيحین، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، الناشر دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١١هـ.
١٨. ابن حنبل، أبو عبد الله أحمد بن محمد، (ت ٢٤١هـ / ٨٥٥م).
١٩. المسند، دار صادر، بيروت، د. ت.
٢٠. الحلبي، علي بن برهان الدين، (ت ١٠٤٤هـ / ١٦٣٤م).
٢١. السيرة الحلبية، الناشر دار المعرفة، بيروت، ١٤٠٠هـ.
٢٢. ابن الخطيب، لسان الدين أبو عبد الله محمد بن الخطيب السلماني، (ت ٧٧٦هـ / ١٣٧٤م).
٢٣. الإحاطة في أخبار غرناطة، تحقيق: محمد عبد الله عنان، ط ٢، الناشر مكتبة الخانجي للطبع والنشر والتوزيع، القاهرة، ١٩٧٣م.
٢٤. الخوارزمي، الموفق بن أحمد بن محمد المكي (ت ٥٦٨هـ / ١١٧٢م).
٢٥. المناقب، تحقيق: مالك المحمودي، ط ٢، مؤسسة النشر الإسلامي، قم، ١٩٩٣م.
٢٦. أبو داود، سليمان بن داود الطيالسي، (ت ٢٠٤هـ / ٨١٩م).
٢٧. مسند الطيالسي، دار الحديث، بيروت، د. ت.
٢٨. الرازي، عبد الرحمن بن محمد بن إدريس بن أبي حاتم، (ت ٣٢٧هـ / ٩٣٨م).
٢٩. تفسير القرآن العظيم، تحقيق: أسعد محمد الطيب، دار الفكر، بيروت، ١٤٢٤هـ.
٣٠. الإربلي، علي بن عيسى بن أبي الفتح (ت ٦٩٣هـ / ١٢٩٤م).
٣١. كشف الغمة في معرفة الأئمة، ط ٢، دار الأضواء، بيروت، ١٩٨٥م.
٣٢. السبكي، عبد الوهاب بن علي، (ت ٧٧٦هـ / ١٣٧٤م).
٣٣. طبقات الشافعية الكبرى، تحقيق: محمود محمد الطناجي، ط ١، مطبعة عيسى الحلبي وشركاه، القاهرة، ١٩٦٤م.
٣٤. ابن سعد، محمد بن سعد بن منيع البصري، (ت ٢٣٠هـ / ٨٤٤م).
٣٥. الطبقات الكبرى، الناشر دار صادر، بيروت، د. ت.



٣٦. السيوطي، أبو الفضل جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر، (ت ٩١١هـ/ ١٥٠٥م).
٣٧. الدرر المنثور في التفسير بالمأثور، بغداد، ١٣٧٧هـ.
٣٨. ابن شهر آشوب أبو عبد الله محمد بن علي بن أبي نصر بن أبي حبيش المازندراني (ت ٥٨٨هـ/ ١١٩٢م).
٣٩. مناقب آل أبي طالب، قام بتصحيحه وشرحه ومقابلته: لجنة من أساتذة النجف الأشرف، المكتبة الحيدرية، النجف الأشرف، ١٩٥٦م.
٤٠. الشهرستاني، محمد بن عبد الكريم بن أبي بكر بن أحمد، (٥٤٨هـ/ ١١٥٣م).
٤١. الملل والنحل، تحقيق: محمد سيد كيلاني، الناشر دار المعرفة، بيروت، ١٤٠٤هـ.
٤٢. الصفدي، صلاح الدين خليل بن أيبك، (ت ٧٦٤هـ/ ١٣٦٢م).
٤٣. الوافي بالوفيات، تحقيق: أحمد الأرنؤوط وتركي مصطفى، دار إحياء التراث، بيروت، ١٤٢١هـ.
٤٤. الضبي، أحمد بن يحيى بن أحمد بن عميرة، (٥٩٩هـ/ ١٢٠٢م).
٤٥. بغية الملتبس في تاريخ رجال أهل الأندلس، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ٢٠٠٨م.
٤٦. الطبري، عماد الدين أبو جعفر محمد بن القاسم، (ت بعد ٥٥٣هـ/ ١١٥٨م).
٤٧. بشارة المصطفى لشيعه المرتضى، تحقيق: جواد القيومي، ط ٢، مؤسسة النشر الإسلامي، قم، ١٤٢٢هـ.
٤٨. الطبراني، أبو القاسم سليمان بن أحمد بن أيوب اللخمي (ت ٣٦٠هـ/ ٩٧٠م).
٤٩. المعجم الأوسط، تحقيق: قسم التحقيق بدار الحرمين، أبي معاذ طارق بن عوض الله بن محمد، دار الحرمين، ١٩٩٥م.
٥٠. ابن طاووس أبو القاسم علي بن موسى الحلي (ت ٦٦٤هـ/ ١٢٦٥م).
٥١. الطرائف في معرفة مذاهب الطوائف، ط ١، مطبعة الخيام قم ١٩٨٠م.
٥٢. الطوسي، أبو جعفر محمد بن الحسن، (ت ٤٦٠هـ/ ١٠٦٧م).
٥٣. الرسائل العشر، الناشر مؤسسة النشر الإسلامي، قم، د. ت.
٥٤. ابن عساكر، أبو القاسم علي بن الحسن بن هبة الله الشافعي، (ت ٥٧١هـ/ ١١٧٥م).

٥٥. تاريخ مدينة دمشق، تحقيق: علي شيري، دار الفكر، بيروت، ١٤١٦هـ.
٥٦. ابن عطية الأندلسي، أبو محمد عبد الحق بن غالب، (٥٤٦هـ / ١١٥١م).
٥٧. المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، تحقيق: عبد السلام عبد الشافي محمد، طبعة محققة عن نسخة أيا صوفيا المحفوظة صورتها في مكتبة مرعشي نجفي قم، منشورات محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠٠١م.
٥٨. العياشي، أبو النظر محمد بن مسعود بن عياش السلمي، (٣٢٠هـ / ٩٣٢م).
٥٩. التفسير، تحقيق: السيد هاشم الرسولي، د. ط، المكتبة العلمية الإسلامية، طهران، د. ت.
٦٠. ابن فرحون، إبراهيم بن نور الدين، (٧٩٩هـ / ١٣٩٦م).
٦١. الديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب، تحقيق: مأمون بن محيي الدين الجنان، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٧هـ.
٦٢. القرطبي، أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر، (٦٧١هـ / ١٢٧٢م).
٦٣. الجامع لأحكام القرآن والمبين لما تضمنه من السنة وآي الفرقان، تحقيق: عبد الله بن عبد المحسن التركي، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، ٢٠٠٦م.
٦٤. المجلسي، محمد باقر (١١١١هـ / ١٦٩٩م)
٦٥. بحار الأنوار الجامعة لدرر أخبار الأئمة الأطهار، ط٢، مؤسسة الوفاء، بيروت، ١٩٨٣م.
٦٦. المقرئ، أحمد بن محمد المقرئ التلمساني، (١٠٤١هـ / ١٦٣١م).
٦٧. نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، تحقيق: إحسان عباس، دار صادر، بيروت، ١٩٨٨م.
٦٨. النسائي، أبو عبد الرحمن أحمد بن شعيب، (٣٠٣هـ / ٩١٥م).
٦٩. السنن الكبرى، تحقيق: عبد الغفار سليمان وسيد كسروي حسن، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١١هـ.
٧٠. الهيثمي علي بن أبي بكر (٨٠٧هـ / ١٤٠٤م).
٧١. مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٨٨م.
٧٢. الأيني، عبد الحسين بن أحمد بن نجف قلي.
٧٣. الغدير في الكتاب والسنة والأدب، الناشر دار الكتاب العربي، بيروت، ١٣٩٧هـ.



٧٤. الحساني، كريم جهاد
٧٥. الغدير والتأسيس لحكومة الإمام عليّ عليه السّلام في فكر المستشرقين، بحث منشور في مجلة دراسات استشراقية، المركز الإسلامي للدراسات الإستراتيجية، العدد ٨، ٢٠١٦م.
٧٦. السنافي، سارة أحمد عبد الرزاق.
٧٧. الإمام عليّ عليه السلام في تفسير القرطبي دراسة تاريخية، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة البصرة، كلية الآداب، ٢٠١٦م.
٧٨. عبد الرضا، قصي جواد.
٧٩. كتاب الإمام عليّ بن أبي طالب لعبد الفتاح عبد المقصود دراسة تاريخية تحليلية، رسالة ماجستير، كلية التربية، جامعة القادسية، ٢٠١٩م.
٨٠. القزويني، محمد الحسيني.
٨١. واقعة الغدير، مؤسسة ولي العصر (عج) للدراسات الإسلامية، ٢٠١٣م.
٨٢. الكوفي، محمد بن سليمان.
٨٣. المناقب، تحقيق: محمّد باقر المحمودي، الناشر مجمع إحياء الثقافة الإسلامية، قم المقدسة، د. ت.
٨٤. الكعبي، إيلاف شاكر زبيل.
٨٥. شخصية الإمام عليّ بن أبي طالب عليه السّلام في كتاب الاستيعاب لابن عبد البر الأندلسي ت٤٦٣هـ/١٠٧٠م، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة ذي قار، كلية الآداب، ٢٠١٧م.
٨٦. محمد بن عبد الله المعتزلي.
٨٧. المعيار والموازنة في فضائل أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب عليه السلام، تحقيق: محمّد باقر المحمودي، ط١، ١٩٨١م.



عِيدُ الْغُلَامِ

لَا تُرْفَعُ

عِيدُ اللَّهِ الْأَكْبَرِ

تَوْظِيفُ الاِقْتِبَاسِ الْقُرْآنِيِّ وَالنَّبَوِيِّ

فِي خُطْبَةِ الْغَدِيرِ

م.م. فرقان مهدي عباس حيدر

العتبة العلوية المقدسة / المكتبة النسوية

Implementing the Quranic and prophet's Hadith quotes in the sermon of Al-Ghadeer

Forqan Mahdi Abbas Hayder

lib.woman222@gmail.com

ملخص البحث

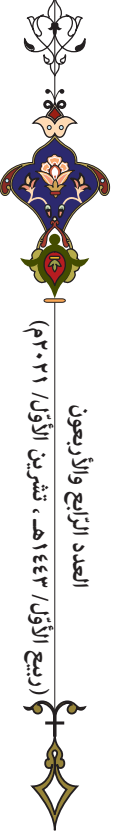
تناول هذا البحث مفهوم الاقتباس لغة واصطلاحًا، وبيان وظائفه الجمالية والدلالية، مع عرض أبرز الموضوعات التي تطرقت لها خطبة غدير خم، ومن ثم دراسة الاقتباس تطبيقًا وبيان مدى أثره في متلقي النص بأنواعه المختلفة. الكلمات المفتاحية:

الاقتباس القرآني - الاقتباس النبوي - خطبة الغدير - وظيفة - الإمامة

Abstract

This study is about the concept of Quotation in language and idiom sciences, and clarifying it's aesthetic and semantic functions, and showing the main topics which the sermon of Alghadeer mentioned, and then studying the quotation practically and explaining the depth of it's impact on the receiver of the text considering their varieties.

Keywords: Quranic quotation – prophet quotation – al-Ghadeer sermon – the function of imamate



المقدمة

يعدُّ القرآن الكريم مصدر التشريع الإسلامي الأوَّل، تليه السُّنَّة النبويَّة المطهَّرة، التي تمتدُّ زماناً ومكاناً بأهل البيت والعترة الطاهرة عليهم السلام، الذين أراد الله أن يجعلهم هدى للناس في تطبيق الشريعة الإلهيَّة بأمثل تطبيق يؤدي إلى إسعاد البشر في دنياهم وأخراهم. ولما كان المتلقون ينجذبون إلى الكلام الجميل بطبيعتهم، فقد عني الله تعالى ونبيّه الكريم بجمال كلامها ليكون إحدى الطرائق المؤثرة؛ لكي ترسخ الأنساق الإبلاغيَّة في النفس حتى قيل إنَّ المتلقي العربي لا يمكن أن يتصور أن الكلام آتٍ من مصدر إلهيٍّ ما لم يكن جميلاً.

ومن أساليب الجمال البديعيَّة المؤثرة في نفس المتلقي تأثيراً كبيراً هو أسلوب الاقتباس، أي تضمين كلام الله ورسوله صلى الله عليه وآله في كلام الشاعر أو الناثر، أمَّا في خطب النبيِّ فإنَّ الاقتباس يشمل تضمين كلام الله تعالى في كلام النبيِّ صلى الله عليه وآله، فضلاً عن تضمين كلام النبيِّ لكلام له سابق زمانياً.

وقد اقتضت طبيعة البحث أن يُقسَّم على ثلاثة مباحث، خُصص الأوَّل لتحديد مفاهيم عنوان البحث وبيان وظائف الاقتباس الجماليَّة والدلاليَّة، وخُصص الثاني لبيان أهم الموضوعات التي تطرقت لها خطبة غدير خم. أمَّا المبحث الثالث فخُصص لدراسة الاقتباس تطبيقياً وبيان مدى أثره في متلقي النصِّ بأنواعه المختلفة.

سائلة الله العليَّ القدير أن يوفقني لخدمة الرسالة المحمَّديَّة والإماميَّة بجهد يسير، أرجو من الله أن يتقبله في ميزان أعماله، وآخر دعوانا أن الحمد لله ربَّ العالمين، عليه توكلت وإليه أُنيب.

المبحث الأول

مفهوم الاقتباس لغةً واصطلاحاً ودظيفةً

سنقسم هذا المبحث على مطلبين ندرس في أولهما مفهوم الاقتباس لغةً واصطلاحاً بلاغياً، وفي الثاني سنبين وظائف الاقتباس على النحو الآتي:

المطلب الأول: مفهوم الاقتباس لغةً واصطلاحاً:

١- الاقتباس لغةً:

القاف والباء والسين أصلٌ يدلُّ على (صفة من صفات النار، ثم يُستعار، ومن ذلك القبس: شعلة النار، قال تعالى في قصة موسى على نبينا وآله وعليه السلام: ﴿إِنِّي ءَأَنْسْتُ نَارًا لَّعَلِّي ءَأْتِيكُمْ مِنْهَا بِقَبَسٍ﴾^(١)، ويقولون: أقبستُ الرجلَ علماً، وقبسته ناراً... ومن هذا القياس قولهم: فحلُّ قبيس، وذلك إذا كان سريع الإلقاح كأنه شُبِّهَ بشعلة النار)^(٢).

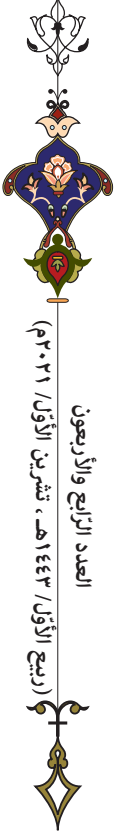
٢- الاقتباس اصطلاحاً:

هو أن يُضَمَّنَ الكلامُ شيئاً من القرآن أو الحديث، لا على أنه منه، نحو قول الحريري: (فلم يكن إلا كلمح البصر أو هو أقرب حتى أنشد فأغرب)^(٣)، وقول أبي

(١) سورة طه، الآية: ١٠.

(٢) مقاييس اللغة، ابن فارس: ٤٨ / ٥.

(٣) القول مقتبس من سورة النحل، الآية: ٧٧، في قوله تعالى: ﴿وَمَا أَمْرُ السَّاعَةِ إِلَّا كَلَمْحِ الْبَصَرِ أَوْ هُوَ أَقْرَبُ﴾.



القاسم بن الحسن الكاتبي^(١):

إن كنتِ أزمعتِ على هجرنا من غير ما جُرمِ فصبرٌ جميلٌ
وإن تبدلتِ بنا غيرنا فحسبنا الله ونعم الوكيل

وقول الحريري: (قلنا شاهت الوجوه، وقبح اللُكع ومن يرجوه^(٢)...) (٣).
ويُقسم الاقتباس على قسمين^(٤):

أولهما: الاقتباس باللفظ أو بالنص من دون تغيير، ومثاله ما تقدم.

ثانيهما: الاقتباس بتغيير يسير في الألفاظ والمعاني، نحو قول ابن الرومي:

لئن أخطأتُ في مدحي فما أخطأتُ في منعي
فقد أنزلتُ حاجاتي بسوادٍ غيرِ ذي زرع^(٥)

نلاحظ وجود اقتباس واضح من قوله تعالى: ﴿رَبَّنَا إِنِّي أَسْكَنْتُ مِنْ ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ﴾^(٦)، ولكن الشاعر غير في اللفظ والمعنى في كلمة: (أنزلتُ حاجاتي)، بدلاً من: (أسكنتُ من ذريتي)، ليلائم بين غرضه الشعري في المديح، وإقامة الوزن في وقت واحد.

المطلب الثاني: وظائف الاقتباس الجمالية والدلالية:

يرى علماء البلاغة^(٧) أن الاقتباس تضمن المتكلم لكلامه الشعري أو النثري شيئاً من القرآن والحديث الشريف بهدف تزيين نظامه وتفخيم شأنه، لا على أنه منه؛ أي

(١) لم أعتز على ترجمته فيما تيسر لدى الباحثة من مصادر.

(٢) هذا القول مقتبس من الحديث الشريف الذي تضمن قوله ﷺ: «شاهت الوجوه» مستل من حديث بدر، قاله النبي ﷺ حين رمى المشركين بالتراب. ينظر: النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير: ٢ / ٥١١.

(٣) تلخيص المفتاح في المعاني البيان والبدیع، الخطيب القزويني: ٢١٧.

(٤) ينظر: المصدر نفسه: ٢١٨.

(٥) ديوانه: ٤ / ١٩٤.

(٦) سورة إبراهيم، الآية: ٣٧.

(٧) ينظر: حسن التوسل في صناعة التوسل، الحلبي: ٣٢٤، تلخيص المفتاح، الخطيب القزويني: ٢١٦، الإتيان في

علوم القرآن، السيوطي: ١ / ٣٨٦.

بشرط أن يكون الكلام المقتبس منصهراً في الكلام الجديد معنى وإيقاعاً، فلا يُشار إلى المقتبس القديم بالإحالات الخارجية، نحو: (قال الله تعالى)، أو (قال رسول الله ﷺ)؛ لأن هذه العبارات تُقلل من الوظيفة الجمالية للاقتباس، وحينئذ لا يحقق الأثر في متلقيه؛ لأن العبارات التي تُحيل إلى الخارج تقلل من جمالية الاقتباس - في نظر البلاغيين -، الذين ينظرون إلى الأثر الجمالي فحسب من دون النظر إلى البنية الدلالية التي تخاطب العقل، ولا ضير في تقليل نسبة الجمال الذي يخاطب وجدان المتلقي، إذ لا يوجد في الكلام - مهما بلغ من البلاغة - ما هو جميل مطلق، إلا كتصور في الذهن ليس له وجود في الواقع.

وعلى هذا الأساس يمكن تقسيم الاقتباس على قسمين:

١- الوظيفة الجمالية لبنية الاقتباس السطحية: وتنتج من تكوين الأشكال القويّة المؤثرة في النفس بتعاقد بنيتين الأولى متوقّعة وهي كلام الشاعر أو الخطيب، والثانية غير متوقّعة؛ لأنها كلام مقدّس يفاجئ المتلقي بالاستدعاء المقتبس من الذاكرة، ويحدث الأثر الجمالي من تداخل المقدّس بلا مقدّس، أو القديم بالجديد، أو السماوي بالأرضي، إلى غير ذلك من علاقات تربط التاريخي بلا تاريخي.

٢- الوظيفة الدلالية لبنية الاقتباس العميقة: وهي تمثل التنظيم السيميائي للنصوص الذي يكشف عن صلته بظروف إنتاج الأثر الفني في سياق التواصل الذي يجعل من النصّ نشاطاً اجتماعياً يتضمّن مقاصد خفية يتدبّر معانيها المتلقي^(١).

والوظيفة الدلالية تنسجم مع النثر الفني أكثر أو الخطابة في الأماكن التي تحتاج إلى برهان، أي التي تخاطب العقل أكثر من مخاطبة الوجدان، ولهذا فصل بعض الباحثين بين الاقتباس الجمالي في الشعر الذي يلبي شروط البلاغيين، والاقتباس الدلالي في النثر



(١) معجم المصطلحات الأدبية، بول آرون وزميلاه: ٣٢١.

الفني الذي يلائمه الاقتباس الدلالي، وتفصيل ذلك فيما يأتي^(١):

أولاً: في الشعر لا تُستحسن الإحالة؛ لأنه يخاطب الوجدان أكثر من العقل؛ ذلك أنّ العبارات السابقة لا تلائم فن الشعر، القائم بناؤه على الإيقاع والنغم، ويُفضّل الشعر أن لا يُجِيل إلا على نفسه؛ لذلك لا تستحسن الإحالة إلى غيره.

ثانياً: في النثر الفني تُستحسن الإحالة لخطاب العقل أكثر من الوجدان، إذ تتوافق الإحالات بالعبارات السابقة مع النثر في الأجزاء التي تخاطب العقل؛ لأنّ النثر الفني لا يعتمد على الإيقاع والنغم كثيراً، إلا في أماكن محددة منه التي تخاطب وجدان المتلقي، ولا سيما في مقدمات الخطب، أمّا في الأماكن التي تخاطب العقل فإنّ النثر يُجِيل إلى الخارج، بمعنى أنه لا يتعارض مع الإحالة إلى الخارج، بل قد يُستحسن ذلك للدلالة على انسجام الكلام النثري مع الكلام المقدّس الذي يُعدُّ عند المخاطب المسلم من المقدمات المحترمة للبرهان أو إقامة الحجّة، مع أنّ عدم الإحالة بالعبارات السابقة تسبغ أثراً جمالياً في نفس المتلقي في الأجزاء التي تخاطب العاطفة أكثر من العقل، إذ يشعر المتلقي بأنّ الاقتباس جزءاً من كلام البشر غير المعصومين، ثمّ يتفاجأ بعد ذلك بأنّه حصل اقتباس عن طريق عملية التداعي من الذاكرة، فيعمل الاقتباس بتكوين بنية كلامية مقدّسة قديمة معرّزة للبنية الجديدة، ومن تعاضد البنيتين تتكوّن (الأشكال الفنيّة القويّة).

(١) ينظر: علم البديع، رؤية معاصرة وتقسيم مقترح، د. خالد كاظم حميدي: ١٨٣.

المبحث الثاني

خطبة الغدير وموضوعاتها وأهميتها

سنقسّم هذا المبحث على ثلاثة مطالب، نُخصّص أوّلها لمعرفة تاريخ خطبة الغدير زماناً ومكاناً، وعلاقة ذلك بحجّة الوداع، وندرس في المطلب الثاني موضوعات خطبة الغدير، أمّا المطلب الثالث فخصّص لبيان أهميّة هذه الخطبة في حياة الأمة.

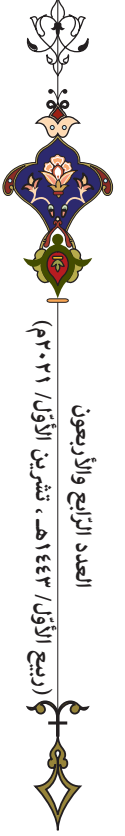
المطلب الأوّل: مكان خطبة الغدير وزمانها:

غدير (خَم) مكان فيه ماء بالجحفة يقع بين الحرمين، على بعد ثلاثة أميال من الحرم المكي^(١)، وقد قصد النبي ﷺ هذا المكان بعد حجّه حجّة الوداع سنة (١٠هـ)، إذ لم ينزل مكّة، وقيل له في ذلك: (لو نزلت يا رسول الله بعض منازلك؟ قال: «ما كنت لأنزل بلداً أخرجتُ منه»، فخرج ليلاً منصرفاً إلى المدينة، فصارَ إلى موضع بالقرب من الجحفة يقال لها (غدير خَم)، لثماني عشرة ليلة خلت من ذي الحجة...)^(٢).

ويبدو أنّ هذا المكان مناسب للتصريح بأهم موضوع دينيٍّ سياسيٍّ مستقبليٍّ؛ لأنّ مكّة بيّنة قريش، وهم قريبو عهدٍ بالكفر والصراع الدموي على السّلطة؛ لذلك يمكن أن تحدث فوضى متعمّدة عند التصريح بمثل هذا الموضوع المصيري الخطير.

(١) القاموس المحيط، الفيروزآبادي: ٣٩٦.

(٢) تاريخ يعقوبي: ١ / ١٧٣ - ١٧٤.



أمّا زمان خطبة الغدير فهو مناسب جداً، نظراً لتطهّر قلوب المؤمنين بعد فريضة الحج بأقرب وقت، فضلاً عن أنّ المدينة بيئة تضمّ فئات من الناس متنوّعة الإيـان.

المطلب الثاني: موضوعات خطبة الغدير:

تضمّنت خطبة الغدير موضوعين: موضوع مركزي، وموضوعات حافّة يقتضيها الموضوع المركزي، سنفصل القول فيها بالآتي:

١- الموضوع المركزي:

وهو إرساء قواعد تنظيم السُّلطة الدينيّة والسياسيّة لدولة العدل الإلهيّة بعد النبيّ ﷺ، المتمثل بعلاقة الحاكم بالمحكوم المثلّي، التي يمكن تقسيمها على سلطتين^(١): أوّلاهما: السُّلطة أو الإمامة أو الخلافة الكبرى: وهي الرياسة الباطنيّة الروحيّة، وخصّصت في عصر صدر الإسلام للإمام عليّ عليه السلام، فهو خليفة الرسول ﷺ شرعاً، وهو الخليفة أو الإمام الذي ليس فوقه خليفة أو إمام؛ لأنّ هذه السُّلطة إلهيّة انتقلت إليه عن طريق رسول الله ﷺ بأمر إلهيّ، وقد أكملتّها الإماميّة الاثنا عشرية إلى اثني عشر إماماً معصوماً آخرهم الحجة المنتظر عجل الله تعالى فرجه الشريف.

ثانيهما: سلطة أو إمامة أو خلافة صغرى: وهي الإمامة والرئاسة الظاهريّة، أو الدنيويّة.

ولها تين السُّلطتين القائمتين على أخلاقيات الشريعة الإسلاميّة وظيفّة تُهدف للخير العام بفعل تطبيق الشريعة الإلهيّة تطبيقاً مثالياً، لا يستطيع أن يؤديها غير المعصوم،

(١) ينظر: أُنموذج الانتقال السلمي للسُّلطة الدنيوية بعد الرسول ﷺ حتى خلافة الإمام الحسن عليه السلام، قراءة في التراث الفكري السياسي، د. توماس غازي، بحث منشور في مجلة القادسية للعلوم الإنسانية، مجلة علميّة فصليّة محكمة، جمهورية العراق، وزارة التعليم العالي والبحث العلمي، جامعة القادسية، كلية الآداب، المجلد (١٧)، العدد (١)، كانون الثاني، آذار، ٢٠١٤م: ٢٤٢.

وتظهر جليّة عند كلّ مُصلِحٍ لا يخفي مصالحه الذاتيّة تحت شعارٍ دينيٍّ أخلاقي عام: (أُتيتُ لأحكم بالكتاب وإحياء السنّة وإماتة البدع).

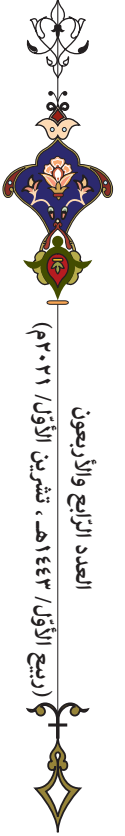
لقد ظهر موقف أمير المؤمنين عليّ عليه السلام الأخلاقي العام - بعد انتقال الرسول صلى الله عليه وآله إلى الرفيق الأعلى -، برفضه الدعوات العصبية القبليّة التي تنصره على المطالبة بحقه بالخلافة، نحو دعوة أبي سفيان (ت ٣١هـ)، برواية الطبري (ت ٣١٠هـ): (لما اجتمع الناس على بيعه أبي بكر، أقبل أبو سفيان وهو يقول: والله إنّي لأرى عجاجة لا يطفئها إلّا الدم! يا آل عبد مناف فيمّ أبو بكر من أموركم، أين المستضعفان، أين الأذلان عليّ والعباس؟ وقال: أبا حسن: ابسط يدك حتى أباعك، فأبى عليّ عليه... وقال: «إنك والله ما أردت بها إلّا الفتنة، وإنك والله طالما بغيت للإسلام شرّاً، لا حاجة لنا في نصيحتك»^(١)، ولو عُرض هذا الدعم على غير المعصوم لقبل به.

لقد بلغ النبيّ صلى الله عليه وآله هذا الأمر المهم، على مرحلتين: المرحلة الأولى: الخطاب العام في مكّة، وقد ورد في ضمن خطبة الوداع، روى اليعقوبي (ت بعد ٢٩٣هـ) قوله صلى الله عليه وآله: «لا ترجعوا بعدي كفاراً مضلين يملك بعضكم رقاب بعض، إنّي قد خلفت فيكم ما إن تمسكتم به لن تضلوا: كتاب الله وعترتي أهل بيتي، ألا هل بلغت؟» قالوا: نعم. قال: «اللهم فاشهد»^(٢).

المرحلة الثانية: الخطاب الخاص بتعيين الإمام عليّ عليه السلام في غدير خمّ، إذ قام النبيّ صلى الله عليه وآله خطيباً وأخذ بيده، فقال: «ألمست أولى بالمؤمنين من أنفسهم؟» قالوا: بلى يا رسول الله!، قال: «فمن كنت مولاه، فعليّ مولاه، اللهم وال من والاه وعاد من عاداه»، ثم قال: «أيها الناس إنّي فرطكم وأنتم وادي على الحوض، وإنّي سائلكم حين تردّون عليّ، عن الثقلين

(١) نهج البلاغة، ضبط: صبحي الصالح: ٨٣.

(٢) تاريخ اليعقوبي: ١/ ١٧٣.



فانظروا كيف تخلفونني فيهما». قالوا: وما الثقلان يا رسول الله؟ قال: «الثقل الأكبر كتاب الله سبب طرفه بيد الله وطرفه بأيديكم، فاستمسكوا به ولا تفلتوا، ولا تبدلوا، وعترتي أهل بيتي»^(١).

٢- موضوعات خطبة الغدير الأخرى، وهي على النحو الآتي:

أ- الشناء على الله وتعظيمه وبيان صفاته، وذلك قول الرسول ﷺ في افتتاح الخطبة: «الحمد لله الذي علا في توحده، ودنا في نفرده، وجل في سلطانه... له الإحاطة بكل شيء، والغلبة على كل شيء، والقوة في كل شيء، والقدرة على كل شيء ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾»^(٢)... وأشهد أنه الذي تواضع كل شيء لقدرته، وخضع كل شيء لهيبته، مالك الأملاك، ومُفَلِّك الأفلak، ومُسَخِّر الشمس والقمر...»^(٣).

ب- الحث على تدبر معاني القرآن وفهم آياته فهماً عميقاً، وذلك قوله ﷺ: «معاشر الناس! تدبروا القرآن وافهموا آياته... فوالله لن يُبين لكم زواجه، ولا يُوضح لكم تفسيره إلا الذي أنا آخذ بيده...»^(٤).

ج- بيان أهمية العبادات والالتزام بالأوامر والنواهي، وذلك قوله ﷺ: «معاشر الناس! حجّوا البيت... معاشر الناس، أقيموا الصلاة وآتوا الزكاة كما أمر الله عز وجل... معاشر الناس، التقوى التقوى!، احذروا الساعة...»^(٥).

(١) تاريخ يعقوبي: ١٧٣ / ١ - ١٧٤.

(٢) سورة الشورى، الآية: ١١.

(٣) الكوكب الدرّي في أحوال النبي والوصي، محمّد مهدي المازندراني: ٩١ - ٩٢.

(٤) المصدر نفسه: ٢ / ١٠٧.

(٥) المصدر نفسه: ٢ / ٩٩ - ١٠٠.

المطلب الثالث: أهمية خطبة الغدير:

١- جمع السُّلطة الدينيَّة بالدينيَّة (الخلافة) برجل مؤهل لقيادة الناس:

والتأهيل روحيٌّ وسياسيٌّ ليحكم بالعدل على وفق القرآن والسُّنة النبويَّة؛ لأنَّ النبيَّ ﷺ كان يعلم بقرب أجله لقلوله في خطبة حجة الوداع: «أيها الناس اسمعوا قولي! فإنِّي لا أدري لعليَّ لا ألقاكم بعد عامي هذا بهذا الموقف أبداً...»^(١)؛ وعليه كان الله تعالى ورسوله ﷺ يحرصان على منع عودة المسلمين إلى الحياة الجاهليَّة التي جاهد الإسلام من أجل تجاوزها، وذلك بتحويل الدين إلى ثقافة، وهذا الإجراء يحتاج إلى وقت حتى تتبني الناس الثقافة الإسلاميَّة، وترى تكرار ما قبلها عاراً وعبأً.

وقد مهَّد النبيَّ ﷺ لهذا الغرض بحديث (المنزلة)، عندما خلَّف عليّاً ﷺ على المدينة في غزوة تبوك عام ٩هـ، فقال المنافقون: إنَّما خلَّفه استئقلاً منه، فأتاه عليٌّ ﷺ وقال: «يا نبيَّ الله زعم المنافقون أنَّك لما خلَّفتني أنَّك استئقلت مني!»، فقال: «كذبوا... أفما ترضى يا عليُّ أن تكونَ منِّي بمنزلة هارون من موسى؟ إلاَّ أنَّه لا نبيَّ بعدي»^(٢).

٢- اتِّخاذ الإمام عليٍّ ﷺ مقياساً لمعرفة المنافقين من المؤمنين:

بحسب ما روي عن أبي سعيد الخدري أنَّه قال: «كنا معاشر الأنصار لم نعرف المؤمنين إلاَّ بحبِّهم عليّاً، ولم نعرف المنافقين إلاَّ ببعْضهم عليّاً»^(٣).

٣- تأسيس مبدأ الإمامة بعد النبوة كامتداد للرسالة الإلهيَّة زماناً ومكاناً، روى ابن أبي الحديد (ت ٦٥٦هـ) قول رسول الله ﷺ: «من أراد أن ينظر إلى آدم في علمه، وإلى نوح في تقواه، وإلى إبراهيم في حُلْمه، وإلى موسى في هيئته، وإلى عيسى في عبادته فلينظر إلى عليِّ بن أبي طالب»^(٤).

(١) السيرة النبويَّة، ابن هشام: ٢ / ٥٠٩، صحيح مسلم: ١ / ٦١.

(٢) صفة الصفوة، ابن الجوزي: ١ / ١٢١، تاريخ دمشق، ابن عساکر: ٤٢ / ١٢٠.

(٣) المعجم الكبير، الطبراني: ٣ / ٨٨، مجمع الزوائد، الهيثمي: ٩ / ١١٦.

(٤) شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد: ٩ / ١٦٨.



البحث الثالث

توظيف الاقتباس القرآني والنبوي في خطبة الفريد

تنوع توظيف النبي ﷺ للنصوص القرآنية الكريمة، من حيث التصريح بالاقتباس، أو عدم التصريح به، هذا من جهة، ومن جهة أخرى بنقل الاقتباس كاملاً أو بنقله بتغيير يسير في بُنيته، عن طريق الإضافة أو الحذف لأسباب تتصل بمقتضى الحال أو الموقف، وسوف نسمي الاقتباس غير المصرح بالإحالة إلى مرجعيته بـ(الاقتباس الجمالي)، أمّا المُصرَّح بالإحالة إلى كلام الله تعالى فنسُميه بـ(الاقتباس الدلالي)، وتفصيل ذلك في المطلبين الآتين:

المطلب الأول: الاقتباس الجمالي:

وهو خطاب الوجدان أكثر من العقل، ويحصل عن طريق تلقي كلام النبي ﷺ الحالي، لكن بالرجوع إلى الذاكرة يلحظ المتلقي أنه آية قرآنية، أو كلام للنبي قديم انسجم مع كلام النبي ﷺ الجديد، وهذا يعني أن الاقتباس الجمالي يُقسّم على نوعين:

١- الاقتباس الجمالي المتصل:

ونعني به المنسجم مع كلام النبي من دون ذكر عبارات الإحالة إلى مصدر الاقتباس، وأمثله ما يأتي:

- قال النبي ﷺ: «معاشر الناس، قد استشهدتُ اللهَ، وبلغتكم رسالتي، ﴿ وَمَا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلْغُ الْمُبِينُ ﴾^(١)، معاشر الناس، ﴿ اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ ﴾^(٢) ... معاشر الناس، إني أنذرتكم أني رسول الله إليكم، قد خلت من قبلي الرُّسل، أفإن متُّ أو قُلتُ: ﴿ أَنْقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ وَمَنْ يَنْقَلِبْ عَلَى عَقْبَيْهِ فَلَنْ يَضُرَّ اللَّهَ شَيْئًا وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ ﴾^(٣)...»^(٤).

- قوله ﷺ: «واتقوا الله أن تحالفوه ﴿ فَتَزِلَّ قَدَمُ بَعْدَ ثُبُوتِهَا ﴾^(٥)، ﴿ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴾^(٦)...»^(٧).

- وفيما يخصّ موضوع خلافة الإمام عليّ عليه السلام، قال الرسول ﷺ موظفاً الاقتباس الجمالي من القرآن الكريم: «معاشر الناس، فاتقوا الله وبايعوا علياً أمير المؤمنين والحسن والحسين والأئمة كلمة باقية، يهلك الله من غدرَ ويرحمُ الله من وقى، ﴿ فَمَنْ نَكَثَ فَإِنَّمَا يَنْكُثُ عَلَى نَفْسِهِ ﴾^(٨)».

نلاحظ انسجام الخطاب مع الكلام المقتبس بحيث لا يشعر المخاطب بوجود فواصل من أي نوع، ويؤكد الانسجام أكثر بعطف الآية على كلام النبي ﷺ السابق بـ(الواو) التي هي جزء من الآية مع انسجام الدلالة: «بلغتكم رسالتي ﴿ وَمَا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلْغُ

(١) سورة النور، الآية: ٥٤، سورة العنكبوت، الآية: ١٨.

(٢) سورة آل عمران، الآية: ١٠٢.

(٣) سورة آل عمران، الآية: ١٤٤.

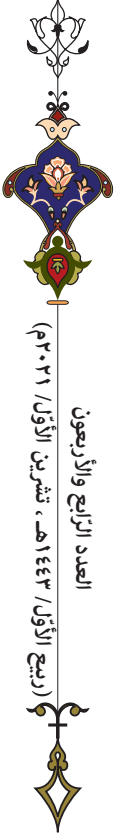
(٤) الكوكب الدرّي في أحوال النبيّ والوصيّ، محمد مهدي المازندراني: ٢ / ٩٦-٩٧.

(٥) سورة النحل، الآية: ٩٤.

(٦) سورة المائدة، الآية: ٨، سورة الحشر، الآية: ١٨.

(٧) الكوكب الدرّي في أحوال النبيّ والوصيّ، محمد مهدي المازندراني: ٢ / ٩٥.

(٨) سورة الفتح، الآية: ١٠.



الْمُيِّنُ ﴿١﴾»، ثم ينتقل الخطاب من النداء إلى الأمر الموجود في النص المقتبس: «معاشر الناس! ﴿٢﴾ اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ ﴿٣﴾».

ونلاحظ أيضاً في الاقتباس الجمالي المتصل أنه جاء نصاً تارة، وقد يأتي محوراً في مقدمته بعض الشيء، وذلك قوله: «إني رسول الله إليكم، قد خَلْتُ من قبلي الرُّسُلَ، أَفَإِنْ مِتُّ أَوْ قُتِلْتُ ﴿٤﴾ أَنْقَلَبْتُمْ عَلَيَّ أَعْقَابِكُمْ وَمَنْ يَنْقَلِبْ عَلَيَّ عَقَبِيهِ فَلَنْ يَضُرَّ اللَّهَ شَيْئاً وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ ﴿٥﴾»، إذ حصل تغيير في ضمير الخطاب، الذي ورد في الآية الكريمة بضمير الغيبة: ﴿٦﴾ وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ أَنْقَلَبْتُمْ عَلَيَّ أَعْقَابِكُمْ ﴿٧﴾، أمّا في خطبة النبي ﷺ فالضمير يقتضي أن يكون ضمير المتكلم «أني رسول الله إليكم، قد خلت من قبلي الرُّسُلَ، أفإن مِتُّ أَوْ قُتِلْتُ...»، وتغيير الضمير والموضوع واحد يُبقي الانسجام قائماً حتى يتطابق كلام المتكلم الجديد مع الكلام المقتبس، بحسب ما تقدّم مع ضمان جماليّة الالتفات من خطاب المتكلم الحالي إلى خطاب الغيبة.

- ورد في الاقتباس الجمالي بالالتفات في قوله ﷺ: «معاشر الناس! آمنوا بالله ورسوله والنور الذي أنزل معه ﴿٨﴾ مِّن قَبْلِ أَنْ نَنْطَمِسَ وُجُوهًا فَنَرُدَّهَا عَلَيَّ أَدْبَارَهَا ﴿٩﴾...» (١).

والالتفات يعدُّ خلاصة علم البيان، وشجاعة العربية؛ لأنَّ الشجاع يركب ما لا يستطيعه غيره، وكذلك الالتفات في الكلام (٢)، بمعنى أنه أسلوبٌ جماليٌّ مؤثِّرٌ في المتلقي، إذ نلاحظ الانتقال من استعمال ضمير المتكلم وهو النبي ﷺ الذي يفترض أن يقول: (من قَبْلِ أَنْ أَطْمَسَ)، إلى ضمير المتكلم الجماعة الدال على عظمة القائل المقتبس منه: ﴿٣﴾ مِّن

(١) سورة النساء، الآية: ٤٧.

(٢) الكوكب الدرّي في أحوال النبيّ والوصيّ، محمد مهدي المازندراني: ٩٧ / ٢.

(٣) ينظر: المثل السائر، ابن الأثير: ١٧٠ / ٢.

قَبْلَ أَنْ نَطْمِسَ ﴿ على الأصل بتبديل طفيف في الاقتباس؛ لأن المتكلم لا يستطيع أن يفعل هذا الفعل، إلا الله، فضلاً عن تحقيق جمالية الالتفات.

٢- الاقتباس الجمالي المتقطع:

وهو المكوّن من آية واحدة أو آيتين مختلفتين بينهما فاصل بسيط نحو: (بيده الملك) كقطع للاقتباس المنسجم مع ما قبله وما بعده في الآية الواحدة، وذلك قول النبي ﷺ: « **لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ** [بيده الخير] **وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ** ﴿^(١)...»^(٢).

وعموماً نلاحظ في الاقتباس الجمالي عدم تصريح النبي ﷺ باسم القائل الذي اقتبس منه، ما يجعل الكلام المقتبس من دون إحالة إلى مرجعيته الأصلية منسجم الإيقاع والدلالة اعتماداً على تشابه موقف الكلام المقتبس منه مع موقف الكلام الجديد في الخطبة الشريفة، ولهذا يتفاعل النّصان لفظاً ومعنى في قالب أسلوبى واحد من دون قطع غريب بالإحالة المرجعية، وصولاً إلى السبك اللفظي الذي يدلّ على تشابه الموقفين^(٣)، مُشكّلاً شكلاً جمالياً قوياً تعاضدت فيه بنيتان (إلهية ونبوية) تعملان باتجاه واحد.

المطلب الثاني: الاقتباس الدلالي:

وهو اقتباس يخاطب العقل أكثر من الوجدان؛ لأن الرسول ﷺ يُحيل في خطبته إلى المرجع الإلهي للكلام المقتبس، أو إلى كلام له سابق تاريخياً، ليؤدّي وظيفة استدلالية تُقيم الحجّة والبرهان للمتلقّي اعتماداً على مقدمات يُسلم بصحّتها الجمهور المسلم المستهدف من الخطاب.

(١) سورة التغابن، الآية: ١.

(٢) الكوكب الدرّي في أحوال النبيّ والوصيّ، محمد مهدي المازندراني: ٩٢ / ٢.

(٣) ينظر: علم البديع رؤية معاصرة وتقسيم مقترح، د. خالد كاظم حميدي: ١٨٧.



ومن التعريف نلاحظ أن الاقتباس الدلالي ينقسم على نوعين أيضاً:

١ - الاقتباس الدلالي في خطبة الغدير من القرآن:

وهو اقتباس يشير فيه المتكلم إلى صاحب الكلام الذي اقتبس منه جلّ جلاله، ليُحيل المخاطب إلى مقدمة برهانية يسلم بصحتها المخاطب المسلم بشأن مصداق الآية التي نزلت بحق عليّ عليه السلام، من ذلك ما يأتي:

- قوله عليه السلام: «... لا إله إلا هو؛ لأنه قد أعلمني إن لم أبلغ ما أنزل إليّ فما بلغت رسالتي، فقد ضمن لي تبارك وتعالى العصمة، وهو الله الكافي الكريم، فأوحى الله إليّ بسم الله الرحمن الرحيم ﴿يَتَأْتِيهَا الرُّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ [في عليّ] وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ﴾ (١)» (٢).

- وقوله عليه السلام: «إِنَّ عَلِيَّ بْنَ أَبِي طَالِبٍ... هو وليكم بعد الله ورسوله، وقد أنزل تبارك وتعالى عليّ آية من كتابه: ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ﴾ (٣) ... وعليّ بن أبي طالب... أتى الزكاة وهو راکع» (٤).

لقد أجمع المفسرون على أن هذه الآية نزلت بعد حادثة تاريخية تصدق فيها الإمام عليّ عليه السلام بخاتمه وهو راکع، ما يجعل الاتصال بالله موصولاً بمساعدة عباده الفقراء، قال الزمخشري (ت ٥٣٨هـ): (إنها نزلت في عليّ -كرم الله وجهه- حين سأله سائل وهو راکع في صلاته، فطرح له خاتمه) (٥).

(١) سورة المائدة، الآية: ٦٧.

(٢) الكوكب الدرّي في أحوال النبيّ والوصيّ، محمّد مهدي المازندراني: ٩٣ / ٢.

(٣) سورة المائدة، الآية: ٥٥.

(٤) الكوكب الدرّي في أحوال النبيّ والوصيّ، محمّد مهدي المازندراني: ٩٣ / ٢.

(٥) الكشاف، الزمخشري: ٦٨٢ / ٢، تفسير القرآن العظيم، ابن كثير: ١١٠ / ٢.

نلاحظ التصريح بمرجعية الخطاب القرآني المقتبس في قوله ﷺ: «أوحى إلي»، و«وقد أنزل تبارك وتعالى عليّ من كتابه...»، المحيل إلى الخارج لإحالة المتلقين إلى أن الأمر غير قابل للنقاش، فضلاً عن الإحالة إلى الشخص المقصود بالتبليغ، أي الإحالة إلى مصداق القول وهو (إمامة أو خلافة عليّ عليه السلام).

وهذا يجعل الاقتباس مقدّمة إلهية برهانية تثبت صحّة الاستدلال على ولاية عليّ عليه السلام، فضلاً عن أن أسباب النزول جعلت من الآية المقتبسة حادثة تاريخية قديمة، إنّما جدها النبي ﷺ في خطبة الغدير لتنشيط ذاكرة المخاطبين لكي تتعاقد الأدلة القديمة مع الأدلة الجديدة التي تبناها النبي ﷺ عن طريق الاقتباس، لتكوين استدلالين يُعزّز بعضهما بعضاً، ويعملان باتجاهٍ فكريٍّ واحدٍ يقوّي الإبلاغ بطريقة بلاغية جميلة تخاطب الوجدان قليلاً، وتخاطب العقل كثيراً، وهذه هي وظيفة الاقتباس الدلالي.

٢- الاقتباس الدلالي في خطبة الغدير من كلامه ﷺ السابق تاريخياً:

- مثال ذلك قوله ﷺ في خطبة الغدير: «إنّ عليّ بن أبي طالب... أخي ووصيي، وخليفتي والإمام من بعدي، الذي محلّه مني محلّ هارون من موسى، إلّا أنّه لا نبيّ بعدي»^(١).

وهذا الكلام مقتبس من كلامه ﷺ، الذي يرجع تاريخه إلى أكثر من خمس عشرة سنة، وقد ورد في مكان مختلف وهو مكة قبل الهجرة، وذلك حين نزلت أوائل السور التي تأمر النبي ﷺ بإنذار عشيرته الأقربين، قال تعالى: ﴿وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ﴾^(٢) وَأَخْفِضْ جَنَاحَكَ لِمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ^(٣)، فجمع النبي ﷺ بني عبد المطلب على وليمة وقال لهم: «إني أنا النذير إليكم من الله عزّ وجلّ، والبشير، فأسلموا وأطيعوني

(١) الكوكب الدرّي في أحوال النبيّ والوصيّ، محمّد مهدي المازندراني: ٩٣ / ٢.

(٢) سورة الشعراء، الآيتان: ٢١٤-٢١٥.



تهتدوا»، ثم قال: «مَنْ يُوَازِنِي وَيُوَازِرُنِي وَيَكُونُ وَلِيًّا وَوَصِيًّا بَعْدِي وَخَلِيفَتِي فِي أَهْلِي، وَيَقْضِي دِينِي؟»، فسكت القوم فأعادها ثلاثاً، كل ذلك يسكت القوم، ويقول عليٌّ عليه السلام: «أنا»، فقال في المرة الثالثة: «أنت...»^(١).

- اقتبس النبي ﷺ اقتباساً آخر من كلام سابق له يعود إلى عام مضى قبل فتح مكة، حين خلف علياً عليه السلام على المدينة في غزوة تبوك عام ٩هـ، وهو حديث (المنزلة)، كان الاقتباس فيه تغييراً طفيفاً في بدايته يلائم الموقف الحالي على النحو الآتي:

أ- حديث المنزلة:

«أفلا ترضى - يا عليٌّ - أن تكون مني بمنزلة هارون من موسى إلا أنه لا نبي بعدي»؟^(٢).

ب- حديث الغدير:

«الذي محلّه محلّ هارون من موسى، إلا أنه لا نبي بعدي»^(٣).

إن اقتباس النبي ﷺ من نفسه يؤكد صدق الوقائع التاريخية المهمة في حياة الأمة بالبرهان التجريبي، إذ تكررت أفكار تنشيط ذاكرة المتلقي لتتبع تطور فكرة إمامة عليٍّ عليه السلام الدينية وخلافته الدنيوية، ابتداءً من التبشير بها قبل أكثر من خمس عشرة سنة عندما كان صبيّاً، فبايعه من دون كبار بني عبد المطلب على أن يكون أخاه ووارثه ووزيره، ويكون منه بمنزلة هارون من موسى، قال الطبرسي (ت ٥٤٨هـ): (فانصرفوا وهم يقولون لأبي طالب: أطع ابنك فقد أمر عليك)^(٤).

(١) مجمع البيان، الطبرسي: ٣٢٢-٣٢٣/٧.

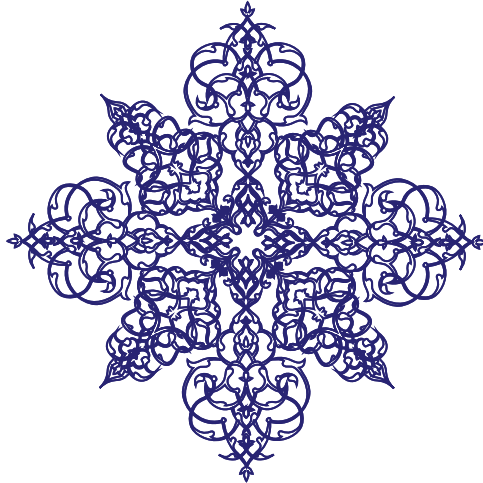
(٢) صفة الصفوة، ابن الجوزي: ١/١٢١.

(٣) الكوكب الدرّي في أحوال النبيّ والوصيّ، محمّد مهدي المازندراني: ٩٣/٢.

(٤) مجمع البيان، الطبرسي: ٣٢٣/٧.

أمّا في موقف خطبة الغدير فقد تُوفي من توفي من المخاطبين، وقُتل من قُتل على الكفر، ونبغ عليٌّ عليه السلام بالعلم والتفقه ونصرة النبيِّ عليه السلام في جميع الوقائع باستثناء وقعة تبوك التي خلفه بها النبيُّ عليه السلام لغاية أعظم من قتال الروم، ما يجعل الاقتباس يمثل استدلالاً تاريخياً قوياً غير قابل للجدل في صدق تنبؤ الرسول بشأن إمامة عليٍّ عليه السلام وخلافته من بعده.

وخلاصة القول إنّ الاقتباس الدلاليّ يُقطع السبك اللفظي للكلام، بما يؤثر في تقليل تأثيره الجمالي في نفس المتكلم، ولكنه أسلوب مقصود يجعل من الكلام موجهاً لمخاطبة العقل أكثر من مخاطبة الوجدان، الذي يلائمه الاقتباس الجمالي، ولكلِّ مقامٍ مقالٌ كما تقول البلاغة، كما طبقها أفصح العرب وسيد البلغاء النبيُّ الأكرم عليه السلام.



الخاتمة

بعد هذه الرحلة البحثية في رحاب النصوص المقدسة في قضية من أهم القضايا التي شغلت عقول المسلمين ومست أبرز جوانب حياتهم الاجتماعية والسياسية، وهي قضية تولية الإمام علي عليه السلام سلطان رسول الله الروحي والقيادي الدنيوي، لا بد لكل باحث من نتائج أن يخرج بها، ونتائج هذا البحث يمكن إجمالها بالنقاط الآتية:

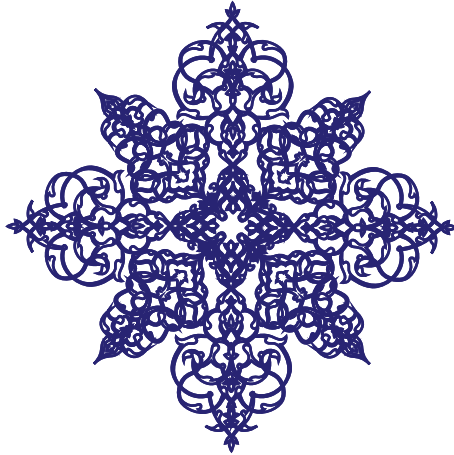
١- الاقتباس مصطلح بدعي مؤثر في متلقي النص بوصفه خطاباً له مغزى الإبلاغ بطريقة أو بأسلوب جميل، ويُعرف بأنه تضمين للكلام شيئاً من القرآن والحديث الشريف، بطريقة تجعل المقتبس وكأنه من كلام المتكلم المقتبس، نظراً لانسجام المقتبس (بفتح الباء) مع كلام المقتبس (بكسر الباء)، والاقتباس في هذا البحث هو من القرآن الكريم وحسب؛ لأن النبي صلى الله عليه وآله وسلم هو المقتبس.

٢- بين البحث أن موضوعات خطبة الغدير يمكن تقسيمها على قسمين، أولهما: قسم مركزي وهو موضوع تولية الإمام علي عليه السلام على المؤمنين بعد النبي صلى الله عليه وآله وسلم، بأمر إلهي مُهد له في خطبة حجة الوداع بمكة بحديث الثقلين كما ذكره اليعقوبي، ثم فصله وخصصه بـ(علي عليه السلام) في غدير حُم، خشية أن يضطرب الناس لقلّة المتقين وكثرة الحاسدين والمنافقين وضعيفي الإيمان.

وثانيهما: الموضوعات الحافة التي يقتضيها الخطاب المركزي، وهي تعظيم الله جلّ جلاله، وبيان لطفه بالعباد في تبليغ الرسالة السماوية التي تؤكد أهمية تخصيص القيادة

الدينيَّة والدينيَّة لمن أَراده الله ورسول الكريم ﷺ أن يخلفه بعده، فضلاً عن بيان أهميَّة العبادات، والالتزام بالأوامر والنواهي الإلهيَّة لتقويم سلوك الفرد المسلم، وجعله منسجماً مع الطبيعة الأخلاقيَّة التي تُحقق الخير العام وتقضي أو تقلل من أنانية الإنسان، وأطمعه القائمة على أساس الأهواء من دون تحكيم العقل.

٣- بين البحث قسيمي الاقتباس وهما قسمان، استعملهما الرسول الأعظم ﷺ استعمالاً مؤثراً بالشكل الذي يُحقق شروط البلاغة النبويَّة، إذ استعمل الاقتباس الجمالي في المواطن التي يُراد بها خطاب الوجدان أكثر من العقل، واستعمل الاقتباس الدلالي في المواطن التي يُريد بها خطاب العقل أكثر من الوجدان، وهي مواطن البرهان وإقامة الحجَّة على الموضوع المركزي في خطبة الغدير، وهو تولية الإمام عليٍّ ﷺ السُّلطين الدينيَّة والدينيَّة.



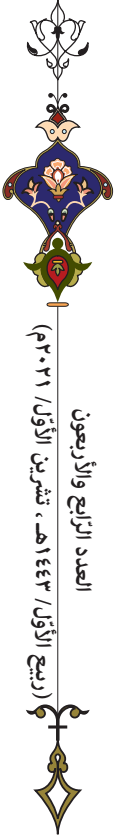
المصادر والمراجع

١. القرآن الكريم.

أولاً: الكتب

٢. تاريخ الأمم والملوك، أبو جعفر محمد بن جرير الطبري، (ت ٣١٠هـ)، منشورات الأعلمي للمطبوعات، بيروت، لبنان، ط ٥، (١٤٠٩هـ/١٩٨٩م).
٣. تاريخ يعقوبي، أحمد بن أبي يعقوب بن جعفر بن وهب الكاتب المعروف بابن واضح الإخباري (ت بعد ٢٩٣هـ)، المكتبة المرتضوية في النجف، مطبعة الغري، (١٣٥٨هـ/١٩٣٩م).
٤. تاريخ دمشق، ثقة الدين أبو القاسم علي بن الحسين هبة الله المعروف بابن عساكر (ت ٥٧١هـ)، تحقيق: مصطفى عبد الله مهنا، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان (د. ت).
٥. تفسير القرآن العظيم، ابن كثير الدمشقي (ت ٧٧٤هـ)، راجعه وخرج أحاديثه أيمن محمد نصر الدين، والدكتور عبد الرحمن الهاشمي، مؤسسة المختار للنشر والتوزيع، القاهرة، (١٤٢٧هـ/٢٠٠٦م).
٦. حسن التوسل إلى صناعة الترسل: شهاب الدين محمود الحلبي (ت ٧٢٥هـ)، تحقيق ودراسة: أكرم عثمان يوسف، دار الرشيد للنشر، سلسلة كتب التراث (٨٦)، وزارة الثقافة والإعلام، الجمهورية العراقية، (١٩٨٠م).
٧. ديوان ابن الرومي، شرح وتحقيق عبد الأمير علي مهنا، دار ومكتبة الهلال، بيروت، ١٩٩١م.
٨. السيرة النبوية، ابن هشام (ت ٢١٣هـ)، حققها وضبطها وشرحها ووضع فهرسها: مصطفى السقا وآخرون، دار المعرفة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ط ٥، (١٤٢٧هـ/٢٠٠٦م).

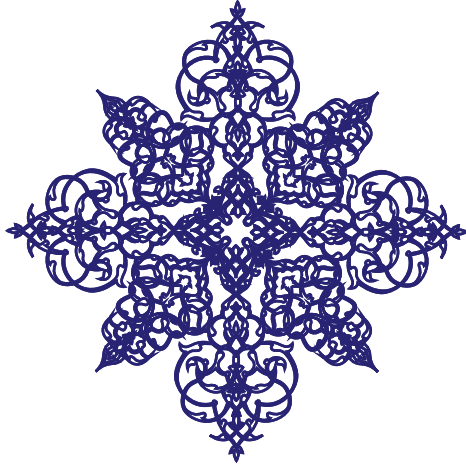
٩. شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد (ت ٦٥٦هـ)، تحقيق: محمد أبي الفضل إبراهيم، دار إحياء الكتب العربية، مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركائه، ط ١، (١٣٧٨هـ / ١٩٥٩م).
١٠. صحيح مسلم، أبو الحسين مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري (ت ٢٦١هـ)، حقق نصوصه وصححه ورقمه وعدّ كتبه وأبوابه وأحاديثه وعلق عليه: محمد فؤاد عبد الباقي، دار الحديث، القاهرة (د. ت).
١١. صفة الصفوة، جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي (ت ٥٩٧هـ)، تحقيق: أحمد بن علي، دار الحديث، القاهرة، مصر، (١٤٢١هـ / ٢٠٠٠م).
١٢. علم البدع، رؤية معاصرة وتقسيم مقترح، دراسة في ضوء المقاربات السيميائية والأسلوبية والتداولية، د. خالد كاظم حميدي، الوراق للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، ٢٠١٥م.
١٣. الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل، أبو القاسم محمود بن عمر الزمخشري الخوارزمي (ت ٥٣٨هـ)، حققها على نسخة خطية: عبد الرزاق المهدي، دار إحياء التراث العربي، مؤسسة التاريخ العربي، بيروت، لبنان، (١٤٢١هـ / ٢٠٠١م).
١٤. الكوكب الدرّي في أحوال النبيّ والبتول والوصي محمّد مهدي الحائري المازندراني ج ٢، أمير قم ط ١ منشورات المطبعة الحيدرية ١٣٧٤هـ - ١٩٥٥م.
١٥. المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، ضياء الدين بن الأثير (ت ٦٣٨هـ)، قدّمه وحقّقه وعلّق عليه: د. أحمد الحوفي، د. بدوي طبانة، مكتبة نهضة مصر، ط ١ (٣٨٠هـ / ١٩٦٠م).
١٦. مجمع البيان في تفسير القرآن، أبو علي الفضل بن الحسن الطبرسي (من أعلام ق ٦هـ)، حققه وعلق عليه: لجنة من العلماء والمحققين الاختصاصيين، قدم له: محسن الأمين العاملي، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت، لبنان، ط ١، (١٤١٥هـ / ١٩٩٥م).
١٧. مجمع الزوائد، الهيثمي (ت ٨٠٧هـ)، دار الكتب العلميّة، بيروت، لبنان، (١٤٠٨هـ / ١٩٨٨م).
١٨. المعجم الكبير، الطبراني، تحقيق: حمدي عبد المجيد، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط ٢، (د. ت).
١٩. معجم المصطلحات الأدبيّة، بول آرون وزميلاه، ترجمة: د. محمد حمود، مجد المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ط ١، (١٤٣٣هـ / ٢٠١٢م).



٢٠. مقاييس اللغة، أحمد بن فارس بن زكريا (ت ٣٩٥هـ)، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع (د. ت).
٢١. النهاية في غريب الحديث والأثر، مجد الدين أبو السعادات المبارك بن محمد الجزري، المعروف بابن الأثير (ت ٦٠٦هـ)، تحقيق: طاهر أحمد الزاوي، ومحمود محمد الطناحي، دار إحياء الكتاب العربي، عيسى البابي الحلبي وشركاه، ط ١، (١٣٨٣هـ / ١٩٦٣م).
٢٢. نهج البلاغة، ضبط نصه وابتكر فهرسه العلمية: د. صبحي الصالح، مطبعة رسول، قم، إيران، ط ١، ١٤٢٦هـ.

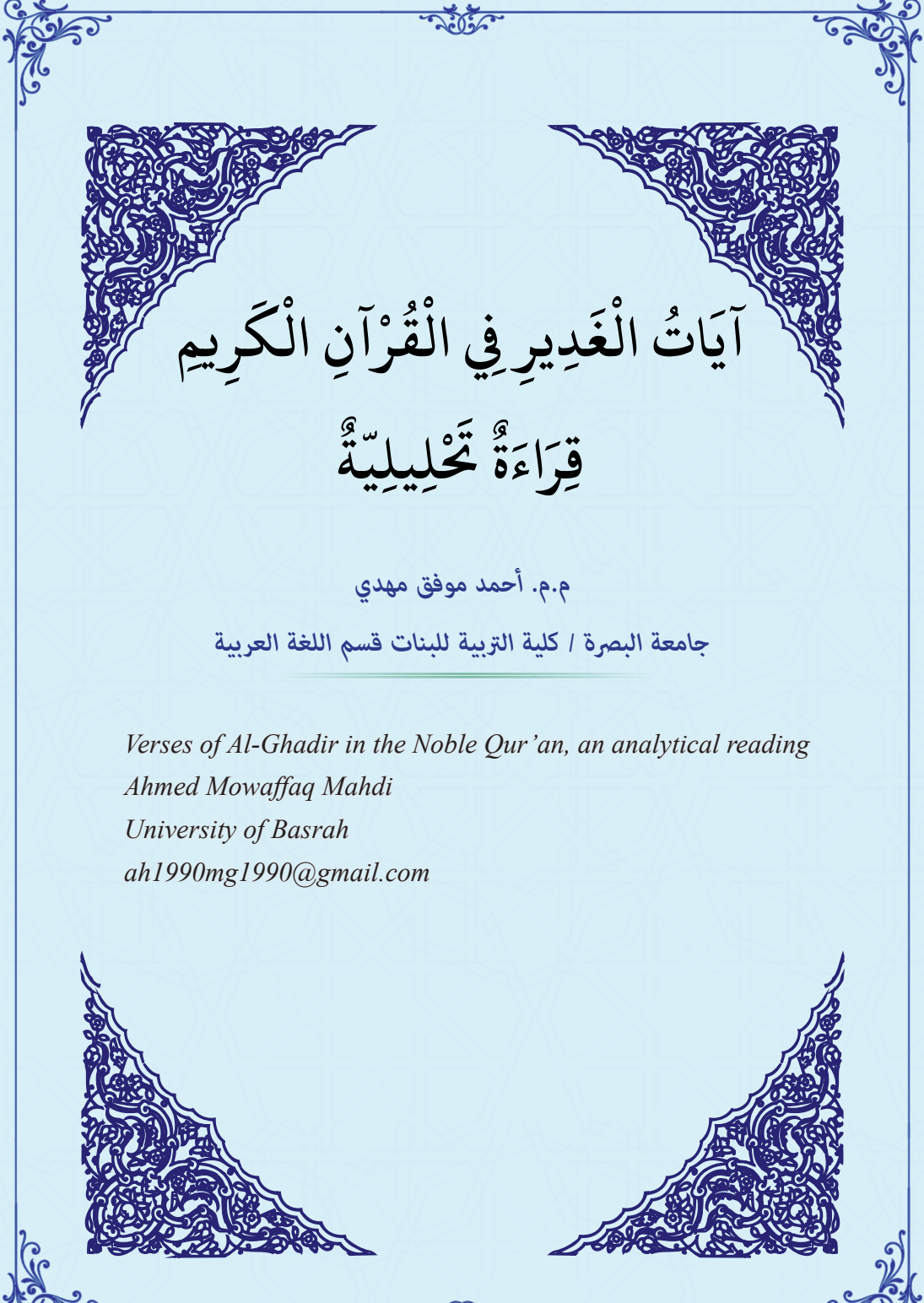
ثانياً: البحوث المنشورة في المجلات:

٢٣. أنموذج الانتقال السلمي للسلطة الدنيوية بعد الرسول ﷺ حتى خلافة الإمام الحسن عليه السلام، قراءة في التراث الفكري السياسي، د. تومان غازي، بحث منشور في مجلة القادسية للعلوم الإنسانية، مجلة علمية فصلية محكمة، جمهورية العراق، وزارة التعليم العالي والبحث العلمي، جامعة القادسية، كلية الآداب، المجلد (١٧)، العدد (١)، كانون الثاني، آذار، ٢٠١٤م: ٢٤٢.



مَرْكَبُ طَوْلِ الْفَوْكِ عَلَى مَوْجِ الْوَالِدِ
الْمَشْفُوقِ





آيَاتُ الْغَدِيرِ فِي الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ
قِرَاءَةٌ تَحْلِيلِيَّةٌ

م.م. أحمد موفق مهدي

جامعة البصرة / كلية التربية للبنات قسم اللغة العربية

Verses of Al-Ghadir in the Noble Qur'an, an analytical reading

Ahmed Mowaffaq Mahdi

University of Basrah

ah1990mg1990@gmail.com

الملخص

غديرُ خمٍ من الأحاديث المتواترة التي سمع بها القاضي والداني من الطائفة الإسلامية، فهو حديث الدعوة الإلهية، حديث أكمال الدين، وإتمام النعمة، ورضى الله تعالى للدين الذي أنزله على رسولنا الكريم، فهذا حديث لا غبار عليه، فواقعةُ الغدير غير خافية على أحدٍ من المعاندين والمحبين، فقد أجمع على أنَّ الرَّسولَ ﷺ عَزَمَ على الخروج إلى الحج في السنة العاشرة من الهجرة، وأذَّنَ في النَّاسِ بذلك، فجاءَ من المدينة جمعٌ غفيرٌ يأتون به في حجته تلك التي سميت بحجة الوداع، وخرَجَ معه جموع لا يعلمها إلاَّ الله وإنَّ حاول بعض المؤرخين إحصاء هذه الجموع لكن دون جدوى.

فحاولتُ في هذا البحث المتواضع أن أسلط الضوء على الآيات القرآنية التي نزلت في هذه الواقعة، من حيث سبب ومكان وزمان نزول الآية، التفاسير للآية، مفردات الآية ومعانيها، تحديد معاني بعض الألفاظ مثل: لفظة (اليوم) ودلالاتها لاختلاف المفسرين فيها، معتمداً في ذلك كله على تظافر المعنى والقرائن السياقية للآيات القرآنية وأسباب نزولها، فضلاً عن تنفيذ الآراء التي تُحايد الصواب وترجيح الرأي الصائب.

واقترضت طبيعة البحث أن يستقر على ثلاثة مباحث سبقتها مقدمة حول واقعة غدير خم، وخاتمة تضمنت أهم ما توصل إليه البحث من نتائج.

تناولتُ في المبحث الأوَّل (الآية: ٦٧) من سورة المائدة، ودرستُ في المبحث الثاني: (الآية: ٣) من سورة المائدة، وتَمَّ التأكيد في المبحث الثالث على أحقية أمير المؤمنين عليٍّ ﷺ بالولاية في ضوء الآية الأولى من سورة المعارج.

وقد اعتمدتُ في هذا البحث على مصادر ومراجع عدَّة، تمثلت بكتب التفسير من المذاهب كافة، وكتب اللغة، والمعجمات العربية.

الكلمات المفتاحية: آيات الغدير - القرآن الكريم - قراءة تحليلية - آية التبليغ - آية الإكمال.



Abstract

Ghadeer-Khum is one of the Motwater/frequent hadith which was known by near and far inside the Islamic nation. It is indeed a hadith for divine call, hadith of perfection of faith, completion of grace, and satisfaction of Allah for the religion which He revealed to our noble prophet, and therefore it is an indisputable hadith, because the event of Al-Ghadeer is known to everyone among the adversaries and the believers of the event.

It was unanimously agreed that the Messenger may Allah's blessings and peace be upon him and his family decided to go for Hajj on the tenth year of Hijri Islamic calendar, and proclaimed to the people the hajj, and great number of Al-Medina citizens followed him on the journey to the hajj which was called the Farewell Hajj. Also, unknown number of groups of people joined him that no one except Allah Almighty knows their amount. Some historians have tried to count these masses, but in vain.

Therefore, I tried in this humble search to spot the light on the Quran verses which were revealed on this occasion, considering the reason, place, and time of the verse revelation, interpretations of the verse, words of the verse and their meanings, and determining meanings of some special words like; the word (اليوم : today) and its significance

due to the different interpretations of it, using the synergy of meaning and contextual evidence of the Quranic verses and the reasons for their revelation, as well as refuting the opinions that against the rightful facts and strengthen the right opinion.

The nature of the research necessitated to base the search on three topics starting with introduction about the event of Ghadeer-Khum, and a conclusion included the most important findings of the search.

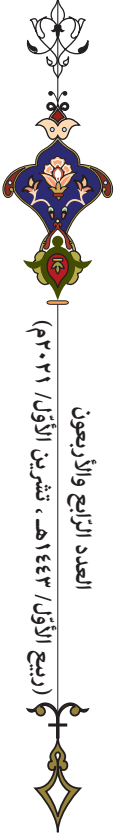
In the first topic I discussed the (verse: 67) from Surat Al-Ma'idah, and in the second topic I studied: (verse: 3) from Surat Al-Ma'idah.

In the third topic emphasis on the entitlement of the Commander of the Faithful Imam Ali peace be upon him to Alwelayah/rule using of the first verse of Surat Al-Maarij.

On this search I have relied on several resources and references represented by books of interpretation of all schools of thought, language books, and Arabic dictionaries.

keywords:

Verses of Al Ghadeer - the Noble Quran - Analytical Reading - Verse of proclaim/altableegh - Verse of Completion.



المقدمة

إِنَّ مَنْ أَحَاطَ عِلْمًا بِسِيرَةِ الرَّسُولِ ﷺ، عِنْدَمَا أَسَسَ الدَّوْلَةَ الْإِسْلَامِيَّةَ وَتَشْرِيْعَ أَحْكَامِهَا، وَتَمْهِيْدَ أُسُسِهَا وَقَوَاعِدِهَا، وَسَنَّ قَوَانِيْنَهَا، وَتَنْظِيْمَ شُؤْنِهَا مِنْ لَدُنْ عَلِيْمٍ خَبِيْرٍ، يَجِدُ عَلِيًّا ﷺ وَزِيْرَ رَسُوْلِ اللهِ فِي أَمْرِهِ، وَظَهِيْرَهُ عَلٰى عَدُوِّهِ، وَعِيِيَّةَ عِلْمِهِ، وَوَارِثَ حُكْمِهِ، وَوَلِيَّ عَهْدِهِ، وَصَاحِبَ الْأَمْرِ مِنْ بَعْدِهِ، فَعَلِيٌّ نَفْسَ رَسُوْلِ اللهِ ﷺ، فَهُوَ الَّذِي وَقَفَ عَلٰى أَقْوَالِ وَأَفْعَالِ ابْنِ عَمِّهِ الْمَصْطَفَى ﷺ، فِي حَلِّهِ وَتَرْحَالِهِ، وَالْمَتَّبِعِ لِهَذَا يَجِدُ نَصُوْصًا كَثِيْرَةً فِي ذَلِكَ مُتَوَاتِرَةً مُتَوَالِيَةً مِنْ مَبْدَأِ أَمْرِهِ إِلَى مُتْمَعِيهِ عَمْرِهِ الشَّرِيْفِ.

ومنها ما كان في بدء الدعوة الإسلامية قبل ظهور الإسلام بمكة، حين أنزل الله تعالى على رسوله الأعظم محمد ﷺ ﴿ وَأَنْذِرْ عَشِيْرَتَكَ الْأَقْرَبِيْنَ ﴾ ^(١)، دعاهم إلى دار عمه أبي طالب وهم يومئذٍ أربعون رجلاً يزيدون رجلاً أو ينقصونه، وفيهم أعمامه أبو طالب وحمزة والعباس وأبو لهب، فقال رسول الله: «يا بني عبد المطلب إني والله ما أعلم شاباً في العرب جاء قومه بأفضل مما جئتكم به، جئتكم بخير الدنيا والآخرة، وقد أمرني الله أن أدعوكم إليه، فأيتكم يؤازرني على أمري هذا؟ على أن يكون أخي ووصيي وخليفتي فيكم؟»، فأحجم القوم عنها غير علي ﷺ - وكان أصغرهم - إذ قام فقال: «أنا يا نبي الله أكون وزيرك عليه»، فأخذ رسول الله ﷺ برقبته، وقال: «إن هذا أخي ووصيي وخليفتي فيكم، فاسمعوا له وأطيعوا»، فقام القوم يضحكون ويقولون لأبي طالب: قد أمرك أن

(١) سورة الشعراء، الآية: ٢١٤.

تسمع لابنك وتطيع^(١).

وقال أحمد بن حنبل: ما جاء لأحدٍ من أصحاب رسول الله من الفضائل ما جاء

لعلي بن أبي طالب^(٢).

وقال ابن عباس: ما نَزَلَ في أحدٍ من كتاب الله ما نزل في عليٍّ...، نزل في عليٍّ

ثلاثمئة آية من كتاب الله عزَّ وجلَّ...، ما أنزل الله ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا...﴾ إِلَّا وَعَلِيٌّ
أَمِيرُهَا وَشَرِيفُهَا^(٣).

ومن هذه الفضائل التي ذُكرت بحق عليٍّ بن أبي طالب ﷺ فضيلة الولاية، عن زيد

بن أرقم قال: خطب رسول الله ﷺ بغدير خم تحت شجرات، فقال: «أيُّها الناس يُوشك

أن أُدعى فأجيب، وإني مسؤول، وإنكم مسؤولون، فماذا أنتم قائلون؟»، قالوا: نشهد

أنك قد بلغت وجاهدت ونصحت، فجزاك الله خيراً، فقال: «أليس تشهدون أن لا إله

إلا الله، وأنَّ محمداً عبده ورسوله، وأنَّ جنته حق، وأنَّ ناره حق، وأنَّ الموت حق، وأنَّ

البعث حق بعد الموت، وأنَّ الساعة آتية لا ريبَ فيها، وأنَّ الله يبعث من في القبور؟»،

قالوا: بلى، نشهد بذلك، قال: «اللهمَّ اشهد»، ثمَّ قال: «يا أيُّها النَّاسُ إنَّ الله مولاي، وأنا

مولى المؤمنين، وأنا أولى بهم من أنفسهم، فمَن كنت مولاه، فهذا مولاه -يعني علياً-

اللهمَّ والِ مَنْ والاه، وعاد مَنْ عاداه» ثمَّ قال: «... وإني سألتكم حين تردون عليَّ عن

الثقلين، كيف تخلفوني فيها، الثقل الأكبر كتاب الله عزَّ وجلَّ، سبب طرفه بيد الله تعالى،

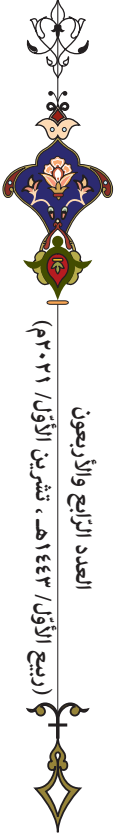
وطرفه بأيديكم فاستمسكوا به لا تضلوا ولا تبدلوا، وعترتي أهل بيتي فإنه قد نبأني

(١) ينظر: تاريخ الأمم والملوك، محمد بن جرير الطبري (ت ٣١٠هـ): ٢ / ٢١٧، الكامل في التاريخ، علي بن محمد بن

محمد ابن الأثير الجزري: ٢ / ٢٢، تاريخ أبي الفداء: ١ / ١١٦.

(٢) المستدرک علی الصحیحین، أبو عبد الله الحاكم النيسابوري: ٣ / ١٠٧.

(٣) المراجعات، عبد الحسين شرف الدين: ١٩٨.



اللطف الخبير أنّهما لن يفترقا حتى يردا عليّ الحوض»^(١).

في ضوء ما تقدم يتبين أنّ حديث الغدير كان محلّ الاهتمام من الله تعالى، إذ أوحاه الله إلى رسوله ﷺ وأنزل فيه ذكراً يُرتله المسلمون آناء الليل وأطراف النهار، وهذا الذكر هو قوله تعالى: ﴿يَأْتِيهَا الرُّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ﴾^(٢)، فلما بلغ ﷺ رسالة ربّه بتنصيب الأمير عليّ عليه السلام خليفة له، وولياً وإماماً للمسلمين، أنزل الله تعالى على رسوله ﷺ ﴿الْيَوْمَ يَسِّرُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ دِينِكُمْ فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَاخْشَوْنَ الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتَمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾^(٣)، فإذا كانت عناية الله عزّ وجلّ على هذه الشاكلة فإنّ عناية رسوله ﷺ تكون على غرارها فإنه لما دنا أجله، ونُعيبت له روحه الشريفة، أجمع بأمرٍ من ربّه على أن ينادي بولاية أمير المؤمنين في الحجّ الأكبر على رؤوس الأشهاد، فأذن في الناس قبل الموسم بأنّه حاجّ إلى بيت الله الحرام في هذا العام، فتوافد البشر عليه من كلّ بقاع الأرض، فخرج معه إلى الحج نحو مئة ألف أو يزيدون، فلما كان يوم الموقف بعرفات نادى رسول الله ﷺ بالناس: «عليّ مني وأنا من عليّ».

ولما رجّع ﷺ من مكّة إلى المدينة مع تلك الألوفاً وبلغوا وادي خم، هبط عليه الروح الأمين جبرئيل بأية التبليغ من الله تعالى، فحطّ رسول الله ﷺ رحله حتى لحقه من تأخر عنه من الناس ورجّع إليه من تقدمه منهم، فلما اجتمعوا صلّى بهم الفريضة ثمّ خطب بهم، فصعد بالنص في ولاية أمير المؤمنين عليّ عليه السلام^(٤).

(١) المستدرک علی الصحیحین: ١٠٩ / ٣

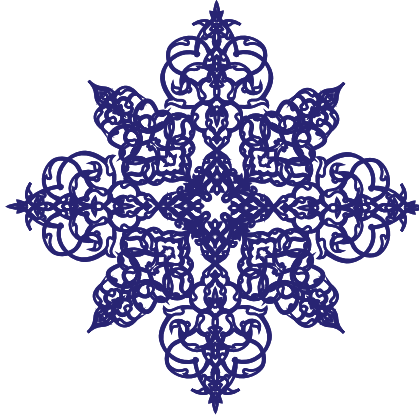
(٢) سورة المائدة، الآية: ٦٧.

(٣) سورة المائدة، الآية: ٣.

(٤) ينظر: الغدير في الكتاب والسنة والأدب، عبد الحسين الأميني (ت ١٣٩٢هـ): ١ / ٢١٤.

وقد ذُكِرَ في كتاب المراجعات (أنَّ رسول الله نعى إليهم نفسه الزكية تنبيهاً إلى أنَّ الوقت قد استوجب تبليغ عهده، واقتضى الأذان بتعيين الخليفة من بعده، وأنَّه لا يسعه تأخير ذلك مخافةً أن يُدعى فيُجيب قبل إحكام هذه المهمة التي لا بُدَّ له من إحكامها ولا غنى لأُمَّته عن إتمامها، ولَمَّا كان عهده إلى أخيه ثقيلاً على أهل التنافس والحسد والنفاق، أراد رسول الله ﷺ قبل أن ينادي بذلك أن يتقدم في الاعتذار إليهم تأليفاً لقلوبهم وإشفاقاً من معرَّة أقوالهم وأفعالهم، فقال: «وإني مسؤول ليعلموا أنَّه مأمور بذلك، ومسؤول عنه من ربِّ العزَّة فلا سبيل له إلى تركه»^(١).

وقيل: نزلت هذه الآية ﴿يَأْتِيهَا الرُّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ﴾ يوم غدِير خم في عليِّ بن أبي طالب عليه السلام^(٢).



(١) المراجعات: ٢٠٢.

(٢) ينظر: أسباب النزول، علي بن أحمد الواحدي النيسابوري: ١ / ١٥٠.

البعث الأول: آية التبليغ

﴿يَتَأْتِيهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ﴾ .

هذه الآية من أواخر الآيات التي نزلت من القرآن الكريم على المصطفى الأمين ﷺ، عندما كان ﷺ راجعاً إلى المدينة المنورة بعد أن حجَّ حجَّته الأخيرة التي سُمِّيت بحجة الوداع، وعند إكمال مناسك هذه الحجة رَجَعَ ﷺ إلى المدينة المنورة، وعندما بَلَغَ مكان يقال له (غدير خم) الذي يقع في مفترق طرق، نزلت عليه ﷺ آية التبليغ، فأمر ﷺ من معه بالتوقف وانتظار من تَخَلَّفَ عنهم ورجوع من سَبَقَهُمْ، إذ أراد ﷺ أن يتجمعوا جميعهم من دُون استثناء، ثم وقف فيهم مُعلنًا بتنصيب الإمام عليٍّ بن أبي طالب ﷺ خليفة وإماماً من بعده، فقال ﷺ مقولته المشهورة: «مَنْ كُنْتُ مَوْلَاهُ فَعَلِيٌّ مَوْلَاهُ، اللَّهُمَّ وَالِ مَنْ وُلَاهُ وَعَادِ مَنْ عَادَاهُ...»^(١)، وبعد ذلك أمر رسول الله ﷺ بمبايعة الإمام عليٍّ بن أبي طالب ﷺ على أنه أمير للمؤمنين وخليفة رسول الله ﷺ، فبايعه كُلُّ مَنْ حَضَرَ، وَمِنْ أBRZهم أبو بكر بن أبي قحافة وعمر بن الخطاب^(٢)، إذ قال عمر بن الخطاب في هذه المناسبة: (بَخِ بَخٍ لَكَ يَا عَلِيُّ،

(١) المصنف، لأبي بكر عبد الله بن محمد بن القاضي أبي شيبه إبراهيم بن عثمان بن خُوَاسْتَى العسبي: ٧ / ٥٠٣، باب

فضائل عليٍّ بن أبي طالب ﷺ، ينظر: مسند أحمد، لأبي عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل الشيباني الذهلي (المتوفى ٢٤١هـ

- ٨٥٥م) / ٤ / ٢٨١.

(٢) مسند أحمد: ٤ / ٢٨١.

أصبحت وأمسيت مولاي ومولى كل مؤمن ومؤمنة^(١).
وهذه الآية من أهم الآيات التي يُستدلُّ بها على أحقية الإمام عليٍّ عليه السلام بالخلافة والإمامة بعد الرسول صلى الله عليه وآله وسلم.

مفردات الآية ومعانيها

* ﴿يَا﴾: حرف نداء يستعمل لكل مُنادى، قريباً كان أو بعيداً أو متوسطاً، ويُستخدم للقريب ليُفيد معنى التوكيد على أهمية ما بعدها^(٢)، وهذا النداء من الله جلَّ جلاله يدلُّ على قُرب المولى عزَّ وجلَّ من الحبيب المصطفى صلى الله عليه وآله وسلم كما هو ظاهر من سياق الآية.

* ﴿أَيُّهَا﴾: كَلِمَةٌ مُرَكَّبَةٌ، من (أَيِّ) و(ها) التَّنْبِيهِ الْوَصْلِيَّةِ وَيَتَّبِعُهَا الْمُنَادَى الْمَعْرَفُ بِالْأَلِّ، يَا أَيُّهَا الْوَلَدُ وَيَجُوزُ تَأْنِيثُهَا كَقَوْلِهِ تَعَالَى ﴿يَا أَيُّهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ﴾^(٣)، وهذه الصيغة تُفيد معنى تنبيه المخاطب ولفت نظره إلى مضمون الكلام الواقع بعد النداء^(٤).

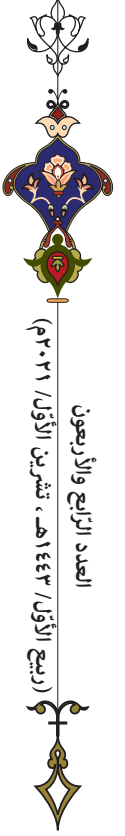
* ﴿الرَّسُولُ﴾: ويُلاحظ في هذه الآية المباركة أنَّ الحبيب المصطفى صلى الله عليه وآله وسلم نُعِتَ بِالرَّسُولِ دون غيرها من الصفات، كنعته مثلاً بالنَّبِيِّ ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ...﴾، أو بحال من أحواله ﴿يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ... يَا أَيُّهَا الْمُرْمَلُ...﴾، وغيرها من النعوت التي نُعِتَ الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم من قبل السماء، ففي هذا النعت دلالة على أنَّه تعالى قصد إبراز حيثية الرسالة التي يتَّصف بها النبيُّ الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم في هذه الآية دون غيرها، وذلك للإشارة إلى نكته أنَّ ما بعد هذه الصفة متعلِّق بخصوص الصفة، أي أنَّ الكلام الذي سيقع بعد نداء النبيِّ صلى الله عليه وآله وسلم بصفة الرسول، سيكون كلاماً متعلِّقاً بالرسالة التي اتَّصف بها النبيُّ الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم،

(١) المُصنَّف، لأبي شيبة: ٧ / ٥٠٣، باب فضائل عليِّ بن أبي طالب عليه السلام.

(٢) ينظر: جامع الدروس العربية، الشيخ مصطفى الغلاييني: ٤٨٧.

(٣) سورة الفجر، الآية: ٢٧.

(٤) ينظر: لسان العرب، لابن منظور: ١ / ٢٨٠-٢٨١.



ويلاحظ من هذا:

أولاً: نداء الرسول ﷺ بهذه الصفة دون غيرها من قبل السماء، لم ترد في القرآن إلا في موضعين، أحدهما في هذه الآية التي نحن في صدد دراستها، والآخر في قوله تعالى: ﴿يَأْتِيهَا الرَّسُولُ لَا يَحْزُنكَ الَّذِينَ يُسْرِعُونَ فِي الْكُفْرِ مِنَ الَّذِينَ قَالُوا آمَنَّا بِأَقْوَاهِمُ وَلَمْ تُوْمِن قُلُوبُهُمْ﴾^(١)، فالنعت الواقع بعد النداء له علاقة بالرسالة والإرسال، فمن أهداف الرسول ﷺ هي إخراج الناس من الظلمات إلى النور، وهدايتهم لعبادة الله تعالى، ووضعهم على الصراط المستقيم، ويلاحظ من سياق هذه الآية أن الله جلّ ذكره يُطمئن نبيه ﷺ ويرشده لعدم الحزن على مسارعة بعض الذين آمنوا للكفر والضلال.

ثانياً: إنه ومع العودة للقرآن الكريم لاستقراء الآيات التي ورد فيها نداء النبي ﷺ بنعوت وصفات خاصة، يلحظ أنه تعالى لم يستعمل صفة أونعت إلا عندما يكون الكلام الذي سيقع بعدها متناسباً ومتعلقاً بخصوص تلك الصفة.

* ﴿بَلَّغْ﴾: فعل أمر يدلُّ على معنى اللزوم ووجوب التبليغ، وهنا مسألتان:

الأولى: يُمكن استبدال الفعل (بَلَّغْ) بالفعل (أَبْلِغْ) ويبقى الكلام محافظاً على صحته، ولكن صيغة (بَلَّغْ) من معانيها الكثير والمبالغة، وهذا المعنى لا يوجد في صيغة (أَبْلِغْ)^(٢)، فاستعمالها يدلُّ على التأكيد على التبليغ بالأمر الذي أنيط به الرسول ﷺ.

الثانية: إن لفظة (بَلَّغْ) تدلُّ على توكيد إظهار الشيء الذي أمر الله تعالى به رسوله ﷺ أن يُبينه للناس، وهذا ما يذهب إليه مشهور أهل اللغة كما يحكي ذلك أبو جعفر النحاس^(٣)، ويقوي ذلك قوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ﴾ الذي يدلُّ على أن العلة في تأخير

(١) سورة المائدة، الآية: ٤١.

(٢) ينظر: الكافي في علم الصرف، د. فراس عبد العزيز عبد القادر الكلداوي، ود. عبد الوهاب محمد علي العدواني:

.٦٢.٦١

(٣) ينظر: معاني القرآن، أبو جعفر النحاس: ٢ / ٣٣٨.

إظهار النبي ﷺ لما أمر به، هو خشية مكائد وسوء فعل بعض الناس.

* ﴿مَا﴾: اسم موصول يفيد معنى الشيء^(١)، فكأن المعنى (بلغ الشيء الذي أنزلته عليك)، وهذا يقابل قول الأب لابنه الذي عليه واجبات دراسية: (افعل ما أمرت به)، أي أنجز التمارين التي أمرت بها المعلم.

* ﴿أَنْزَلَ﴾: فعل ماضٍ مبني للمجهول، وهذا يدل على أن نزول الأمر الذي أمر به الرسول ﷺ قد حصل في الزمن الماضي، فالمعنى في ضوء السياق وبمعنى لفضة (بلغ) يكون هو إظهار ما نزل على الرسول سابقاً، فالشيء المأمور بتبليغه الرسول ﷺ هو قد نزل عليه في الماضي وأمر هنا بإظهاره.

* ﴿إِلَيْكَ﴾: جار ومجرور، والكاف ضمير متصل يعود إلى الرسول ﷺ ليحدد الجهة التي نزل عليها هذا الأمر المنزّل، وهو النبي محمد ﷺ.

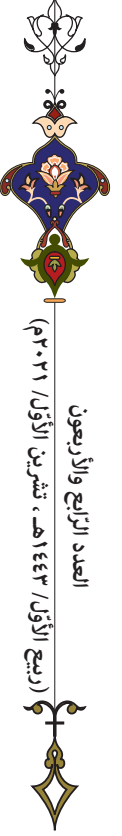
* ﴿مِنْ رَبِّكَ﴾: جال ومجرور، والكاف مضاف إليه، يُمكن الاستغناء عن هذه العبارة، ويقتضى المعنى قائماً، مثلاً: ﴿يَأْتِيهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ﴾، ولكنه تعالى ذكّر وأكد على الجهة التي نزل منها الأمر، وتبليغ الرسول ﷺ به، ليؤكد أكثر وأكثر على أن الأمر الذي أمر رسول الله ﷺ بتبليغه، هو من عند الله لا هو من مستلزمات ومقتضيات أمر تشريعي آخر، وذلك لقطع الطريق على كل من توهم أو احتمل بأن هذا الشيء المأمور بتبليغه الرسول ﷺ من عند غير الله، وهذه عناية زائدة تكشف على درجة أهمية وشأنية الشيء المراد تبليغه.

* ﴿وَ﴾: حرف عطف، ويربط الكلام الذي بعده بالكلام الذي قبله^(٢).

* ﴿إِنْ﴾: أداة شرط، تُفيد تحقق جواب الشرط الذي هو ﴿فَمَا بَلَغْتَ رِسَالَتَهُ﴾

(١) ينظر: شرح ابن عقيل، بهاء الدين عبد الله بن عقيل العَقِيلِي المصري الهمداني: ١ / ١٣٥.

(٢) ينظر: شرح ابن عقيل: ٢ / ٢١٢.



متوقّف على تحقّق فعل الشرط الذي بعدها مباشرة^(١)، وهو ﴿لَمْ تَفْعَلْ﴾ الحامل لمعنى عدم التبليغ.

* ﴿لَمْ﴾: حرف نفي جازم، ينفي ما بعده من فعل^(٢)، وهو يفيد في سياق الآية نفي فعل التبليغ الذي أمر به الرسول الأكرم ﷺ، والذي تشير إليه لفظة ﴿تَفْعَلْ﴾ الواقعة بعده مباشرة.

* ﴿تَفْعَلْ﴾: فعل مضارع مجزوم وهو فعل الشرط، ويدلّ في ضوء السياق العام للآية المباركة على معنى (فعل التبليغ بما أمرت به)، وعند إضافة هذا المعنى إلى ما قبله يكون المعنى: (وإن لم تُبلِّغ ما أمرت به).

* ﴿فَمَا﴾: الفاء حرف ربط يربط جواب الشرط بفعله، وما: حرف نفي ينفي فعل التبليغ الذي بعده.

* ﴿بَلَّغْتَ﴾: (بلّغ) فعل ماضٍ، والتاء ضمير متصل يعود إلى الرسول ﷺ.
* ﴿رِسَالَتَهُ﴾: مفعول به، والهاء عائد على لفظ الجلالة مضاف إليه فكأنها الكلام يكون موجه للرسول ﷺ (إن تركت ما أنزل إليك في عليّ فكأنك لم تبلغ شيئاً من رسالات ربك، إذ كتمان بعضها ككتمان كلّها في استحقاق العقاب)^(٣).

* ﴿وَاللَّهُ﴾: الواو حرف عطف، يعطف ويربط الكلام الذي بعده بالكلام الذي قبله^(٤)، ولفظ الجلالة فاعل مقدّم، وهو تعالى الذي يَعِصُّمُ وَيَحْفِظُ رسوله.

* ﴿يَعِصْمِكَ مِنَ النَّاسِ﴾: (يعصم) فعل مضارع، والكاف ضمير متصل مفعول به عائد على الرسول ﷺ، ويلاحظ من سياق الآية أنّ عصمة الرسول ﷺ ليست في

(١) ينظر: الكتاب، سبويه: ٤٥٧/١، والمقتضب، المبرد: ٧٤-٧٥.

(٢) ينظر: قطر الندى وبل الصدى، ابن هشام الأنصاري: ١٣٢.

(٣) الجوهر الثمين في تفسير الكتاب المبين، السيد عبد الله شير: ١٧٩ / ٢.

(٤) ينظر: شرح ابن عقيل: ٢ / ٢١٢.

العمل، لأنّها موجودة من أوّل حياته، والآية في آخرها، بل هي عصمة له ﷺ من الناس أن يتهموه بأنّه حابي ابن عمّه فأوصى له بخلافته، وأنّه يُريد تأسيس ملك لبني هاشم، فيرتدون لذلك عن الإسلام.

وهناك روايات كثيرة في هذا الصدد ومنها: عن الإمام الصادق عليه السلام قال لمواليه وشيعته: «أ تعرفون يوماً سيّد الله به الإسلام وأظهر به منار الدين، وجعله عيداً لنا ولموالينا وشيعتنا؟»، فقالوا: الله ورسوله وابن رسوله أعلم، أيوم الفطر هو يا سيدنا؟ قال: «لا»، قالوا: أفيوم الأضحى هو؟ قال: «لا»، وهذان يومان جليلان شريفان، ويوم منار الدين أشرف منها وهو اليوم الثامن عشر من ذي الحجة، وإنّ رسول الله ﷺ لما انصرف من حجة الوداع وصار بغدير خم أمر الله عزّ وجلّ جبرئيل أن يهبط على النبي ﷺ وقت قيام الظهر من ذلك اليوم، وأمره أن يقوم بولاية أمير المؤمنين عليه السلام وأن ينصبه علماً للناس بعده، وأن يستخلفه في أمته، فهبط إليه وقال له: حبيبي محمّد، إنّ الله يقرؤك السلام ويقول لك: قم في هذا اليوم بولاية عليّ ليكون علماً لأمتك بعدك يرجعون إليه ويكون لهم كانت، فقال النبي ﷺ: حبيبي جبرئيل، إنّني أخاف تغير أصحابي لما قد وتروه، وأن يبدو ما يضمرون فيه، فخرج وما لبث أن هبط بأمر الله فقال له: ﴿يَأْتِيهَا الرُّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ﴾، فقام رسول الله ﷺ ذِعراً مرعوباً خائفاً وقدماه تُشويان من شدة الرضاء، وأمر بأن ينظف الموضوع ويُقَمَّ ما تحت الدُّوح من الشوك وغيره، ففعل ذلك، ثمّ نادى بالصلاة جامعة فاجتمع المسلمون وفيمن اجتمع أبو بكر وعمر وعثمان وسائر المهاجرين والأنصار، ثمّ قام خطيباً وذكر الولاية فالزمها للناس جميعاً، فأعلمهم أمر الله بذلك^(١).



(١) بحار الأنوار، محمد باقر المجلسي (١٠٣٧هـ - ١١١٠هـ): ٩٤ / ٣٠٠.

وعن ابن عباس وجابر بن عبد الله قالوا: أمر الله تعالى نبيه محمداً ﷺ أن يُنصب علياً علماً للناس ويخبرهم بولايته، فتخوف رسول الله أن يقولوا حابي ابن عمه وأن يطعنوا في ذلك عليه، فأوحى الله إليه: ﴿يَتَأْتِيهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ﴾^(١).

سبب ومكان وزمان نزول الآية :

نزلت هذه الآية الكريمة يوم الثامن عشر من ذي الحجة التي سُميت بحجة الوداع سنة (١٠هـ) لما بلغ الرسول ﷺ غدير خم فأتاه جبرئيل بها على خمس ساعات مضت من النهار، فقال: «يا محمد، إن الله يقرؤك السلام ويخصك بالتحية والإكرام ويقول لك: ﴿يَتَأْتِيهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ﴾ في عليٍّ ﴿وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَغْتَ رِسَالَتَهُ﴾»، وكان أوائل القوم وهم مائة ألف أو يزيدون قريباً من منطقة الجحفة فأمره أن يردّ من تقدم منهم، ويجلس من تأخر عنهم في ذلك المكان، وأن يُقيم علياً علماً للناس ويبلغهم ما أنزل فيه، وأخبره بأن الله عزّ وجلّ عصمه من الناس^(٢)، فالله سبحانه أمر نبيه بالتبليغ ووعده العصمة والنصرة فقال: ﴿يَتَأْتِيهَا الرَّسُولُ﴾ وهذا نداء تشريف وتعظيم ﴿بَلِّغْ﴾ أي أوصل إليهم ﴿مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ﴾ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ .

من يتتبع كتب التفسير وأسباب النزول يجد هناك اختلافاً كثيراً حول سبب ومكان وزمان نزول آية التبليغ بين الشيعة والسنة، وكذلك وقع هذا الخلاف بين أعلام أهل

(١) تفسير العياشي، محمد بن مسعود عياش السلمى السمرقندي المعروف بالعياشي (المتوفى ٣٢٠هـ): ١ / ٣٣١. وغيرها الكثير من الروايات التي تؤكد عصمة الله لرسوله ﷺ. ينظر: الكافي، للكليني: ١ / ٢٩٠، وسنن أبي داود، أبو داود سليمان بن الأشعث بن إسحاق بن بشير الأزدي السجستاني المشهور بأبي داود (المتوفى ٢٧٥هـ): ١ / ٦١١، والدر المنثور في التفسير بالمأثور، الحافظ جلال الدين السيوطي (المتوفى ٩١١هـ): ٢ / ٢٩٨، وغيرها الكثير.

(٢) ينظر: الغدير في الكتاب والسنة والأدب، عبد الحسين الأميني (ت ١٣٩٢هـ): ١ / ٢١٤.

السنة أنفسهم، فنشأة أقوال كثير من قبلهم أغلبها بعيدة عن الحقيقة وتجافي الصواب، ومن هذه الأقوال:

القول الأول: إنَّها نزلت بداية البعثة النبوية

زَعَمَ بعض المفسرين أنَّ هذه الآية نزلت على الرسول ﷺ في بداية بعثته النورانية، فخاف أن يُبلِّغ رسالة ربِّه، فتباطأ فهدده الله تعالى وبعدها طمأنته لذلك. وهذا القول بحدِّ ذاته تهمة مشينة بحق الرسول ﷺ، وكيف يُقال هذا به هو أعظم النَّاس إيماناً وشجاعةً، وحرصاً على تبليغ رسالة ربِّه؟ بنصِّ القرآن، وبشهادة سيرته ﷺ، ومعنى قولهم إنَّ الآية نزلت قبل ٢٣ سنة من نزول سورة المائدة.

رُوِيَ عن ابن جريج قال: (كان النبيُّ ﷺ يهاب قريشاً فأنزل الله: ﴿ **وَاللَّهُ يَعِصُكَ مِنْ النَّاسِ** ﴾، فاستلقى ثمَّ قال: من شاء فليخذلني، مرتين أو ثلاثاً^(١)). وعن مجاهد قال: لما نزلت ﴿ **بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ** ﴾، قال: يا ربِّ إنَّنا أنا واحدٌ كيف أصنع يجتمع عليَّ النَّاسُ؟! فنزلت ﴿ **وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ** ﴾^(٢). وعن الطبري: كان النبيُّ يجاهر ببعض القرآن أيام كان بمكة ويُخفي بعضه إشفافاً على نفسه من شرِّ المشركين إليه وإلى أصحابه^(٣).

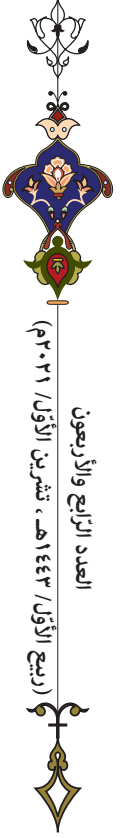
وأكثر المخلطين في هذا القول ابن كثير فقد جعل الآية في أوَّل البعثة وخلطها بآية: ﴿ **وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ** ﴾^(٤)، وبتَر حديث الدَّار الوارد في تفسيرها وحذف منه أنَّ

(١) الدرُّ المشثور: ٢ / ٢٩٨.

(٢) أسباب النزول، علي بن أحمد الواحدي النيسابوري، تحقيق: كمال زغلول: ١ / ١٣٩.

(٣) تفسير الطبري، محمد بن جرير الطبري، (ت ٣١٠هـ - ٩٢٣م) ٦ / ١٩٨، وهناك كثير من التفاسير التي فسرت آية التبليغ بهذا المعنى منها: ينظر: الأمُّ، أبو عبد الله محمد بن إدريس بن العباس بن عثمان بن شافع المعروف بالشافعي (المتوفى: ٢٠٤هـ): ١ / ١٦٨، والوسيط: ٢ / ٢٠٨، الكشاف: ١ / ٦٥٩، وغيرها الكثير.

(٤) سورة الشعراء، الآية: ٢١٤.



الله أمر نبيه ﷺ أن يختار خليفته ووصيه من عشيرته الأقربين، ثم أورد حديثاً مكذوباً وفسره بأن الرسول ﷺ كان يخاف أن يقتله القرشيون فطلب من بني هاشم شخصاً يكون خليفته في أهله ليقضي دينه، فقبل ذلك عليٌّ عليه السلام، ثم انتفت الحاجة إليه بنزول آية العصمة من الناس، قال في كتابه السيرة النبوية: قال عليٌّ: «لما نزلت هذه الآية: ﴿ وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ ﴾»، قال لي رسول الله: اصنع لي رجل شاة بصاع من طعام وإناء لبن وادع لي بني هاشم، فدعوتهم وإنهم يومئذ لأربعون غير رجل...»، إلى أن قال: «أيكم يقضي عني ديني ويكون خليفتي في أهلي؟» قال: «فسكتوا وسكت العباس خشية أن يحيط ذلك بهاله... قلت: أنا يا رسول الله قال: أنت»، ومعنى قوله في هذا الحديث: من يقضي عني ديني ويكون خليفتي في أهلي يعني إذا متُّ، وكأنه ﷺ خشي إذا قام بإبلاغ الرسالة إلى مشركي العرب أن يقتلوه فاستوثق من يقوم بعده بما يصلح أهله ويقضي عنه، وقد آمنه الله من ذلك في قوله تعالى: ﴿ يَتَأْتِيهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ ﴾ (١).

وقد تجاهل ابن كثير أن روايته تنسب الجنب إلى من هو أشجع إنسان عرفه التاريخ ألا وهو الرسول الأعظم محمد ﷺ حتى في المرحلة الأولى التي كان مأموراً فيها بدعوة عشيرته الأقربين فقط.

القول الثاني: إنها نزلت في مكة قبل الهجرة

وقيل إنها نزلت في مكة قبل الهجرة، فاستغنى النبي ﷺ عن حراسة عمه أبي طالب، أو عمه العباس.

رُوي عن ابن مردويه عن ابن عباس قال: سئل رسول الله: أي آية أنزلت من السماء

(١) السيرة النبوية من البداية والنهاية، لأبي الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدمشقي (المتوفى: ٧٧٤هـ)،

تحقيق: مصطفى عبد الواحد: ٤٦٠ / ١.

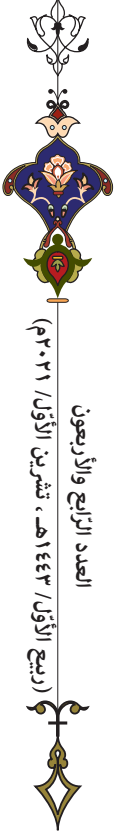
أشدُّ عليك؟ فقال: «كُنْتُ بَمَنَى أَيَّامِ الْمَوْسِمِ وَاجْتَمَعَ مَشْرُكُو الْعَرَبِ وَأَفْنَاءُ النَّاسِ فِي الْمَوْسِمِ فَنَزَلَ عَلَيَّ جَبْرِيْلُ فَقَالَ: ﴿يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ﴾»، قال: «فَقُمْتُ عِنْدَ الْعُقْبَةَ فَنَادَيْتُ: يَا أَيُّهَا النَّاسُ مِنْ يَنْصُرُنِي عَلَى أَنْ أَبْلُغَ رِسَالَةَ رَبِّي وَلَكُمْ الْجَنَّةُ؟ أَيُّهَا النَّاسُ قُولُوا لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنَا رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ، تَنْجُوا وَلَكُمْ الْجَنَّةُ. قَالَ فَمَا بَقِيَ رَجُلٌ وَلَا امْرَأَةٌ وَلَا صَبِيٌّ إِلَّا يَرْمُونَ عَلِيًّا بِالترابِ وَالْحِجَارَةِ وَيَبْصِقُونَ فِي وَجْهِهِ وَيَقُولُونَ كَذَابٌ صَابِئِي، فَعَرَضَ عَلِيٌّ عَارِضٌ فَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ إِنْ كُنْتُ رَسُولَ اللَّهِ فَقَدْ أَنْ لَكَ أَنْ تَدْعُو عَلَيْهِمْ كَمَا دَعَا نُوحٌ عَلَى قَوْمِهِ بِالْهَلَاكِ»، فقال النبيُّ: «اللَّهُمَّ اهْدِ قَوْمِي فَإِنَّهُمْ لَا يَعْلَمُونَ، وَانصُرْنِي عَلَيْهِمْ أَنْ يَجِيبُونِي إِلَى طَاعَتِكَ»، فجاء العباس عمُّه فأنقذه منهم وطردهم عنه، قال الأعمش: فبذلك تفتخر بنو العباس...^(١).

وعن عائشة قالت: كان النبيُّ يُحْرَسُ حَتَّى نَزَلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ: ﴿وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ﴾، فأخرج رسول الله رأسه من القُبَّةِ فقال لهم: «يَا أَيُّهَا النَّاسُ انصُرُوا فَقَدْ عَصَمَنِي اللَّهُ»^(٢).

مَهْمًا صَحَّتْ رَوَايَاتُهُمْ فَالْوَاقِعُ يَكْذِبُهَا، لِأَنَّ الْمُجْمَعُ عَلَيْهِ فِي سِيرَتِهِ ﷺ أَنَّهُ كَانَ يَطْلُبُ مِنْ قِبَائِلِ الْعَرَبِ أَنْ تَحْمِيَهُ مِنَ الْقَتْلِ لِكَيْ يُبَلِّغَ رِسَالَةَ رَبِّهِ، وَقَدْ بَايَعَهُ الْأَنْصَارُ بَيْعَةَ الْعُقْبَةَ

(١) الدر المنثور: ٢ / ٢٩٨، المعجم الكبير، سليمان بن أحمد الطبراني (٣٦٠هـ / ٩١٨م): ١١ / ٢٠٥، ومجمع الزوائد ومنبع الفوائد، الحافظ الهيثمي: ٧ / ١٧.

(٢) سنن الترمذي، محمد بن عيسى بن سورة الترمذي (ت ٨٩٢م): ٤ / ٣١٧، وهناك الكثير من آيد هذا القول، ينظر: الدر المنثور: ٢ / ٢٩٨، والروض الأنف في شرح السيرة النبوية، أبو القاسم السهيلي (ت ١١٨٥هـ): ٢ / ٢٩٠، وإرشاد الساري في شرح صحيح البخاري، الشيخ شهاب الدين القسطلاني: ٥ / ٨٦، وعمدة القاري شرح صحيح البخاري، بدر الدين العيني: ١٤ / ٩٥، التسهيل لعلوم التنزيل، ابن جزي الكلبي: ١ / ٢٤٤، نهاية الأرب في فنون الأدب، شهاب الدين النويري: ١٦ / ١٩٦، حياة الحيوان الكبرى، كمال الدين الدميري: ١ / ٧٩. وغيرها الكثير.



على أن يحموه ويحموا أهل بيته مما يحمون منه أنفسهم وأهليهم، فلو كانت آية العصمة نزلت في مكة وكان معناها كما زعموا، لما احتاج إلى ذلك.

كما يرى الباحث أن الغرض من هذا القول تقليل أثر أبي طالب في نصره الرسول ﷺ وإثبات أثر ميمز للعباس في حمايته، مع أن دوره كان عادياً كبقية بني هاشم الذين لم يسلموا ولم يهاجروا.

القول الثالث: إنها نزلت في المدينة، فألغى النبي ﷺ حراسته

عن عَصْمَةَ بن مالك الخطمي قال: كُنَّا نَحْرُسُ رسول الله ﷺ بالليل حتى نزلت: ﴿وَاللَّهُ يَعِصُكُمْ مِنَ النَّاسِ﴾، فَتَرَكَ الحرس^(١)، وعن سعيد بن جبير قال: لَمَّا نَزَلَتْ: ﴿يَنَاءِيهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ...﴾ قال رسول الله: «لا تحرسوني إن ربي قد عصمني»^(٢)، وعن محمد بن كعب القرظي أن رسول الله ما زال يجارسه أصحابه حتى أنزل الله: ﴿وَاللَّهُ يَعِصُكُمْ مِنَ النَّاسِ﴾، فَتَرَكَ الحرس حين أخبره أنه سيعصمه من الناس^(٣). وهذا القول باطل، لأنه يتحدث عن الحراسة وحراسة الرسول ﷺ استمرت إلى آخر عمره الشريف.

القول الرابع: إنها نزلت في المدينة في السنة الثانية، بعد معركة أُحُد

عن عطية بن سعد قال: جاء عبادة بن الصامت من بني الحارث بن الخزرج إلى رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله إن لي موالي من يهود كثير عددهم، وإنني أبرأ إلى الله ورسوله من ولاية يهود وأتولى الله ورسوله، فقال عبد الله بن أبي: إنني رجل أخاف الدوائر، لا أبرأ من ولاية موالي، فقال رسول الله لعبد الله بن أبي: «أبا حباب أرايت

(١) ينظر: الدر المنثور: ٢ / ٢٩٨.

(٢) ينظر: تاريخ المدينة، لعمر بن شبة: ١ / ٣٠١.

(٣) ينظر: دلائل النبوة، للبيهقي: ٢ / ١٨٠.

الذي نفستَ به مِنْ ولاء يهود على عبادة فهو لك دونه» قال: «إذن أقبل»، فأنزل الله: ﴿يَأْتِيهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ﴾^(١)، ويقصدون أن آية التبليغ في هذا الموضوع تُفيد النهي، أي النهي عن تولي اليهود كما زعموا، فيكون موضوعها النهي عن ولاية اليهود، وليس وجوب ولاية علي بن أبي طالب عليه السلام، ويكفي لبطلان هذا القول، أن ولاء ابن سلول لليهود، توفي قبل نزول سورة المائدة بنحو سنتين^(٢).

القول الخامس: إنَّها نزلت أثر محاولة شخص اغتيال النبي صلى الله عليه وآله

وهناك روايات كثيرة في هذا القول منها، قيل: إنَّها نزلت في غزوة بني أنمار المعروفة بذات الرقاع، وتدور هذه الحادثة حول شخص جاء إلى الرسول صلى الله عليه وآله وطلب منه أن يعطيه سيفه ليراه، فأعطاه النبي صلى الله عليه وآله إيَّاه بكل سهولة، أو كان علقه وغفل عنه، أو دلى رجله في البئر وغفل عنه... إلخ.

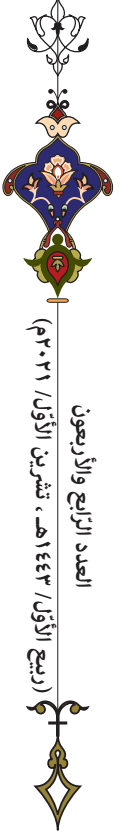
عن جابر بن عبد الله قال: لما غزا رسول الله صلى الله عليه وآله بني أنمار نزل ذات الرقاع بأعلى نخل، فبينما هو جالس على رأس بئر قد دلى رجله، فقال عُورث بن الحرث: لأقتلنَّ محمداً، فقال له أصحابه: كيف تقتله؟ قال أقول له أعطني سيفك فإذا أعطانيه قتلته به، فأتاه فقال: يا محمد أعطني سيفك أسمِّه، فأعطاه إيَّاه فرعدت يده، فقال رسول الله: «حال الله بينك وبين ما تريد»، فأنزل الله: ﴿يَأْتِيهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ...﴾^(٣).

عن محمد بن كعب القرظي قال: كان رسول الله صلى الله عليه وآله إذا نزل منزلاً اختار له أصحابه

(١) ينظر: الدر المنثور: ٢ / ٢٩١.

(٢) ينظر: تاريخ الطبري: ٢ / ٣٨١.

(٣) الدر المنثور: ٢ / ٢٩٨.



شجرة ظليلة فيقيل تحتها، فأناه أعرابي فاخترط سيفه ثم قال: من يمنعك مني؟ قال: «الله»، فرعدت يد الأعرابي وسقط السيف منه، قال: وضرب برأسه الشجرة حتى انتثر دماغه فأنزل الله: ﴿وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ﴾ (١).

ومأ يدل على بطلان هذا القول، أن غزوة ذات الرقاع كانت في السنة الرابعة من الهجرة (٢) أي قبل نزول سورة المائدة بسنوات.

أمّا قول الشيعة: اتفق علماء الشيعة على كون آية التبليغ نزلت في خصوص إعلان تنصيب الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام إماماً وخليفةً بعد الرسول صلى الله عليه وآله، كما اتفقوا على أن الآية جاءت لتأمر الرسول صلى الله عليه وآله وتحمته على الإعلان الفوري بتنصيب الإمام علي عليه السلام خليفة من بعد أن كان رسول الله صلى الله عليه وآله يؤخره لتحين الفرصة المناسبة لحشيته من تحرك بعض النفوس التي لا تتقبل أن تكون النبوة والإمامة في بني هاشم حتى لو كان ذلك بأمر من المولى تعالى، وكذا تحرك النفوس التي تحمل بغضاً دفيناً اتجاه الإمام علي عليه السلام خصوصاً، والحشية من وقوع فتنة تكون نتائجها وخيمة (٣).

(١) الدر المنثور: ٢ / ٢٩٨.

(٢) ينظر: السيرة النبوية، لابن هشام الأنصاري: ٣ / ٢٢٥.

(٣) ينظر: تفسير القمي، علي بن إبراهيم القمي: ١ / ٢٥٢، وتفسير العياشي، محمد بن مسعود العياشي: ١ / ٣٣١-٣٣٣، ومجمع البيان، الشيخ الطبرسي: ٣ / ٥٢٦، وجوامع الجامع، الشيخ الطبرسي: ١ / ٣٤٢، والتفسير الصافي، الفيض الكاشاني: ٢ / ٧١-٥١، وتفسير الرهان، هاشم البحراني: ٢ / ٤٩٤-٥٠٠، وتفسير الميزان، محمد حسين الطباطبائي: ٦ / ٤٨، والأمثل في تفسير كتاب الله المنزل، ناصر مكارم الشيرازي: ٣ / ٥٧٦-٥٨٢، وغيرها الكثير.

البحث الثاني: آية الإكمال

﴿الْيَوْمَ يَبْسُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ دِينِكُمْ فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَاخْشَوْنَ الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيْتُ لَكُمْ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾^(١).

هذه الآية الكريمة من الآيات النازلة يوم الغدير في أمير المؤمنين عليٍّ عليه السلام، فقد اتفق مفسرو الإمامية على أن هذه الآية الشريفة نزلت يوم الغدير، بعد أن نادى الرسول ﷺ بولاية أمير المؤمنين بألفاظٍ دريةٍ صريحةٍ، فتضمن نصاً جليلاً عرفته الصحابة وفهمته العرب فاحتجَّ به مَنْ بلغه الخبر، ووافق الإمامية على ذلك كثيرون من علماء التفسير وأئمة الحديث وحفظة الآثار من أهل السنة والجماعة.

مفردات الآية ومعانيها

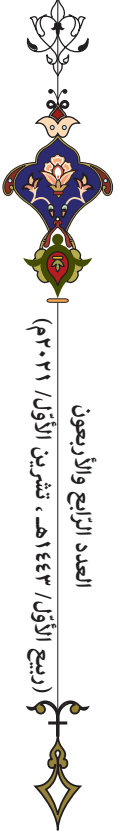
* ﴿الْيَوْمَ﴾: ظرف زمان أراد به الزمان الحاضر^(٢)، متعلق بـ(يُس) منصوب وعلامة نصبه الفتحة.

وفي هذه اللفظة أقوال عدّة منها:

القول الأوّل: إنّه ليس المراد هو ذلك اليوم بعينه حتى يُقال إنهم ما يسوا قبله بيوم أو يومين، وإنّما هو كلام خارج على عادة أهل اللسان، معناه لا حاجة بكم الآن إلى مداينة هؤلاء الكفار؛ لأنكم الآن أصبحتم لا يطمع بكم أحدٌ من أعدائكم في توهين

(١) سورة المائدة، الآية: ٣.

(٢) ينظر: إعراب القرآن وبيانه، محيي الدين بن أحمد مصطفى درويش (ت ١٤٠٣هـ): ١ / ٤١٠.



أمركم، ونظيره قوله: كنت بالأمس شاباً واليوم أصبحت شيخاً، ولا يريد بالأمس اليوم الذي قبل يومك، ولا باليوم يومك الذي أنت فيه^(١).

القول الثاني: إنَّ المراد به يوم نزول هذه الآية، وقد نزلت هذه الآية الكريمة يوم الثامن عشر من ذي الحجة التي سُمِّيت بحجة الوداع سنة (١٠هـ) لما بلغ الرَّسول ﷺ غدِير حُم فأتاه جبرئيل بها على خمس ساعات مضت من النَّهار، وكان أوائل القوم وهم مائة ألف أو يزيدون قريباً من منطقة الجحفة، فأمره أن يرد من تقدّم منهم، ويجس من تأخر عنهم في ذلك المكان، وأنَّ يُقيّم علياً علماً للنَّاس ويبلغهم ما أنزل فيه^(٢).

القول الثالث: وقيل إنَّ المراد باليوم يوم عرفة من حجة الوداع بعد دخول العرب كلَّها في الإسلام، وكان يوم جمعة ونظر الرَّسول فلم يرَ إلَّا مسلماً موحداً ولم يرَ مشركاً^(٣).
القول الرابع: ذهب بعض المفسرين إلى أنَّ المراد من اليوم، هو يوم البعثة لا يوم الغدير^(٤)، والسؤال: ما القرينة على ذلك؟

إنَّ الآية حين تقول (اليوم)، ثمَّ تصف هذا اليوم بأنَّه اليوم الذي رضي الله فيه الإسلام ديناً لكم، فإنَّ مقتضى القاعدة أن يكون المقصود منه هو يوم بعثة الرَّسول، وبذلك تكون القرينة هي قوله تعالى: ﴿وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾، ويُمكن أن يكون هذا صحيحاً لو لم يكن قوله: ﴿وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾ مسبوqاً بالجملة التي قبله، لأنَّ تلك الجملة قد تحدثت عن إكمال الدين، وإتمام النعمة، رضا الرب، والحال أنَّ بداية هذه النعمة كانت مع أوَّل أيام البعثة، أمَّا قوله: ﴿وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾، فقد جاء لبيان أنَّ الإسلام الذي كُمِّل الآن وتمت نعمته، هو ذاك الإسلام المرصّي، وبذا يتبين

(١) البحر المحيط، أبو حيان الأندلسي: ٣ / ٤٤٠.

(٢) ينظر: الغدير في الكتاب والسُّنة والأدب، عبد الحسين الأميني (ت ١٣٩٢هـ): ١ / ٢١٤.

(٣) ينظر: مجمع البيان في تفسير القرآن، للطبرسي: ٣ / ٢٧٣.

(٤) ينظر: تفسير القرطبي: ٦ / ٦٠-٦٣.

أنَّ المراد بـ(اليوم) لا يمكن أن يكون يوم البعثة.

القول الخامس: من الوجوه التي قال بها المفسرون من دون أن تكون لهم عليها قرينة، هو أن يكون المراد باليوم يوم فتح مكة، فقد ذكّر فخر الدين الرازي أن أحد الأيام العظيمة في تاريخ الإسلام هو يوم فتح مكة^(١)، إذ نَزَلَ قوله تعالى: ﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا ۗ لِيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ وَيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ وَيَهْدِيَكَ صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا﴾^(٢).

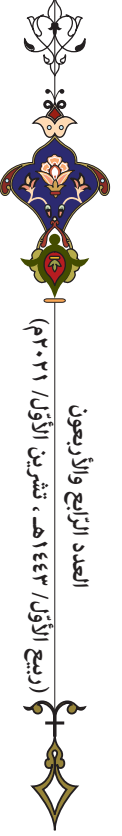
لو نرجع إلى التاريخ لوجدنا أن مكة لها موقع روحي مهم في جزيرة العرب، فبعد عام الفيل انطوت جميع قبائل الجزيرة العربية على اعتقاد عظيم بالكعبة بصفتها معبداً مهماً، وفي الواقع أن غرور قريش يكمن في هذه النقطة بالذات، فقد سخرت هذه القضية لصالحها، وأخذت تتحدث من خلالها عن موقعها وأهميتها والاحترام الذي تستحقه، إذ انتهت قصة أصحاب الفيل بذلك البلاء الساوي الذي أصاب جيشهم حتى لم يبق منهم أحد، لقد استحکم الغرور بقريش بعد هذه الواقعة، حتى تحوّل إلى ضربٍ من الطاعة أخذت تبديه لها قبائل جزيرة العرب.

منذ ذلك الوقت وشعورٌ وُلِدَ عند النَّاسِ باستحالة أن يُسيطر أحدٌ على الكعبة ويهيمن عليها، ولكنَّ رسولَ الله ﷺ قام بفتح مَكَّةَ من دون إراقة دماء، ومن دون مَسَاقٍ، ودون أن يلحق أحدٌ منهم أذى ضرر، ربّما أخذ الرَّسولُ في حسابه هذا الشعور (النفسي العقيدي) وهو يحرص على فتح مَكَّةَ من دون إراقة دماء.

فلو قُتِلَ من المسلمين في معركة أخرى مئة أو أكثر لما قيل شيء، ولكن لو أُصِيبَ أحدٌ منهم في فتح مَكَّةَ أذى ضرر، لقال من قال: انظروا، قد نزل بمحمدٍ وأصحابه ما نزل بأصحاب الفيل.

(١) ينظر: التفسير الكبير أو مفاتيح الغيب، فخر الدين الرازي: ١١ / ١٠٧-١٠٨.

(٢) سورة الفتح، الآيات: ١-٢.



لقد سلك الرسول ﷺ نهجاً في فتح مكة لم يؤدّ إلى إراقة قطرة دم واحدة، لا من المسلمين ولا من الكفار، باستثناء ما كان صدر من خالد بن الوليد - بدافع الحقد الذي ينطوي عليه - عندما وصل لقوم في أطراف مكة فقتل جماعة بعد أن قاومه عددٌ منهم، وعندما وصل الخبر إلى الرسول تبرأ مما كان فعله خالد، وقال: «اللهم أني أبرأ إليك مما صنع خالد بن الوليد»^(١).

لقد ترك فتح مكة أثراً نفسياً كبيراً لدى قبائل الجزيرة العربية، فقد تبين لهم أن للقضية وضعا آخر، فيها هو محمد ﷺ قد جاء وفتح مكة ولم يصبه أذى.

والآن أعود إلى احتمال أن المقصود من قوله تعالى: ﴿الْيَوْمَ يَبْسُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ دِينِكُمْ فَلَا تَحْشَوْهُمْ وَاخْشَوْنَ الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتَمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي﴾ هو يوم فتح مكة، ففي ضوء العرض الأنف أنه ليس هناك دليل يثبت هذا الرأي، لا من اللغة ولا من التاريخ، فضلاً عن افتقار هذا الرأي لما يؤيده من قرينة وشاهد تاريخي، نجد أن صدر الآية لا يُعين عليه، إذ قوله تعالى: ﴿أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتَمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي﴾، إذ المراد أنه لم يبق شيء إلا وذكرته، في حين نعرف أن الكثير من أحكام الإسلام وتعاليمه نزلت بعد فتح مكة، وهذا ما لا يتسق مع قوله: ﴿أَتَمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي﴾ فعندما يقول: (أتممت هذه البناية) فمن الثابت أن المراد ليس أنه تركها على النصف، فضلاً عن نزول الكثير من الآيات بعد فتح مكة، منها سورة المائدة بتمامها، وهي سورة طويلة ضمت كثيراً من الأحكام والتعاليم، فكيف يتسق القول بأن هذا الجزء من السورة له صلة بفتح مكة الذي تمّ في السنة الثامنة للهجرة، مع أن السورة نفسها نزلت في السنة العاشرة للهجرة، أمّا إن قلنا إن هذه الآية نزلت وحدها في يوم فتح مكة، فإن ذلك مما لا يتسق مع إتمام النعمة أيضاً.

(١) ينظر: الأمالي، الشيخ الصدوق: ١٥٢-١٥٣، بحار الأنوار: ٢١/ ١٤٢، و١٠١، و٤٢٣-٤٢٤.

ثُمَّ اعترض على أمرٍ آخر يردُّ على هذا الاحتمال، ينطلق هذه المرّة من قوله تعالى: ﴿ **الْيَوْمَ يَبْسُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ دِينِكُمْ** ﴾ ، فهل كان الحال كذلك في يوم فتح مكّة؟ صحيح أنّ الفتح انطوى على أثرٍ عظيمٍ، ولكن هل يبس الكافرون من الدين في هذا اليوم كلياً؟ فالجواب بالتأكيد لا .

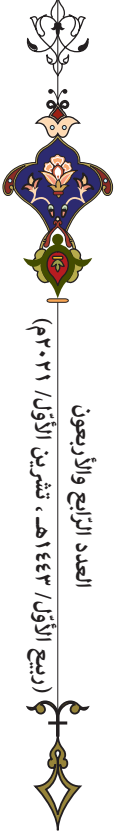
القول السادس: المقصود باليوم يوم تبليغ أمير المؤمنين سورة براءة، فهذا اليوم من الأيام المهمة الأخرى المحتمل كونه مراد الآية، يوم قراءة سورة (براءة) من قبل الإمام أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب في منى، سنة (٩) هجرية.

لقد كان فتح مكّة فتحاً عسكرياً، عاد بنتائج مدهشة على صعيد تثبيت القدرة العسكرية، بل وحتى المعنوية للإسلام، ولكن مع ذلك كان الرسول ﷺ يعيش مع الكفار وفقاً لشروط الصلح، فقد كان الصلح قائماً بين الطرفين، وبمقتضاه كان للمشركين حقُّ الطواف بالكعبة والمكوث في مكّة والاشتراك في الحجّ، وقد حصل في إحدى السنوات، أنّ الحجّ كان مشتركاً، إذ حجّ المسلمون وأدّوا مناسكهم وفقاً لتعاليم الإسلام، وحجّ المشركون وقد أدّوا مناسكهم وفقاً لعقيدتهم.

وفي السنة التاسعة للهجرة نزلت سورة براءة (التوبة) حيث ندب الرسول الإمام أمير المؤمنين ﷺ لقراءتها في منى على مسمع من الناس، وبمقتضى هذه السورة لا يحقُّ للمشركين بعد عامهم هذا أن يشاركوا بمراسم الحجّ، فالحجّ أضحى منسكاً خاصاً بالمسلمين وحسب^(١).

يتبيّن ممّا مرّ، أنّ يوم تبليغ (براءة) كان يوماً استثنائياً في حياة المسلمين، ففيه أعلن أنّ الحرم يختصُّ بالمسلمين وحدهم، ولا يحقُّ للمشركين بعد الآن أن يشاركوا في مراسم الحجّ، وهذا الأذان جعل المشركين يفهمون أنّه ليس بمقدورهم أن يظلوا على شركهم،

(١) ينظر: الميزان، السيد الطباطبائي: ٥ / ١٦٧ - ١٧٣ .



فالإسلام يتعايش مع الأديان الأخرى كاليهودية والنصرانية والمجوسية، بيد أنه لا يتحمّل الشرك ولا يتعايش معه، وللأهمية التي يتحلّى بها هذا اليوم، ذكروا أنه قد يكون هو المراد من الآية.

إنّ هذا الاحتمال لا يتسق مع قوله تعالى: ﴿أَتَمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي﴾ لأنّ كثيراً من الأحكام جاءت بعد هذا اليوم، نزلت براءة في السنة التاسعة للهجرة في حين أنّ اليوم الذي تعنيه الآية التي نحن بصدددها، لا بُدَّ أن يكون من الأيام الأواخر في حياة الرسول ﷺ، إذ لم ينزل من السماء بعده حكم جديد.

* ﴿يَيْسَ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾: يَيْسَ فعل ماضٍ مبنيٌّ على الفتح، والذَّيْنِ اسم موصول مبنيٌّ على الفتح في محل رفع فاعل، وكَفَرُوا فعل ماضٍ مبنيٌّ على الضم لاتصاله بواو الجماعة، وواو الجماعة ضمير متصل مبنيٌّ في محل رفع فاعل والألف فارقة والجملة من الفعل والفاعل صلة الموصول لا محلّ لها من الإعراب، وفي هذه العبارة الشريفة نستشف معنيين:

الأول: يَيْسَ مشركو العرب من أن تُحلل هذه الخبائث بعد أن جعلها الله محرمة.
الثاني: يَيْسُوا من أن يغلبوا المؤمنين على دينهم؛ لأنّهُ تعالى وَعَدَهُمْ بِإِعْلَاءِ هَذَا الدِّينِ عَلَى كُلِّ الأديان، كما في قوله تعالى: ﴿يُرِيدُونَ أَن يُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَيَأْبَى اللَّهُ إِلَّأ أَن يُتِمَّ نُورَهُ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ﴾ هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ^(١)، فحقق الله النُّصرة التي وعدهم بها، وأزال الخوف، وجعل الكفَّار مغلوبين بعد أن كانوا غالبين، ومقهورين بعد أن كانوا قاهرين. فضلاً عن ظهور الإسلام وظهوره يقتضي أن يَيْسَ الكفار من إرجاع الذين آمنوا بالله تعالى إلى عبادة الأوثان والأصنام، فضلاً عن أنّهم يَيْسُوا من بطلان الإسلام.

(١) سورة التوبة، الآيات: ٣٢-٣٣.

* ﴿ **مِنْ** ﴾ : حرف جر، ﴿ **دِينِكُمْ** ﴾ : اسم مجرور وعلامة جره الكسرة، وهو مضاف والكاف ضمير متصل مبنيٌّ على الضم في محلِّ جرٍّ بالإضافة، والميم للجماعة، والدين اسم لجميع ما تعبد الله به خلقه وأمرهم بالقيام به ومعنى يئسوا وانقطع طمعهم من دينكم أن تركوه وترجعوا منه إلى الشرك^(١).

* ﴿ **فَلَا تَخْشَوْهُمْ** ﴾ : الفاء فاء الفصيحة، (لا) حرف نهي وجزم، تخشون فعل مضارع مجزوم بلا وعلامة جزمه حذف النون والواو ضمير مبنيٌّ على السكون في محل رفع فاعل، والهاء ضمير متصل مبنيٌّ على الضم في محلِّ نصب مفعول به، والميم للجماعة، وهذا الخطاب موجه للمؤمنين، إذ نهاهم الله تعالى أن يخشوا ويخافوا من الكفار أن يظهروا على دين الإسلام ويقهروا المسلمين ويردوهم عن دينهم^(٢).

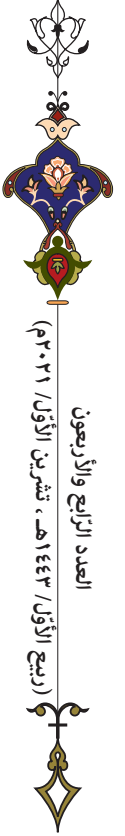
* ﴿ **وَإِخْشَوْنِ** ﴾ : واخشون الواو حرف عطف، اخشون فعل أمر مبنيٌّ على حذف النون والواو ضمير متصل مبنيٌّ على السكون في محلِّ رفع فاعل والنون للوقاية والياء ضمير متصل مبنيٌّ على السكون في محلِّ نصب مفعول به، أي اخشوني، وخافوني إن خالفتم أمري وارتكبت معصيتي أن أحل بكم عقابي^(٣).

فهذا النص: ﴿ **الْيَوْمَ بَيَسَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ دِينِكُمْ فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَإِخْشَوْنِ** ﴾ من الآية الشريفة لو نضعه بجانب آيات أخرى من القرآن الكريم التي فيها تحذير للمسلمين وتخوفهم من كيد الكفار الدائم لهم ولدينهم، على اعتبار أن الكفار يودون أن يرجع المسلمون عن دينهم، وهذا التحذير القرآني شمل أهل الكتاب وغيرهم، كما في قوله تعالى: ﴿ **وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يَرُدُّوكُمْ مِّنْ بَعْدِ إِيمَانِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا مِّنْ عِنْدِ**

(١) ينظر: مجمع البيان، الشيخ الطبرسي: ٣ / ٢٧٣.

(٢) ينظر: المصدر نفسه.

(٣) المصدر نفسه.



أَنْفُسِهِمْ ﴿١﴾، ففي ضوء ما تقدم نجد أن الله تعالى يحذر المسلمين في آيات من القرآن أن الكُفَّار يودُّون باستئصال دينكم، ثم يأتي جَلَّ ذِكْرُهُ بهذه الآية ليذكر بأسهم من بطلان الإسلام، فقد يسوا وانقطع طمعهم من دينكم أن تركوه وترجعوا منه إلى الشرك ﴿٢﴾، وانتهى نشاطهم المعادي لدينكم ﴿فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَاخْشَوْنَ﴾.

* ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ﴾: مثل الأوَّل، وهنا متعلِّق بـ(أَكْمَلْتُ)، وَأَكْمَلْتُ: فعل ماضٍ مبنيٌّ على السكون؛ لاتصاله بتاء الفاعل، وتاء الفاعل ضمير متصل مبنيٌّ في محلِّ رفع فاعل، ولكم: جارٍ ومجرور متعلقان بـ(أَكْمَلْتُ) أيضاً، ودينكم: مفعول به لأَكْمَلْتُ منصوب وهو مضاف، والكاف ضمير متصل مبنيٌّ على الضم في محلِّ جرٍّ بالإضافة، والميم للجماعة. وقيل في هذا المقطع من الآية الشريفة أقوال منها ﴿٣﴾:

القول الأوَّل: إنَّ معناه أكملت لكم فرائضي وحدودي، وحلالي وحرامي، بتنزيلي ما أنزلتُ، وبياني ما بينتُ لكم، فلا زيادة في ذلك ولا نقصان منه بالنسخ بعد هذا اليوم، وكان ذلك يوم عرفة عام حجَّة الوداع، وقيل: لم ينزل بعد هذا على الرَّسول ﷺ شيء من الفرائض في تحليل ولا تحريم، وإنَّه مضى بعد ذلك بإحدى وثمانين ليلة، فإن اعترض معترض، فقال: أكان دين الله ناقصاً، وقتاً من الأوقات، حتى أمَّته في ذلك اليوم؟ فجوابه: إنَّ دين الله لم يكن إلَّا في كمال، كاملاً في كلِّ حال، ولكن لما كان مُعَرَّضاً للنسخ والزيادة فيه، ونزول الوحي بتحليل شيء، أو تحريمه، لم يمتنع أن يوصف بالكمال، إذ أمن من جميع ذلك فيه، كما توصف العشرة بأكملها كاملة، ولا يلزم أن توصف بالنقصان، لما كانت المائة أكثر منها وأكمل.

القول الثاني: إنَّ معناه اليوم أكملت لكم حججكم، وأفردتكم بالبلد الحرام، تحجُّونه

(١) سورة البقرة، الآية: ١٠٩.

(٢) ينظر: مجمع البيان، الشيخ الطبرسي: ٢٧٣ / ٣.

(٣) ينظر: مجمع البيان في تفسير القرآن: ٢٧٣-٢٧٤ / ٣.

دون المشركين، ولا يخالطكم مشرك؛ لأنَّ الله سبحانه أنزل بعده ﴿يَسْتَفْتُونَكَ قُلِ اللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِي الْكَلَالَةِ﴾^(١)، وقال الفراء: وهي آخر آية نزلت، وهذا الذي ذكره لو صحَّ لكان لهذا القول ترجيحٌ، لكن فيه خلاف.

القول الثالث: إنَّ معناه اليوم كفتيكم الأعداء، وأظهر تكم عليهم، كما تقول: الآن كمل لنا الملك، وكمل لنا ما نريد، بأنَّ كفينا ما كنَّا نخافه، عن الإمامين أبي جعفر وأبي عبد الله عليهما السَّلام أنَّه إنَّما أنزل بعد أن نصب الرَّسول ﷺ علياً عليه السلام، لأنَّه، يوم غدِير خم منصرفه عن حِجَّة الوداع، قالوا: «وهو آخر فريضة أنزلها الله تعالى، ثمَّ لم ينزل بعدها فريضة».

وعن أبي سعيد الخدري أنَّ رسول الله ﷺ لما نزلت هذه الآية، قال: «الله أكبر على إكمال الدين، وإتمام النعمة، ورضا الرَّبِّ برسالتي، وولاية عليِّ بن أبي طالب من بعدي»، وقال: «من كنت مولاه فعليُّ مولاه، اللهمَّ والِ من والاه، وعادِ من عاداه، وانصر من نصره، واخذل من خذله».

القول الرابع: ذهب علماء أهل السُّنَّة والجماعة إلى أنَّ المراد منه هو اكمال الدين بجميع تشريعاته، وقد بيَّن الإسلام جميع الأحكام ولم يبقَ حكم لم يُذكر، فانتهى عصر التشريع بنزول آية الإكمال^(٢)، ولم يقبل علماء الشيعة بهذا القول لوجود عدَّة إشكالات ترد عليه^(٣).

القول الخامس: وأجمع علماء الشيعة على أنَّ إكمال الدين كان بإعلان الرَّسول ﷺ بولاية أمير المؤمنين عليه السلام تبعاً للروايات الواردة عن أئمَّة أهل البيت عليهم السلام^(٤).

(١) سورة النساء، الآية: ١٧٦.

(٢) ينظر: مجمع البيان، الشيخ الطبرسي: ٣ / ٢٧٤.

(٣) ينظر: الميزان في تفسير القرآن، السيد الطباطبائي: ٥ / ١٩٨.

(٤) ينظر: الكافي، الشيخ الكليني: ١ / ٢٩٠.



* ﴿وَ﴾: (الواو): حرف عطف، ﴿أَتَمَّمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي﴾: مثل ﴿أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ﴾، والملاحظ في هذا النص الكريم أن الله جلَّ اسمه خاطب المؤمنين بأنه أتمَّ النعمة عليهم بإظهارهم على المشركين، وفيهم عن بلادهم، وقيل: معناه أعطيتكم من العلم والحكمة، ما لم يُعطَ قبلكم نبيًّا ولا أُمَّة، وقيل: إنَّ تمام النعمة دخول الجنة^(١). ولا بُدَّ من القول إنَّ ثَمَّةً فارقاً ما بين الإكمال والإتمام: إنَّ الإكمال، لا ينطوي الشيء على جزء ناقص ليُقال له غير تام، فقد لا يكون الشيء ناقصاً وليس له جزء يتممه، ولكنه مع ذلك هو غير كامل حتى الآن.

مثلاً: الجنين في بطن أمه، فهو يصل إلى حدِّ التمام، إذ تتم أجزاؤه ويستوي هيكله، ثمَّ يُولد ويكون طفلاً تاماً، ولكنه لا يكون إنساناً كاملاً، أي لا يتحلَّى بذلك النضج الذي يجب أن يتحلَّى به الإنسان، وعملية النضج هي شيء يختلف عن كون الشيء يفتقر إلى جزء ناقص^(٢).

أمَّا الإتمام هو: آخر أجزاء الشيء المتتابعة بعضها وراء بعض، إذ يُقال لذلك الشيء إنه ناقص إذا لم تترتب أجزاؤه كلها، فإذا ما انضمَّ إليها أجزاؤها الأخر، حتى آخر جزء، نقول تمَّ ذلك الشيء.

مثلاً: البناية، لا يقال لها تمت وإنَّ وضعت لها القواعد ورفعت الجدران والسقف، وإنَّها يُقال لها تمت إذا استوفت جميع المستلزمات الضرورية التي تدخل في مقوماتها حتى تكون صالحة للاستخدام، فعندما تكون جاهزة للسكن يُقال لها تمت^(٣).

وفي ضوء هذين المعنيين نستنتج أنَّ الإسلام لما بلغ حدَّ الكمال، فإنَّ مثل هذا الإسلام هو الدين الإلهي المرضي، وإنَّ الدين الذي يريده الله، هو هذا الإسلام التام

(١) ينظر: مجمع البيان في تفسير القرآن، الطبرسي: ٣ / ٢٧٥.

(٢) ينظر: مفردات الراغب الاصفهاني، مع ملاحظة العمالي: ٦٤٠-٦٤١.

(٣) مفردات الراغب الاصفهاني، مع ملاحظة العمالي: ١٧٥.

الكامل.

* ﴿وَ﴾: (الواو): حرف عطف، ﴿وَرَضِيْتُ لَكُمْ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾: مثل ﴿أَتَمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي﴾، ودينًا: حال منصوب، والمراد من هذا النص الشريف (رضيت لكم الإسلام لأمرني، والانقياد لطاعتي، على ما شرّعت لكم من حدوده وفرائضه، ومعاله، دينًا: أي طاعةً منكم لي، والفائدة في هذا أن الله سبحانه، لم يزل يصرف نبيّه محمداً وأصحابه في درجات الإسلام ومراتبه، درجة بعد درجة، ومنزلة بعد منزلة، حتى أكمل لهم شرائعه، وبلغ بهم أقصى درجاته ومراتبه، ثم قال: رضيت لكم الحال التي أنتم عليها اليوم، فالزموها ولا تفارقوها، ثم عاد الكلام إلى القضية المتقدمة في التحريم والتحليل، وإنما ذكر قوله ﴿الْيَوْمَ بَيِّسَ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ إلى قوله: ﴿وَرَضِيْتُ لَكُمْ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾ اعتراضاً^(١).

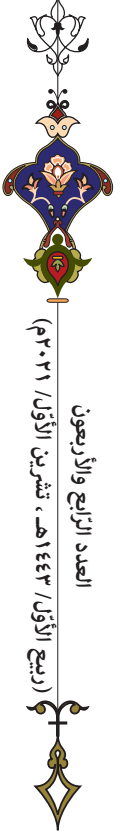
سبب نزول الآية ومكانها وزمانها:

من يتتبع كتب التفسير وأسباب النزول يجد هناك خلافاً كبيراً في سبب ومكان وزمان نزول آية الإكمال بين الشيعة والسنة، وكذلك وقع هذا الخلاف بين أعلام أهل السنة أنفسهم، فنشأت أقوال كثيرة من قبلهم أغلبها بعيدة عن الحقيقة وتجافي الصواب، من هذه الأقوال:

١- أهل البيت عليهم السلام:

قال جملة من المعصومين عليهم السلام إن هذه الآية المباركة نزلت يوم الخميس الثامن عشر من ذي الحجة، عندما رجع الرسول صلى الله عليه وآله من حجة الوداع، فأمر الله تعالى رسوله الكريم أن يوقف المسلمين في غدير خم ويبلغهم ولاية علي عليه السلام، فأوقفهم وبلغهم ما أمره به ربه.

(١) مجمع البيان: ٣ / ٢٧٥.



عن عبد العزيز بن مسلم قال: كنّا مع الرضا عليه السلام بمرور، فاجتمعنا في الجامع يوم الجمعة في بدء مقدّمنا، فأداروا أمر الإمامة وذكروا كثرة اختلاف النَّاس فيها، فدخلتُ على سيدي عليه السلام، فأعلمته حوض النَّاس فيه، فتبسم عليه السلام ثم قال: «يا عبد العزيز جهل القوم وخذعوا عن آرائهم، إنّ الله عزَّ وجلَّ لم يقبض نبيّه عليه السلام حتى أكمل له الدين، وأنزل عليه القرآن فيه تبيان كلِّ شيء، بيّن فيه الحلال والحرام والحدود والأحكام، وجميع ما يحتاج إليه النَّاس كمالاً، فقال عزَّ وجلَّ: ﴿ مَا فَرَطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ نَبِيٍّ ﴾^(١)، وأنزل في حجة الوداع وهي آخر عمره عليه السلام: ﴿ الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتَمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا ﴾، وأمر الإمامة من تمام الدين، ولم يمض عليه السلام حتى بيّن لأُمَّته معالم دينهم وأوضح لهم سبيلهم وتركهم على قصد سبيل الحقِّ، وأقام لهم علياً عليه السلام علماً وإماماً، وما ترك شيئاً تحتاج إليه الأُمَّة إلا بيّنه، فمن زعم أنّ الله عزَّ وجلَّ لم يكمل دينه فقد ردّ كتاب الله، ومن ردّ كتاب الله فهو كافر به...»^(٢).

٢- أهل السنّة والجماعة الموافقون لقول أهل البيت عليهم السلام:

قولهم ينص على أنّ الرّسول عليه السلام دعا علياً عليه السلام وأصعده معه على المنبر ورفع يده حتى بان بياض إبطيهما وبلغ الأُمَّة ما أمره الله تعالى فيه، وأمر المسلمين أن يهنؤوه ويبايعوه، وقال له عمر بنخ يخ لك يا بن أبي طالب أصبحت مولاي ومولى كلّ مؤمن ومؤمنة...، عن أبي سعيد الخدري أنّه قال: إنّ الرّسول عليه السلام يوم دعا النَّاس إلى غدیر خم أمر بما كان تحت الشجرة من الشوك فقطّعه، وذلك يوم الخميس، ثمّ دعا النَّاس إلى عليٍّ، فأخذ بيده فرفعها حتى نظر النَّاس إلى بياض إبطيه، فهنّأه الموجودون ومن بينهم عمر بن

(١) سورة الأنعام، الآية: ٣٨.

(٢) الكافي، الكليني: ١ / ١٩٨، ولزيد من الأمثلة، ينظر: مجمع البيان: ١ / ٢٨٩.

الخطاب، فقدم إليه وقال له: بَخِ بَخٍ لَكَ يَا بْنَ أَبِي طَالِبٍ أَصْبَحْتَ مَوْلَايَ وَمَوْلَى كُلِّ مُؤْمِنٍ وَمُؤْمِنَةٍ...، حتى نزلت هذه الآية: ﴿ **الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتَمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيْتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا** ﴾^(١).

٣- قول عمر ومعاوية إنها نزلت يوم عرفة:

نصَّ بعض علماء أهل السنَّة على أنَّ آية إكمال الدين نزلت بعد خطبة الرَّسول ﷺ، ولكنَّ أكثرَ علمائهم لم يقبلوا أحاديث نزولها يوم الغدير؛ والسبب أنَّهم أخذوا بقول عمر ومعاوية، إنَّها نزلت يوم عرفة! فحديث الغدير عندهم محلَّ إجماع ونزول آية إكمال الدين فيه محلَّ خلاف.

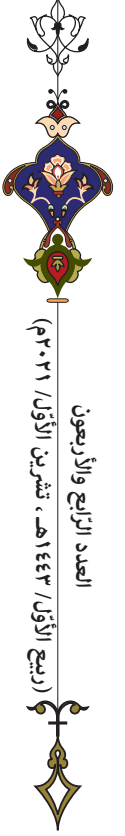
روى البخاري: أنَّ رجلاً من اليهود وهو (كعب الأحبار) قال: لعمر: يا أمير المؤمنين آية في كتابكم تقرؤونها لو علينا معشر اليهود نزلت لاتخذنا ذلك اليوم عيداً قال: آية آية؟ قال: ﴿ **الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتَمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيْتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا** ﴾، قال عمر: قد عرفنا ذلك اليوم والمكان الذي نزلت فيه على النبي ﷺ وهو قائم بعرفة، يوم الجمعة^(٢).

وقال ابن جرير عن قبيصة يعني ابن أبي ذئب قال: قال كعب: لو أنَّ غير هذه الأُمَّة نزلت عليهم هذه الآية لنظروا اليوم الذي أنزلت فيه عليهم فاتخذوه عيداً يجتمعون فيه! فقال عمر: أيُّ آية يا كعب؟ فقال: ﴿ **الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ...** ﴾، فقال عمر: قد علمت اليوم الذي أنزلت والمكان الذي أنزلت فيه، نزلت في يوم الجمعة ويوم عرفة وكلاهما بحمد الله لنا عيدٌ... وقال ابن جرير.. حدثنا عمرو بن قيس السكوني أنه سمع

(١) ينظر: المناقب، الموفق بن أحمد الخوارزمي: ٩٤، ولزيد من الأمثلة ينظر: الدر المنثور: ٢ / ٢٥٩، الغدير، العلامة

الأميني: ١ / ٢٣٠.

(٢) صحيح البخاري: ١ / ١٦، ولزيد من الأمثلة ينظر: الدر المنثور: ٢ / ٢٥٩، الإتقان: ١ / ٧٥.



معاوية بن أبي سفيان على المنبر ينتزع بهذه الآية: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ...﴾، حتى ختمها فقال: نزلت في يوم عرفة، في يوم الجمعة^(١).

ثم قال ابن كثير: قلت: وقد روى ابن مردويه من طريق أبي هارون العبدي، عن أبي سعيد الخدري أنها نزلت على رسول الله ﷺ يوم غدير خم حين قال لعلي: من كنت مولاه فعلي مولاه. ثم رواه عن أبي هريرة، وفيه أنه اليوم الثامن عشر من ذي الحجة يعني مرجعه ﷺ من حجة الوداع، ولا يصح لا هذا ولا هذا، بل الصواب الذي لا شك فيه ولا مرية أنها أنزلت يوم عرفة وكان يوم الجمعة كما روى ذلك عمر بن الخطاب، وعلي بن أبي طالب، وأول ملوك الإسلام معاوية بن أبي سفيان، وترجمان القرآن عبد الله بن عباس، وسمرة بن جندب، وأرسله الشعبي، وقتادة بن دعامة، وشهر بن حوشب، وغير واحد من الأئمة والعلماء^(٢).

* لكل قارئ منصف يجد أن قول عمر ومعاوية يجافي ويحاده الصواب، وأن آية إكمال الدين نزلت يوم الغدير لا في عرفات، وهذا يقودنا إلى جملة من الاعتراضات. وأجمل هذه الاعتراضات الآتي:

أولاً: من يتتبع تاريخ حجة الوداع يجد كثيراً من المحدثين الذين رووا عن خروج الرسول الكبير المهيب، الذي تم بإعلان رباني مسبق، وإعداد نبوي واسع، وسجلوا حركة الرسول ﷺ من المدينة، والأماكن التي مر بها أو توقف فيها، ومتى دخل مكة وأدى المناسك، ثم حركة رجوعه ﷺ حتى دخل إلى المدينة وكم عاش فيها من بعد رجوعه ﷺ، فكل هذه الروايات والأحاديث تفند ما رواه عمر ومعاوية وتؤكد قول أهل البيت .

ثانياً: إن رواية عمر ومعاوية تتعارض تماماً مع رواية أهل البيت ، ويكون هذا

(١) تفسير ابن كثير: ٢ / ١٤.

(٢) المصدر نفسه.

التعارض بين قول صحابي وقول أئمة أهل البيت عليهم السلام، ومما لا ريب فيه أن قول أهل البيت مقدم بحكم وصية رسول الله صلى الله عليه وآله بهم وأنهم عدل القرآن وأحد الثقلين، عن أبي سعيد قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «إني تارك فيكم الثقلين أحدهما أكبر من الآخر: كتاب الله حبل ممدود من السماء إلى الأرض، وعترتي أهل بيتي، وإني لئن يفرقا حتى يردا عليّ الحوض»^(١).

ثالثاً: إن قول عمر في الآية متناقض، فقد فهم اليهودي من الآية أن الله تعالى أكمل تنزيل الإسلام وختمه يوم نزول الآية، ومعناه أن نزولها بعد نزول جميع الفرائض والأحكام، فصحَّ عنده ما قاله أهل البيت عليهم السلام.

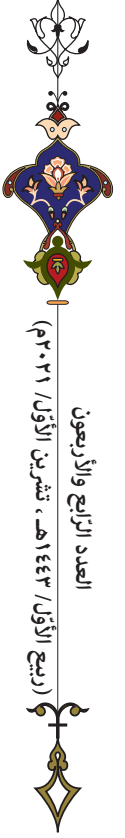
رابعاً: إن هناك من الرواة من جزم أن هذه الآية نزلت يوم الإثنين وليس يوم الجمعة، عن ابن عباس قال: ولد نبيكم صلى الله عليه وآله يوم الإثنين، ونبي يوم الإثنين، وخرج من مكة يوم الإثنين، وفتح مكة يوم الإثنين، ونزلت سورة المائدة يوم الإثنين: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ﴾، وتوفي يوم الإثنين^(٢)، وجاء في الزوائد: يوم فتح بدر يوم الإثنين، ونزلت سورة المائدة يوم الإثنين: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ﴾^(٣).

الإشكال عليهم بأحاديث نزول الآية يوم الإثنين، إلزامهم بما صححوه، وإلا فالمعتمد عند الشيعة الإمامية أمّا نزلت يوم الخميس الثامن عشر من ذي الحجة وأن وفاته صلى الله عليه وآله كانت في الثامن والعشرين من صفر، فتكون الفاصلة بينها نحو سبعين يوماً، وكذا عند الشيعة الإمامية أن بعثته صلى الله عليه وآله كانت يوم الإثنين وصلى علي عليه السلام معه يوم الثلاثاء، ووفاته صلى الله عليه وآله يوم الإثنين، وقد تكون سورة المائدة نزلت يوم الإثنين أي أكثرها، ثم بقيتها

(١) المسند، أحمد بن حنبل (ت ٢٤١هـ): ٣ / ١٧، ٢٦، ٥٩، ٤ / ٣٦٦، ٣٧١، صحيح مسلم: مسلم بن الحجاج (٨٧٥هـ): ٧ / ١٢٢.

(٢) ينظر: دلائل البيهقي: ٧ / ٢٣٣.

(٣) ينظر: الزوائد: ١ / ١٩٦.



ومنها آيتا التبليغ وإكمال الدين.

خامساً: إنَّ عيد المسلمين يوم الأضحى وليس عرفة، لكنَّ عمر جعله يوم عرفة، وهو بميزان الوهابية بدعة.

سادساً: لو كان يوم عرفة يوم جمعة كما جاء في رواية عمر ومعاوية، لصلى الرَّسول ﷺ بالمسلمين صلاة الجمعة، بينما لم يرو أحدٌ أنَّه ﷺ صلاها في عرفات، وأجمعوا على أنَّه صلى الظهر والعصر، كما روى فيه عن جابر بن عبد الله قال: سار رسول الله ﷺ حتى أتى عرفة... ثمَّ أذن بلالٌ ثمَّ أقام فصلى الظهر ثمَّ أقام فصلَّى العصر ولم يصل بينهما شيئاً^(١)، ووضع النسائي وفي سننه عنواناً باسم (الجمع بين الظهر والعصر بعرفة)^(٢).

لو كان عرفة يوم جمعة ولم يصلها الرَّسول ﷺ، لذكَّر ذلك ألوف المسلمين الذين حضروا حجَّة الوداع.

سابعاً: روى أبو هريرة أنَّ الرَّسول ﷺ أمرهم أن يصوموا يوم إكمال الدين شكرًا لله تعالى، قال: من صام يوم ثنائي عشرة من ذي الحجة كتب له صيام ستين شهراً، وهو يوم غدیر خم لما أخذ النبي ﷺ بيد علي بن أبي طالب فقال: «ألستَ ويليَّ المؤمنين؟»، قالوا: بلى يا رسول الله، قال: «من كنت مولاه فعليٌّ مولاه»، فقال عمر بن الخطاب: يخِ بخ لك يا بن أبي طالب أصبحت مولاي ومولى كلِّ مسلم! فأنزل الله عزَّ وجلَّ: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتَمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيْتُ لَكُمْ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾^(٣).

وهذه الرواية تُناقض ما جاء به عمر ومعاوية، بأنَّ آية إكمال الدين نزلت يوم عرفة من يوم الجمعة.

ثامناً: عن ابن جريج قال: مكث النبي ﷺ بعد ما نزلت هذه الآية إحدى وثمانين

(١) سنن أبي داود، أبو داود سليمان بن الأشعث الأزدي السجستاني (ت ٢٧٥هـ): ١ / ٤٢٩.

(٢) ينظر: سنن النسائي، أحمد بن شعيب النسائي (ت ٣٠٣هـ): ١ / ٢٩٠.

(٣) تاريخ دمشق، أبو القاسم علي بن الحسن ابن عساكر (ت ٥٧١هـ): ٤٢ / ٢٣٣.

ليلة^(١)، ففي هذه الرواية التي نقلها كثيرٌ من علماء الطرفين نستنتج أن قول عمر ومعاوية ينفي أن يكون يوم عرفة يوم الجمعة، فوفاة الرسول ﷺ عند أهل السنة والجماعة في الثاني عشر من ربيع الأول، فيكون من ٩ ذي الحجة إلى ١٢ ربيع الأول أكثر من تسعين يوماً! وهذا يؤدي إلى احتمالين: إمّا أن يوافقوا على رواية وفاته قبل ذلك وأنها في ٢٨ صفر، أو يوافقوا على نزول الآية يوم الغدير ١٨ ذي الحجة.

تاسعاً: القول بأن يوم عرفة كان يوم الجمعة، تنفيه الروايات التي سجلت حركة الرسول ﷺ من المدينة وأنها كانت الخميس لأربع بقين من ذي القعدة، وهو المشهور عن أهل البيت عليهم السلام، وهو منسجم مع تاريخ نزول الآية في يوم الغدير الثامن عشر من ذي الحجة، فسفر الرسول ﷺ كان يوم الخميس السابع والعشرين من ذي القعدة، لأربع بقين من ذي القعدة هي: الخميس والجمعة والسبت والأحد.. فيكون أول ذي الحجة الإثنين، ووصول الرسول ﷺ إلى مكة عصر الخميس سلخ الرابع من ذي الحجة^(٢)، ويوم عرفة الثلاثاء، والغدير الخميس الثامن عشر من ذي الحجة.

عن أبي عبد الله عليه السلام قال: «حج رسول الله ﷺ عشرين حجة...»، إن رسول الله أقام بالمدينة عشر سنين لم يحج ثم أنزل الله عز وجل عليه: ﴿وَأَذِّنْ فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَى كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِنْ كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ﴾^(٣)، فأمر المؤذنين أن يؤذنوا بأعلى أصواتهم بأن رسول الله ﷺ يحج في عامه هذا، فعلم به من حضر المدينة وأهل العوالي والأعراب... فخرج رسول الله ﷺ في أربع بقين من ذي القعدة، فلما انتهى إلى ذي الحليفة زالت الشمس فاغتسل... حتى انتهى إلى مكة في سلخ أربع من ذي الحجة

(١) الدر المنثور: ٢/ ٢٥٩، ينظر: شعب الإيمان، أبو بكر البيهقي (ت ٤٥٨هـ): ٢/ ٢٥٧، تفسير الطبري: ٤/ ١٠٦،

المجموعة شرح المهذب، يحيى بن شرف النووي محي الدين أبو زكريا: ٣/ ٧، الغدير، العلامة الأميني: ١/ ٢٣٠.

(٢) ينظر: الكافي، الكليني: ٤/ ٢٤٥.

(٣) سورة الحج، الآية: ٢٧.



فطاف بالبيت سبعة أشواط^(١).

وعن أبي سعيد أن رسول الله ﷺ دعا النَّاسَ إلى عليٍّ عليه السلام بغدير خم، وأمر بما كان تحت الشجرة من الشوك فُكِّمَ، وذلك يوم الخميس، ثمَّ دعا النَّاسَ وأخذ بضبعيه ورفعته حتى نظر النَّاسَ إلى بياض إبطيه، ثمَّ لم يتفرقوا حتى نزلت هذه الآية: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتَمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيْتُ لَكُمْ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾، فقال رسول الله ﷺ: «اللَّهُ أكبر على إكمال الدين وإتمام النعمة، ورضى الربُّ برسالتِي وبالولاية لعلِّي من بعدي»^(٢). وقيل إنَّ سفر الرَّسولِ ﷺ كان الخميس، وما روته مصادر الفريقين من أنَّه ﷺ كان لا يبدأ سفره إلاَّ يوم خميس، أو قلَّما يبدأه في غيره^(٣)، وهذا ما يؤيد روايات أهل البيت عليهم السلام. وإنَّ مدة سيره ﷺ من المدينة إلى مكة لا تزيد على ثمانية أيام، وذلك بملاحظة الطريق الذي سلكه، وهو في حدود ٤٠٠ كيلومتر، وملاحظة سرعة السير حتى أنَّ بعض النَّاسِ شكوا له تعب أرجلهم فعلمهم الرسول ﷺ أن يشدوها، وأنَّ أحداً لم يرو توقفه في طريق مكة قط.

وبذلك تسقط رواية خروجه من المدينة لستَّ بقين من ذي الحجة^(٤).

ومن هذا كلُّه نستشف أنَّ رأي أهل البيت عليهم السلام ومن وافقهم في سبب نزولها من دون معارض معتدِّ به، وذلك بسبب ما أثبتناه عن طريق الأمور العقلية، أو الروائية.

(١) ينظر: الكافي، الكليني: ٤ / ٢٤٥.

(٢) المسترشد في إمامة أمير المؤمنين عليٍّ بن أبي طالب عليه السلام، العلامة محمد بن جرير الطبري: ١١٩.

(٣) ينظر: عيون الأثر في فنون المغازي والشئائل والسير، أبو الفتح محمد بن محمد بن محمد بن سيد الناس: ٢ / ٣٤١،

صحيح بخاري: ٤ / ٦، سنن أبي داود: ١ / ٥٨٦.

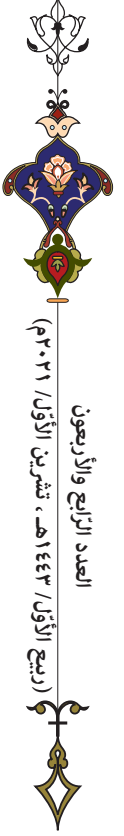
(٤) ينظر: تاريخ الطبري: ٣ / ١٤٨، تاريخ الذهبي: ٢ / ٧٠١.

البصائر الثالث

الآية الأولى من سورة العارج: ﴿سَأَلْ سَائِلٌ بِعَذَابٍ وَاقِعٍ﴾

عندما تحركت قافلة النبوة من غدير خم راجعة إلى المدينة المنورة، سَكَنَ قلب الرَّسول ﷺ، واطمأن؛ لَأَنَّهُ بَلَغَ رسالة رَبِّه، لكنَّ قلوب قريش كانت تغلي من الغيظ لاجتماع النبوة والخلافة في بيتٍ واحدٍ، وهذا ما لا يقبلون به؛ لترى قريش نفسها أنَّها أفاقت بعد سكرة، فأخذت بالنشاط، وأخذوا يدبرون المكائد لرسول الله ﷺ، بل حاولوا حتى قتله، هنا استعمل الله تعالى أسلوباً آخر لعصمة نبيه ﷺ من قريش، هو كشف مؤامرتها لقتله بعد الجحفة في عقبة هرشي، وكانت نسخة عن مؤامرتها في عقبة تبوك، كما استعمل الله أسلوب العذاب السماوي الذي لا تفهم قريش غيره تماماً كاليهود مع أنبيائهم ﷺ، وقد روت مصادر السُّنَّة والشيعَة عدَّة أسماء للأشخاص الذين اعترضوا على إعلان الرَّسول ﷺ ولاية أمير المؤمنين عليٍّ عليه السلام في غدير خم وهم: جابر بن النضر بن الحارث بن كلدة العبدري، والحارث بن النعمان الفهري، وعمرو بن عتبة المخزومي، والنضر بن الحارث الفهري، والحارث بن عمرو الفهري، والنعمان بن الحارث اليهودي، والنعمان بن المنذر الفهري، وعمرو بن الحارث الفهري، ورجل من بني تيم، ورجل أعرابي.. ورجل أعرابي من أهل نجد من ولد جعفر بن كلاب بن ربيعة^(١).

(١) إحقاق الحق وإزهاق الباطل، نور الله الحسيني المرعشي النستري: ٦ / ٣٥٨، شواهد التنزيل، الحاكم الحسكاني: ٢ / ٣٨١.



وحادثة الغدير هي: أن أحد القرشيين، أو أكثر من شخص، اعترض على الرسول ﷺ، واتهمه بأن إعلانه علياً عليه السلام ولياً على الأمة، كان عملاً من عنده وليس بأمر ربه عز وجل، ولم يقتنع القرشي بتأكيد الرسول ﷺ له أنه ما فعل ذلك إلا بأمر ربه عز وجل، وخرج من عند الرسول ﷺ غاضباً مغضباً، وهو يدعو الله بدعاء قريش أن يمطر الله عليه حجارة من السماء إن كان هذا الأمر حقاً من عنده، فرماه الله بحجر من السماء فأهلكه، وهذه الحادثة تعني أن الله استعمل التخويف مع قريش أيضاً، ليعصم رسوله ﷺ من تكاليف حركة الردة التي قد تُقدم عليها، ويتعزز عند زعمائها الاتجاه القائل بفشل المواجهة الحسيّة مع الرسول ﷺ، وضرورة الصبر حتى يتوفاه الله تعالى^(١).

جاء في مناقب آل أبي طالب: لما بلغ رسول الله ﷺ بغدير خم ما بلغ وشاع ذلك في البلاد، أتى الحارث بن النعمان الفهري وفي رواية أبي عبيد: جابر بن النضر بن الحارث بن كلدة العبدي فقال: يا محمد أمرتنا عن الله بشهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله، وبالصلاة والصوم والحج والزكاة فقبلنا منك، ثم لم ترص بذلك حتى رفعت بضبع ابن عمك ففضلته علينا وقلت: «من كنت مولاه فعليّ مولاه»، فهذا شيء منك أم من الله؟ فقال رسول الله ﷺ: «والذي لا إله إلا هو، إن هذا من الله»، فولى جابر يريد راحلته وهو يقول: اللهم إن كان ما يقول محمد حقاً فأمطر علينا حجارة من السماء أو ائتنا بعذاب أليم، فما وصل إليها حتى رماه الله بحجر فسقط على هامته وخرج من دبره وقتله، وأنزل الله تعالى: ﴿سَأَلِ سَائِلٌ بِعَذَابٍ وَاقِعٍ﴾^(٢).

وعن سفيان بن عيينة، سُئِلَ عن قوله تعالى: ﴿سَأَلِ سَائِلٌ بِعَذَابٍ وَاقِعٍ﴾، فيمن نزلت؟ فقال للسائل: لقد سألتني عن مسألة لم يسألني عنها أحد قبلك، حدثني أبي عن

(١) ينظر: الغدير في الكتاب والسنة والأدب، العلامة الأميني: ١/ ٢٣٩، مجمع البيان في تفسير القرآن: ٥/ ٣٥٢.

(٢) مناقب آل أبي طالب، ابن شهر آشوب المازندراني: ٢/ ٢٤٠.

جعفر بن محمد عن آبائه رضي الله عنهم: «أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ لَمَّا كَانَ بِغَدِيرِ خُمٍ نَادَى النَّاسَ فَاجْتَمَعُوا، فَأَخَذَ بِيَدِ عَلِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وَقَالَ مِنْ كُنْتَ مَوْلَاهُ فَعَلِيٌّ مَوْلَاهُ، فَشَاعَ ذَلِكَ فَطَارَ فِي الْبِلَادِ، وَبَلَغَ ذَلِكَ الْحَارِثُ بْنُ النُّعْمَانَ الْفَهْرِيُّ، فَأَتَى رَسُولَ اللَّهِ ﷺ عَلَى نَاقَةٍ لَهُ فَأَنَاحَ رَاحِلَتَهُ وَنَزَلَ عَنْهَا، وَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ أَمَرْتَنَا عَنِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ أَنْ نَشْهَدَ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنَّكَ رَسُولَ اللَّهِ فَقَبَلْنَا مِنْكَ، وَأَمَرْتَنَا أَنْ نَصِلِيَ خُمْسًا فَقَبَلْنَا مِنْكَ، وَأَمَرْتَنَا بِالزَّكَاةِ فَقَبَلْنَا مِنْكَ، وَأَمَرْتَنَا أَنْ نَصُومَ رَمَضَانَ وَأَمَرْتَنَا بِالْحَجِّ فَقَبَلْنَا، ثُمَّ لَمْ تَرْضَ بِهَذَا حَتَّى رَفَعْتَ بِضَبْعِي ابْنَ عَمِّكَ تَفْضُلَهُ عَلَيْنَا فَقُلْتَ: مَنْ كُنْتَ مَوْلَاهُ فَعَلِيٌّ مَوْلَاهُ...»^(١).

مضردات الآية ومعانيها

* ﴿سَأَلَ سَائِلٌ﴾: سَأَلَ: فعل ماضٍ مبنيٌّ على الفتح، وسَائِلٌ: فاعل مرفوع، وفي هذا النص من الآية الشريفة أقوال عدَّة منها:

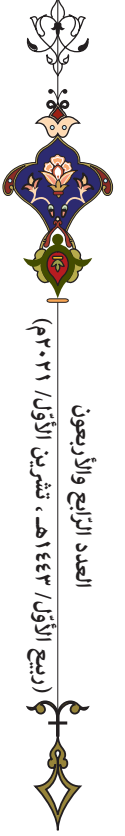
الأوَّل: ﴿سَأَلَ سَائِلٌ﴾: أي: دعا داعٍ بِعَذَابٍ وَاقَعَ مِنْ اللَّهِ، وهذا من قولك دعا بكذا إذا استدعاه وطلبه، ومنه قوله تعالى: ﴿يَدْعُونَ فِيهَا بِكُلِّ فَكَهَّةٍ ءَامِنِينَ﴾^(٢)، وعلى هذا القول تقدير باء الإسقاط، لتصبح الآية: سأل سائل عذاباً واقعاً، فأكد بالباء كقوله تعالى: ﴿وَهَزَى إِلَيْكَ مِجْدَعِ النَّحْلَةِ تُسْقِطُ عَلَيْكَ رَطْبًا جَنِيًّا﴾^(٣).

الثاني: عندما بُعِثَ الرَّسُولُ ﷺ وَخَوَّفَ الْمُشْرِكِينَ بِالْعَذَابِ قَالَ الْمُشْرِكُونَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ: سلوا محمداً لمن هذا العذاب وبمن يقع، فأخبره الله عنه بقوله: ﴿سَأَلَ سَائِلٌ﴾

(١) إحقاق الحق وإزهاق الباطل، نور الله الحسيني المرعشي التستري: ٦ / ٣٥٨، شواهد التنزيل، الحاكم الحسكاني: ٣٨١ / ٢.

(٢) سورة الدخان، الآية: ٥٥.

(٣) سورة مريم، الآية: ٢٥. ينظر: حاشية القونوي على تفسير الإمام البيضاوي ومعه حاشية ابن التمجيد، عصام الدين إسماعيل بن محمد الحنفي (ت ١١٩٥هـ): ١٩ / ٢٨٧.



بِعَذَابٍ وَاقِعٍ ، والتأويل على هذا القول: سَأَلَ سَائِلٌ عَنِّ عَذَابٍ وَالباءُ بمعنى عن^(١) .
 الثالث: هذا السائل قيل: هو النضر بن الحارث، إذ قال: اللَّهُمَّ إِنْ كَانَ هَذَا هُوَ
 الْحَقُّ مِنْ عِنْدِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً مِنَ السَّمَاءِ أَوْ ائْتِنَا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ، فنزل سؤاله وقتل
 يوم بدر صبراً هو وعقبة بن أبي معيط، لم يقتل صبراً غيرهما، وقيل: إِنَّ السَّائِلَ هُنَا هُوَ
 الْحَارِثُ بْنُ النُّعْمَانَ الْفَهْرِيُّ، وَذَلِكَ أَنَّهُ لَمَّا بَلَغَهُ قَوْلُ الرَّسُولِ ﷺ فِي عَلِيٍّ عَلَيْهِ السَّلَامُ: «مَنْ كُنْتُ
 مَوْلَاهُ فَعَلِيٌّ مَوْلَاهُ»، ركب ناقته فجاء حتى أناخ راحلته بالأبطح...، وقيل: إِنَّ السَّائِلَ
 هُنَا أَبُو جَهْلٍ وَهُوَ الْقَاتِلُ لَذَلِكَ، وَقِيلَ إِنَّهُ قَوْلُ جَمَاعَةٍ مِنْ كُفَّارِ قُرَيْشٍ، وَقِيلَ: هُوَ نُوحٌ
 عَلَى نَبِيِّنَا وَآلِهِ وَعَلَيْهِ السَّلَامُ سَأَلَ الْعَذَابَ عَلَى الْكَافِرِينَ، وَقِيلَ: هُوَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ أَي
 دَعَا بِالْعِقَابِ، وَطَلَبَ أَنْ يُوقِعَهُ اللَّهُ بِالْكَفَّارِ وَهُوَ وَاقِعٌ بِهِمْ لَا مُحَالَةً، وَامْتَدَّ الْكَلَامُ إِلَى
 قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿فَأَصْبِرْ صَبْرًا جَمِيلًا﴾^(٢)، أَي لَا تَسْتَعْجَلْ فَإِنَّهُ قَرِيبٌ^(٣) .

* **بِعَذَابٍ وَاقِعٍ**: بِعَذَابٍ: جَارٌ وَمَجْرُورٌ مَتَعَلِّقَانِ بِ(سَأَلَ)، وَاقِعٌ: صِفَةٌ، وَفِي
 هَذَا النَّصِّ الشَّرِيفِ وَجْهَانٌ: أَوَّلًا: إِنْ فُسِّرَ قَوْلُهُ تَعَالَى: كَمَا أَلْمَعْتُ مِنْ أَنَّ النَّضْرَ طَلَبَ
 الْعَذَابَ، كَانَ الْمَعْنَى أَنَّهُ طَلَبَ طَالِبٌ عَذَابًا هُوَ وَاقِعٌ لَا مُحَالَةً سِوَاءَ طَلَبٍ أَوْ لَمْ يَطْلُبْ،
 وَذَلِكَ لِأَنَّ الْعَذَابَ نَازَلَ عَلَى الْكَافِرِينَ فِي الْآخِرَةِ
 وَاقِعٌ بِهِمْ لَا يَدْفَعُهُ عَنْهُمْ أَحَدٌ، وَقَدْ وَقَعَ بِالنُّضْرِ فِي الدُّنْيَا، وَهُوَ الْمُرَادُ مِنْ قَوْلِهِ لَيْسَ
 لَهُ دَافِعٌ .

ثَانِيًا: أَمَّا إِذَا فُسِّرَ قَوْلُهُ تَعَالَى بِأَنَّهُمْ سَأَلُوا الرَّسُولَ ﷺ، أَنَّ هَذَا الْعَذَابَ بِمَنْ يُنْزَلُ؟
 فَأَجَابَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ بِأَنَّهُ وَاقِعٌ عَلَى الْكَافِرِينَ .

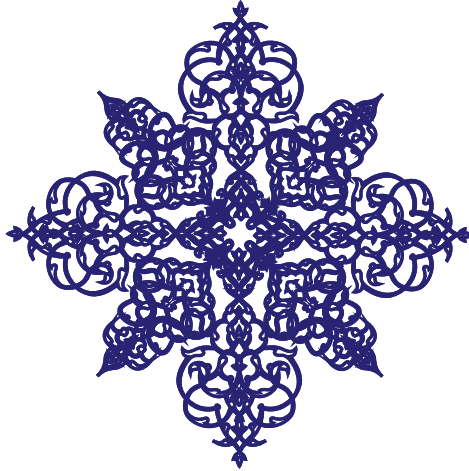
(١) ينظر: مجمع البيان في تفسير القرآن، الطبرسي: ٥ / ٣٥٢ .

(٢) سورة المعارج، الآية: ٥ .

(٣) ينظر: تفسير القرطبي، شمس الدين القرطبي: ١٨ / ٢٧٨ .

سبب ومكان وزمان نزول الآية:

نزلت هذه الآية الكريمة في أحد القرشيين، وقد اختلف فيه كما ألمعتُ آنفاً، وعلى الأرجح هو جابر بن النضر بن الحارث بن كلدة العبدي الذي كان يقول: إنَّ محمداً يخوفنا ويهددنا بالعذاب في الدنيا والآخرة؛ فلماذا ننتظره؟ أي أنه استعجل العذاب ودعا على نفسه كما أخبر بذلك القرآن الكريم في سورة الأنفال قال تعالى: ﴿وَإِذْ قَالُوا اللَّهُمَّ إِن كَانَ هَذَا هُوَ الْحَقُّ مِنْ عِنْدِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَابًا مِنَ السَّمَاءِ أَوْ ائْتِنَا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾^(١)، فأنزل الله به ما استعجل من العذاب يوم غزوة بدرٍ فقتلَ صبراً ثم نزل فيه قوله تعالى: ﴿سَأَلْ سَائِلٌ بِعَذَابٍ وَاقِعٍ﴾^(٢).



(١) سورة الأنفال، الآية: ٣٢.

(٢) ينظر: الغدير في الكتاب والسنة والأدب: ١ / ٢٣٩، مجمع البيان في تفسير القرآن: ٥ / ٣٥٢.

الخاتمة

بعد هذا التجوال في رحاب الآيات التي نزلت في واقعة الغدير، واستنطاق نصوصها التي وردت فيها، أختتم البحث بجملته نتائج أدرجها على الآتي:

١- بلحاظ آية التبليغ تتوصل إلى أن الله تعالى أوجب على رسوله ﷺ أن يُبلِّغ أمر تنصيب عليّ بن أبي طالب عليه السلام خليفةً، وولياً، وإماماً من بعده.

٢- إن تنصيب عليّ بن أبي طالب عليه السلام خليفةً، وولياً، وإماماً على المسلمين من بعد الرسول ﷺ، كان من قبل السماء وبوحي من الله جلّ اسمه كما قال تعالى: ﴿يَتَأْتِيهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ﴾.

٣- بين البحث أهمية وعظمة الإعلان عن الخليفة، والولي، والإمام بعد الرسول ﷺ، وهذه الشأنية يكشفها قوله تعالى: ﴿وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَغْتَ رِسَالَتَهُ﴾، إذ قرّن وسأوى بين تبليغ أمر الخلافة، والإمامة وتبليغ كلّ الرسالة.

٤- كما كشّف البحث عن وجود شريحة تدّعي أنّها من صحابة الرسول ﷺ، وهي ترفض إمامة وخلافة عليّ بن أبي طالب عليه السلام بنصّ من السماء وبوحي من الله جلّ ذكره، وهذه الشريحة هي التي كان الرسول ﷺ يخشى منها، إذ طمّنه الله تعالى بأنّه سوف يعصمه منها.

٥- أسفر البحث عن أنّ الله تعالى أبلّغ رسوله ﷺ أن يُبلِّغ بخلافة عليّ بن أبي طالب عليه السلام

قبل نزول آية التبليغ؛ لذا جاءت آية التبليغ وهي تحمل سياق الأمر ﴿يَتَأْتِيهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ﴾ والتهديد ﴿وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَغْتَ رِسَالَتَهُ﴾، فالمانع الذي منع رسول الله ﷺ من تأجيل تبليغ أمر الخلافة، هو الخشية من الناس، وبالتحديد من هؤلاء الذين يدعون أنّهم صحابة الرسول المقربون، فخشيتهم ﷺ تكمن في عدم تقبلهم هذا الأمر الذي بلّغ به، وهذا المعنى يُدّل عليه قوله تعالى ﴿وَاللَّهُ يَعِصُكُمْ مِنَ النَّاسِ﴾، إذ يُطمئن الله جلّ ذكره رسوله ﷺ، بأنّه هو

الذي سيتكفل بأمر الناس وردّات فعلهم اتجاه الأمر الذي وَجَبَ عليه ﷺ تبليغه.

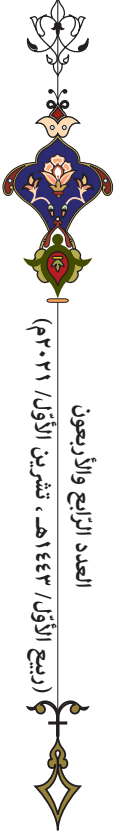
٦- يَبَيِّنُ البَحْثُ أَنَّ الكُفْرَانَ قَدْ يَأْسُوا مِنَ الْمُسْلِمِينَ تَمَامًا، بِأَن يَرُدُّوهُمْ إِلَى دِينِهِمْ؛ وَالسَّبَبُ فِي ذَلِكَ أَنَّ رَبَّ الْعِزَّةِ وَالْكَمَالِ نَصَّبَ مَنْ يَقُومُ مَقَامَ رَسُولِهِ ﷺ فِي حِفْظِهِ رِسَالَتَهُ وَتَدْبِيرِ أَمْرِهِا وَإِرْشَادِ الْأُمَّةِ الْإِسْلَامِيَّةِ نَحْوَ الصَّوَابِ، فَيَتَعَقَّبُ ذَلِكَ يَأْسَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنَ دِينِ الْمُسْلِمِينَ.

٧ كما كشف البحث أنّ ولاية المولى تعالى لا تتم إلا بولاية رسوله، وولاية رسوله ﷺ لا تتم إلا بولاية وليه من بعده، وهي تدبيرهم للأمر الديني للأمة الإسلامية.

٨- إنّ كمال الدين من جهة أحكامه ومعارفه، وإنْ بَلَغَ مَا بَلَغَ لَا يَقْوَى بِنَفْسِهِ عَلَى حِفْظِ نَفْسِهِ أَي خُرُوجِ الدِّينِ مِنْ مَرْحَلَةِ الْقِيَامِ بِالْحَامِلِ الشَّخْصِيِّ (الرَّسُولِ) إِلَى مَرْحَلَةِ الْقِيَامِ بِالْحَامِلِ النُّوعِيِّ (الإمام) فيكون ذلك إكمالاً للدين بتحويله من صفة الحدوث إلى صفة البقاء.

٩- يَبَيِّنُ البَحْثُ أَنَّ انْتِخَابَ الْخِلاَفَةِ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ تَكُونُ مِنْ قَبْلِ اللَّهِ تَعَالَى وَحْدَهُ لَا مِنَ السَّقِيفَةِ وَغَيْرِهَا.

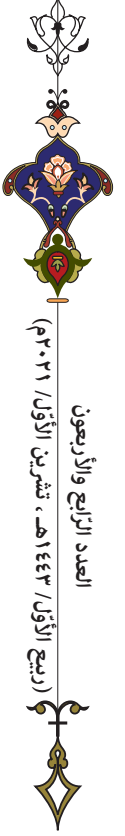
١٠- إنّ مسألة رحيل الرسول ﷺ دون استخلاف أحد، لمهمة حفظ الإسلام تشترط العصمة وعلمه بكامل مضمون القرآن، حتى لا تتعطل الحدود والأحكام وإحياء أمر الجاهلية؛ لذا فإنّ الرسول ﷺ لم يمت حتى ورثَ علمه وصياً يقوم مقامه؛ لئلا يكون للناس على الله حجة.



المصادر والمراجع

١. القرآن الكريم.
٢. إحقاق الحق وإزهاق الباطل، القاضي السيد نور الله الحسيني المرعشي التستري، مع تعليق آية الله العظمى السيد شهاب الدين المرعشي النجفي، د. ت.
٣. أسباب النزول، علي بن أحمد الواحدي النيسابوري، تحقيق: كمال زغلول، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان، د. ت.
٤. إعراب القرآن وبيانه، محيي الدين بن أحمد مصطفى درويش (ت ١٤٠٢هـ)، دار ابن كثير، دمشق، ط ٧، ١٤٢٠هـ ١٩٩٩م.
٥. الأمالي، الشيخ الصدوق، تحقيق: قسم الدراسات الإسلامية (قم)، مركز الطباعة والنشر في مؤسسة البعثة، ط ١، ١٤١٧ش.
٦. بحار الأنوار، الشيخ محمد باقر المجلسي، مؤسسة الأعلمي، بيروت لبنان، ط ١، ١٤٣٠م.
٧. تاريخ أبي الفداء (المختصر في إخبار البشر)، أبو الفداء، عماد الدين إسماعيل بن عمر (ت ٧٣٢هـ)، علق عليه محمود ديوب، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٧ م.
٨. تاريخ الأمم والملوك، أبو جعفر محمد بن جرير الطبري (ت ٣١٠هـ)، دار الأميرة، بيروت - لبنان، ط ١، ٢٠٠٥م.
٩. تاريخ المدينة، عمر بن شبة، مركز بحوث ودراسات المدينة المنورة، المملكة العربية السعودية، ١٤٢٤هـ ٢٠٠٣م.
١٠. تاريخ دمشق، أبو القاسم علي بن الحسن ابن عساكر (ت: ٥٧١هـ)، دار الفكر، بيروت - لبنان، د. ت.
١١. تفسير البحر المحيط، محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيان الشهير بأبي حيان أثير

- الدين، المحقق: عادل أحمد - علي معوض، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان، ط ١، ١٤١٣هـ - ١٩٩٣م.
١٢. تفسير العياشي، محمد بن مسعود عيَّاش السلمي السمرقندي المعروف بالعياشي (المتوفى ٣٢٠هـ)، مؤسسة الأعلمي، بيروت - لبنان، ط ١، ١٤١١هـ - ١٩٩١م.
١٣. تفسير القرآن العظيم (تفسير ابن كثير)، إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدمشقي، المحقق: سامي بن محمد السَّلامَة، دار طيبة، ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م.
١٤. تفسير القرطبي (جامع أحكام القرآن)، شمس الدين القرطبي، دار عالم الكتاب الرياض، د. ت.
١٥. تفسير القمي، أبو الحسن علي بن إبراهيم القمِّي، مؤسسة دار الكتاب للطباعة والنشر، قم - إيران، ط ٣، ١٤٠٤هـ.
١٦. جامع الدروس العربية، الشيخ مصطفى الغلاييني، دار إحياء التراث العربي، بيروت - لبنان، ط ١، ٨٨٦هـ - ١٩٤٤م.
١٧. الجواهر الثمين في تفسير كتاب الله المبين، السيد عبد الله شبر، مكتبة الألفين، الكويت، ط ١، ١٤٠٧هـ - ١٩٨٦م.
١٨. حاشية القونوي على تفسير البيضاوي ومعه حاشية ابن التمجيد، عصام الدين إسماعيل بن محمد الحنفي - مصلح الدين مصطفى بن إبراهيم الرومي الحنفي، المحقق: عبد الله محمود محمد عمر، دار الكتب العلمية، ط ١، ١٤٢٢هـ - ٢٠٠١م.
١٩. دلائل النبوة، أحمد بن الحسين بن علي بن موسى الحُسْرُو جردي الخراساني، أبو بكر البيهقي (ت ٤٥٨هـ)، تحقيق: د. عبد المعطي قلعجي، دار الكتب العلمية، دار الريان للتراث، ط ١، ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م.
٢٠. الدر المنثور، عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي، دار الفكر، بيروت - لبنان، د. ت.
٢١. سنن أبي داود، سليمان بن الأشعث السجستاني الأزدي أبو داود، المحقق: محمد محيي الدين عبد الحميد، المكتبة العصرية، صيدا بيروت، د. ت.
٢٢. سنن الترمذي، محمد بن عيسى بن سَوْرَة الترمذي (ت ٢٧٩هـ)، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي - مصر، ط ٢، ١٣٩٥هـ - ١٩٧٥م.



٢٣. سنن النسائي، أبو عبد الرحمن أحمد بن شعيب بن علي الخراساني، النسائي (ت: ٣٠٣هـ)، تحقيق: عبد الفتاح أبو غدة، مكتب المطبوعات الإسلامية - حلب، ط ٢، ١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م.

٢٤. السيرة النبوية (سيرة ابن هشام)، عبد الملك بن هشام بن أيوب الحميري المعافري، المحقق: عمر عبد السلام تدمري، دار الكتاب العربي، ط ٣، ١٤١٠هـ - ١٩٩٠م.

٢٥. السيرة النبوية (من البداية والنهاية لابن كثير)، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدمشقي (ت ٧٧٤هـ)، تحقيق: مصطفى عبد الواحد، دار المعرفة للطباعة والنشر والتوزيع بيروت - لبنان، ١٣٩٥هـ - ١٩٧٦م.

٢٦. شرح ابن عقيل، بهاء الدين عبد الله بن عقيل العقبلي المصري الهمداني، حققه وعلق عليه: السيد علي الحسيني، انتشارات دار العلم، إيران قم، ط ٣، ١٤٣٤ ش.

٢٧. شواهد التنزيل، الحاكم الحسكاني، تحقيق: الشيخ محمد باقر المحمداوي، مجمع إحياء الثقافة الإسلامية، ط ١، ١٤١١هـ - ١٩٩٠م.

٢٨. صحيح البخاري، محمد بن إسماعيل أبو عبد الله البخاري الجعفي، محمد زهير بن ناصر الناصر، دار طوق النجاة، سوريا - دمشق، ط ١، ١٤٢٢هـ.

٢٩. صحيح مسلم، مسلم بن الحجاج، المحقق: نظر بن محمد الفارياي أبو قتيبة، دار طيبة، ط ١، ١٤٢٧هـ - ٢٠٠٦م.

٣٠. عيون الأثر في فنون المغازي والشئائل والسير، محمد بن محمد بن محمد بن أحمد، ابن سيد الناس، اليعمرى الربيعي، أبو الفتح، فتح الدين (ت ٧٣٤هـ)، تعليق: إبراهيم محمد رمضان، دار القلم، بيروت لبنان، ط ١، ١٤١٤هـ - ١٩٩٣م.

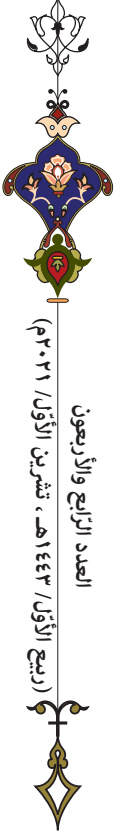
٣١. في الكتاب والسنة والأدب، السيد عبد الحسين أحمد الأميني، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت - لبنان، ط ١، ١٤١٤هـ - ١٩٩٤م.

٣٢. قطر الندى وبل الصدى، ابن هشام الأنصاري، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، مطبعة أنصار الله، ط ١، ١٤٢٤هـ.

٣٣. الكافي في علم الصرف، د. فراس عبد العزيز عبد القادر الكداوي ود. عبد الوهاب محمد علي العدواني، دار ابن الأثير للطباعة والنشر، جامعة الموصل، د. ط، د. ت.

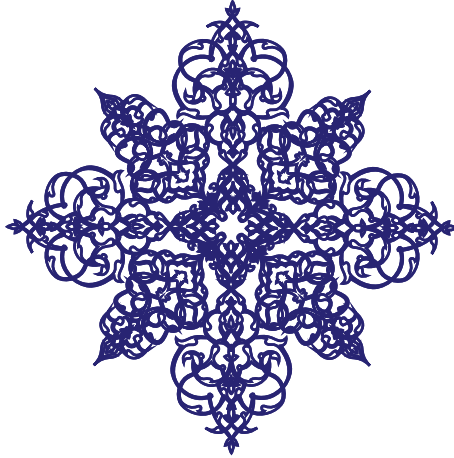


٣٤. الكافي، محمد بن يعقوب الكليني، تحقيق: علي أكبر الغفاري، دار الكتب الإسلامية، طهران - إيران، ط ٤، ١٤٠٧ هـ.
٣٥. الكامل في التاريخ، علي بن محمد بن محمد ابن الأثير الجزري (ت ٦٣٠ هـ)، طبعة دار الفكر، بيروت - لبنان، ١٩٧٨ م.
٣٦. الكتاب (كتاب سيويه)، أبو بشير عمرو بن عثمان قنبر (ت ١٨٠ هـ)، تحقيق: عبد السلام هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط ٤، ١٤٢٥ هـ - ٢٠٠٤ م.
٣٧. لسان العرب، جمال الدين أبو عبد الله محمد بن مكرم بن منظور (ت ٧١١ هـ)، تحقيق: ياسر سلمان أبو شادي، ومجدي فتحي السيد، المكتبة التوقيفية، مصر، د. ت.
٣٨. مجمع البيان في تفسير القرآن، الفضل بن الحسن الطبرسي، تحقيق: محمد جواد البلاغي، انتشارات ناصر خسرو، طهران - إيران، ط ٣، ١٣٧٢ ش.
٣٩. المراجعات: الإمام شرف الدين عبد الحسين الموسوي، دار النعمان للطباعة والنشر، النجف الأشرف د. ت.
٤٠. المستدرک على الصحيحين: الحاكم النيسابوري، إشراف: د. يوسف المرعشلي، دار المعرفة، بيروت، لبنان، ط ١، ١٤١١ هـ - ١٩٩٠ م.
٤١. المسترشد في إمامة أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام، العلامة محمد بن جرير الطبري الإمامي، تحقيق: الشيخ أحمد المحمداوي، مؤسسة الثقافة الإسلامية، إيران قم، ط ١، ١٤١٥ هـ. ق.
٤٢. مسند الإمام أحمد بن حنبل، أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني (ت ٢٤١ هـ)، مؤسسة الرسالة، ط ١، ١٤٢١ هـ - ٢٠٠١ م.
٤٣. المصنف في الأحاديث والآثار، أبو بكر بن أبي شيبة، عبد الله بن محمد بن إبراهيم بن عثمان بن خواستي العبسي (ت ٢٣٥ هـ)، تحقيق: كمال يوسف الحوت، مكتبة الرشد - الرياض.
٤٤. معاني القرآن، أبو جعفر النحاس أحمد بن محمد (ت ٣٣٨ هـ)، المحقق: محمد علي الصابوني، جامعة أم القرى - مكة المكرمة، ط ١، ١٤٠٩ هـ.
٤٥. مفاتيح الغيب (التفسير الكبير)، أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الرازي الملقب بفخر الدين الرازي (ت: ٦٠٦ هـ)، دار إحياء التراث العربي، بيروت لبنان،



ط ٣، ١٤٢٠ هـ.

٤٦. مفردات الراغب الأصفهاني مع ملاحظات العاملي، دار المعارف للطباعة والنشر.
٤٧. المقتضب، أبو عباس محمد بن يزيد المبرد، تحقيق: محمد عبد الخالق عضيمة، عالم الكتب، بيروت لبنان، ١٤٣١ هـ - ٢٠١٠ م
٤٨. المناقب، الموفق بن أحمد الخوارزمي (ت ٥٦٨ هـ)، تحقيق: الشيخ مالك المحمداوي، مؤسسة النشر الإسلامي، إيران - قم، ط ٢، ١٤١١ هـ. ق.
٤٩. مناقب آل أبي طالب، أبو جعفر محمد بن علي بن شهر آشوب المازندراني، تحقيق: د. يوسف البقاعي، دار الأضواء، بيروت - لبنان، ط ٢، ١٤١٢ هـ - ١٩٩١ م.
٥٠. الميزان في تفسير القرآن، السيد محمد حسين الطباطبائي، مؤسسة الأعلمي، بيروت - لبنان، ط ١، ١٤١٧ هـ - ١٩٩٧ م.





مِحْرَبَةُ الْإِمَامَةِ فِي الْغَدِيرِ

بِرؤْيَةِ قُرْآنِيَّةٍ مُقَارِنَةٍ

د. مواهب صالح مهدي الخطيب

قم المقدسة / جامعة المصطفى العالمية

*The pivot of Imamate matter in the Al-Ghadeer Through a Quranic
Comparison View*

D. Mawahib Salih Mahdi Alkhateeb

m.alkhatib2013@gmail.com

ملخص البحث

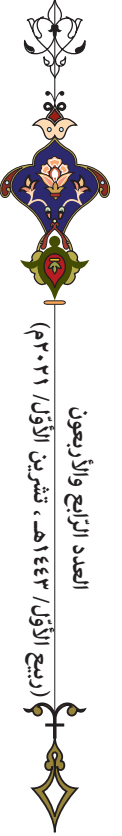
لا يخفى أن الإمامة تعدُّ من المسائل المهمة التي تُبنى عليها زعامة المسلمين والسلطة التشريعية والسياسية بعد رسول الله ﷺ، ومن البديهي أن أهم المصادر التي تعين لنا أبعاد هذه المسألة هو القرآن الكريم لأنَّه مصدر التشريع عند المسلمين ومورد اتفاقهم؛ ولذا فهذا البحث يسلط الضوء على مسألة محورية الإمامة في آيتين مهمتين استند إليهما أبناء العامة والخاصة من مدرسة أهل البيت وأتباع مدرسة الخلفاء في إثبات مدعياتها في هذه المسألة.

ولقد اخترنا أهم التفاسير عند الفريقين لنعقد مقارنة بينها من أجل معرفة دلالة الآيتين على محورية الإمامة برؤية تفسيرية مقارنة تحليلية بين تفسيرين مهمين من علمين من إعلام الأُمَّة الإسلامية هما الطباطبائي والرازي.

وتكمن أهمية هذا البحث في أنَّه يكون مدعاةً لتقريب وجهات النظر بين علماء المدرستين إذا ثبتت الرؤية التفسيرية الموحدة، وجدير بالذكر أن هذا الهدف ضروري في زمننا هذا الذي يكثر فيه التناحر الطائفي والمذهبي، فالسبيل الأنجع أن نتجه لكلمة سواء توَّحد صفوف المسلمين تحت محورية كلام الله عزَّ وجلَّ، نسأل الله التوفيق لإتمام البحث بمَنه وعونه إنَّه عزيز قدير.

الكلمات المفتاحية:

الإمامة - الغدير - رؤية قرآنية - مقارنة - كتب التفاسير.



Abstract

It is no secret that the imamate is one of the important issues on which the leadership of Muslims and the legislative and political authority is built after the Messenger of God, may God's prayers and peace be upon him and his family. Therefore, this research sheds light on the central issue of the Imamate in two important verses on which the public and private sons of the Ahl al-Bayt school and the followers of the Caliphs school relied in proving their claims in this issue.

We have chosen the most important interpretations of the two groups to make a comparison between them in order to know the significance of the two verses on the centrality of the Imamate with an interpretive view. An analytical comparison between two important interpretations of two sciences from the media of the Islamic nation are Al-Tabataba'i and Al-Razi.

key words:

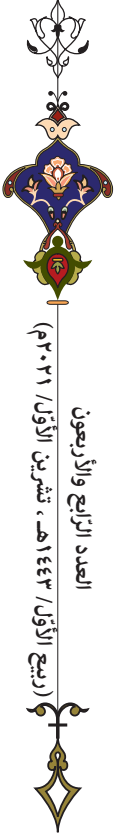
Imamate - Al-Ghadeer - Quranic vision - comparison - books of interpretations

المقدمة

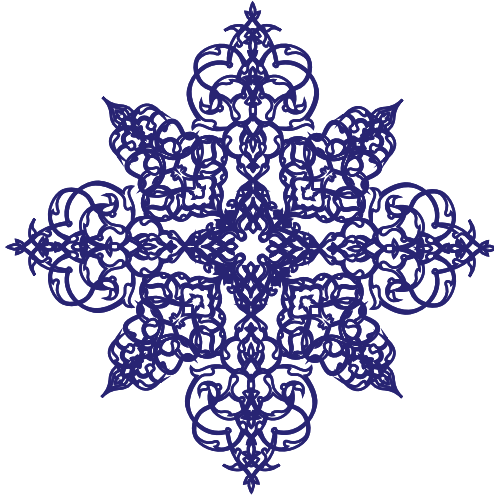
لا يختلف أحد من المسلمين أن القرآن الكريم كتاب هداية أنزله الله تعالى على رسوله الأكرم لينقذ الناس به من حيرة الضلالة، وأن أهم وظيفة للنبي الأكرم ﷺ هي إبلاغ رسالة الله لعباده، سواء ما جاء بشكل آيات كريمات أو تبيان مصاديق الآيات وتفسيرها ﴿بِالْبَيِّنَاتِ وَالزُّبُرِ وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾^(١).

ومن المتيقن به أن مسألة الإمامة وقيادة المجتمع البشري فضلاً عن المجتمع الإسلامي من أهم المسائل التي يهتم بها البارئ عزَّ شأنه وعلا جلاله، ومن المسلم به أن يفرد لها آيات خاصة تكون محوراً لمسألة الإمامة للأمة، وأن يشدد على رسوله الأعظم طرحتها وتبليغها لعباده، فضلاً عن آيات أخرى يقرنها بالإقرار له بالوحدانية وللرسول بالنبوة، ويجعل طاعة الإمام فيها مقرونة بطاعته وطاعة رسوله؛ ولذا فهذا البحث يناقش آيتين مهمتين في مسألة الإمامة ليستنبط منها محورية الإمامة، وهما آية التبليغ وآية الإكمال الموجودتان في سورة المائدة والتي توافق أغلب العلماء على شأن نزولهما والمسألة التي يطرحانها، وإن كانوا اختلفوا في المصداق، وفي هذا البحث بعد ذكر المقصود من الإمامة والمقصود من المحورية لها في الآيتين يقدم تفسير الرازي الذي هو من كبار علماء ومفكري أبناء العامة ويستجلي وجهة نظره حول الآيتين مورد البحث، وتلخص منه

(١) سورة النحل، الآية: ٤٣.



أنه يرى أن الآيتين تطرح الإمامة والزعامة الدينية، إلا أنه لا يقر بمصداقها عند الشيعة، ثم يذهب البحث ليتعرف على ردود تفسير الميزان للعلامة الطباطبائي الذي هو من كبار مفسري الشيعة ويرى الأجوبة للإشكالات التي طرحها الرازي؛ ليتبين أن العلامة يؤيد أن محورية الإمامة موجودة في الآيتين ويذكر لنا المصداق لهما من تعيين رسول الله ﷺ وشواهد النزول والحوادث التاريخية التي سجلها الفريقان، ويخلص البحث إلى مقارنة وتحليل بين التفسيرين لاختيار ترجيح كفة الميزان للعلامة الطباطبائي؛ ذلك لأنه التزم بالقواعد الأصولية والضوابط الموضوعية في تفسير الآيتين، وثبت محورية الإمامة فيهما.



البحث الأول: معنى الإمامة

معنى الإمامة لغوياً

الإمامة: هي تقدّم شخص على الناس على نحو يتبعونه ويقتدون به.
أمّا الإمام، فهو: من يُتقدى به، وهو الذي يتقدّم على الناس وهم يأتون به،
ويقتدون به في القول أو الفعل أو غير ذلك^(١)

استعمال الإمامة قرآنياً

استعمل القرآن الكريم كلمة - أئمة - بالمعنى المتقدم في إمامة الحق والباطل على حدّ سواء، حيث قال: ﴿يَوْمَ نَدْعُوا كُلَّ أُنَاسٍ بِإِمْهَمِهِمْ...﴾^(٢).
كما واستعمل القرآن الكريم - الأئمة - في كلّ من أئمة الحق والباطل على انفراد،
فقال في أئمة الحق: ﴿وَجَعَلْنَاهُمْ أئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِمْ فِعْلَ الْخَيْرَاتِ وَإِقَامَ
الصَّلَاةِ وَإِيتَاءَ الزَّكَاةِ وَكَانُوا لَنَا عَبِيدِينَ﴾^(٣)، وقال أيضاً: ﴿وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أئِمَّةً يَهْدُونَ
بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ﴾^(٤).

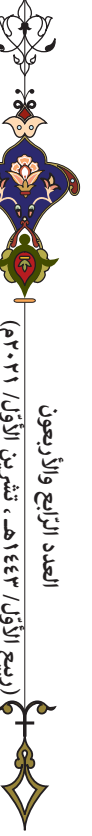
ثمّ إنّ الإمامة إمّا أن تكون شاملة ومطلقة فتكون عامة تشمل جميع الجهات، كقول الله

(١) راجع: مفردات غريب القرآن: ٢٤، ومجمع البحرين: ١ / ١٠٨.

(٢) سورة الإسراء، الآية: ٧١.

(٣) سورة الأنبياء، الآية: ٧٣.

(٤) سورة السجدة، الآية: ٢٤.



سبحانه وتعالى بالنسبة إلى النبي إبراهيم الخليل عليه السلام: ﴿وَإِذْ أُنزِلَ إِلَيْهِمْ رَبُّهُم بِكَلِمَاتٍ فَأَتَمَّهُنَّ
قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا قَالُوا وَمِنْ ذُرِّيَّتِي قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ﴾^(١).

وإما أن تكون غير شاملة بل مقيدة بحدود خاصة، فيكون الإمام إماماً ضمن تلك الحدود وفي تلك الجهة المصرح بها، كما في إمام الجماعة أو الجمعة أو بالنسبة إلى إمامة الحجج أو غير ذلك.

الإمامة في الثقافة الإسلامية

إن مفهوم الإمامة في الثقافة الإسلامية العامة يتبادر منه الولاية والحكم ويمثل هذا المفهوم تصوراً أولياً لمفهوم الإمامة التي فسروها بمعنى الخلافة أو الوصاية أو الرئاسة في أمور الدين والدنيا، وكل هذه المعاني غير معنى الإمامة في المصطلح القرآني كما يصرح الطباطبائي (وليست الإمامة تخالف الكلمات السابقة وتختص بموردها بمجرد العناية اللفظية فقط، إذ لا يصح أن يقال لنبي - من لوازم نبوته كونه مطاعاً - إني جاعلك للناس مطاعاً - والحال أنه كان كذلك، بل إن هذه المفاهيم تدل على مواهب إلهية، لا أنها مقصورة على مجرد المفاهيم اللفظية...، ثم يتابع: فلمعنى الإمامة حقيقة وراء هذه الحقائق)^(٢) مستنداً بذلك إلى حديث رسول الله صلى الله عليه وآله: (إن على كل شيء حقيقة وعلى كل صواب نوراً)^(٣).

يمكن للمتبع للآيات القرآنية أن تتضح كثير من الأبعاد الأخرى للإمامة منها ما دلت عليه آية الإمامة الإبراهيمية:

١- إن الإمامة هي هداية للناس.

(١) سورة البقرة، الآية: ١٢٤.

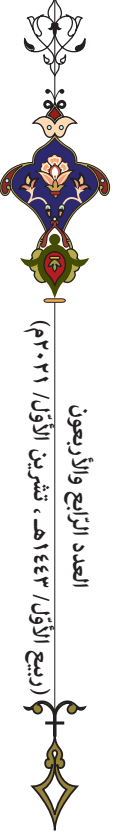
(٢) تفسير الميزان: ١ / ١٢٤.

(٣) أصول الكافي: ٢ / ٥٤، باب حقيقة الإيثار واليقين.

- ٢- إنَّ الإمامة عهد الله.
 - ٣- إنَّ الإمام لا يمكن أن يكون ظالماً.
 - ٤- إنَّ الإمامة مرتبة عالية أعلى من درجة النبوة (ويتفرع على ذلك) لا بُدِّيَّة أن تجتمع في الإمام أبعاد النبوة بمستوياتها العالية.
 - ٥- إنَّها عالمية وللناس جميعاً.
 - ٦- إنَّه واحد دهره في كلِّ زمان.
 - ٧- لولا الإمام لساخت الأرض بأهلها.
 - ٨- إنَّه حجَّة الله على الخلق ويستحيل أن يوجد من يفوقه بشيء من الفضائل.
 - ٩- إنَّه الأسوة والمثال المتحرك وهو القرآن الناطق... إلى غير ذلك من خصائص الإمام.
- إنَّ البحث المنطقي يحتم علينا أن نتعرف على حقيقة الإمامة كما يراها صاحب الميزان والرازي لنعرف موارد الوفاق والاختلاف بينهما، فيذهب الطباطبائي وفق منهجه القرآني إلى أن الإمامة ليست مجرد مفهوم اجتماعي ولا رئاسة في الدين والدنيا، بل هي هداية تكوينية وسيطرة على القلوب والأعمال واستلام للفيوضات الإلهية الباطنية، وأنَّه سبب متّصل بين الأرض والسماء، والإمام هادٍ للناس بأمر إلهي ملكوتي يقول العلامة الطباطبائي^(١): (إنَّ هذه الهداية المجعولة من شؤون الإمامة ليست بمعنى إراءة الطريق لأنَّ الله سبحانه جعل إبراهيم ﷺ إماماً بعدما جعله نبياً، في تفسير قوله ﴿إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا﴾^(٢)، ولا تنفك النبوة عن الهداية بمعنى إراءة الطريق فلا يبقى للإمامة إلا الهداية بمعنى الإيصال إلى المطلوب وهي نوع تصرف تكويني في النفوس بتسييرها في سير الكمال ونقلها من موقف معنوي إلى موقف آخر.
- وإذا كان الأمر تصرفاً تكوينياً وعملاً باطنياً فالمراد بالأمر التكويني الذي تكون

(١) ينظر الميزان: الجزء الرابع عشر، بحث الإمامة.

(٢) سورة البقرة، الآية: ١٢٤.



به الهداية ليس هو الأمر التشريعي الاعتباري، بل ما يفسره في قوله: ﴿إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ وَكُنْ فَيَكُونُ﴾ (٨٢) ﴿فَسُبْحَانَ الَّذِي بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ...﴾ (١)، فهو الفيوضات المعنوية والمقامات الباطنية التي يهتدي إليها المؤمنون بأعمالهم الصالحة ويتلبسون بها رحمة من ربهم.

أمّا من وجهة نظر الرازي فالأمر مختلف تماماً بالنسبة لمسألة الإمامة، فالأصل ثابت والمصدق عنده مختلف فهو عندما يناقش المفسرين في الآية ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولَى الْأَمْرِ مِنْكُمْ فَإِنْ تَنَزَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا﴾ (٢)، يذكر وجوه ما ذهبوا إليه حول المراد من أولي الأمر فأولها: الخلفاء الراشدون، والثاني: المراد أمراء السرايا، والثالثها: المراد العلماء الذين يفتون في الأحكام الشرعية ويعلمون الناس دينهم، ورابعها: نقل عن الروافض أن المراد به الأئمة المعصومون، ولما كانت أقوال الأئمة في تفسير هذه الآية محصورة في هذه الوجوه، يختار من الوجوه حمل أولي الأمر على الأمراء والسلاطين ويستدل عليه أن الأمراء والسلاطين أوامرهم نافذة على الخلق، فهم في الحقيقة أولو الأمر.

إن الله تعالى أمر بطاعة أولي الأمر على وجه الإطلاق ولم يقيده بشيء، ومن البدهي أنه سبحانه لا يرضى لعباده الكفر والعصيان ولو كان على سبيل الإطاعة لشخص آخر، وعليه تكون طاعة أولي الأمر فيما إذا أمروا بالعصيان محرماً.

فمقتضى الجمع بين هذين الأمرين أن يكون أولو الأمر الذين وجبت إطاعتهم على وجه الإطلاق معصومين لا يصدر عنهم معصية مطلقاً، فيستكشف من إطلاق الأمر بالطاعة اشتغال المتعلق على خصوصية تصدّه عن الأمر بغير الطاعة (٣).

(١) سورة يس، الآية: ٨٢.

(٢) سورة النساء: الآية ٥٩.

(٣) انظر مفاتيح الغيب: ١٠ / ١٤٤.

وهكذا نرى الرازي صرح بدلالة الآية على عصمة (أولي) في تفسيره، ولكنه لم يستثمر نتيجة ما هداه إليه استدلاله المنطقي إذ استدرك قائلاً بأننا عاجزون عن معرفة الإمام المعصوم والوصول إليه واستفادة الدين والعلم منه، فلا مناص من كون المراد هو أهل الحل والعقد.

محورية الإمامة

المقصود في البحث عن دلالة الآيات على (محورية الإمامة) هو أن مسألة الإمامة هي الموضوع الأساس في الآيات الكريمة مورد البحث وهي الآية الثالثة والآية السابعة والستون من سورة المائدة، ويعرف ذلك من خلال منهج منطقي في الاستدلال نوضحه في نقاط:

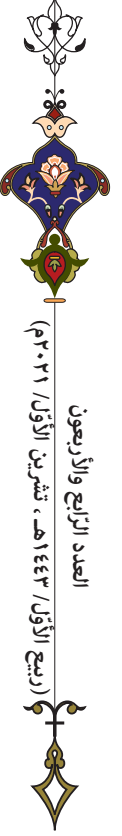
أ- جمع الآيات القرآنية المختلفة بموضوع الإمامة ودراستها دراسة موضوعية.
ب- أخذ آية تمثل المحور للموضوع الذي يدور حوله البحث ألا وهي آية ﴿إِنِّي

جَاعِلُكَ...﴾، واستخراج مباحث وخصائص مهمّة منها.

ج- رقد تلك الخصائص بآيات أخر وضّحت المعنى وفسرته وعرفت الموضوع.
د- اعتمد على أصول موضوعية مهمّة يبني عليها التفسير وتساعد في فهم الآيات منها:
١- إن هناك مقامات باطنية ومراتب حقيقية يرتقي إليها المؤمن السالك درجة درجة.
٢- إن لكل سبب مسبباً، أي اعتمد على قانون العلية وأن لكل شيء سبباً فلا بُدَّ من سبب به يفيض الله عزّ وجلّ الفيوضات على الناس سواء الباطنية منها أو الظاهرية.
٣- نبذ السفسطة والاعتماد على البرهان في استحصال النتائج.

الخطوات التي ينبغي اتباعها في استحصال النتيجة:

أ- إثبات أن الإمامة أعطيت لإبراهيم بعد النبوة والرسالة وفي أخريات حياته.
ب- الاعتماد على تعريف القرآن للإمامة دون التأثير بالمذاهب الكلامية والمفاهيم العرفية.
ج- لتكتل الرؤية يجب الرجوع إلى شأن النزول ودراسة الروايات الصحيحة



السند الموثقة التي تتحدث عن الإمامة مثل:

أبو محمد القاسم رفعه عن عبد العزيز بن مسلم قال: كنا مع الرضا عليه السلام بمرو، فاجتمعنا في الجامع يوم الجمعة في بدء مقدمنا، فأداروا أمر الإمامة وذكروا كثرة اختلاف الناس فيها، فدخلت على سيدي عليه السلام فأعلمته خوض الناس فيه، فتبسم عليه السلام ثم قال: «يا عبد العزيز جهل القوم وخذعوا عن آرائهم، إن الله عزَّ وجلَّ لم يقبض نبيه عليه السلام حتى أكمل له الدين، وأنزل عليه القرآن فيه تبيان كل شيء، بين فيه الحلال والحرام والحدود والأحكام، وجميع ما يحتاج إليه الناس كمالاً، فقال عزَّ وجلَّ: ﴿ مَا فَرَطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ ﴾، وأنزل في حجة الوداع وهي آخر عمره عليه السلام: ﴿ الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتَمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيْتُ لَكُمْ الْإِسْلَامَ دِينًا ﴾ وأمر الإمامة من تمام الدين، ولم يمض عليه السلام حتى بين لأُمَّته معالم دينهم، وأوضح لهم سبيلهم، وتركهم على قصد سبيل الحق، وأقام لهم علياً عليه السلام علماً وإماماً، وما ترك شيئاً تحتاج إليه الأُمَّة إلا بيَّنه، فمن زعم أن الله عزَّ وجلَّ لم يكمل دينه فقد ردَّ كتاب الله، ومن ردَّ كتاب الله فهو كافر به»^(١)

وبعد أن تعرفنا مما سبق على معنى الإمامة عند الرازي والطباطبائي وتناولنا المقصود من محورية الإمامة في بحث المفاهيم واستقرينا بعض الضوابط الموصلة إلى استدلالٍ منطقيٍّ حول محورية الآيات الدالة على الإمامة بالأمثلة، فلننظر الآن أي التفسيرين أخذ هذه الضوابط بعين الاعتبار وسنبداً بتفسير الرازي أولاً، لأنَّه متقدم زماناً على صاحب الميزان بالإضافة إلى أنَّ الطباطبائي كان مطلعاً على تفسير الرازي ويحاول جواب الإشكالات التي أوردها والردَّ عليها بنقد منهجيته أحياناً بكلِّ موضوعية.

البحث الثاني: الآيات من كتب التفسير

أولاً: آية التبليغ بين مضامير الغيب والميزان

﴿يَأْتِيهَا الرُّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ﴾^(١).

في هذا البحث سوف نقارن بين ما قاله الرازي والطباطبائي في تفسيرهما حول هذه الآية فنبدأ بالرازي لنرى ما في جعبته وكيف يردّ الطباطبائي عليه.

يبين الرازي هذه الآية على أنّها أمر للرسول بأن لا ينظر إلى قلة المقتصددين وكثرة الفاسقين ولا يخشى مكروهم ويكشف أسرارهم وفصائح أفعالهم، فإنّ الله يعصمه من كيدهم ويصونه من مكروهم ويستدلّ على ذلك برواية الحسن عن النبي ﷺ قال:

«إنّ الله بعثني برسالته فضقت بها ذرعاً وعرفت أنّ الناس يكذبوني واليهود والنصارى وقريش يخوفوني»، فلما أنزل الله هذه الآية زال الخوف بالكليّة، وروي أنّ النبي ﷺ كان

أيام إقامته بمكة يجاهر ببعض القرآن ويخفي بعضه إشفاقاً على نفسه من تسرع المشركين إليه وإلى أصحابه، فلما أعزّ الله الإسلام وأيده بالمؤمنين قال له: ﴿يَأْتِيهَا الرُّسُولُ بَلِّغْ مَا

أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ﴾ أي لا تراقبن أحداً، ولا تترك شيئاً ممّا أنزل إليك خوفاً من أن ينالك مكروه.^(٢)

(١) سورة المائدة، الآية: ٦٧.

(٢) التفسير الكبير: ٦ / ١٧٩٠.

ثمَّ يورد مسألة يعطي فيها احتمالات تفسّر قوله تعالى: ﴿وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَغْتَ رِسَالَتَهُ﴾ يتساءل عن معناها ويورد إجابات جمهور المفسرين بأنَّ المراد: أنك إن لم تبلغ واحداً منها كنت كمن لم يبلغ شيئاً منها، ثمَّ لا يقبل منهم هذا المعنى ويضعفه ويعلل ذلك بأنَّ من أتى بالبعض وترك البعض يؤخذ بمقدار ترك البعض لا الكلَّ فهو ظلم محال ممتنع من الباري تعالى فسقط هذا الجواب، ويقول إنَّ الأصحَّ عنده مماثلة ذلك بقول الشاعر أنا أبو النجم الذي يقول بما معناه إنَّ الشعر لا يقال عنه شعراً إلاَّ إذا كان شعره هو، كناية عن المبالغة في المدح لشعره.

وهنا الآية مثل ذلك إذا لم تبلغ رسالته فما بلغت رسالته، ما يعني أنَّه لا يمكن أن يوصف ترك التبليغ بتهديد أعظم من أنَّه ترك التبليغ، فكان ذلك تنبيهاً على غاية التهديد والوعيد.

ثمَّ يذكر لسبب نزول الآية وجوهاً عشرة نورد منها اثنين لنعكف على مقارنتها بما سيجيب عنه صاحب الميزان خشية التطويل والاكتفاء بمحور الحديث عن محورية الآية للإمامة.

يورد الرازي عشرة أوجه أولها: أنَّها نزلت في قصة الرجم والقصاص في قصة اليهود، ثمَّ يورد ثمانية بعدها وفي العاشر يقول: إنَّها نزلت في فضل عليِّ بن أبي طالب عليه السلام، ولما نزلت هذه الآية أخذ بيده وقال: «من كنت مولاه فعليُّ مولاه، اللهم وال من والاه وعاد من عاداه»، فلقبه عمر فقال: هنيئاً لك يا بن أبي طالب أصبحت مولاي ومولى كلِّ مؤمن ومؤمنة^(١).

ثمَّ يقول: إنَّ هذه الروايات وإنَّ كثرت إلاَّ أنَّ الأولى حملة على أنَّه تعالى آمنه من مكر اليهود والنصارى، وأمره بإظهار التبليغ من غير مبالاة منه بهم، واستدلَّ بأنَّ ما

(١) انظر التفسير الكبير: ١٢ / ٥٢.

قبل وما بعد الآية كان كلاماً مع اليهود والنصارى، فيمتنع إلقاء هذه الآية الواحدة في
البين على وجه تكون أجنبية عما قبلها وما بعدها.

ثم إن الرازي يتساءل في قوله: ﴿ **وَاللَّهُ يَعَصْمُكَ مِنَ النَّاسِ** ﴾، كيف يجمع بين ذلك
وبين ما روي أنه عليه الصلاة والسلام شجَّ وجهه يوم أحد وكسرت رباعيته؟ ويجيب
عن ذلك من وجيهين: أحدهما: أن المراد يعصمه من القتل، وفيه التنبيه على أنه يجب عليه
أن يحتمل كل ما دون النفس من أنواع البلاء. وثانيهما: أنها نزلت بعد يوم أحد.

ثمَّ يعرب أن المقصود من كلمة (الناس) ها هنا الكفار، بدليل قوله تعالى: ﴿ **إِنَّ**
اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ ﴾، ومعناه أنه تعالى لا يمكنهم ممَّا يريدون ويستدلُّ على
ذلك برواية عن أنس ابن مالك: (كان رسول الله ﷺ يجرسه سعد وحذيفة حتى نزلت
هذه الآية، فأخرج رأسه من قبة آدم وقال: انصرفوا يا أيها الناس فقد عصمني الله من
الناس) (١).

وأما صاحب الميزان يرى أن معنى الآية في نفسها ظاهر، فإنها تتضمن أمر الرسول ﷺ
بالتبليغ في صورة التهديد، ووعده ﷺ بالعصمة من الناس، وكرِّد على صاحب مفاتيح الغيب
بشأن وقوع الآية في وسط آيات تتحدث عن اليهود والنصارى فإن الطباطبائي يرى أن
وقوعها معترضاً لتلك الآيات التوبيخية لهم ويستدلُّ على ذلك بعدم وحدة السياق فيقول:
لو كانت الآية متصلة بما قبلها وما بعدها في سياق واحد في أمر أهل الكتاب لكان محلها
أمر النبي ﷺ أشدَّ الأمر بتبليغ ما أنزله الله سبحانه في أمر أهل الكتاب، وتعين بحسب
السياق أن المراد بها أنزل إليه من ربه هو ما يأمره بتبليغه في قوله: ﴿ **قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَسْتُمْ
عَلَى شَيْءٍ حَتَّى تُقِيمُوا التَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ وَمَا أَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ مِّن رَّبِّكُمْ** ﴾ (٢).

وسياق الآية بأباه فإن قوله: ﴿ **وَاللَّهُ يَعَصْمُكَ مِنَ النَّاسِ** ﴾ يدلُّ على أن هذا الحكم

(١) انظر التفسير الكبير: ١٢ / ٥٢-٥٤.

(٢) سورة المائدة، الآية: ٦٨.



المنزل المأمور بتبليغه أمر مهم فيه مخافة الخطر على نفس النبي ﷺ أو على دين الله تعالى من حيث نجاح تبليغه، ولم يكن من شأن اليهود ولا النصارى في عهد النبي ﷺ أن يتوجه إليه من ناحيتهم خطر يسوغ له ﷺ أن يمسك عن التبليغ أو يؤخره إلى حين، فيبلغ الأمر إلى حيث يحتاج إلى أن يعده الله بالعصمة منهم إن بلغ ما أمر به فيهم حتى في أوائل هجرته ﷺ إلى المدينة، وعنده حدة اليهود وشدتهم حتى انتهى إلى وقائع خبير وغيرها^(١). ويرى العلامة أن الآية لا تتضمن أمراً شديداً ولا قولاً حاداً، وقد تقدم عليه تبليغ ما هو أشد وأحد وأمر من ذلك على اليهود، وقد أمر النبي ﷺ بتبليغ ما هو أشد من ذلك كتبليغ التوحيد ونفي الوثنية إلى كفار قريش ومشركي العرب، وهم أغلظ جانباً وأشد بطشاً وأسفك للدماء، وأفتك من اليهود وسائر أهل الكتاب، ولم يهدده الله في أمر تبليغهم ولا آمنه بالعصمة منهم.

على أن الآيات المتعرضة لحال أهل الكتاب معظم أجزاء سورة المائدة فهي نازلة فيها قطعاً، واليهود كانت عند نزول هذه السورة قد كسرت سورتهم فلا معنى لخوف رسول الله ﷺ منهم في دين الله، وقد دخلوا يومئذ في السلم وقبلواهم والنصارى بدفع الجزية، ولا معنى لتقريره تعالى له خوفه منهم واضطرابه في تبليغ أمر الله إليهم، وهو أمر قد بلغ إليهم ما هو أعظم منه، وقد وقف قبل هذا الموقف فيما هو أهول منه وأوحش. فلا ينبغي الارتباب في أن الآية لا تشارك الآيات السابقة عليها واللاحقة لها في سياقها، ولا تتصل بها في سردها، وإنما هي آية مفردة نزلت وحدها.

وإذا تحرينا رداً على ما تبناه الرازي في المقصود بالأمر المراد تبليغه نجد أن العلامة يصرح بأن المراد إمّا مجموع الدين أو بعض أجزائه، ويوعز ذلك الخطاب التهديدي في الآية ﴿وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَغْتَ رِسَالَتَهُ﴾ لخوف النبي من الناس في تبليغ أمر كان

يؤخره إلى حين يناسبه، بدليل أن آيات أول البعثة لم تشتمل على التهديد كقوله تعالى: ﴿ أَقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ ﴾^(١)، وقوله: ﴿ يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ ﴿١﴾ قُمْ فَأَنْذِرْ ﴾^(٢)، وقوله: ﴿ فَاسْتَقِيمُوا إِلَيْهِ وَاسْتَغْفِرُوا ۗ وَرَبُّ لِلْمُشْرِكِينَ ﴾^(٣).

ولم يكن الخوف على نفسه في جنب الله سبحانه فهو أجل من أن يبخل في شيء من أمر الله بمهجته، فهذا شيء تكذبه سيرته الشريفة ومظاهر حياته، على أن الله شهد في رسله على خلاف ذلك كما قال تعالى: ﴿ مَا كَانَ عَلَى النَّبِيِّ مِنْ حَرَجٍ فِيمَا فَرَضَ اللَّهُ لَهُ ۗ سُنَّةَ اللَّهِ فِي الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلُ ۗ وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ قَدَرًا مَقْدُورًا ﴿١٠﴾ الَّذِينَ يُبَلِّغُونَ رِسَالَاتِ اللَّهِ وَيَخْشَوْنَهُ وَلَا يَخْشَوْنَ أَحَدًا إِلَّا اللَّهَ ۗ وَكَفَى بِاللَّهِ حَسِيبًا ﴾^(٤)، وقد قال تعالى في أمثال هذه الفروض: ﴿ فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُوا اللَّهَ ۗ إِن كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴾^(٥)، وقد مدح الله سبحانه طائفة من عباده بأنهم لم يخشوا الناس في حين أن الناس خوفوهم فقال: ﴿ الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَانًا وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ ﴾^(٦).

وليس من الجائز أن يقال: إنه ﷺ كان يخاف على نفسه أن يقتلوه فيبطل بذلك أثر الدعوة وينقطع دابرها، فكان يعوقه إلى حين ليس فيه هذه المفسدة فإن الله سبحانه يقول له ﷺ: ﴿ لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ ﴾^(٧).

لم يكن الله سبحانه يعجزه لو قتلوا النبي ﷺ أن يجيي دعوته بأي وسيلة من الوسائل شاء^(٨).

(١) سورة العلق، الآية: ١.

(٢) سورة المدثر، الآيتان: ١-٢.

(٣) سورة فصلت، الآية: ٦.

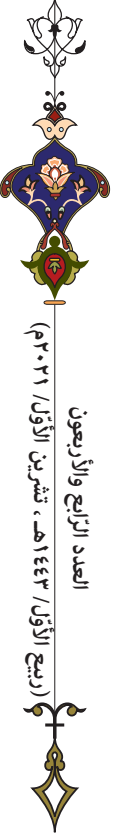
(٤) سورة الأحزاب، الآية: ٣٩.

(٥) سورة آل عمران: الآية ١٧٥.

(٦) سورة آل عمران: الآية ١٧٣.

(٧) سورة آل عمران: الآية ١٢٨.

(٨) انظر الميزان: ٦/ ١٥١.



وفي ردّ العلامة على من سبقه من المفسرين بيّن أنّ الآية لم تنزل في بدء البعثة، إذ لا معنى حينئذٍ لقوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ يَعِصُكَ مِنَ النَّاسِ﴾ إلا أن يكون النبي ﷺ يماطل في إنجاز التبليغ خوفاً من الناس على نفسه أن يقتلوه فيحرم الحياة أو أن يقتلوه ويذهب التبليغ باطلاً لا أثر له فإن ذلك كلّ لا سبيل إلى احتماله^(١).

وفي بيان مماثلة قوله تعالى ﴿وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَغْتَ رِسَالَتَهُ﴾ بشعر أبي النجم:

أنا أبو النجم وشعري شعري لله ذري بما يجنُّ صدري

كناية عن البلاغة.

كما تقدّم ممّا تبناه الرازي كباقي المفسرين يردّ العلامة هنا بأنّ هذا يلزم القصور في التبليغ والإهمال في المسارعة إلى ما أمره به الله سبحانه، ويرى أنّ هذه الصناعة الكلامية إنّما تصحّ في موارد العام والخاص والمطلق والمقيد ونظائر ذلك.

فقد تبين أنّ الآية بسياقها لا تصلح أن تكون نازلة في بدء البعثة ويكون المراد فيها بما أنزل إلى الرسول ﷺ مجموع الدين أو أصله، ويتبين بذلك أنّها لا تصلح أن تكون نازلة في خصوص تبليغ مجموع الدين أو أصله في أيّ وقت آخر غير بدء البعثة، فإنّ الإشكال إنّما ينشأ من جهة لزوم لا يلائم النزول في أيّ وقت آخر غير بدء البعثة على تقدير إرادة الرسالة بمجموع الدين أو أصله، وهو ظاهر.

فظهر أنّ هذا الأمر الذي أنزل على النبي ﷺ وأكدت الآية تبليغه هو ليس مجموع الدين أو أصله على جميع تقاديره المفروضة، بل هو الأمر بتبليغ حكم خاص أنزل على الخاتم صلوات الله عليه وآله من ربّه وإنّ يبليغه فكأنّها لم يبلغ^(٢).

ويرى العلامة أنّ السبب في عدّ ذلك الأمر الخاص مهماً وإن لم يبلغه كأنّها لم يبلغ شيئاً من رسالته لكون المعارف والأحكام الدينية مرتبطة بعضها ببعض، والظاهر أنّ

(١) الميزان: ٦/ ١٥٢.

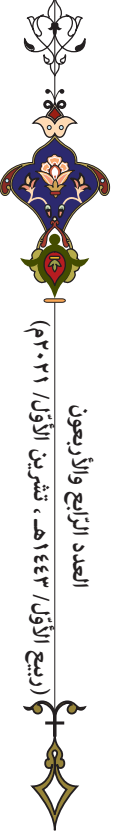
(٢) انظر الميزان: ٦/ ١٦٠.

هذا الأمر مهم وسيعارضه مجموعة من الناس أكثر من أي أمر آخر سبق؛ ولذا وعد الله نبيه أنه سيعصمه منهم.

ولا يستقيم هذا المعنى مع أي حكم نازل، فإن المعارف والأحكام الدينية في الإسلام ليست جميعها في درجة واحدة، ففيها التي هي عمود الدين، وفيها الدعاء عند رؤية الهلال، وفيها زنى المحصن وفيها النظر إلى الأجنبية، ولا يصح فرض هذه المخافة من النبي ﷺ والوعد بالعصمة من الناس مع كل حكم منها كيفما كان بل في بعض الأحكام.

فليس استلزام عدم تبليغ هذا الحكم لعدم تبليغ غيره من الأحكام إلا لكان أهميته ووقوعه من الأحكام في موقع لو أهمل أمره كان ذلك في الحقيقة إهمالاً لأمر سائر الأحكام، وصيرورتها كالجسد العادم للروح التي بها الحياة الباقية والحس والحركة، وتكون الآية حينئذ كاشفة عن أن الله سبحانه كان قد أمر رسوله ﷺ بحكم يتم به أمر الدين ويستوي به على عريشة القرار، وكان من المترقب أن يخالفه الناس ويقلبوا الأمر على النبي ﷺ بحيث تنهدم أركان ما بناه من بنیان الدين وتتلاشى أجزاءه، وكان النبي ﷺ يتفرس ذلك ويخافهم على دعوته فيؤخر تبليغه من حين إلى حين، ليجد له ظرفاً صالحاً وجواً آمناً، عسى أن تنجح فيه دعوته ولا يخيب مسعاه، فأمره الله تعالى بتبليغ عاجل، ويين له أهمية الحكم، ووعد أنه يعصمه من الناس، ولا يهديهم في كيدهم، ولا يدعهم يقلبوا له أمر الدعوة^(١).

وإنما يتصور تقليب أمر الدعوة على النبي ﷺ وإبطال عمله بعد انتشار الدعوة الإسلامية لا من جانب المشركين ووثنية العرب أو غيرهم كأن تكون الآية نازلة في مكة قبل الهجرة، وتكون مخافة النبي ﷺ من الناس من جهة افتراءهم عليه واتهامهم إياه في



أمره كما حكاه الله سبحانه من قولهم: ﴿مُعَلَّمٌ مَّجْنُونٌ﴾ (١).

ثانياً: الآية الثالثة من سورة المائدة بين مضاتيح الغيب والميزان

قال تعالى في كتابه الكريم: ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةُ وَالْدَّمُ وَلَحْمُ الْخِنْزِيرِ وَمَا أَهَلَ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ وَالْمُنْخَنِقَةُ وَالْمَوْقُوذَةُ وَالْمُتَرَدِّيَةُ وَالنَّطِيحَةُ وَمَا أَكَلَ السَّبُعُ إِلَّا مَا ذَكَّيْتُمْ وَمَا ذُبِحَ عَلَى النُّصُبِ وَأَنْ تَسْتَقْسِمُوا بِالْأَزْلَمِ ذَلِكَ كُمْ فِسْقٌ الْيَوْمَ يَبْسُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ دِينِكُمْ فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَاخْشَوْنَ الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتَمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا فَمَنِ اضْطُرَّ فِي مَخْمَصَةٍ غَيْرِ مُتَجَانِفٍ لِإِثْمِهِ فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ (٢).

بعد أن تمَّ الكلام في الآية السابعة والستين من سورة المائدة نحاول الرجوع إلى الغرض الأساس والمعالم التي توافق عليها المفسرون من مميزات سورة الأنعام، ثمَّ نعكف على نقل ما بينه الرازي ثمَّ العلامة عن الآية الثالثة من سورة المائدة وهي آية إكمال الدين.

والهدف من بيان الغرض من السورة هو إبراز المشترك بين المفسرين حولها حسب ما ذكر العلامة الطباطبائي في تفسيره على حسب عاداته في ذكر الهدف من السورة، فإنَّ الآية هي بنت السورة ولذا تفهم من خلالها الغرض العام للسورة فنذكر هنا بعض مميزات السورة مما ذكره العلامة الطباطبائي متوافقاً مع باقي المفسرين بأنَّ الغرض الجامع من السورة على ما يعطيه التدبر في مفتحتها ومختمها، وعامة الآيات الواقعة فيها، والأحكام والمواعظ والقصص التي تضمنتها هو الدعوة إلى الوفاء بالعهود وحفظ المواثيق الحققة كائنة ما كانت، والتحذير البالغ عن نقضها وعدم الاعتناء بأمرها، وأنَّ

(١) سورة الدخان، الآية: ١٤.

(٢) سورة المائدة، الآية: ٣.

عادته تعالى جرت بالرحمة والتسهيل والتخفيف على من اتقى وآمن ثم اتقى وأحسن، والتشديد على من بغى واعتدى وطغى بالخروج عن ربة العهد بالطاعة، وتعدى حدود المواثيق المأخوذة عليه في الدين.

ولذلك ترى السورة تشتمل على كثير من أحكام الحدود والقصاص، وعلى مثل قصة المائدة، وسؤال المسيح، وقصة ابني آدم، وعلى الإشارة إلى كثير من مظالم بني إسرائيل ونقضهم المواثيق المأخوذة منهم، وعلى كثير من الآيات التي يمتن الله تعالى فيها على الناس بأموار كإكمال الدين، وإتمام النعمة، وإحلال الطيبات، وتشريع ما يطهر الناس من غير أن يريد بهم الحرج والعسر.

وهذا هو المناسب لزمان نزول السورة، إذ لم يختلف أهل النقل على أنها آخر سورة مفصلة نزلت على رسول الله ﷺ في أواخر أيام حياته وقد ورد في روايات الفريقين، أنها ناسخة غير منسوخة، والمناسب لذلك تأكيد الوصية بحفظ المواثيق المأخوذة لله تعالى على عباده وللتثبيت فيها^(١).

ولندخل الآن إلى تفسير الفخر الرازي لنرى ما يقوله حول قوله تعالى: ﴿ **الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتَمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيْتُ لَكُمْ الْإِسْلَامَ دِينًا** ﴾^(٢)، يرى الرازي أن هذه الآية تتحدث عن أكبر نعم الله عز وجل على هذه الأمة، حيث أكمل تعالى لهم دينهم، فلا يحتاجون إلى دين غيره، ولا إلى نبي غير نبيهم، صلوات الله وسلامه عليه؛ ولهذا جعله الله خاتم الأنبياء، وبعثه إلى الإنس والجن، فلا حلال إلا ما أحله، ولا حرام إلا ما حرّمه، ولا دين إلا ما شرعه، وكل شيء أخبر به فهو حق وصدق لا كذب فيه ولا خلف، ويستشهد بذلك من الآية ﴿ **وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ...** ﴾^(٣)، ثم يورد

(١) انظر الميزان: ١٥٧ / ٥ .

(٢) سورة المائدة: الآية ٣ .

(٣) سورة الأنعام: الآية ١١٥ .



رواية علي بن أبي طلحة، عن ابن عباس قوله: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ﴾ وهو الإسلام، أخبر الله نبيه ﷺ والمؤمنين أنه أكمل لهم الإيمان، فلا يحتاجون إلى زيادة أبداً، وقد أممه الله فلا ينقصه أبداً، وقد رضي الله فلا يسخطه أبداً^(١)، وعن شأن نزول الآية نقل الرازي رواية أسباط عن السدي: نزلت هذه الآية يوم عرفة، فلم ينزل بعدها حلال ولا حرام.

ثم أورد عدة روايات تثبت أن يوم نزولها كان يوماً عظيماً قيّمه الرواة على أنه عيد للمسلمين، منها رواية ابن جرير بسند مرفوع... إلى أن قال كعب: لو أن غير هذه الأمة نزلت عليهم هذه الآية، لنظروا اليوم الذي أنزلت فيه عليهم فاتخذوه عيداً يجتمعون فيه، فقال عمر: أي آية يا كعب؟ فقال: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ﴾، فقال عمر: قد علمت اليوم الذي أنزلت فيه، والمكان الذي أنزلت فيه، نزلت في يوم جمعة ويوم عرفة وكلاهما بحمد الله لنا عيد^(٢).

ثم إنه يتعرض إلى مسائل يورد فيها احتمالات للآية فيقول في المسألة الثالثة: (قَالَ أَصْحَابُنَا: هَذِهِ الْآيَةُ دَالَّةٌ عَلَى بُطْلَانِ قَوْلِ الرَّافِضِيَّةِ، وَذَلِكَ لِأَنَّهُ تَعَالَى بَيْنَ أَنْ الَّذِينَ كَفَرُوا يَتَّسِقُوا مِنْ تَبْدِيلِ الدِّينِ، وَأَكَّدَ ذَلِكَ بِقَوْلِهِ ﴿فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَأَخْشَوْنَ﴾، فَلَوْ كَانَتْ إِمَامَةٌ عَلِيٌّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مَنْصُوصًا عَلَيْهَا مِنْ قِبَلِ اللَّهِ تَعَالَى وَقَبْلِ رَسُولِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ -وآله- وَسَلَّمٍ نَصًّا وَاجِبَ الطَّاعَةِ لَكَانَ مَنْ أَرَادَ إِخْفَاءَهُ وَتَغْيِيرَهُ أَيْسًا مِنْ ذَلِكَ بِمُقْتَضَى هَذِهِ الْآيَةِ، فَكَانَ يَلْزَمُ أَنْ لَا يَقْدِرَ أَحَدٌ مِنَ الصَّحَابَةِ عَلَى إِنْكَارِ ذَلِكَ النَّصِّ وَعَلَى تَغْيِيرِهِ وَإِخْفَائِهِ، وَمَا لَمْ يَكُنْ الْأَمْرُ كَذَلِكَ، بَلْ لَمْ يَجْرِ لِهَذَا النَّصِّ ذِكْرٌ، وَلَا ظَهَرَ مِنْهُ خَبْرٌ وَلَا أَثَرٌ، عَلِمْنَا أَنْ أَدْعَاءَ هَذَا النَّصِّ كَذِبٌ، وَأَنَّ عَلِيَّ بْنَ أَبِي طَالِبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مَا كَانَ مَنْصُوصًا عَلَيْهِ بِالْإِمَامَةِ^(٣).

(١) انظر: التفسير الكبير: ١١ / ١٤٢.

(٢) انظر مفاتيح الغيب: ١١ / ١٤٠ - ١٤٣.

(٣) انظر مفاتيح: ١١ / ٢٨٨.



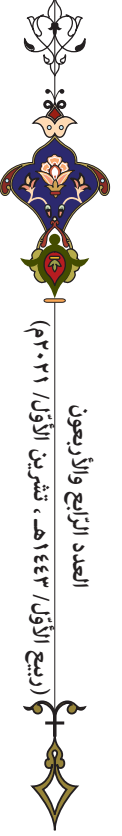
ويقول في المسألة الرابعة: إنَّ النبيَّ لم يَعِشْ بعد نزول الآية إلا واحداً وثمانين أو اثنين وثمانين يوماً.

وأما صاحب الميزان

ويؤيده ما رواه الرازي وباقي المفسرين في تاريخ نزول الآية كما في الدر المنثور عن عبد بن حميد عن الشعبي قال: نزل على النبي ﷺ هذه الآية - وهو بعرفة -: ﴿ **الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ** ﴾^(١)، ثم يرى أن قوله: ﴿ **الْيَوْمَ يَسِّرُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ دِينِكُمْ** ﴾، وقوله: ﴿ **الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ** ﴾ متقاربتان مضموناً، مرتبتان مفهومًا بلا ريب، لظهور ما بين يأس الكفار من دين المسلمين وبين إكمال دين المسلمين، ويستدل بتأييد السلف والخلف من مفسري الصحابة والتابعين والمتأخرين، إذ أخذوا الجملتين متصلتين يتم بعضها بعضاً وبنوا على نزولهما معاً، واجتمعا من حيث الدلالة على مدلول واحد.

وينتج من ذلك أن هذه الآية المعترضة أعني قوله: ﴿ **الْيَوْمَ يَسِّرُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ دِينِكُمْ** ﴾ إلى قوله: ﴿ **وَرَضِيْتُ لَكُمْ الْإِسْلَامَ دِينًا** ﴾ كلام واحد متصل بعض أجزائه ببعض مسوق لغرض واحد قائم بمجموع الجملتين من غير تشتت، ثم يتساءل عن المراد به، هل هو زمان ظهور الإسلام ببعثة النبي ﷺ ودعوته، فيكون المراد أن الله أنزل إليكم الإسلام؟ وأكمل لكم الدين وأتم عليكم النعمة وأيأس منكم الكفار؟ ويجيب: لا سبيل إلى ذلك لأن ظاهر السياق أنه كان لهم دين، كان الكفار يطمعون في إبطاله أو تغييره، وكان المسلمون يخشونهم على دينهم فأيأس الله الكافرين مما طمعوا فيه وآمن المسلمين وأنه كان ناقصاً فأكمله الله وأتم نعمته عليهم، ولم يكن لهم قبل الإسلام دين حتى يطمع فيه الكفار أو يكمله الله ويتم نعمته عليهم، ثم يورد استدلالاً جميلة

(١) انظر: تفسير الميزان: ٥ / ١٦٧.



نلخصها فيما يلي:

١- لازم ما ذكر من المعنى أن يتقدم قوله: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ﴾، على قوله: ﴿الْيَوْمَ يَبَسَ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾، حتى يستقيم الكلام في نظمه^(١).

٢- المراد باليوم هو ما بعد فتح مكة إذ أبطل الله فيه كيد مشركي قريش وأذهب شوكتهم، وهدم فيه بنيان دينهم، وكسر أصنامهم، فانقطع رجاؤهم أن يقوموا على ساق، ويضادوا الإسلام ويانعوا نفوذ أمره وانتشار صيته.

لا سبيل إلى ذلك أيضاً فإن الآية تدلُّ على إكمال الدين وإتمام النعمة ولما يكمل الدين بفتح مكة، وكان في السنة الثامنة من الهجرة، فكم من فريضة نزلت بعد ذلك، وكم من حلال أو حرام شرع فيما بينه وبين رحلة النبي ﷺ.

٣- قوله: ﴿الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ يعمُّ جميع مشركي العرب ولم يكونوا جميعاً آيسين من دين المسلمين، ومن الدليل عليه أن كثيراً من المعارضات والمواثيق على عدم التعرض كانت باقية وكانوا يحجون حجة الجاهلية على سنن المشركين^(٢).

فحصل أنه لا سبيل إلى ذلك الاحتمال حول يأس الذين كفروا، ثم يورد احتمالات حول المقصود باليوم إذا لم يراد معناه الواسع كزمان ظهور الدعوة الإسلامية أو ما بعد فتح مكة من الزمان، أو ما بعد نزول آيات البراءة، فلا سبيل إلا أن يقال: إن المراد باليوم هو يوم نزول الآية نفسها، وهو يوم نزول السورة إن كان قوله: ﴿الْيَوْمَ يَبَسَ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾، معترضاً مرتبطاً بحسب المعنى بالآية المحيطة بها، أو بعد نزول سورة المائدة في أواخر عهد النبي ﷺ، وذلك لمكان قوله تعالى: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ﴾.

فهل المراد باليوم يوم فتح مكة بعينه؟ أو يوم نزول البراءة بعينه، يكفي في فساده ما تقدم من الإشكالات الواردة على الاحتمالات المتقدمة، أو أن المراد باليوم هو يوم عرفة

(١) انظر الميزان: ٥ / ١٦٧.

(٢) الميزان: ٥ / ١٦٩.

من حجّة الوداع كما ذكره كثير من المفسرين وبه ورد بعض الروايات.
من جهة أخرى يدعوننا أن نتأمل فيما لهذا اليوم - وهو يوم عرفة تاسع ذي الحجة
من السنة العاشرة من الهجرة - من الشأن الذي يناسب قوله: ﴿ **الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ
دِينَكُمْ وَأَتَمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي** ﴾ في الآية.

فربما أمكن أن يقال: إنَّ المراد به إكمال أمر الحجِّ بحضور النبي ﷺ بنفسه فيه،
وتعليمه الناس تعليماً عملياً مشفوعاً بالقول.

لكن فيه أن مجرد تعليمه الناس مناسك حجه - وقد أمرهم بحج التمتع ولم يلبث
دون أن صار مهجوراً، وقد تقدمه تشريع أركان الدين من صلاة وصوم وحج وزكاة
وجهاد وغير ذلك - لا يصح أن يسمى إكمالاً للدين، وكيف يصح أن يسمى تعليم
شيء من واجبات الدين إكمالاً لذلك الواجب فضلاً عن أن يسمى تعليم واجب من
واجبات الدين لمجموع الدين.

على أن هذا الاحتمال يوجب انقطاع رابطة الفقرة الأولى أعني قوله: ﴿ **الْيَوْمَ يَبَسَ
الَّذِينَ كَفَرُوا مِن دِينِكُمْ** ﴾ بهذه الفقرة أعني قوله: ﴿ **الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ** ﴾
وأى ربط^(١) ليأس الكفار عن الدين بتعليم رسول الله ﷺ حج التمتع للناس.

وربما أمكن أن يقال: إنَّ المراد به إكمال الدين بنزول بقايا الحلال والحرام في هذا
اليوم في سورة المائدة، فلا حلال بعده ولا حرام، وإكمال الدين استولى اليأس على
قلوب الكفار، ولاحت آثاره على وجوههم.

لكن يجب أن نتبصر في تمييز هؤلاء الكفار الذين عبر عنهم في الآية بقوله: ﴿ **الَّذِينَ
كَفَرُوا** ﴾ على هذا التقدير وأتهم من هم؟ فإن أُريد بهم كفار العرب فقد كان الإسلام
عمّهم يومئذٍ ولم يكن فيهم من يتظاهر بغير الإسلام وهو الإسلام حقيقة، فمن هم

الكفار الآيسون.

وإن أُريد بهم الكفار من غيرهم كسائر العرب من الأمم والأجيال فقد عرفت أنّهم لم يكونوا آيسين يومئذٍ من الظهور على المسلمين^(١).

وبعد ذلك كلّه يتساءل العلامة الطباطبائي ما معنى قوله تعالى: ﴿وَرَضِيْتُ لَكُمْ **الْإِسْلَامَ دِينًا**﴾، هل المراد باليوم واحد من الأيام التي بين عرفة وبين ورود النبي ﷺ المدينة على بعض الوجوه المذكورة في معنى يأس الكفار ومعنى إكمال الدين؟ وفيه من الإشكال ما يردّ على غيره على التفصيل المتقدم.

ثمّ وقفة عند قوله تعالى ﴿فَلَا تَخْشَوْهُمْ﴾ تأمين منه سبحانه للمؤمنين ممّا كانوا منه على خطر، ومن تسرّبه على خشية، قال تعالى: ﴿وَدَّتْ طَّائِفَةٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يُضِلُّوكُمْ﴾^(٢)، وقال تعالى: ﴿وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يَرُدُّونَكُمْ مِّنْ بَعْدِ إِيمَانِكُمْ كُفْرًا حَسَدًا مِّنْ عِنْدِ أَنْفُسِهِمْ مِّنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْحَقُّ فَاعْفُوا وَاصْفَحُوا حَتَّىٰ يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرٍ إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾^(٣).

والكفار لم يكونوا يتربصون الدوائر بالمسلمين إلّا لدينهم، ولم يكن يضيق صدورهم وينصدع قلوبهم إلّا من جهة أنّ الدين كان يذهب بسؤددهم وشرفهم واسترسالهم في اقتراف كلّ ما تهواه طباعهم، وتألّفه وتعتاد عليه نفوسهم، ويختم على تمتعهم بكلّ ما يشتهون بلا قيد وشرط.

فقد كان الدين هو المبعوض عندهم دون أهل الدين إلّا من جهة دينهم الحق فلم يكن في قصدهم إبادة المسلمين وإفناء جمعهم^(٤)، بل إطفاء نور الله وتحكيم أركان

(١) انظر الميزان: ٥ / ١٧١.

(٢) سورة آل عمران: الآية ٦٩.

(٣) سورة البقرة: الآية ١٠٩.

(٤) راجع تفسير الميزان: ج ٥، ص ١٧٥-١٧٤.

الشرك المتزلزلة المضطربة به، وردّ المؤمنين كفاراً كما مرّ في قوله: ﴿لَوْ يَرُدُّونَكُمْ مِن بَعْدِ
إِيْمَانِكُمْ كُفَّارًا﴾ (الآية) قال تعالى: ﴿يُرِيدُونَ لِيُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَاللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِ
وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ ﴿٨﴾ هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ
وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ﴾ (١).

تحليل ومقارنة

إذا أردنا أن نفهم مصطلحاً قرآنياً لا يسعنا إلا أن نجمع كل الآيات القرآنية التي
تحكي عن هذا الموضوع.

﴿الْيَوْمَ يَبْسُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ دِينِكُمْ فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَاخْشَوْنَ الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ
دِينَكُمْ وَأَتَمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيْتُ لَكُمْ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾ (٢) تشير القرائن الداخلية
في الآية الكريمة مع الشواهد الخارجية التي تمثلت بما جاء بشأنها من أخبار من طرق
الشيعة والسنة، للتدليل على اختصاصها بغدير خم.

إنّ البحث في أسباب نزول آيات القرآن يكشف عددًا من الحقائق ذلك أنّ الجانب
الرياضي في أسباب النزول أقوى منه في موضوعات التفسير الأخرى.

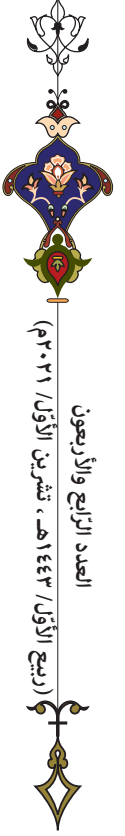
ليس من العجيب أن يختلف المسلمون في أول آيات نزلت على النبي ﷺ، لأنهم لم
يكونوا مسلمين آنذاك، ثمّ إنهم باستثناء القلّة لم يكتبوا ما سمعوه من نبيهم في حياته،
فاختلفوا بعده في أحاديثه وسيرته.

ولهذا لا نعجب إذا وجدنا أربعة أقوال في تعيين أول ما أنزله الله تعالى من كتابه بأنّه
سورة اقرأ، وأنّه سورة المدثر، وأنّه سورة الفاتحة وأنّه البسملة (٣).

(١) سورة: الصف: الآية ٨-٩.

(٢) سورة المائدة: الآية ٣.

(٣) الإتيان للسيوطي: ١ / ٩١.



ولكنَّ العجيب اختلافهم في آخر ما نزل من القرآن، وقد كانوا دولةً وأُمَّةً ملتقَّةً حول نبيِّها، وقد أعلن لهم نبيُّهم ﷺ أنه راحلٌ عنهم عن قريب، وحجَّ معهم حجة الوداع، ومرض قبل وفاته مدةً، وودَّعوه وودَّعهم.

إنَّ الأغراض الشخصية والسياسية لم تدخل في مسألة أوَّل ما نزل من القرآن كما دخلت في مسألة آخر ما نزل منه.

المتتبع في المصادر الحديث والفقهِ والتفسير يصل إلى أن سورة المائدة آخر سورة نزلت من القرآن وأنَّ آية ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ﴾ نزلت بعد إكمال نزول جميع الفرائض، وأنَّ بعض الصحابة حاولوا أن يجعلوا بدل المائدة سوراً أخرى، وبدل آية إكمال الدين، آيات أخرى!

قول المفسرين السنة الموافق لقول أهل البيت عليهم السلام:

١- أحاديثهم في بيعة الغدير تبلغ المئات، وفيها صحاح من الدرجة الأولى عندهم وقد جمعها عددٌ من علماءهم القدامى منهم الطبري المؤرخ في كتابه (الولاية)، فبلغت طرقها ونصوصها عنده مجلدين، وتنص رواياتها على أن النبي ﷺ أصدع علياً معه على المنبر، ورفع يده حتى بان بياض إبطيها، وبلغ الأُمَّة ما أمره الله فيه.. إلخ.

وقد انتقد الطبري بعض المتعصين السنة لتأليفه هذه الكتب في أحاديث الغدير، التي يحتج بها الشيعة عليهم، ويجادلونهم بها عند ربِّهم.

٢- وتنصَّ بعض روايات الغدير عندهم على أنَّ آية إكمال الدين نزلت في الجحفة يوم الغدير بعد إبلاغ النبي ﷺ ولاية عليٍّ عليه السلام، لكنَّ ينبغي الالتفات إلى أن أكثر السنة الذين صحَّح عندهم روايات الغدير، لم يقبلوا الأحاديث القائلة بأنَّ آية إكمال الدين نزلت يوم الغدير، بل أخذوا بقول عمر ومعاوية، أنَّها نزلت يوم عرفة.

وعنصر التوقيت هنا يرجح قول أهل البيت عليهم السلام والروايات السننية الموافقة لهم،

مضافاً إلى المرجحات الأخرى.

٣- إنَّ المجمع عليه عند جميع المسلمين أنَّ يوم نزول الآية عيدٌ إلهيٌّ عظيم (عيد إكمال الدين وإتمام النعمة)، فهو مرتبطٌ بإتمام الله تعالى نعمة الإسلام كلَّه على الأمة، وقد تحقَّق في رأي علماء السنة بتنزيل أحكام الدين وإكماله من دون تعيين آلية لقيادة مسيرته. وتحقَّق في رأي علماء الشيعة بإكمال تنزيل الأحكام، ونعمة الحلِّ الإلهي لمشكلة القيادة، وإرساء نظام الإمامة إلى يوم القيامة، في عترة خاتم النبيين ﷺ.

إنَّ اليوم الذي تتحدث عنه الآية الشريفة له خصائص أربع مهمة:

١ - إنَّ هذا اليوم هو اليوم الذي شعر فيه الكفَّار والمشركون باليأس الكامل.

٢ - اليوم الذي أكمل الله لكم الدين.

٣ - اليوم الذي أتمَّ الله تعالى نعمته على جميع المسلمين.

٤ - اليوم الذي رضى به الله تعالى أن يكون الإسلام ديناً خالداً لجميع الناس، فأَيَّ

يوم هذا اليوم المبارك الذي يتمتع بهذه الخصوصيات الأربع؟

وللإجابة عن هذا السؤال يمكننا اختيار طريقين:

نتساءل مع أيِّ حادثة من الحوادث التاريخية في زمن النزول يمكن تطبيق هذه الآية

الشريفة؟

وفي مقام الإجابة عن هذا السؤال فالفخر الرازي له رأيان:

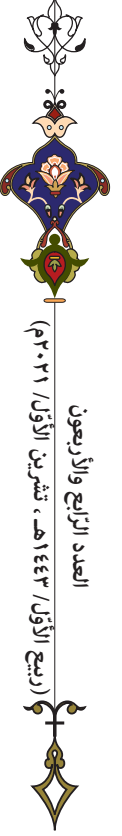
النظرية الأولى: وهي إحدى النظريات التي ذكرها الفخر الرازي في تفسيره للآية

الواردة في هذه الآية لم ترد بمعناها الحقيقي بل وردت - اليوم - الشريفة، وهي أن كلمة

أو البرهة من الزمان لا - المرحلة - هنا تعني - اليوم - بالمعنى المجازي، أي أن كلمة

مقطع خاص منه بما يحكي عن ليلة ونهار واحد.

وطبقاً لهذه النظرية فإنَّ (اليوم) هنا لا يقصد به يوم معين أو حادثة خاصة بل يشير



إلى بداية مرحلة تحكي عن عظمة الإسلام ويأس الأعداء والكفار من تحقيق النصر، هو (اليوم) على هذه الدعوة السماوية.

ولكنّ الجواب عن هذه النظرية واضح لأنّ المعنى المجازي يحتاج إلى قرينة لصرف الاستعمال عن المعنى الحقيقي، فما هي هذه القرينة الواضحة التي استند عليها الفخر الرازي للقول بالمعنى المجازي؟

النظرية الثانية: إنّ المراد بكلمة اليوم في الآية الشريفة هو المعنى الحقيقي، أي هو الثامن من شهر ذي الحجّة، في حجة الوداع في (يوم عرفة) يوم خاص ومعين من السنة العاشرة للهجرة.

ولكنّ هذه النظرية بدورها لا تتضمن إقناعاً كافياً لأنّ يوم عرفة في السنة العاشرة للهجرة لا يختلف عن أيام عرفة الأخرى في السنة التاسعة والثامنة للهجرة، ولو لم تحدث في هذا اليوم حادثة خاصة فكيف ذكرته الآية الشريفة بلغة التعظيم والتبجيل؟ والخلاصة هي أنّ هذه النظرية غير مقبولة وغير منطقية وعليه فإنّ كلتا النظريتين للفخر الرازي لا تعيننا في استجلاء مضمون الآية الشريفة واكتشاف السرّ المستودع فيها. مورد هذه الآية الشريفة الذي هو تفسير الطباطبائي جميع مفسري الشيعة وعلمائهم. في هذه الآية الكريمة المراد من كلمة (اليوم) هو اليوم الذي يؤس فيه الكفار واستوجب رضى الله تعالى وكمل فيه الدين وتمت فيه النعمة هو اليوم الثامن عشر من شهر ذي الحجّة من السنة العاشرة للهجرة أي يوم عيد الغدير، وهو اليوم الذي نصب فيه رسول الله الإمام عليّاً عليه السلام خليفة له على المسلمين وأعلن فيه خلافته وولايته بصورة رسمية.

سؤال: هل هذه النظرية تتطابق مع مضمون الآية الشريفة؟

الجواب: إذا نظرنا بعين الإنصاف إلى هذه الآية الشريفة وابتعدنا عن المسبقات

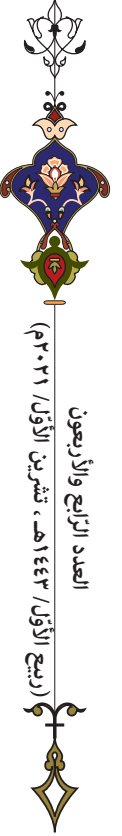


الفكرية والرواسب التراثية لرأينا الآية الشريفة تنطبق تماماً على واقعة الغدير لأنها:
 أولاً: لأن أعداء الإسلام بعد أن فشلوا في جميع مؤامراتهم وانهمزوا في حروبهم ضدّ الإسلام والمسلمين وفشلت خططهم في بثّ التفرقة والاختلاف في صفوف المسلمين، فإنّهم لم يبقَ لهم سوى شيء واحد يحیی أملهم في الانتصار والتغلب على هذا الدين الجديد، وهو أنّ النبيّ الأكرم بعد رحيله من هذه الدنيا وخاصة مع الأخذ بنظر الاعتبار أنّه لم يكن له ولد يخلفه في أمر الدعوة واستمرارية الرسالة ولم يعين لحد الآن خليفة له من بعده فيمكنهم والحال هذه أن يسددوا ضربة قاصمة للإسلام والدعوة السماوية بعد رحيل الرسول ﷺ، ولكنّهم عندما شاهدوا أنّ النبيّ الأكرم قد جمع المسلمين في صحراء غدير خم في اليوم الثامن عشر من ذي الحجّة في السنة العاشرة للهجرة واختار خليفة له على المسلمين وهو أعلمهم وأقدرهم في تدبير أمور المجتمع الإسلامي فإنّ أملهم هذا قد تبدل إلى يأس كامل، وتبخرت حينذاك طموحاتهم وتمنياتهم وأغلقت فيه النافذة الوحيدة للأمل لديهم فيئسوا من هزيمة الإسلام إلى الأبد.

ثانياً: مع انتخاب الإمام عليّ عليه السلام خليفة ووصياً للرسول فإنّ النبوة لن تنقطع، بل استمرت في سيرها التكاملي لأنّ الإمامة هي تكميل للنبوة، وعليه فالإمامة هي السبب في كمال الدين، وعلى هذا الأساس فإنّ الله تعالى قد أكمل دينه بنصبه الإمام عليّاً عليه السلام خليفة على المسلمين وهو الشخصية المتميزة من بين المسلمين بالعلم والقدرة والتقوى والفضيلة بما لا يدانيه أحد بعد رسول الله ﷺ.

ثالثاً: إنّ النعم الإلهية قد تمت على المسلمين بنصب الإمام عليّ عليه السلام خليفة وإماماً بعد رسول الله ﷺ.

رابعاً: إنّ الإسلام بلا شك سوف لا يكون ديناً عالمياً وشمولياً وخاتم الأديان بدون عنصر الإمامة، لأنّ الدين الذي يعتبر نفسه خاتم الأديان يجب أن يتضمن إجابات كافية



لحاجات الناس المتكثرة والمتوالية في جميع الأزمان، وهذا المعنى لا يتسنى من دون إمام معصوم في كلِّ زمان من الأزمنة.

والنتيجة هي أن تفسير الآية الشريفة بواقعة الغدير هو التفسير الوحيد والمقبول من جميع الجهات.

وأما المراد من إكمال الدين فقد ذكر المفسرون في تفسير هذا المقطع من الآية الشريفة ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ﴾ ثلاث نظريات:

١- إن المراد من الدين هو القوانين، أي أن ذلك اليوم كملت فيه قوانين الإسلام فلا يوجد في الإسلام خلل قانوني وفراغ تشريعي بعد الآن.

ولكن الجواب عن هذه النظرية يمكن أن يثير سؤالاً مفاده: ما هذا القانون المهم أو الحادثة المهمة التي وقعت في ذلك اليوم وأدت إلى تكميل القوانين الإلهية والتشريعات السماوية؟ وفي الجواب عن هذا السؤال يكمن مضمون الآية الشريفة ومدلولها.

٢- المقصود من كلمة الدين في الآية الشريفة هو الحجّ، أي أن الله تعالى قد أكمل حج المسلمين في ذلك اليوم العظيم، ولكن هل أن الدين يستعمل بمعنى الحج واقعاً، أو أن الدين هو مجموعة العقائد والأعمال والعبادات التي يشكل الحج أحدها؟ من الواضح أن احتمال الثاني هو الصحيح، وعليه فإن تفسير الدين بمعنى الحج هو تفسير غير مقبول ولا يقوم على دليل متين.

٣- إن تحقق مضمون الآية الشريفة في إكمال الدين وإتمام النعمة في هذا اليوم بأن الله تعالى نصر فيه المسلمين على أعدائهم وخلصهم من شرّ هؤلاء الأعداء، ولكن هل يصح هذا الكلام؟ فمن هم الأعداء الذين غلبوا وشعروا باليأس؟ فبالنسبة إلى المشركين فقد استسلموا ودخلوا في الإسلام في السنة الثامنة للهجرة عند فتح مكة، وبالنسبة إلى اليهود المدينة وخيبر وقبائل بني النضير وبني قينقاع وبني قريظة فإنهم قد

هزموا في سنوات سابقة في معركة خيبر والأحزاب فتركوا الجزيرة العربية وخرجوا إلى خارج الحكومة الإسلامية، وأمّا بالنسبة إلى النصارى فقد أمضوا معاهدة الصلح مع المسلمين، وعليه فإنّ جميع أعداء الإسلام قد استسلموا قبل السنة العاشرة للهجرة.

نعم، بقي خطر المنافقين الذين يمثلون أخطر أعداء الإسلام حيث ما زال خطرهم ماثلاً أمام المسلمين، ولكن كيف يمكن القول بأنهم قد انهزموا وأصابهم اليأس؟ هنا نجد أنّ هذا السؤال بقي بلا جواب مقنع كما هو حال السؤال المطروح في النظرية الأولى والذي لم يتقدم أصحاب هذه النظرية بالجواب عن هذا السؤال.

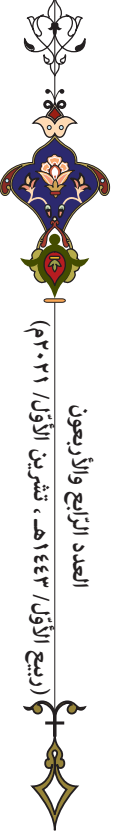
أمّا تفسير علماء الشيعة فكما تقدم أنّها فإنّه يجيب عن جميع الأسئلة ويلقي ضوءاً خاصاً على مفهوم الآية وأجوائها.

اعتراف جذّاب من الفخر الرازي أنّه لما نزلت هذه الآية على النبي ﷺ لم يعيش بعد نزولها إلا واحداً وثمانين يوماً أو اثنين وثمانين يوماً، ولم يحصل في الشريعة بعدها زيادة ولا نسخ ولا تبديل البتّة.

وعلى وفق مقولة الفخر الرازي يمكن حدس وقت نزول الآية الشريفة، والنتيجة هي أنّ القرائن المختلفة التي تحفّ بهذه الآية الشريفة تشير إلى أنّ هذه الآية تتعلق بواقعة الغدير وأتمّها نزلت في شأن خلافة أمير المؤمنين الإمام عليّ عليه السلام.

أمّا بشأن آية التبليغ الآية الثالثة من سورة المائدة: فيمكن التساؤل عن أنّ بداية الآية الثالثة من سورة المائدة تتحدث عن اللحوم المحرمة وآخرها تتحدث عن الاضطراب والضرورة وأحكامها، وفيما بينها تتحدث الآية عن الولاية والإمامة، فأياً تناسب وانسجام بين مسألة الولاية والإمامة وخلافة النبي ﷺ مع مسألة اللحوم المحرمة وحكم الاضطراب والضرورة ألا يكون.

الجواب: إنّ آيات القرآن الكريم لم ترد بصورة كتاب منظم كما هو الحال في الكتب



المتعارفة الكلاسيكية، بل نزلت متفرقة وعلى فترات مختلفة، وقد تكون آيات سورة واحدة قد نزلت في أوقات متباينة، وكان النبي الأكرم ﷺ يوصي بكتابة كل آية في سورة معينة، وعلى هذا الأساس فيمكن أن يكون صدر الآية الذي يتحدث عن الأسئلة التي كان المسلمون يسألون النبي الأكرم ﷺ عنها وعن اللحوم المحرمة قد نزل قبل واقعة الغدير، وبعد مدة حدثت واقعة الغدير ونزلت آية التبليغ وذكرها كتاب الوحي بعد آية تحريم اللحوم، ثم حدثت مسألة الاضطرار أو حدث مصداق من مصاديقها وحكم هذا الاضطرار، لذلك نجد أن ذيل الآية الشريفة يتضمن هذا الحكم الشرعي، وقد كتبه كتاب الوحي بعد الحديث عن واقعة الغدير المذكورة في وسط الآية، وبملاحظة النكتة السابقة فليس بالضرورة أن يكون هناك انسجام معين في سياق الآية الشريفة، ومع الالتفات إلى هذه الملاحظة سوف تحل كثير من الشبهات والإشكالات حول هذه الآية، فضلاً عن أن الأحاديث والروايات الشريفة الواردة في شأن نزول هذه الآية الشريفة كثيرة، وقد ذكر العلامة الأميني في كتابه القيم (الغدير) هذه الروايات مع الأبحاث المتعلقة بها بصورة واسعة، فقد أورد حديث الغدير في هذا الكتاب من مائة وعشرة رواية من أصحاب النبي، مضافاً إلى ذلك فقد نقله من ثمانين شخصاً من التابعين أيده فيها كثير من علماء السنة ومفسريهم وخلصنا منها إلى أن:

١- آية البلاغ تصرح بقضية مهمة جداً، وهي أن ترك تنصيب علي بن أبي طالب ﷺ هو ترك لتبليغ الرسالة بأكملها.

٢- مما يؤكد أهميتها هو ما نجده واضحاً في أقوال الرسول الأكرم ﷺ بعد تبليغ مقام الولاية وتعيين الولي للناس، إذ قال ﷺ: «فليبلغ الشاهد الغائب»^(١) قد بلغت التواتر، بالإضافة إلى ما يكتنف الآية المباركة من القرائن الحالية الكثيرة والواضحة الدالة على

(١) انظر: لسان الميزان، ابن حجر: ١/ ٣.

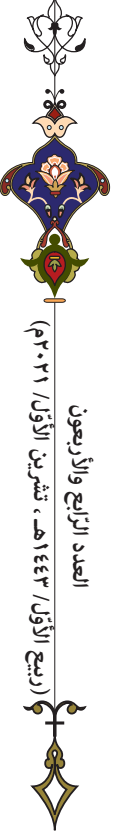
أهمية هذا الأمر وتأثيره المباشر على مسيرة الإسلام كنزوله ﷺ في حرّ الهجير، وأمره ﷺ برجوع مَنْ تقدّم وتقدّم مَنْ تأخّر، مضافاً إلى حضور ذلك الجَمّ الغفير من الصحابة والمسلمين الذين حضروا لأداء مناسك الحج من سائر أطراف البلاد الإسلامية.

٣- دلالتها على تحديد معالم الأطروحة: أن آية البلاغ التي بلّغها الرسول الأكرم ﷺ في أواخر حياته، جاءت تحمل في طياتها الإشارة إلى قضية مهمّة جدّاً في الدين الإسلامي، وهي تحديد معالم أطروحة الإمامة في الإسلام، مؤكدة أن الإمامة شاملة لكل الأبعاد القيادية السياسية منها والحكومية والمرجعية وغيرها، وأنّ منصب الخلافة والحكومة يمثل أحد أبعاد الإمامة، وهذا هو موضع النزاع مع أتباع مدرسة الخلفاء، حيث إنهم يختزلون دور الإمام في الحاكمية فقط، فإذا لم يستلم الحكومة لا يكون إماماً، على خلاف معتقد الشيعة الإمامية الاثني عشرية التي تعتقد أنّ منصب الحاكمية يمثل أحد أبعاد الإمامة لا جميعها.

٤- دلالتها على الإعلان الرسمي بالولاية والإمامة: إنّ آية البلاغ جاء تبليغها بصيغة الإعلان الرسمي للولاية والإمامة والتتويج العام للإمام عليّ ﷺ أمام المسلمين، ويشهد لذلك كيفية التبليغ، حيث أمر رسول الله ﷺ الناس بأن يجتمعوا، وجمعت له ﷺ أقتاب الإبل وارتقاها آخذاً بيد أخيه عليّ ﷺ أمام الملأ صادعاً بإبلاغ الولاية، وطلب بنفسه البيعة من الناس لعليّ ﷺ، وبادر الناس لبيعته ﷺ وسلّموا عليه بإمرة المؤمنين، وهنّؤوا النبيّ ﷺ وعليّاً ﷺ، وأوّل من تقدم بالتهنئة والبخبة، أبو بكر ثمّ عمر بن الخطاب وعثمان^(١)، وروى الطبري عن زيد بن أرقم أنّ النبيّ ﷺ قال للناس آنذاك: «قولوا أعطيناك على ذلك عهداً من أنفسنا، وميثاقاً بألسنتنا، وصفقة بأيدينا، نوّديه إلى

(١) انظر: مسند أحمد: ٤/ ٢٨١. المعجم الكبير: ٥/ ٢٠٣، فيض القدير شرح الجامع الصغير: ٦/ ٢٨٢، ح ١٢٠.

تذكرة الخواص: ٣٦، نظم الدرر: ١٠٩، شواهد التنزيل، الحاكم الحسكاني: ١/ ٢٠٠.



أولادنا وأهلنا لا نبتغي بذلك بدلاً»^(١).

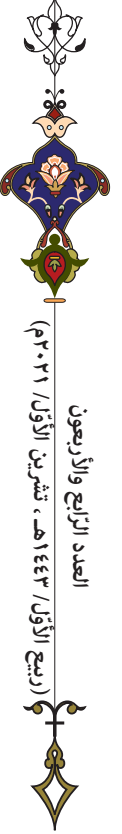
والحاصل: لو اقتصر في تبليغ الإمامة على تلك البيانات الخاصة للرسول الأكرم ﷺ والمقتصرة على حضور بعض الصحابة، لضاعت وأصبحت روايات ضعافاً، ولما وصلت إلينا بشكل واضح ومتواتر كما جاءتنا آيات وروايات البلاغ، وذلك بسبب منع تدوين حديث رسول الله ﷺ في عهد الخلفاء ولتولي بني أمية وأعداء أهل البيت ﷺ تدوين الحديث فيما بعد؛ ولذا كان تبليغها في واقعة الغدير كفيلاً بأن يجعلها تصل إلى حدّ التواتر وإجماع المسلمين الذي لا يمكن تجاوزه.

وأخيراً ترجح تفسير الطباطبائي على الفخر الرازي ذلك لأنه فصل مفردات الآيات وتقسّمها، فأخذ القسم الأول من تعريف الإمامة ومحوريتها حول الهداية وقسمه إلى قسميه المعروفين وهما الإراءة للطريق والإيصال للمطلوب أو الهداية التشريعية والتكوينية، ثمّ بنى على ذلك فاختر من الهدايتين الثانية وهي الإيصال إلى المطلوب تكوينياً وبالطبع فالأمر سيكون تكوينياً كذلك لأنه هو المناسب للهداية بمعنى الإيصال إلى المطلوب، ولا يمكن أن يكون الأمر تشريعياً مع كون الهداية تكوينية ولم يختَر الأمر التشريعي.

(١) انظر: كتاب الولاية: محمد بن جرير الطبري: ٢١٤-٢١٦.

المصادر والمراجع

١. القرآن الكريم
٢. تفسير الميزان، محمد حسين الطباطبائي، منشورات مؤسسة الأعلمي، بيروت.
٣. مفاتيح الغيب التفسير الكبير، الناشر، دار الفكر، فخر الدين الرازي، ١٤٠١ - ١٩٨١، عدد المجلدات: ٣٢، الطبعة الأولى.
٤. مفاتيح الغيب التفسير الكبير، المؤلف: أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن، دار إحياء التراث العربي، بيروت الطبعة: الثالثة، ١٤٢٠ هـ.
٥. الإتقان في علوم القرآن، السيوطي، توفي ٩١١، طبعة مصر، تحقيق: أبي الفضل إبراهيم.
٦. الاحتجاج: الشيخ الطبرسي، توفي ٥٤٨، طبعة النجف الأشرف، العراق.
٧. بحار الأنوار: العلامة المجلسي، توفي ١١١١، مؤسسة الوفاء، بيروت.
٨. تفسير الكشاف: جار الله الزمخشري، توفي ٥٢٨، منشورات البلاغة، قم، مصورة عن الطبعة المصرية، ١٣٠٧.
٩. دلائل الإمامة: محمد بن جرير بن رستم الطبري - مؤسسة الأعلمي - بيروت ١٤٠٨.
١٠. عيون أخبار الرضا: الصدوق، توفي سنة ٣٨١، منشورات الأعلمي طهران - ١٣٩٠.
١١. مجمع البحرين للعلامة فخر الدين بن محمد الطريحي، الطبعة الثانية ١٣٦٥ ش، مكتبة المرتضوي، طهران، إيران.



الدراسات الاستشراقية والنقدية

الغدير في الدراسات الاستشراقية

مُقارَبَةٌ رِوَايِيَّةٌ قُرْآنِيَّةٌ

م.م كريم جهاد الحساني

جامعة بغداد - كلية العلوم الاسلامية

Al-Ghadeer in the Oriental Studies Quranic and Hadith Approach

Kareem Jehad Alhassani

University of Baghdad College of Islamic Education

Kareemjhad1@gmail.com

الملخص

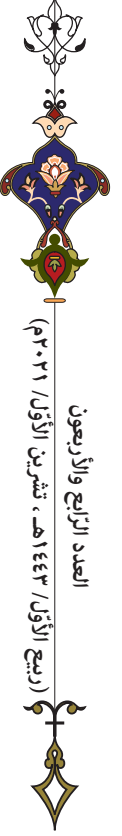
أثرت البحوث الاستشراقية في تاريخ المسلمين، وأُخذَ من هذه البحوث منهجاً سارَ عليها المهتمون في الشؤون الإسلامية، وكان من تلك البحوث الاهتمام بدراسة الحوادث والوقائع التي كان لها أثرٌ في تغيير مجرى واقع الإسلام السياسي، ومن تلك الوقائع المهمة بيعة (غدِير خم) التي تم الإعلان عنها من قِبَل النبي محمد ﷺ لتنصيب الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام خليفة على المسلمين في حجة الوداع من السنة العاشرة للهجرة، وقد اتخذ هذا الإعلان ومن بعده البيعة في لحظته صدىً واسعاً بين المسلمين، إلا أنه وفيما بعد تمّ نقضه، وأصبحت واقعة غدِير خم على مر العصور حدثاً يُميّز الشيعة من غيرهم من المسلمين.

لذا فقد أخذت تلك الواقعة حيزاً لا بأس به في دراسات المستشرقين من شتى المجالات، وتتمحور هذه الدراسة التي بين أيدينا استذكار أثر النص القرآني والمقاربة بينه وبين النص الحديثي لخلافة المسلمين من خلال بيعة الغدير في رؤية استشراقية واضحة.

الكلمات المفتاحية:

الدراسات الاستشراقية - مقارنة روائية - مقارنة قرآنية - خليفة المسلمين -

المستشرقون



Abstract

The oriental researches have taken an important role in the history of Muslims, and those researches were positioned as a path to be followed by those whom interested in the Islamic affairs.

Among those researches concentrated on studying the incidents and facts that had an impact on changing the course of the reality of political Islam, and one of the main event was the allegiance (Ghadeer-Khum) which was announced by the prophet Mohammed(PBUH) to position Imam Ali bin Abu Talib (PBUH) as a caliph of Muslims at the farewell Hajj/ Hajjatul-wada' at the tenth year of Hijri.

This announcement and the allegiance followed had caused a wide echo among the Muslims at that time.

However, it was repealed later, and the event of Al-Ghadeer has become an event that distinguishes Shiites from other Muslims throughout the ages.

Therefore, this incident took a good place in the studies of orientalist from various fields.

This study recalling the impact of the Quranic text, and the approach between it and the hadith text of the Succession/ Caliphate of Muslims through the Allegiance of Al-Ghadeer in a clear orientalist vision.

Keywords: Orientalist studies - a narrative approach - a Quranic approach - the Caliph of Muslims - Orientalists



العدد الرابع والأربعون
ربيع الأول / ١٤٤٣ هـ، تشرين الأول / ٢٠٢١ م



المقدمة

یوصف مشروع دراسة قضیة من القضايا المهمة والمختلفة علیها عند المسلمین من الدراسات والبحوث الحساسة التي تُثیر المشاعر فی النفوس، وتبعثُ الفرقة فی الدین الواحد. ونحنُ الیوم نخرجُ عن هذا الإطار المتعارف فی الدیانة الواحدة ونُحلّق فی سماء الدیانات الأخری؛ لكي نتعرّف علی آرائهم فی القضايا التي اختلفَ علیها المسلمون، وربما یعتقد البعض إن هذه الآراء لیست بتلك الأهمية التي یترتّب علیها حکمٌ من الأحكام ضمن الأطر الإسلامیة، وهذا مع شدید الأسف غیر وارد؛ لأنه لو تهبأ لباحثٍ مُجد لكشفَ عن جوانب خفیة ودقیقة ربما لم یتطرق لها الباحثون المسلمون.

وقضیتنا المختلف فی فهم نصّها عند المسلمین والتي هي رحلتنا فی عالم الاستشراق، هي تاریخ أو قضیة واقعة (غدیر حُم)، وهي محاولة متواضعة لرسم صورة متكاملة عنها كما جاء وصفها عند المستشرقین .

وقد اقتضت صورة البحث أن تمّ تقسیم الدراسة الروائیة القرآنیة لهذه الحادثة المهمة إلى مبحثین تخلّلتها عدة مطالب مهمة، وهذه هي:

المبحث الأول: الغدیر فی المنظور الاستشرافي.

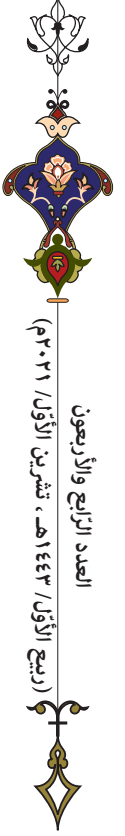
شهرة الغدیر فی دراسات المستشرقین.

الغدیر فی المصادر الاستشرافیة.

المبحث الثاني: جدلیة الغدیر الروائیة والقرآنیة فی المنظومة الاستشرافیة .

التفسیرات الاستشرافیة لحديث الغدیر.

بین المنظومة القرآنیة والروائیة.



البصائر الأولى: الغدير في المنظر الاستشراقي

واقعة (الغدير) هي إحدى تلك الوقائع التي لها شأن في التاريخ الإسلامي، فهي ليست واقعة عابرة أو حادثة سطحية احتوت السذاجة أو السطحية في مجرياتها، بل هي الحادثة الأكبر عمقاً في مجرى الرسالة الإسلامية والأكثر تأثيراً في سير خطها الطويل والتي أسست لبناء حكومة المسلمين، وتاريخ أو قضية الغدير هي ليست قراءة لقصة من القصص العابرة أو حادثة ذكرها المسلمون ولم يقفوا عليها؛ لأنها ليست من القضايا المهمة في تاريخهم؛ وإنما هي واقعة ترتب عليها حكم مهم في التاريخ الإسلامي ألا وهي (الخلافة) بعد رسول الإنسانية، رسول الإسلام، رسول العالمين النبي محمد ﷺ، لذلك أخذ المختلفون عليها يسرد على ليلاه ما يراه صحيحاً لديه .

ولذلك من أن يأتي ذكرها في مختلف المجالات الإسلامية والبحوث الدينية، كالسيرة والتاريخ والتفسير والحديث والفلسفة والأدب وحتى اللغة أيضاً، كان الاتجاه الاستشراقي لدراسة التاريخ الإسلامي ينطلق من الإيمان بأن محمد ﷺ نبي الله بل هو خاتم الأنبياء والرسول، ومتابعة ما يصدر عنه واجب التعرض والدراسة.

شهرة الغدير في دراسات المستشرقين:

بما أن مسألة الغدير تتعلق بجوهر الرسالة السماوية وتكملة الإنجازات النبوية التبليغية وتكمن في إبراز وصاياها، التي لا تنقسم ولا تفرق عن الأوامر القرآنية التي توصف أن تمام الرسالة وكمال الدين يكمن في الإمامة ومنها تنصيب وتولية الإمام علي ﷺ حاكماً وأميراً وخليفةً ووصياً لنبيه ﷺ على كافة المسلمين، وهذا يعني أن قوة تلك الحادثة وعظيم أثرها وذبوع صيتها بين المسلمين في العصر الإسلامي المبكر،



وقد اعترفت بذلك الأمريكية (ماريا دقاق (Maria Dakkak))^(١) بقولها: (إن المراجع التاريخية والأحاديث التفسيرية قد أشارت إلى حديث غدِير خم الذي كان شهيراً على نطاق واسع في العصور الإسلامية الأولى، وكان منتشرًا في كل بقعة من بلاد المسلمين؛ لذلك هناك دليل معتبر وصحيح يُثبت وجود ارتباط وثيق وفريد من نوعه بين مفهوم الولاية وشخصية علي بن أبي طالب والواقع أن الذهن الإسلامي الواعي كان يدرك هذه الحقيقة منذ الأيام الأولى للإسلام)^(٢).

وأشارت الباحثة ماريا دقاق إلى أن مصادر الشيعة ومؤلفاتهم التي يرجع تاريخها إلى العصر الأموي قد ذكرت هذا الحدث، كأشعار الكميت الأسدي المعروفة بالهاشميات، وكتاب سليم بن قيس، كما أن الغالبية العظمى من مصادر الحديث الشيعة التي دُوِّنت في أواخر القرن الثالث الهجري قد تضمّنت حديث غدِير خم^(٣).

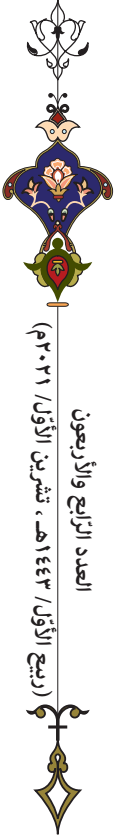
وصرّحت وبكل جرأة الإيطالية (فاغليري (Vaglieri))^(٤) تجاهل أغلب مصادر العامة المعرفية بحياة الرسول الأعظم محمد ﷺ في خطبته الوداعية والوقوف بصمتٍ عند حديث غدِير خم؛ وذلك لخشيتهم من أن يستغل متكلمو الشيعة هذا الكلام لإثبات صحة استدلالهم في أحقية الإمام علي بالخلافة، بقولها: (أغلب هذه المصادر التي تشكل معرفتها بحياة النبي تمر بصمتٍ على وقوف محمد في غدِير خم. والواضح أنهم يخشون أن يجذبوا حاقدِي السنة الذين كانوا بقوة من خلال تزويدهم بزيادة لجدل

(١) الدكتورة ماريا ماسي دقاق، باحثة واستاذة في جامعة الامريكية (جورج ميسون) بقسم الدراسات الدينية.

(٢) Dakake Maria. The Charismatic Community: Shi'ite Identity in Early Islam. Chapter II, pp.47- 48.

(٣) The Charismatic Community: Shi'ite The Charismatic Community: Shi'ite Identity (٣) .in Early Islam, Chapter II, pp.36

(٤) لورا فيشيا فاغليري، ولدت سنة ١٨٩٣م، استاذة بالمعهد الشرقي بنابولي، وأصبحت مديرة القسم حتى وفاتها سنة ١٩٨٩م، من أعمالها: الاسلام، ومطالعات عربية، والمسلمون في سردينا، وغيرها. ينظر: حمدان، طبقات المستشرقين، ص ١٦٧.



الشيعة الذين استخدموا هذه الكلمات ليدعموا فرضيتهم في حق علي في الخلافة^(١). ونتيجةً لذلك تشير فاغليري إلى أن أصحاب السيرة النبوية الغربيين الذين اعتمدت أعمالهم على هذه المصادر لم يثيروا على نحوٍ متساوٍ لما دون في غدير خم، وتؤكد بأن النبي محمدًا ﷺ تكلم في هذا المكان وتلفظ بالجملة المشهورة: من كنت مولاه فعلي مولاه، أمل بصيغة مختصرة أو مفصلة، وان نقل هذا الحديث وما جرى في يومها لم يأت عن طريق اليعقوبي الذي كانت عاطفته للقضية العلوية معروفة، بل انها كانت مقبولة ومعترفاً بها قانونياً خصوصاً في مسند ابن حنبل وغيره، فمن غير الممكن رفضها^(٢).

أما الباحثة (ساندرز Sanders)^(٣) فقد وصفت موقف التجاهل من واقعة الغدير من قبل الجمهور، بقولها: (معظم الكتاب الذين يعتمد عليهم أهل السنة تجاهلوا واقعة غدير خم وتجاهلوا ما حدث فيها، وأما الذين أقرّوا بها فقد نقلوها كحدثٍ تاريخي إلا أنّهم بطبيعة الحال لم يقبلوا بتفسير الشيعة لها)^(٤).

فهذا التأكيد من تدوين الواقعة في عدد من المصادر الإسلامية وخاصةً المبكرة^(٥) يُمكنها من الدخول في كل جانب من جوانب الفكر والمعرفة سواء أكان ذلك عند جمهور المسلمين أم في فكر ودراسات الآخرين من المستشرقين.

(١) The The Encyclopaedia of Islam. (Volume II, Leiden. E.J.BRILL, 1991). p.993

(٢) Ibid. 993-994

(٣) الدكتور بولا ساندرز، مستشقة أمريكية، من أعمالها: اختراع القاهرة القرون الوسطى.

(٤) Sanders, Paula. Claiming the past: Ghadr Khumm and the Rise of Hafizi

.Historiography in Late Fatimid Egypt.(in:Studia Islamica, No.75.1992.p.88

(٥) ينظر: مسند أحمد، أحمد ابن حنبل (ت ٢٤١هـ)، دار صادر، بيروت، د.ت: ٥ / ٤١٩، أنساب الأشراف، أحمد بن

يحيى بن جابر البلاذري (ت ٢٧٩هـ)، تحقيق: محمد حميد الله، دار المعارف، مصر ١٣٧٨هـ / ١٩٧٧م: ٤ / ٩٣،

البداية والنهاية، إسماعيل بن عمر ابن كثير (ت ٧٧٤هـ)، تحقيق: علي شيري، دار إحياء التراث العربي، بيروت،

١٤٠٨هـ / ١٩٨٨م: ٧ / ٢٧٧.

الغدیر فی المصادر الاستشرافیة :

فی نظرة شاملة علی البحوث العلمیة الاستشرافیة الی دوتها أقلام مفکرهم حول الأحداث والمعتقدات الإسلامیة بشكل عام، فإننا نجد أن مخرجاتها متأثرة بالأصول المعرفیة المتجذرة فی أفكارهم؛ لذا فإنهم عجزوا فی بعض الأحيان عن بیان كم هائل من البحوث المتعلقة بوقائع ومعتقدات بعض المسلمین، ومنهم الشیعة الذین تبنا حادثة الغدیر كمعتقد مهم؛ وذلك لأن أصحاب تلك الدراسات لم یفهموها فهماً صحیحاً.

لذا فإن عدداً لیس بالقلیل من الباحثین المستشرقین لیدی دراستهم عن الإسلام لم یطرّقوا إلى موضوع الغدیر من قریب ولا من بعيد، وهو بذلك ما یُخالف الأمانة العلمیة وأسلوب البحث العلمی الذی یقتضی ذکر هذه الحادثة المصیریة فی التاریخ الإسلامی، أو علی أقل تقدیر ذکر رأی أصحابها من الشیعة حولها، فإننا نجد مثلاً صاحب تاریخ الشعوب الإسلامیة الذائع الصیت الألماني (بروکلان Brookman)^(١) عند تعرضه لحجة الوداع تجاهل حادثة الغدیر، رغم أن موسوعته عرضت مختلف الأحداث الی جرت علی الأمة الإسلامیة^(٢). وكذا ما فعله المستشرق (مونتغمري واط Montjomery Watts)^(٣) فی كتابه (محمد فی المدینة)^(٤) عندما تكلم عن أهم أحداث النبی محمد ﷺ فی السنین الاخیره من حیاته إلا أنه أهمل ما حدث فی غدیر خم. وكذا المستشرق (إمیل درمنغم Emile Darmingham)^(٥) فإنه أسهب بذكر ما جرى فی حجة الوداع ویتعرض

(١) كارل بروكلان، مستشرق الماني، ولد سنة ١٨٦٨، وتوفي سنة ١٩٥٦م، من آثاره: تاريخ الشعوب. ينظر: عبد

الرحمن بدوي (ت ١٤٢٢هـ)، موسوعة المستشرقين، الدار العلمیة للفلسفة: ٩٨.

(٢) تاريخ الشعوب الإسلامیة، بروكلان، كارل (ت ١٣٧٥هـ)، ترجمة نبيه أمين فارس ومنير البعلبكي، الطبعة

السادسة، دار العلم للملايين، بیروت، ١٣٩٣هـ / ١٩٧٤م: ٣١-٦٧.

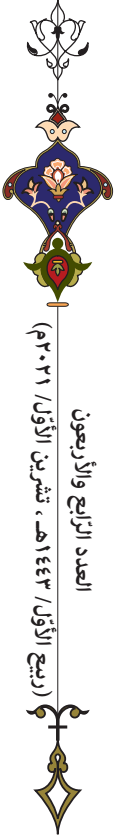
(٣) وليم مونتغمري (مونتجمري) وات، مستشرق بريطاني، ولد فی سنة ١٩٠٩م، وتوفي سنة ٢٠٠٦م. ينظر:

المستشرقون، العقیقی، نجیب (ت ١٤٠٢هـ / ١٩٨٢م)، الطبعة الرابعة، دار المعارف، القاهرة، ١٣٨٤هـ / ١٩٦٤م:

٥٥٤ / ٢

(٤) Watt, Montjomery Muhammed at Media. (London, Newyork1956).pp.189

(٥) مستشرق فرنسی، عمل مديرا المكتبة الجزائر فترة من الزمن، له محمد والسنة الإسلامیة، وغيرها.



عن ذكر ولو بإشارة إلى واقعة الغدير^(١). كما اكتفى صاحب الموسوعة القرآنية (ستيوارت Stuart)^(٢) عند مدخل عبارة (حجة الوداع) بذكر خطبة حجة الوداع من دون النظر إلى التنصيب في يوم الغدير^(٣). وأعرض (اورى روبين Uri Robin)^(٤) عن ذكرها والتطرق إلى واقعة الغدير مطلقاً في موسوعة القرآن عند مدخل كلمة (محمد).

وفي الجانب الآخر ذكر عدد من المستشرقين في مقالاتهم عن حجة الوداع وتنصيب الإمام علي عليه السلام خليفة للمسلمين، وأول من تطرق لهذا الموضوع هو المستشرق (بوهل)^(٥)، إذ يقول: (... في العاشر من الهجرة ٦٣٢م من أداء أول حج إسلامي صحيح (حجة الإسلام) التي أصبحت نموذجاً يُحتذى بها ابد الأبد...، ويقال أن حجة الوداع شملت خطبة ألقاها محمد... وهي خطبة تمثل ذروة نشاطه وكفاحه وقد تُعبّر عن مشاعره وقتها الآية الثالثة من سورة المائدة^(٦))^(٧). وأما المستشرق (هيوارت (Huart))^(٨) فإنه يقول: (وبحسب الشيعة فإن توليه علياً إماماً يعود إلى خطبة للنبي قرب غدير خم

(١) درمنغم، اميل، حياة محمد في عيون مستشرق، ترجمة: عادل زعير، (ط ١، الاردن، ١٤٣٦هـ / ٢٠١٤م)، ص ٣٦١ - ٣٧٤.

(٢) ديفين جي ستيوارت، مستشرق امريكي معاصر، حصل على الدكتوراه من جامعة ولاية بنسلفانيا سنة ١٩٩٠م، له مجموعة من المؤلفات والابحاث.

(٣) Stewart, Stewart, Encyclopedia of Qur'an. Farewell Pilgrimage. pp.78.

(٤) مستشرق اسراييلي، استاذ في قسم اللغة العربية والدراسات الاسلامية في جامعة تل ابيب، له اهتمامات بشكل خاص حول القرآن وتفسيره والتقاليد الاسلامية، من مصنفاته: حياة محمد كما يراه المسلمون، وبين الكتاب المقدس والقران، ومحمد النبي والجزيرة العربية. ينظر: موقع <http://en.wikipedia.org/wiki/Uri-Rubin>.

(٥) فرانتس بوهل، مستشرق دانيمراكي، ولد سنة ١٨٥٠م، وتوفي سنة ١٩٣٢، استاذ جامعة كوبنهاغن. ينظر: الأعلام، خير الدين الزركلي، (ت ١٤١٠هـ)، الطبعة الخامسة، دار العلم للملايين، بيروت، ١٤٠٠هـ / ١٩٨٠م: ١٣٩ / ٥.

(٦) ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيْتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾. سورة المائدة، ١٠٧.

(٧) بوهل، دائرة المعارف الإسلامية، ترجمة: زكي إبراهيم خورشيد، دار الفكر، القاهرة، ١٣٥٢م، مادة (محمد)، ٩١٥٦:٢٩م.

(٨) كليانته هيوارت، مستشرق فرنسي، ولد سنة ١٨٥٤م، وتوفي سنة ١٩٢٧م، من إثارة: تاريخ بغداد.

ينظر: الزركلي، الأعلام: ٥ / ٢٣٢.



عند عودته من حجة الوداع حيث قال للناس: «إني أوشك أن أجيب دعوة السماء وإني تارك فيكم الثقلين الكتاب وأهل بيتي»، ... ثم قال: «من كنت مولاه فهذا علي مولاه»^(١). وتجرّد من المستشرقين رجالٌ تقصّوا دراسة التاريخ الإسلامي طلباً للتعرف على شأن هذه الأمة، وإدراك الحقيقة في معرفة الوقائع ومنها واقعة غدِير خم، فقد ركّز مع واحدة من أعظم الباحثين والمفكرين الغربيين في القرن التاسع عشر (كارّا ديفو Karadevu)^(٢) على مكانة الإمام علي عليه السلام من الشجاعة والمكانة المرموقة عند النبي صلى الله عليه وآله مما جعله أهلاً للخلافة بقوله: (وحارب عليّ بطلاً مغواراً إلى جانب النبيّ، وقام بمآثر معجزات، ففي موقعة بدر كان علي، وهو في العشرين من عمره، يشطر الفارس القرشي شطرين اثنين بضربة واحدة من سيفه، وفي أحد، تسلّح بسيف النبيّ ذي الفقار، فكان يشقّ المفاخر بضربات سيفه ويحرق الدروع. وفي الهجوم على حصون اليهود في خيبر، قلقل علي بيده باباً ضخماً من حديد. ثم رفعه فوق رأسه متخذاً منه ترساً مجنأً)^(٣). أما النبيّ، فكان يُحبّه ويثق به ثقة عظيمة، وقد قال ذات يوم، وهو يشير إلى علي: «من كنت مولاه فعلي مولاه»^(٤).

أما الباحث المعاصر الفرنسي (يان ريشار JanRichar)^(٥) فإنه استعرض بيعة الغدير وقضية ولاية الإمام علي عليه السلام على كافة المسلمين، وكيف أن الرسول محمداً صلى الله عليه وآله أمسك بيد علي عليه السلام اليمنى، ثم أخذ بطرح السؤال الأول والمهم على أفراد الأمة من حوله من أنه - أي محمد - وليّ أمرهم أم لا؟

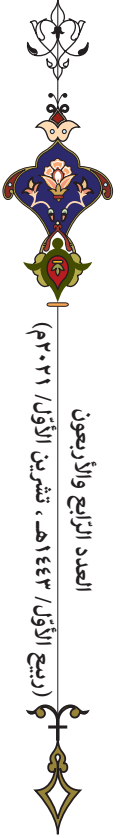
(١) Huart, Alib. Abtip, The Encyclopedia of Islam, Vol.1, p; 283.

(٢) مدام كاراديفوا، مستشرقه فرنسية في القرن التاسع عشر، لها عدة مصنفات منها: مفكرو الإسلام. ينظر: جماعة، الموسوعة العربية الميسرة، الدار القومية، مصر، ١٩٦٥م: ١٤١٩.

(٣) أي الدرع.

(٤) ديفوا، مفكرو الإسلام، ترجمة: عادل زعيتر، بيروت: ١/٥ - ٢.

(٥) مستشرق فرنسي، أستاذ الدراسات الإيرانية في جامعة السوربون، صدر له: المثقف والمناضل في الإسلام.



فكان الجواب الإجماع بولايته عليهم مضموناً. وبعد أن أخذ النبي ﷺ المواثيق منهم بالولاية علّق على ذلك أمام الملاء بقوله: من كنت مولاه، فعليّ مولاه، اللهم وآل من والاه، وعاد من عاداه^(١).

ثم استهل (ريشار) كلامه عن بيعة الغدير وأحقية الإمام علي عليه السلام بالخلافة دون غيره من الصحابة، وأكد أنّ عدداً من أهل السنة يقرّون ويعترفون بذلك الحق، مما جعلها ولاية شرعية لا غبار عليها على المسلمين، قائلاً: (وأول قضية تراثية يتسلّح بها الشيعة، من غير أن ترفضها السنة رفضاً كلياً، هي تلك التي تجعل ولاية الخلافة لعلي، ابن عمّ النبي وصهره، ولاية شرعية على جماعة المسلمين)^(٢).

وقد كان الألماني (هاينس هالم Heinz Halm)^(٣) مُنصفاً حين نقل خبر البيعة، من خلال نقل وجهة النظر الشيعية، وان المعنى العربي والألماني لكلمات البيعة - مولى - تعني بنظره الطاعة والقبول^(٤).

(١) الإسلام الشيعي، ريشار، ترجمة: حافظ الجمالي، دار عطية، بيروت، ١٩٩٦م: ٣٤.

(٢) المصدر نفسه.

(٣) ولد سنة ١٩٤٢م، بدأ في عام ١٩٦٢م دراسة كل من العلوم الإسلامية والسامية والعصور الوسطى في جامعة توبنغن، له: الإسلام الشيعي من الدين إلى الثورة، والفاطميون وتقاليدهم في التعليم، وغيرهما. ينظر: هالم، هاينس، الغنوصية في الإسلام، ترجمة: رائد الباش، (ط١)، منشورات الجيل، ١٤٢٣/٥١٤٢٣ / ٢٠٠٣م)، المقدمة.

(٤) هالم، هاينس، الشيعة، ترجمة: محمود كيبو، الطبعة الأولى، بيت الورّاق، بغداد، ١٤٣٢هـ / ٢٠١١م: ٢١.

البصیحة الثاني: هدیة الغدیر القرآنیة والروائیة

فی النظرمة الاستشرافیة

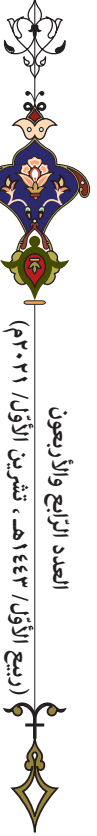
انطلق بعض علماء المستشرقین من زاویة (الإمامة) و(الولایة) فی دراستهم الأولى للدخول إلى منصبة الخلافة وتعیین النبی ﷺ الإمام علی ﷺ خلیفة علی المسلمین، وإن البناء الإلهی الذی وضعه لمحتوی الإمامة كان له دورٌ مهمٌ فی توطیده والتركیز علیه عن طریق كتابه المقدس القرآن الکریم، وقد وصفَ الإیمان بالرسالة السهاویة للنبی محمد ﷺ من الرکائر المهمة لهذا البناء.

ومن هذا المنطلق بدأ أحد أعظم الباحثین والمفکرین المستشرقین فی القرن العشرين والحاصل علی لقب (العلامة) وهو (میرسیا إلیاد Mircea Eliad)^(١)، یُحطط وبشکل تفصیلی فیما یتعلق بإمامة الإمام أمير المؤمنین علی بن أبی طالب ﷺ، وبرزت رؤیته الأولى بإیمان أول شخصین، ذکر وأنثی، آمنّا بالرسالة الإسلامیة هما خدیجة زوجة الرسول ﷺ، والإمام علی ﷺ ابن عمّه^(٢).

وهذا الاتجاه الذی خاصّ فیهِ المؤرخ (إلیاد) لم یکن غریباً عمّا تسالم علیه الباحثون

(١) ولد فی رومانیة سنة ١٩٠٧م، كاتب ومؤرخ أديان وفيلسوف وروائي، توفي سنة ١٩٨٦م، له عدة مصنفات منها: دراسة فی تاریخ الأديان، وأسطورة العود الأبدی، وغيرها. ينظر: موقع Mircea Eliad <https://en.wikipedia.org/>.

(٢) إلیاد، میرسیا (ت١٣٣٦هـ)، تاریخ المعتقدات والأفكار الدینیة، ترجمة: عبد الهادي عباس، دار دمشق، دمشق،



في التاريخ الإسلامي من أنهم أي خديجة وعلي، أول من آمنوا برسالة النبي ﷺ، لكن إصراره وإيمانه بأن علياً هو الرجل الأول كان رادعاً على تأكيد وتصريح بعض مفكري المسلمين عن مسألة أول الناس إيماناً هو علي ﷺ، لكنه كان صبيهاً، لذلك لم يعتبروه من الرجال الأوائل الذين آمنوا برسالة محمد ﷺ ووصفوا غيره بذلك^(١)، وهم بتلك الصفة الصبانية يريدون أن يخضعوا إيمان علي ﷺ إلى الإيمان العاطفي الذي شارك به ابن عمه، لا الإيمان العقلاني بالدعوة المحمدية.

وقد ربط (إلياد) كغيره من المفكرين المستشرقين بشأن خلافة الإمام علي ﷺ بحادثتي إيمانه وبيعته الأولى المعروفة ب(بيعة الدار) والتي أشار إليها القرآن الكريم بقوله تعالى: ﴿وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ﴾^(٢)، وقد أنتجت عن تعيين أمير المؤمنين ﷺ خليفة له على المسلمين في المستقبل، وانه الشخص الجدير بحمل أعباء مسؤولية الرسالة المحمدية. وهذا بالفعل ما أراده الباحث من دمج فكرة الإمامة بفكرة الإيمان وتوصل من خلالها إلى نتيجة مهمة جداً وحساسة تتعلق بقضية استخلاف النبي ﷺ لابن عمه وزوج ابنته علياً ﷺ وقد اختاره فعلاً لهذه المهمة، قائلاً: (أن يكون محمداً قد اختار علياً كخليفة)^(٣).

التفسيرات الاستشراقية لحديث الغدير:

تأثر المستشرقون بتفسيرات أهل العامة لحديث غدير خم الذين أنكروا دلالة علي تنصيب الإمام علي ﷺ خليفة على المسلمين، إلا أن بعضاً منهم كان جريئاً في إبراز الحق

(١) أشار إلى ذلك الرازي في قوله تعالى: ﴿وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ﴾ الواقعة، ١٠، وإن أبا بكر هو أول الناس إيماناً من الرجال. ينظر: الرازي، أبو حاتم (ت ٣٢٧هـ)، تفسير الرازي، تحقيق: أسعد محمد الطيب، صيدا - المكتبة العصرية: ١٦ / ١٧٠.

(٢) الشعراء، ٢١٤.

(٣) تاريخ المعتقدات والأفكار الدينية: ٣ / ٩٠، و١٣٤.

علیاً عليه السلام كما فعلت الفرنسية مدام (ديولافوا Dulafwa)^(١)، بعد أن استعرضت عقيدة الشيعة في أحقيّة الإمام علي عليه السلام لخلافة المسلمين، وان نبي الإسلام قد اختاره لخلافته فُقبل انتقاله إلى الملاء الأعلى، إلاّ أنّ المسلمين لم يحترموا ولم يُنفذوا وصية النبي صلى الله عليه وآله بعد انتقاله إلى جوار ربه واغتصبوا بذلك حقّ علي. ومن هنا وقع الخلاف وتضخّم الحقد بين أبناء المسلمين. عندها أخذت (مدام ديولافوا) تسأل قائلة: (يا ترى مع مَنْ الحق؟ أمع الطائفة الأولى أم الثانية وعقيدة أي منهما هي الصادقة؟ ينبغي لنا أن نتجرّد من العاطفة ونحكّم عقولنا في هذا الأمر)^(٢).

عندها أجابت بكل صراحة وجرأة في رد هذه الشبهة مُستعينةً بما ذكره القرآن الكريم في العناية والخصوصية التي خصّ بها آل محمد صلى الله عليه وآله وان شخص الإمام علي عليه السلام أولى بالفضيلة من أي شخصية غريبة أخرى، قائلة: (والواقع إننا لا نحتاج إلى الاستعانة بأصول الفلسفة أو علوم ما وراء الطبيعة للإجابة عمّا تقدم، بل سرعان ما يظهر أن الحق كان مع علي وأولاده وأول دليل على هذا هو ما ذكره القرآن الكريم)^(٣)، من العناية بأفراد عائلة النبي... على هذا الأساس كيف يمكن أن يُرجح النبي شخصاً غير علي الذي كان من المقربين إليه وابن عمه وصهره.. كيف يمكن أن يُفضّل عليه شخصاً غريباً)^(٤)؟.

كما أنّ هذا الإعلان عند بعض الباحثين الغربيين هو نقل للسلطة لوشي سهاوي إلى علي عليه السلام والأئمة عليهم السلام المقدسين الآخرين^(٥)، وان حديث الغدير كما يعترف (فولتر

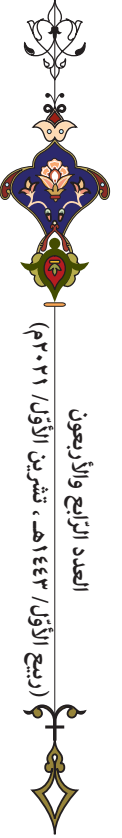
(١) جان ديولافوا، ولدت في فرنسا سنة ١٨٥١هـ، زحاله وأديبة ومؤرخة، توفيت سنة ١٩١٦م. ينظر: معجم أسماء المستشرقين، مراد: ٣٧٦.

(٢) ديولافوا، رحلة مدام جان ديولافوا، ترجمة: د. مصطفى جواد، دار منشورات البصري - بغداد - ١٩٥٨م: ١٢٩.

(٣) إشارة إلى قوله تعالى: ﴿وَأَعْلَمُوا أَنَّمَا غَنِمْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَإِنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسْكِينِ وَأَنَّ السَّبِيلَ إِنْ كُنْتُمْ ءَامِنْتُمْ بِاللَّهِ وَمَا أُنزَلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا يَوْمَ الْفُرْقَانِ يَوْمَ التَّقَىٰ أَجْمَعِينَ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾، سورة الأنفال، الآية: ٤١.

(٤) رحلة مدام ديولافوا، ص ١٣٠.

(٥) المصدر نفسه.



(Fwoltz)^(١) قد حسم قضية التنصيب في حياة النبي الكريم ﷺ، إذ يتفق المسلمون عموماً حسب قوله على أنه أمسك بيد علي بن أبي طالب، ابن عمه وصهره، في مكان يدعى غدِير خم، وقال: من كنت مولاه فعلي مولاه^(٢).

ويُقدّم لنا الألماني (رايسكه Reiske)^(٣) تفسيراً واضحاً من خلال نظرة واسعة عن تاريخ الإسلام، إذ يرى أن علي بن أبي طالب ﷺ هو الأحق بالخلافة بعد النبي مباشرة، وإنه حُرّم من حقه في الوراثة بالخلافة طوال ما يقرب من ٢٤ سنة بسبب المؤامرات التي أُحيكت ضده، ويرى أن علياً ﷺ هو أحسن أمير عرفه العالم الإسلامي وإنه كان شجاعاً وعادلاً^(٤).

بين المنظومة القرآنية والروائية... رؤية استشراقية:

انتبه المستشرقون إلى تشخيص الظاهرة القرآنية لحادثة حجة الوداع المنطلق منها تنصيب خلافة الإمام علي ﷺ؛ وذلك من خلال التقرب من تفاسير المسلمين، والتأسيس للجمع بينها وبين النص الحديثي للواقعة، فبدأوا في تدوين معارفهم، واتّضح رؤيتهم للنصوص من خلال الرجوع إلى تفاسير المسلمين.

ومن التوجهات المهمّة في تلك الدراسات الاستشراقية ما قدّمته من إفاضة الباحثة الأمريكية ماري دقاق من كتابها: (مجتمع الكاريزماتية، هوية التشيع في باكورة الإسلام) والذي دوّنته تحت عنوان (حديث غدِير خم، ولاية علي بن أبي طالب وأفضليته المعنوية)؛ إذ اتّجهت دقاق صوبَ مُصطلح (الولي والولاية)؛ فأشار إلى أنّه

(١) مستشرق كندي، ولد سنة ١٩٦١م، متخصص في تاريخ الأديان، استاذ بجامعة كونكورديا وبراون.

(٢) فولتز، ريتشارد، الروحانية في أرض النبلاء، ترجمة: بسام شيخا، الطبعة الأولى، بيروت، ١٤٢٨هـ/٢٠٠٧م: ١٥٠.

(٣) ولد يوهان ياكوب رايسكه سنة ١٧١٦م، توفي سنة ١٧٧٤م، تاركاً خلفه كنزاً معرفياً من الدراسات العربية الإسلامية منها: تاريخ أبي الفداء ترجمه إلى اللاتينية، ونزهة الناظرين، ومقامات الحريري، وغيرهما. ينظر: موسوعة المستشرقين، بدوي: ٢٩٨-٣٠٣.

(٤) مجموعة من الباحثين الأكاديميين، موسوعة الاستشراق، بحث: م. د. أسراء مهدي رايسكه وآثاره الاستشراقية،

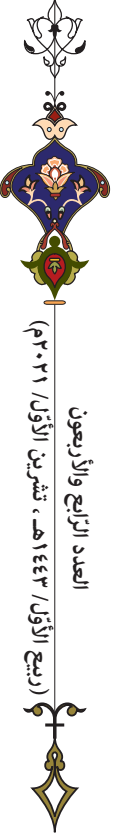
مزبان، الطبعة الأولى، دار الروافد، بيروت، ٢٠١٥م: ٣٤٦.

من المصطلحات القرآنیة التي لها اشتراك بعلاقة أساسیة بشخصیة الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام؛ فهو یمثل النموذج الأولی المثالی لجميع الأولیاء الآخرين، بقولها: (ویبدو أنّ العلاقة الفریدة بین علي ومفهوم الولایة قد نشأت في وقتٍ مبكر جداً)^(١).

ثم ربطت هذا المفهوم القرآنی بحديث غدیر خم، قائلةً: (إنّ الاستخدام الخاص لمصطلح (ولي) للإشارة إلى موقع علي فيما يتعلق بالنبي والمجتمع المؤمن، وكذلك إلى حالة ولاء الشخص لعلي ونسله، یمكن أن یقال انه مشتق من العبارة الشهیرة المنسوبة إلى الرسول في غدیر خم، إذ ورد انه وصف علي بأنه (مولى) أو (ولي) للمؤمنين)^(٢).

وتشير دقاق إلى مساعي النبي صلى الله عليه وآله من خلال قوله تعالى في سورة الأحزاب: ﴿التَّيِّبِ أَوْلَىٰ بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ وَأَزْوَاجُهُ أُمَّهَاتُهُمْ وَأُولُو الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُهَاجِرِينَ إِلَّا أَنْ تَفْعَلُوا إِلَىٰ أَوْلِيَائِكُمْ مَعْرُوفًا كَانَ ذَلِكَ فِي الْكِتَابِ مَسْطُورًا﴾^(٣)، إعلانه أنّه لمن أنا سيدهم «المولى»، علي هو سيدهم «المولى»، مقترحاً على ما يبدو أن يظهر وانفس الولاء والمودة تجاهه وإعطاءه التمييز الروحي من باقي الصحابة^(٤).

بعدها قامت المستشرقة دقاق بسرد أحداث حجة الوداع من السنة العاشرة للهجرة، واعتبرت تصريح النبي صلى الله عليه وآله للآية السابقة من سورة الأحزاب أنها من الاستحضارات البلاغیة التي وردت في القرآن الكريم، بقولها: (یعلن النبي هذا التصريح بعد أن سأل الحشد: «ألستُ أولىٰ بالمؤمنين من أنفسهم؟ أليست زوجاتي أمهاتهم؟» هذا السؤال عبارة عن استحضار بلاغي للقرآن، وأصحاب القرابة أقرب إلى بعضهم البعض في حكم الله)^(٥).



The Charismatic Community: Shi'ite Identity in Early Islam.p.33. (١)
 pp.33. (٢)
 (٣) سورة الأحزاب، الآية: ٦.
 The Charismatic Community: Shi'ite Identity in Early Islam.p.35. (٤)
 p.p.36. (٥)

أما المستشرقة (ارزينا لالاني Erzina Lalani)^(١)، فبعد أن نقلت آراء الطبري في تفسيره (جامع البيان)، والبيضاوي في تفسيره (أنوار التنزيل وأسرار التأويل)، وقامت بتوضيح آراء مفسري أهل السنة والجماعة الذين زعموا بأن قوله تعالى: ﴿يَأْتِيهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ﴾^(٢)، لا يرتبط بما جرى في غدِير خم، تحدّثت - أرزينا - عمّا طرحه الطبري، قائلة: (الطبري لا يكتفي بتجاهل الأخبار التي تؤيد آراء الشيعة فحسب، بل إنّه يتقصّد ذكر أحاديث مُعيّنة لنقض آرائهم)^(٣).

وفي تفسير قوله تعالى: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتِمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾^(٤)، قالت الباحثة ارزينا لالاني: (رأى الإمام محمد الباقر في تفسير قوله تعالى: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ...﴾ واضحاً تماماً في مختلف مصادر الشيعة، إذ يقول إن هذه الآية نزلت بشأن غدِير خم عندما نصّب النبي عليّاً إماماً)^(٥)، ثم نوّهت بعد ذلك على أن أهل السنة يُعارضون الشيعة ولا يعتقدون بكون الآية نزلت في تلك المناسبة، ومن ثم انتقدت موقف الطبري الذي يتعمّد المساس بمصاديق الشيعة في نقلهم للحديث، بقولها: (من الواضح غاية الوضوح انه قد تكلف كثير لإنكار آراء الشيعة)^(٦).

(١) الدكتورة ارزينا آر. لالاني، عضوة وباحثة في معهد الدراسات الاسماعيلية، ومتخصصة في الشؤون العربية وحائزة على شهادة الدكتوراه في العلوم الاسلامية من جامعة إدنبرغ، شاركت في محاضرات حول أدب الحديث في كلية الدراسات الشرقية في جامعة كامبريدج، وعملت مستشارة باللغة العربية في جامعة دومونفور، كما حضرت لسنوات عديدة في معهد الدراسات الاسماعيلية.

(٢) سورة المائدة، الآية: ٦٧.

(٣) لالاني، الرزينة، ترجمة: سيف الدين القصير، الأولى، دار الساقى، بيروت ٢٠٠٤م: ٩٥.

(٤) سورة المائدة، الآية: ٣.

(٥) الفكر الشيعي المبكر، تعاليم الإمام محمد الباقر عليه السلام: ٨٦.

(٦) المصدر نفسه: ٨٧.

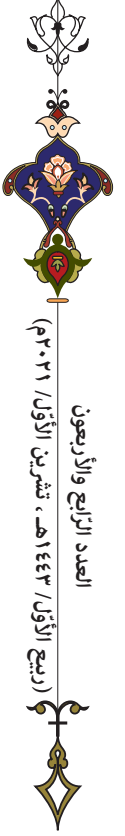
الخاتمة

وأخيراً وبعد أن وصلنا في رحلتنا وجولتنا المتشعبة في بحار المؤرخين من المستشرقين، لما رسمت أناملهم الجميلة في لوحاتهم الصور الرائعة لـ (غدِير خم)؛ فهي دراسةٌ جديدةٌ تختلف عمّا صدر عن الإمام علي عليه السلام وما يتعلّق به من محاورٍ عامة ترتبطُ به ارتباطاً وثيقاً في خزّانة المكتبة الإسلامية القرآنية على الخصوص والحديثية على العموم؛ إذ حاولتُ فيها أن أقدم للقارئ الكريم بعض معالم تلك الرسوم التي ظهرت من خلال سرد آراء مواقف المستشرقين الصريحة، والوقوف على طائفة من الأبعاد الإنسانية والمخزون الاستقرائي لتراثهم البعيد عن الأنظار، بعد أن عكفتُ على مراجعة جملة من المراجع والمصادر الأجنبية التي عرضتُ بعضها للترجمة على ذوي الاختصاص، لذا غابتنا كانت في هذه الدراسة أن نوصل للقارئ الكريم بعض معالم تلك الرسوم والتي برزت من خلال آرائهم ومواقفهم الصريحة، ومما تقدّم من معلومات وإرادة في هذه الدراسة وما توصل إليه البحث من استنتاجات يمكن إدراجها في النقاط الآتية:

أولاً: إنّ حادثة الغدير من الحوادث المهمة في تاريخ الإسلام والتي ذكرها عدد غير قليل من المؤرخين، ولم ينكروها وإنّما نكروا التفسير الحقيقي لتنصيب الإمام علي عليه السلام خليفة على المسلمين .

ثانياً: عكفت بحوث المنظومة الاستشراقية على دراسة وتحليل عدد من الحوادث المهمة في صدر الإسلام، والتي أثّرت في تاريخ المسلمين، ومنها واقعة الغدير، إذ الغاية عند البعض استقصاء الحقائق بموضوعية علمية .

ثالثاً: اتّسمت أغلب الدراسات الاستشراقية من الآثار المجاميعية التي تناولت واقعة وحديث غدِير خم إلى ثلاث مجاميع، وهي:
الآثار المُضلّلة وغير العلمية حول الغدير.



الآثار التي اتخذت الحيادية حول هذه الحادثة.

الآثار المعتدلة في حق الإمام علي عليه السلام في التنصيب يوم الغدير.

رابعاً: يكاد يتفق المستشرقون، إنَّ الأحداث التي وقعت بعد رحيل النبي محمد صلى الله عليه وآله

في مسألة الخلافة، قد ولدت شرخاً كبيراً في السياسة الإسلامية.

خامساً: وكانت الإمامة والخلافة التي هي صفحة الدخول إلى حادثة الغدير واحدة

من تلكم الدراسات التي اهتمت بها هذه المنظومة لما لها من تحولات خطيرة على المشهد

الإسلامي وجوهرها وعمقها في امتداد الرسالة النبوية، وقد تبنت بعض تلك الدراسات

الموقف الذي يؤيد استخلاف الإمام علي عليه السلام والأئمة من بعده في حكم المسلمين.

سادساً: كان أغلب المستشرقين المتحاملين على قضية الخلافة أحاديي النظرة؛

لاعتيادهم على منهل واحد في إيرادهم للأحداث التاريخية المتعلقة بطرف معين، دون

الأخذ بما ورد من أخبار في كتابات الطرف المعني بهذه الحادثة.

سابعاً: أولى أغلب المستشرقين اهتماماً ضئيلاً للأحاديث الشيعية، وقد اقتصروا في

نقاشاتهم للحديث عن المصادر السنية، إلا أنَّ الباحثين المعاصرين منهم كانوا أفضل في

التعريف والاطلاع بالشريعة بالأحاديث الشيعية.

ثامناً: عمِلَ المستشرقون الوقوف بين يدي الظاهرة القرآنية لحادثة حجة الوداع

والتي أسست لخلافة الإمام علي عليه السلام على المسلمين؛ بالرجوع إلى تفاسير المسلمين.

تاسعاً: حاول المستشرقون الربط بين المفهوم القرآني لبعض المصطلحات والنص

الحديثي؛ للوصول إلى ولادة الخلافة الإسلامية يوم الغدير.



المصادر والمراجع

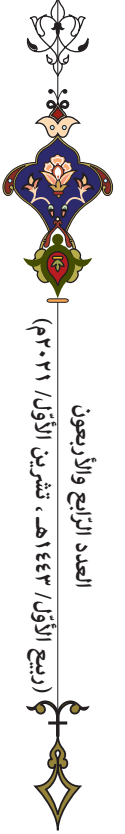
١. القرآن الكريم

أولاً: المصادر العربية:

٢. البلاذري، أحمد بن يحيى بن جابر (ت ٢٧٩هـ / ٨٩٢ م).
٣. أنساب الاشراف، تحقيق: محمد حميد الله، (دار المعارف، مصر ١٣٧٨هـ / ١٩٧٧ م).
٤. الترمذي، محمد بن عيسى (٢٧٩هـ / ٨٩٢ م).
٥. سنن الترمذي، تحقيق: عبد الرحمن محمد عثمان، (ط ٢، دار الفكر، بيروت، ١٤٠٣هـ / ١٩٨٣ م).
٦. ابن حنبل، أحمد بن حنبل (ت ٢٤١هـ / ٨٥٥ م).
٧. مسند أحمد، (دار صادر - بيروت، د. ت).
٨. الدارمي، عبد الله بن الرحمن (ت ٢٥٥هـ).
٩. سنن الدارمي، (الاعتدال، دمشق ١٣٤٩هـ / ١٩٣٠ م).
١٠. الرازي، عبد الرحمن ابن أبي حاتم (ت ٣٢٧هـ / ٩٣٨ م).
١١. تفسير الرازي، تحقيق: أسعد محمد الطيب، (ط صيدا - المكتبة العصرية).
١٢. ابن كثير، اسماعيل بن عمر (ت ٧٧٤هـ / ١٣٧٢ م).
١٣. البداية والنهاية، تحقيق: علي شيري، (دار احياء التراث العربي، بيروت، ١٤٠٨هـ / ١٩٨٨ م).

ثانياً: المراجع العربية :

١٤. بدوي، عبد الرحمن (ت ١٤٢٢هـ / ٢٠٠١ م).
١٥. موسوعة المستشرقين، (ط الدار العلمية للفلسفة)
١٦. جماعة.

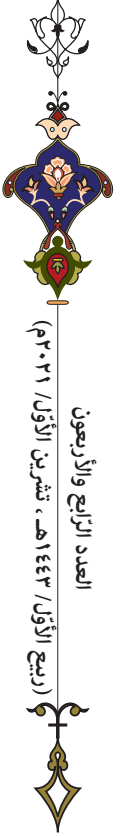


١٧. الموسوعة العربية الميسرة، (ط الدار القومية - مصر - ١٩٦٥ م)
 ١٨. حمدان، عبد الحميد صالح.
 ١٩. طبقات المستشرقين، (د. مط، منشورات مكتبة مدبولي، مصر، د.ت)
 ٢٠. الزركلي، خير الدين (ت ١٤١٠هـ / ١٩٩٠ م).
 ٢١. الاعلام، (ط ٥ دار العلم للملايين، بيروت، ١٤٠٠هـ / ١٩٨٠ م)
 ٢٢. العقيقي، نجيب (ت ١٤٠٢هـ / ١٩٨٢ م).
 ٢٣. المستشرقون، (ط ٤، دار المعارف، القاهرة، ١٣٨٤هـ / ١٩٦٤ م).
 ٢٤. مجموعة من الباحثين الاكاديمين.
 ٢٥. موسوعة الاستشراق، بحث: م. د اسراء مهدي مزبان، رايسكة واثاره الاستشراقية، (ط ١، دار الروافد، بيروت، ٢٠١٥ م)
 ٢٦. مراد، يحيى.
 ٢٧. معجم أسماء المستشرقين، (ط ١، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٢٤هـ / ٢٠٠٤ م)،

ثالثاً: الكتب المترجمة :

٢٨. إياد، ميرسيا (ت ١٣٣٦هـ / ١٩١٧ م).
 ٢٩. تاريخ المعتقدات والأفكار الدينية، ترجمة: عبد الهادي عباس، (ط دار دمشق - دمشق - ١٩٨٧ م)،
 ٣٠. بروكلمان، كارل (ت ١٣٧٥هـ / ١٩٥٥ م).
 ٣١. تاريخ الشعوب الاسلامية، ترجمة نبيه أمين فارس ومنير البعلبكي، (ط ٦، دار العلم للملايين، بيروت، ١٣٩٣هـ / ١٩٧٤ م)
 ٣٢. جماعة من الباحثين المستشرقين .
 ٣٣. دائرة المعارف الاسلامية، ترجمة: زكي ابراهيم خورشيد، (ط دار الفكر، القاهرة، ١٣٥٢ م)
 ٣٤. درمنغم، اميل.
 ٣٥. حياة محمد في عيون مستشرق، ترجمة: عادل زعيتر، (ط ١، الاردن، ١٤٣٦هـ / ٢٠١٤ م)
 ٣٦. ديولافوا.

٣٧. رحلة مدام جان ديولافوا، ترجمة: د. مصطفى جواد، (ط دار منشورات البصري - بغداد - ١٩٥٨م)
٣٨. رونلدسن، دوايت (ت١٣٩٥هـ / ١٩٧٥م).
٣٩. عقيدة الشيعة، ترجمة: ع. م، (ط ١، مؤسسة المفيد، بيروت، ١٤١٠هـ / ١٩٩٠م)
٤٠. ريشار، يان .
٤١. الاسلام الشيعي، ترجمة: حافظ الجمالي، (ط دار عطية - بيروت - ١٩٩٦م)
٤٢. سيديو، لويس (ت١٢٩٢هـ / ١٨٧٥م).
٤٣. تاريخ العرب العام، ترجمة: عادل زعيتر، (ط ١، دار طيبة للطباعة والنشر، مصر، ١٤٣٤هـ / ٢٠١٣م)
٤٤. فولتز، ريتشارد.
٤٥. الروحانية في ارض النبلاء، ترجمة: بسام شيخا، (ط ١، بيروت، ١٤٢٨هـ / ٢٠٠٧م).
٤٦. كاراديفوا.
٤٧. مفكرو الإسلام، ترجمة: عادل زعيتر، (ط بيروت)
٤٨. كونسلمان، جرارد.
٤٩. سطوع نجم الشيعة، ترجمة: محمد أبو رحمة، (ط ١ - مدبولي - القاهرة ١٩٩٢م).
٥٠. لالاني، الرزينة ر. لالاني.
٥١. الفكر الشيعي المبكر - تعاليم الامام محمد الباقر، ترجمة: سيف الدين القصير، (ط الاولى - دار الساقى - بيروت ٢٠٠٤م).
٥٢. هالم، هاينس .
٥٣. الشيعة، ترجمة: محمود كيبو، (ط ١، بيت الوراق، بغداد، ١٤٣٢هـ / ٢٠١١م)،
٥٤. الغنوصية في الاسلام، ترجمة: رائد الباش، (ط ١، منشورات الجليل، ١٤٢٣هـ / ٢٠٠٣م).



رابعاً: الكتب الأجنبية :

CAMPO، E.CUAN .٥٥

Encyclopedla of Islam.(An imprint of Infobase Publishing، New York،

2009.

Dakake Maria. . ٥٦

The Charismatic Community: Shi'ite Identity in Early Islam

dward. Browne. . ٥٧

Enchycloedia of religion and Ethics.

James A. Bill and John Williams;Roman . . ٥٨

Catholics and Shii Muslims. (London- Chapel Hill).2002. .

Strutman, Rudolf. . ٥٩

The Sha Reljion. (London, 1933).

Sanders, Paula. . ٦٠

Claiming the past: Ghadr Khumm and the Rise of Hafizi Historiography in

Late Fatimid Egypt.(in:Studia Islamica, No.75.1992.

Stewart. . ٦١

Encyclopedia of Qur'an. Farewell Pilgrimage.

Watt, Montjomery. . ٦٢

Muhammed at Media. (London, Newyork1956).

Hodjson, Marshall. . ٦٣

The Venture of Islam, Voiume I (chicago 1970).

خامساً: مواقع الانترنت:

<https://en.wikipedia.org/> Mircea Eliad. . ٦٤

<https://ar.wikipedia.org/wiki/> . ٦٥

<http://en.wikipedia.org/wiki/Uri-Rubin> . ٦٦



الدراسات التَّرجمة

الإِمَامَةُ عِنْدَ الشَّيْعَةِ الاثْنِي عَشْرِيَّةِ

دِرَاسَةٌ قُرْآنِيَّةٌ عَقْلِيَّةٌ رِوَائِيَّةٌ

الأستاذ الدكتور محمد حسين بيات

عضو الهيئة العلمية في جامعة العلامة الطباطبائي / طهران، إيران

ترجمة: الأستاذ حسين علي السعداوي

The Imamate of the Twelver Shi'ites: A Narrative Quranic Mentality Study

Prof. Dr. Muhammad Hussain Bayat

Member of the Scientific Committee at Allameh Tabatabai University / Tehran, Iran

Translated by: Hussein Ali Al-Saadawi

hosssin267@gmail.com

ملخص البحث

كانت وما زالت مسألة الإمامة هي المطمح لأنظار المتعلمين وأذكارهم وكذا المفسرين ومن مده ليست بالقليلة.

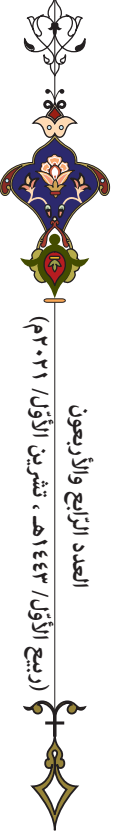
فانقسم علماء الإسلام على فرقتين كبيرتين الشيعة والسنة، فقد اتفقت كلمة جميع فرق التشيع على تعيين الإمامة بالنص، لكن فرق أهل السنة أجمعت على القول بالبيعة وإجماع أهل الحل والعقد في هذا الأمر.

ولم تكن فرق الشيعة في أمر تعيين الإمام على سواء، فقال بعضهم بتعيينه بالنص الخفي وقال آخرون بعدم عصمة الإمام وما بينها كان الشيعة الاثني عشرية على الاعتقاد بأن وجود الإمام يثبت من خلال قاعدة اللطف العقلية؛ لأن الإمامة من ملحقات النبوة.

وفي عرض إثبات الإمامة بهذه القاعدة العقلية أيضًا يثبتون العصمة والنص على الإمام من الله والرسول ﷺ اعتمادًا على العقل والنقل وقد ذكر المؤلف في هذا البحث أبرز البراهين العقلية للشيعة الإمامية، ثم استطاع إثبات العصمة والنص عليهم بالاعتماد على الآيات والروايات.

الكلمات المفتاحية:

الإمامة - الشيعة الإثني عشرية - دراسة عقلية - دراسة قرآنية - دراسة روائية - الخلافة - أصول الكافي - كتب الحديث.



Abstract

The issue of the Imamate was and still is the aspiration for the attention and remembrance of the educated and Islamic commentators since ages.

Then, the scholars of Islam were divided into two major groups the Shiites and Sunnis.

all the Shiites groups agreed on defining the Imamate by text, but the Sunni groups agreed on the statement of allegiance and the consensus of the people of mind and authority in this matter.

The Shiite groups were not the same on the matter of announcing the Imam approach; some of them believed in announcement through hidden/secret text, and some said that the imam is not infallible, and among them was the Twelver Shiites whom believe that the presence of the Imam is proven through the rational rule Allutf (اللطف), because the Imamate is an extension of prophethood.

Also, in presenting the proof of the Imamate with this rational rule, they also prove the infallibility and the text on the Imam from Allah and the Messengers, depending on reason and transmission.

Keywords: Imamate - Twelver Shiites - Intellectual Study - Quranic Study - Narrative Study - Caliphate - Usul Al Kafi - Hadith Books

المقدمة

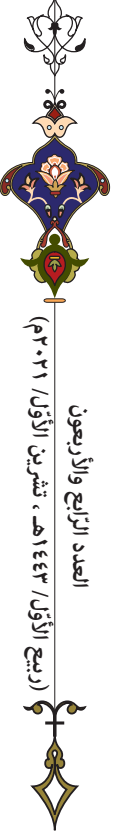
هناك نقطتان مهمتان في باب الإمامة في هذا البحث وهي إيراد البراهين العقلية الجديدة من زاوية أخرى والاعتماد على كتاب الحجّة في أصول الكافي وهو ما غفل عنه كثير من الكتاب.

مسألة الإمامة بعد التوحيد والنبوة من أهم المسائل في دين الإسلام فانقسمت الأمة الإسلامية في هذا الأمر بشكل كلي على فرقتين كبيرتين الشيعة وأهل السنة وكل من هذه الفرق تتضمن عدداً من الاختلافات ما بينها لكن الاختلاف الجوهرى بين هاتين الفرقتين الكبيرتين هو أن اعتقاد جميع الشيعة قائل بوجود تنصيب الإمام بمعنى أن شخص الإمام يجب أن يكون منصوباً من جانب الله والرسول ﷺ لأن العصمة شرط في الإمامة وفي شخص المعصوم ولا يعلم ذلك إلا الله ورسوله ﷺ.

يقول الشيخ الطوسي من أهم المسائل الدينية بعد التوحيد هي الإمامة لأنه بغير معرفة وفهم الإمام يكون التوحيد ناقصاً وتكون كل أوامر النبي ﷺ في معرض الخطر والاضمحلال). كذلك ذكر الفياض اللاهيجي في هذا الباب أيضاً: (إنّ جمهور الإمامية عدّوا الإمامة من أصل الدين لأنهم أنّ يعتقدون بقاء الدين والشريعة مرتبط بوجود الإمام وبقائه، كما أن ابتداء الشريعة مرتبط بوجود النبي ﷺ، فهناك ملازمة بين حاجة الدين إلى إمام وحاجة الدين إلى نبي)^(١).

وعليه فإن الإمامة جزء من أصول الدين والمباحث المرتبطة به مساوية لمباحث

(١) گوهر مراد، عبدالرزاق فياض لاهيجي، الانتشارات الاسلامية، طهران: ٣٣٣.



التوحيد والنبوة ويجب إدراجها كذلك في المباحث الكلامية.

وإن كانت تبحث في علم الفقه من ناحية تعيين حدود الولاية التشريعية إلا أن الإمامة في نظر جميع فرق أهل السنة ليست من مقومات الدين بل هي لأجل إدارة المجتمع الإسلامي؛ فذلك الشخص لا يحتاج إلى العصمة في ذلك ولهذا قالوا بالاجماع والبيعة في تعيين الإمام.

يقول الفياض اللاهيجي في بيان معتقدهم (يقول إمام الحرمين والذي هو من أعظم علماء أهل السنة: إذا ظهر من الامام ظلم وجور ولم ينزجر عن ذلك بالقول فمتى ما اعتقد أهل الحل والعقد على منعه ذلك من الفعل وان احتاج الأمر إلى قتاله أو مكافحته)^(١).

يقول شارح المقاصد (تعدّ الإمامة بلا شك من فروع الدين وإذا قام جزء من الأمة بتنصيب الإمام فقط سقط التكليف عن البقية في ذلك لأنّ الشارع في الجملة قاصد لتحصيل ذلك لكن من جهة شيوع عقائد الروافض والخوارج فقد ألحق المتكلمون الإمامة بعلم الكلام)^(٢).

ومن البدهي أن اعتقاد الإمامية الاثني عشرية في باب الإمامة يتفاوت في جهات عدّة مع اعتقادات الشيعة الآخرين كالكيسانية والزيدية والاسماعيلية وغيرهم وان اتفقوا في الجملة على تنصيبه بالنص.

وعلى أية حال، فهذا البحث يشتمل على أربع مباحث كما مسطور في أدناه:

المبحث الأول: الاصطلاحات والتعريفات.

المبحث الثاني: الإمامة العامة في نظر العقل والنقل.

المبحث الثالث: الإمامة الخاصة في كتاب أصول الكافي.

المبحث الرابع: الإمامة الخاصة في القرآن وبعض الكتب الروائية الأخرى.

(١) گوهر مراد، فياض لاهيجي: ٣٣٣.

(٢) المصدر نفسه: ٣٣٤.

المبحث الأول: الاصطلاحات والتعريفات

المطلب الأول: الإمامة والشيعة في القرآن

فقد ذكر الراغب الاصفهاني في باب معنى الإمام قوله: (والإمام المؤتم به إنسانا كأن يقتدى بقوله أو فعله، أو كتابا أو غير ذلك محقا كان أو مبطلا وجمعه أئمة، وقوله تعالى: ﴿يَوْمَ نَدْعُوا كُلَّ أُنَاسٍ بِإِمْئِهِمْ فَمَنْ أُوْتِيَ كِتَابَهُ وَيَمِينِهِ فَأُولَئِكَ يَقْرَءُونَ كِتَابَهُمْ وَلَا يُظْلَمُونَ فَتِيلًا﴾^(١)، أي بالذي يقتدون به).

وقد ذكر لفظ (الإمام) و(الأئمة) في القرآن الكريم (١٢) مرة.

إمّا بصورة المفرد أو بصورة الجمع، والتي دلت على المعنى المتقدم في الجملة.

فكلمة (إمام) وردت في سورة البقرة، قوله تعالى: ﴿وَإِذْ أُنزِلَتْ إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ فَأَتَمَّهُنَّ قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا قَالَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي قَالَ لَا يَنْتَهِ عَهْدِي الظَّالِمِينَ﴾^(٢).

روي عن صفوان الجمال قال: (كنا بمكة فجرى الحديث في قول الله ﴿وَإِذْ أُنزِلَتْ

إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ فَأَتَمَّهُنَّ﴾ قال عليه السلام: «أتمهن بمحمد وعلي والأئمة من ولد علي عليه السلام،

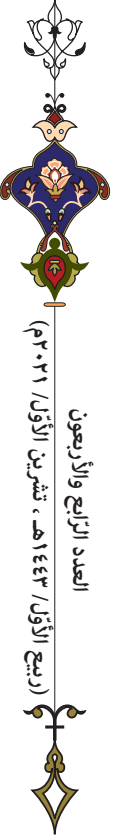
في قول الله ﴿ذُرِّيَّةً بَعْضُهَا مِنْ بَعْضٍ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾، ثم قال: ﴿إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ

إِمَامًا قَالَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي قَالَ لَا يَنْتَهِ عَهْدِي الظَّالِمِينَ﴾ قال: يا رب ويكون من ذريتي

ظالم قال: نعم فلان وفلان وفلان ومن اتبعهم، قال: يا رب فعجل لمحمد وعلي ما

(١) سورة الإسراء، الآية: ٧١.

(٢) سورة البقرة، الآية: ١٢٤.



وعدتني فيها، وعجل نصرك لهما وإليه أشار بقوله ﴿ وَمَنْ يَرْغَبُ عَنْ مِلَّةِ إِبْرَاهِيمَ إِلَّا مَنْ سَفِهَ نَفْسَهُ وَلَقَدْ اصْطَفَيْنَاهُ فِي الدُّنْيَا وَإِنَّهُ فِي الْآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ ﴾^(١)، فالملة الإمامة...»^(٢).

وجاء في كتاب البرهان: (رَوَاهُ بِأَسَانِيدٍ عَنْ صَفْوَانَ الْجُمَالِ، قَالَ: كُنَّا بِمَكَّةَ فَجَرَى الْحَدِيثُ فِي قَوْلِ اللَّهِ: ﴿ وَإِذِ ابْتَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ فَأَتَمَّهُنَّ ﴾ قَالَ ﷺ: «أَتَمَّهُنَّ بِمُحَمَّدٍ وَعَلِيٍّ وَالْأَيُّمَةِ مِنْ وُلْدِ عَلِيٍّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِمْ فِي قَوْلِ اللَّهِ: ﴿ ذُرِّيَّةً بَعْضُهَا مِنْ بَعْضٍ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾^(٣)، ثُمَّ قَالَ: ﴿ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا قَالَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ ﴾^(٤) قَالَ: يَا رَبِّ، وَيَكُونُ مِنْ ذُرِّيَّتِي ظَالِمًا؟ قَالَ: نَعَمْ، فَلَانَ وَفُلَانَ وَفُلَانًا وَمَنْ اتَّبَعَهُمْ. قَالَ: يَا رَبِّ، فَاجْعَلْ [فجعَل] لِمُحَمَّدٍ وَعَلِيٍّ مَا وَعَدْتَنِي فِيهِمَا، وَعَجَّلْ نَصْرَكَ لهُمَا، وَإِلَيْهِ أَشَارَ بِقَوْلِهِ: ﴿ وَمَنْ يَرْغَبُ عَنْ مِلَّةِ إِبْرَاهِيمَ إِلَّا مَنْ سَفِهَ نَفْسَهُ وَلَقَدْ اصْطَفَيْنَاهُ فِي الدُّنْيَا وَإِنَّهُ فِي الْآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ ﴾^(٥)، فالملة: الإمامة...»^(٦).

وجاء في تفسير القمي: وأما قوله ﴿ وَإِذِ ابْتَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ فَأَتَمَّهُنَّ قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا ﴾ قال هو ما ابتلاه الله مما أراه في نومه بذبح ولده فأتمها إبراهيم ﷺ وعزم عليها وسلم فلما عزم وعمل بما أمره الله قال الله تعالى ﴿ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا ﴾ قال إبراهيم: ﴿ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ ﴾ لا يكون بعهدي

(١) سورة البقرة، الآية: ١٣٠.

(٢) تفسير العياشي، محمد بن مسعود العياشي (ت ٣٢٠هـ)، تحقيق وتصحيح سيد هاشم رسولي محلاتي، المطبعة العلمية، طهران، الطبعة الأولى، ٢٠٠١م: ج ١، ص ٥٧، وينظر: بحار الأنوار: ج ٧، ص ٢٣٠، تفسير الصافي: ج ١، ص ١٣٨، ونقل المحدث الحر العاملي (ره) صدر الخبر الأول في كتاب إثبات الهداة: ج ٣، ص ٤٤.

(٣) سورة آل عمران، الآية: ٣٤.

(٤) سورة البقرة، الآية: ١٢٤.

(٥) سورة البقرة، الآية: ١٣٠.

(٦) البرهان في تفسير القرآن، السيد هاشم البحراني، نشر مؤسسة البعثة: ج ١، ص ٣٢٤.

إمام...^(١).

فمن الروايات الآنفة يمكن فهم بعض النقاط منها ما يأتي:

١- إنَّ إتمام ابتلاء النبي إبراهيم على نبيِّنا وآله وعليه السلام كان بذكر أسماء محمد وآله الطاهرين **عليهم السلام** والتسليم لهم.

٢- إنَّ طلب إبراهيم على نبيِّنا وآله وعليه السلام مقام الإمامة لذريّته بعدما جعله الله تعالى إمامًا للناس إضافة إلهية وحكمة ربّانية لما في ذلك من مصلحة لجميع الخلق.

٣- إنَّ الإمامة ليست منصبًا رئاسيًا فحسب لذلك قال تعالى ﴿ **لَا يَتَّأَلَّ عَهْدِي الظَّالِمِينَ** ﴾ فالإمامة عهد من الله تعالى ورحمة للخلق.

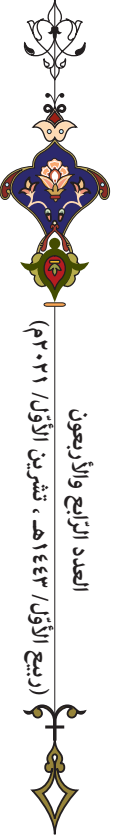
٤- طلب النبي إبراهيم على نبيِّنا وآله وعليه السلام التعجيل فيها وعد الله من النصر لمحمد وآله **عليهم السلام**، وهذا هو طلب تعجيل فرج آل محمد **عليهم السلام** في ظهور وليّهم القائم الإمام المهدي عجل الله تعالى فرجه الشريف، للطلب بثأر آل محمد **عليهم السلام**.

٥- وصف الله تعالى الإمامة بالملّة وهذا مما يدل على أن الإمامة هي خلافة إلهية للخلق كله ولا حصر لذلك في أمة دون أخرى.

٦- إنَّ الله تعالى أعطى مقام الإمامة لخليله إبراهيم على نبيِّنا وآله وعليه السلام بعدما ابتلاه في نومه بذبح ولده، حينما عزم على ذبح ولده إسماعيل على نبيِّنا وآله وعليها السلام فأعطي مقام الإمامة إكرامًا له لتسليمه لأمر الله تعالى.

ووردت كلمة (الأئمة) في سورة التوبة، قوله تعالى: ﴿ **وَإِنْ نَكَثُوا أَيْمَانَهُمْ مِنْ بَعْدِ**

(١) تفسير القمي، أبو الحسن علي بن إبراهيم القمي من أعلام قرني الثالث والرابع، تصحيح وتعليق وتقديم السيد طيب الموسوي الجزائري، نشر مؤسسة دار الكتاب للطباعة النشر، قم المقدسة، الطبعة الثالثة، ١٤٠٤ هـ: ج ١، ص ٥٩، وفي تفسير الإمام العسكري **عليه السلام** مرويًا عن الصادق **عليه السلام** «إنَّ المراد من تلك الكلمات، الكلمات التي تلقاها آدم **عليه السلام** من ربه فتاب عليه وهي أنه قال (يا رب أسألك بحق محمد وعلي وفاطمة والحسن والحسين إلّا تبت عليّ)» - قيل له يا بن رسول الله فما يعني بقوله: {فأتمهن}؟ قال: «يعني فأتمهن إلى القائم **عليه السلام**» (الرواية).



عَهْدِهِمْ وَطَعْنُوا فِي دِينِكُمْ فَقَتِلُوا أَيْمَةَ الْكُفْرِ إِنَّهُمْ لَا أَيْمَنَ لَهُمْ لَعَلَّهُمْ يَنْتَهُونَ ﴿١﴾.

عن عبد الله بن جعفر الحميري، قال: حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ الْحَمِيدِ وَعَبْدُ الصَّمَدِ بْنُ مُحَمَّدٍ جَمِيعًا، عَنْ حَنَانِ بْنِ سَدِيرٍ، قَالَ: سَمِعْتُ أَبَا عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام يَقُولُ: «دَخَلَ عَلَيَّ أَنَاسٌ مِنْ أَهْلِ الْبَصْرَةِ فَسَأَلُونِي عَنْ طَلْحَةَ وَالزُّبَيْرِ، فَقُلْتُ لَهُمْ: كَانَا مِنْ أَيْمَةِ الْكُفْرِ، إِنَّ عَلِيًّا عليه السلام يَوْمَ الْبَصْرَةِ لَمَا صَفَّ الْحَيْلَ، قَالَ لِأَصْحَابِهِ: لَا تَعَجَلُوا عَلَى الْقَوْمِ حَتَّى أُعَدَرَ فِيمَا بَيْنِي وَبَيْنَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ وَبَيْنَهُمْ، فَقَامَ إِلَيْهِمْ، فَقَالَ: يَا أَهْلَ الْبَصْرَةِ، هَلْ تَجِدُونَ عَلِيَّ جَوْرًا فِي حُكْمٍ؟ قَالُوا: لَا. قَالَ: فَحِينًا فِي قَسَمٍ؟ قَالُوا: لَا. قَالَ: فَرَغَبَةً فِي دُنْيَا أَخَذْتُمَا لِي وَلِأَهْلِ بَيْتِي دُونَكُمْ، فَتَقَمْتُمْ عَلَيَّ فَنَكَلْتُمْ بَيْنِي؟ قَالُوا: لَا. قَالَ: فَأَقَمْتُ فِيكُمْ الْحُدُودَ، وَعَطَلْتُهَا عَنْ غَيْرِكُمْ؟ قَالُوا: لَا. قَالَ: فَمَا بَالُ بَيْعِي تَنْكُثُ، وَبَيْعَةُ غَيْرِي لَا تَنْكُثُ، إِنِّي صَرَبْتُ الْأَمْرَ أَنْفَهُ وَعَيْنَهُ، فَلَمْ أَجِدْ إِلَّا الْكُفْرَ أَوْ السَّيْفَ. ثُمَّ تَنَى إِلَى أَصْحَابِهِ، فَقَالَ: إِنَّ اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى يَقُولُ فِي كِتَابِهِ: ﴿وَإِنْ نَكَثُوا أَيْمَانَهُمْ مِنْ بَعْدِ عَهْدِهِمْ وَطَعْنُوا فِي دِينِكُمْ فَقَتِلُوا أَيْمَةَ الْكُفْرِ إِنَّهُمْ لَا أَيْمَنَ لَهُمْ لَعَلَّهُمْ يَنْتَهُونَ﴾، فَقَالَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ عليه السلام: وَالَّذِي فَلَقَ الْحَبَّةَ وَبَرَأَ النَّسَمَةَ وَاصْطَفَى مُحَمَّدًا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ بِالنُّبُوَّةِ، إِنَّهُمْ لِأَصْحَابُ هَذِهِ الْآيَةِ، وَمَا قُوتِلُوا مُذْ نَزَلَتْ ﴿٢﴾.

إنَّ عداوة إمام الزمان هو كفر بعينه، فمن وقف أمام إمام زمانه وخليفة رسول الله صلى الله عليه وآله يعد في القرآن الكريم كافرًا ويجب مقاتلته، فمن قاتل أمير المؤمنين عليه السلام في أيام خلافته وإمامته كان كافرًا بنص صريح في الآية والرواية الواردة، وهناك روايات أخرى تدل على نفاق وكفر من يقف بوجه الإمام المعصوم وخليفة رسول الله صلى الله عليه وآله.

(١) سورة التوبة، الآية: ١٢.

(٢) البرهان في تفسير القرآن: ج ٢، ص ٧٤١، وينظر: الأمالي: ص ١٣٠، ح ١، قرب الإسناد: ص ٤٦.

وجاءت لفظة (إمام) في سورة هود أيضًا، قوله تعالى: ﴿أَفَمَنْ كَانَ عَلَىٰ بَيْنَتِهِ مِّن رَّبِّهِ وَيَتْلُوهُ شَاهِدٌ مِّنْهُ وَمِن قَبْلِهِ كَتَبَ مُوسَىٰ إِمَامًا وَرَحْمَةً أُولَٰئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِ وَمَن يَكْفُرْ بِهِ مِنَ الْأَحْزَابِ فَالنَّارُ مَوْعِدُهُ فَلَا تَكُ فِي مِرْيَةٍ مِّنْهُ إِنَّهُ الْحَقُّ مِن رَّبِّكَ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يُؤْمِنُونَ﴾^(١).

ورد في تفسير القمي قوله: حدثني أبي عن يحيى بن أبي عمران عن يونس عن أبي بصير والفضيل عن أبي جعفر عليه السلام قال: «إنما نزلت ﴿أَفَمَنْ كَانَ عَلَىٰ بَيْنَتِهِ مِّن رَّبِّهِ﴾، يعني رسول الله صلى الله عليه وآله ﴿وَيَتْلُوهُ شَاهِدٌ مِّنْهُ وَمِن قَبْلِهِ كَتَبَ مُوسَىٰ إِمَامًا وَرَحْمَةً أُولَٰئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِ﴾ فقدّموا وأخروا في التّأليف».

وعن مُعَلَّى بْنِ مُحَمَّدٍ عَنِ الْحَسَنِ بْنِ عَلِيٍّ عَنِ أَحْمَدَ بْنِ عُمَرَ الْحَلَالِ قَالَ: سَأَلْتُ أَبَا الْحَسَنِ عليه السلام عَنْ قَوْلِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ ﴿أَفَمَنْ كَانَ عَلَىٰ بَيْنَتِهِ مِّن رَّبِّهِ وَيَتْلُوهُ شَاهِدٌ مِّنْهُ﴾^(٢)، فَقَالَ: «أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَيْهِ الشَّاهِدُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وآله وَرَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وآله عَلَى بَيْنَتِهِ مِنْ رَبِّهِ»^(٣).

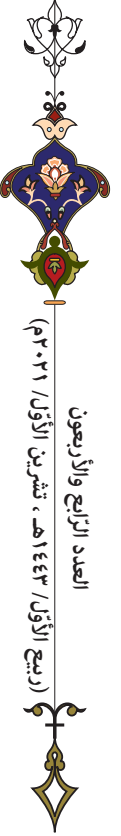
قال محمد بن الحسن الصفار: حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ الْحُسَيْنِ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ حَمَادٍ، عَنْ أَبِي الْجَارُودِ، عَنِ الْأَصْبَغِ بْنِ نُبَاتَةَ قَالَ: قَالَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ عليه السلام: «لَوْ كُسِرَتْ لِي وَسَادَةٌ فَقَعَدْتُ عَلَيْهَا لَفَضَيْتُ بَيْنَ أَهْلِ التَّوْرَةِ بِتَوْرَاتِهِمْ، وَأَهْلِ الْإِنْجِيلِ بِإِنْجِيلِهِمْ، وَأَهْلِ الزَّبُورِ بِزُبُورِهِمْ، وَأَهْلِ الْفُرْقَانِ بِفُرْقَانِهِمْ، بِقَضَاءِ يَصْعَدُ إِلَى اللَّهِ يَزْهَرُ، وَاللَّهُ مَا نَزَلَتْ آيَةٌ فِي كِتَابِ اللَّهِ فِي لَيْلٍ أَوْ نَهَارٍ إِلَّا وَقَدْ عَلِمْتُ فِيْمَنْ أَنْزَلْتُ، وَلَا يَمُنُّ مَرَّ عَلَى رَأْسِهِ الْمَوَاسِي مِنْ

(١) سورة هود، الآية: ١٧.

(٢) سورة هود، الآية: ٢١.

(٣) الكافي، الشيخ محمد بن يعقوب الكليني (ت ٣٢٩هـ)، تصحيح وتحقيق علي أكبر غفاري، نشر دار الكتب

الإسلامية، طهران، الطبعة الرابعة، ١٤٠٧هـ: ج ١، ص ١٩٠.



فُرِيَسٍ إِلَّا وَقَدْ نَزَلَتْ فِيهِ آيَةٌ مِنْ كِتَابِ اللَّهِ تَسُوِّفُهُ إِلَى الْجَنَّةِ أَوْ إِلَى النَّارِ، فَقَامَ إِلَيْهِ رَجُلٌ فَقَالَ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ مَا الْآيَةُ الَّتِي نَزَلَتْ فِيكَ؟ قَالَ لَهُ: «أَمَا سَمِعْتَ اللَّهَ يَقُولُ ﴿أَفَمَنْ كَانَ عَلَىٰ بَيْتَةٍ مِنْ رَبِّهِ وَيَتْلُوهُ شَاهِدٌ مِنْهُ﴾، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَلَىٰ بَيْتِهِ مِنْ رَبِّهِ وَأَنَا شَاهِدٌ لَهُ فِيهِ وَأَتْلُوهُ مَعَهُ» (١).

نفهم من الروايات الآتية أمورًا مهمة منها:

- ١- إنّ الإمامة لا تتحقّق بالشورى والاختيار البشري، بل هي منصب إلهي يعطيه الله تعالى لمن يشاء من خلقه، لأنّ الإمام المعصوم ﷺ يكون الشاهد على رسول الله ﷺ.
 - ٢- إنّ علم الإمام المعصوم ﷺ والمنصب من الله تعالى بلسان رسوله ﷺ عنده علم الغيب بجميع الأمم والكتب السماوية والشرائع الإلهية، كما أشار أمير المؤمنين علي ﷺ بقوله: «لَوْ كُسِرَتْ لِي وَسَادَةٌ فَقَعَدْتُ عَلَيْهَا لَقَضَيْتُ بَيْنَ أَهْلِ النَّوْرَةِ بِتَوْرَاتِهِمْ، وَأَهْلِ الْإِنْجِيلِ بِإِنْجِيلِهِمْ، وَأَهْلِ الزَّبُورِ بِزُبُورِهِمْ، وَأَهْلِ الْفُرْقَانِ بِفُرْقَانِهِمْ، بِقَضَاءٍ يَصْعَدُ إِلَى اللَّهِ يَزُهْرُ»، لذا يجب على الإمام ﷺ أن يكون مرتبطًا بالله تعالى لإدارة أمور الخلق.
- وجاءت لفظة (إمام) في سورة الحجر، قوله تعالى: ﴿فَأَنْتَقَمْنَا مِنْهُمْ وَإِنَّهُمَا لِيَإِمَامٍ مُبِينٍ﴾ (٢).

ووردت لفظة (إمامهم) في سورة الإسراء، قوله تعالى: ﴿يَوْمَ نَدْعُوا كُلَّ أُنَاسٍ بِإِمامِهِمْ فَمَنْ أُوْتِيَ كِتَابَهُ وَيَمِينِهِ فَأُوْتِيَكَ يَقْرَأُونَ كِتَابَهُمْ وَلَا يُظْلَمُونَ فَتِيلًا﴾ (٣).

عن علي بن إبراهيم، قال: أخبرنا أحمد بن إدريس، قال: حدثنا أحمد بن محمد بن عيسى، عن الحسين بن سعيد، عن حماد بن عيسى، عن ربعي بن عبد الله، عن الفضيل

(١) بصائر الدرجات، الشيخ محمد بن الحسن الصفار القمي: ج١، ص١٣٢، ح٢.

(٢) سورة الحجر، الآية: ٧٩.

(٣) سورة الإسراء، الآية: ٧١.

بِنِيسَارٍ [سَيَّارٍ] عَنْ أَبِي جَعْفَرٍ عليه السلام فِي قَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى: ﴿يَوْمَ نَدْعُوا كُلَّ أُنَاسٍ بِإِيمَانِهِمْ﴾ قَالَ: «يَجِيءُ رَسُولُ اللَّهِ عليه السلام فِي فِرْقَةٍ [قومه] وَعَلِيٌّ فِي فِرْقَةٍ [قومه] وَالْحَسَنُ فِي فِرْقَةٍ [قومه] وَالْحُسَيْنُ فِي فِرْقَةٍ [قومه] وَكُلٌّ مِنْ مَاتَ بَيْنَ ظَهْرَانِي قَوْمٍ جَاءُوا مَعَهُ»^(١).

وروى الشيخ محمد بن يعقوب في كتابه الكافي: (عن محمد بن يحيى، عن أحمد بن محمد بن عيسى، عن الحسن بن محبوب، عن عبد الله بن غالب، عن جابر، عن أبي جعفر عليه السلام قال: «لَمَّا نَزَلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ ﴿يَوْمَ نَدْعُوا كُلَّ أُنَاسٍ بِإِيمَانِهِمْ﴾^(٢)، قَالَ الْمُسْلِمُونَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَلَسْتَ إِمَامَ النَّاسِ كُلِّهِمْ^(٣) أَجْمَعِينَ؟ قَالَ: فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ عليه السلام: أَنَا رَسُولُ اللَّهِ إِلَى النَّاسِ أَجْمَعِينَ، وَلَكِنْ سَيَكُونُ [سَتَكُونُ] مِنْ بَعْدِي أئِمَّةٌ عَلَى النَّاسِ مِنَ اللَّهِ مِنْ أَهْلِ بَيْتِي يَقُومُونَ فِي النَّاسِ، فَيَكْذِبُونَ، وَيَظْلِمُهُمْ أئِمَّةُ الْكُفْرِ وَالضَّلَالِ وَأَشْيَاعُهُمْ^(٤)، فَمَنْ وَالَاهُمْ وَاتَّبَعَهُمْ وَصَدَّقَهُمْ، فَهُوَ مِنِّي وَمَعِي وَسَيَلْقَانِي، أَلَا وَمَنْ ظَلَمَهُمْ^(٥) وَكَذَّبَهُمْ، فَلَيْسَ مِنِّي وَلَا مَعِي، وَأَنَا مِنْهُ بَرِيءٌ»^(٦).

وورد عن البرقي، عَنْهُ عَنِ أَبِيهِ عَنِ النَّضْرِ بْنِ سُؤَيْدٍ عَنِ ابْنِ مُسْكَانَ عَنِ يَعْقُوبَ بْنِ

(١) تفسير القمي، علي بن إبراهيم القمي من علماء القرن الثالث الهجري، تصحيح وتحقيق السيد طيب الموسوي الجزائري، نشر دار الكتاب، قم المقدسة، الطبعة الثالثة، ١٤٠٤ هـ: ج ٢، ص ٢٣.

(٢) سورة الإسراء، الآية: ٧١.

(٣) في تفسير العياشي (المسلمين) بدل (الناس كلهم).

(٤) (الشيعة): أتباع الرجل وأنصاره. وجمعها: شيع. وأشياع، جمع الجمع. لسان العرب: ج ٨/ ص ١٨٨، (شيع).

(٥) في المحاسن والبصائر وتفسير العياشي: (وأعان على ظلمهم).

(٦) المحاسن: ص ١٥٥، كتاب الصفوة: ح ٨٤، عن ابن محبوب، بصائر الدرجات: ص ٣٣، ح ١، عن أحمد بن محمد... عن

جابر، عن أبي عبد الله عليه السلام، تفسير العياشي: ج ٢، ص ٣٠٤، ح ١٢١، عن جابر الوافي: ج ٢، ص ١٠٨، ح ٥٦٥. الكافي، محمد بن يعقوب الكليني، باهتمام محمد حسين الدرايني، نشر دار الحديث، قم المقدسة، الطبعة الأولى، ٢٠٠٥ م: ج ١،

ص ٥٣٥، باب إمام يدعو إلى الله، وإمام يدعو إلى النار، ح ٥٧٠. ورواه محمد بن الحسن الصفار، معنعنا عن أبي جعفر عليه السلام مثله. بصائر الدرجات، محمد بن الحسن الصفار: ص ٣٣، باب معرفة أئمة الهدى من أئمة الضلال وأنهم الجبت

والطاغوت والفواحش، ح ١. ورواه أيضًا أحمد بن محمد بن خالد البرقي معنعنا عن جابر بن يزيد الجعفي عن أبي جعفر عليه السلام، المحاسن، احمد بن محمد بن خالد البرقي من أعلام القرن الثاني الهجري، تصحيح وتحقيق جلال الدين المحدث،

نشر دار الكتب الإسلامية، قم المقدسة، الطبعة الثانية، ١٩٩٢ م: ج ١، ص ١٥٥، ح ٨٤.



شُعَيْبٍ قَالَ: قُلْتُ لِأَيِّ عَبْدِ اللَّهِ ﷺ: ﴿يَوْمَ نَدْعُوا كُلَّ أُنَاسٍ بِإِمامِهِمْ﴾ فَقَالَ: «نَدْعُو كُلَّ قَرْنٍ مِنْ هَذِهِ الْأُمَّةِ بِإِمامِهِمْ»، قُلْتُ: فَيَجِيءُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فِي قَرْنِهِ وَعَلِيٌّ ﷺ فِي قَرْنِهِ وَالْحَسَنُ ﷺ فِي قَرْنِهِ وَالْحُسَيْنُ ﷺ فِي قَرْنِهِ وَكُلُّ إِمامٍ فِي قَرْنِهِ الَّذِي هَلَكَ بَيْنَ أَظْهُرِهِمْ؟ قَالَ: «نَعَمْ»^(١).

نفهم من الروايات الواردة آنفاً بعض النقاط منها:

١- إنّ لكل زمان إماماً، ومعرفة أهل ذلك الزمان إمامهم السبيل إلى معرفة الله تعالى وتوحيده، وقد ورد في دعاء زمن غيبة القائم ﷺ: «اللهم عرفني نفسك فإنك إن لم تعرفني نفسك لم أعرف رسولك، اللهم عرفني رسولك فإنك إن لم تعرفني رسولك لم أعرف حجتك، اللهم عرفني حجتك فإنك إن لم تعرفني حجتك ضللت عن ديني»^(٢).

٢- إنّ الإمام علياً ﷺ هو الذي يجيء بأهل زمانه يوم القيامة حينما يدعى الناس.

٣- إنّ طريق النجاة للإنسان هو معرفة الإمام لا غير، وقد ورد عن رسول الله ﷺ في تفسير قوله تعالى ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ﴾^(٣) قوله: «مَنْ مَاتَ وَلَا يَعْرِفُ إِمامَهُ، مَاتَ مِيتَةً جَاهِلِيَّةً»^(٤).

وفي الخبر الصحيح المتواتر عند الفريقين: «من مات ولم يعرف إمام زمانه مات ميتة جاهلية»^(٥).

٤- إنّ النبي ﷺ حدّد الأئمة من بعده فقال: سيكون من بعدي أئمة على الناس من الله من أهل بيتي، فمن كان غير هؤلاء فهو ليس بإمام وخليفة بعد رسول الله ﷺ.

(١) المحاسن، البرقي: ج ١، ص ١٤٤، ح ٤٤٤.

(٢) مصباح المتجهّد، الشيخ الطوسي، مؤسسة فقه الشيعة، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١١هـ: ص ٤١١، ح ٥٣٦/١٤٦.

(٣) سورة النساء، الآية: ٥٩.

(٤) الكافي، الشيخ الكليني: ج ٣، ٥٨، ح ١٤٩٥/٦.

(٥) الأربعون حديثاً في إثبات إمامة أمير المؤمنين ﷺ، العلامة الفقيه المحدث الشيخ سليمان بن عبد الله الماحوزي المعروف بالمحقق البحراني (ت ١١٢١هـ)، تحقيق ونشر السيد مهدي الرجائي، مطبعة أمير، الطبعة الأولى،

١٤١٧هـ: ص ٢٢٣.

٥- أشار النبي الأكرم ﷺ إلى أن الناس سيظلمون الأئمة ويكذبونهم، وقد تبرأ ﷺ من هؤلاء ووصفهم أنهم أئمة الكفر والضلال وأشياعهم.

٦- إن من يوالي الأئمة الأطهار ﷺ ويتبعهم ويصدقهم يكون مع النبي ﷺ ويلقاه يوم القيامة.

٧- إن ولاية الأئمة ﷺ لا تتحقق إلا بمعرفتهم واتباعهم، فعن النبي الأكرم ﷺ في تفسير قوله تعالى: ﴿ وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴾^(١) قال: «أول عبادة الله المعرفة به»^(٢).

وقال سيد الموحدين علي بن أبي طالب ﷺ: «أول الدين معرفته»^(٣).

وعن أبي الرجا محمد بن علي بن طالب البلدي، عن عبد الواحد ابن عبد الله الموصلي، عن محمد بن همام بن سهل، عن عبد الله بن جعفر الحميري عن الحسن بن علي بن فضال عن محمد بن أبي عمير، عن أبي علي الخراساني، عن عبد الكريم بن عبد الله، عن سلمة بن عطا، عن أبي عبد الله الإمام الصادق ﷺ قال: «خرج الحسين بن علي ﷺ ذات يوم على أصحابه فقال بعد الحمد لله جل وعزّ، والصلاة على محمد رسوله ﷺ: يا أيها الناس إن الله والله ما خلق العباد إلا ليعرفوه، فإذا عرفوه عبدوه، فإذا عبدوه استغنوا بعبادته عن عبادة من سواه، فقال له رجل: بأبي أنت وأمي يا بن رسول الله ما معرفة الله؟ قال: معرفة أهل كل زمان إمامهم الذي يجب عليهم طاعته»^(٤).

وجاءت لفظة (الأئمة) أيضاً في سورة الأنبياء، قوله تعالى: ﴿ وَجَعَلْنَاهُمْ أئِمَّةً

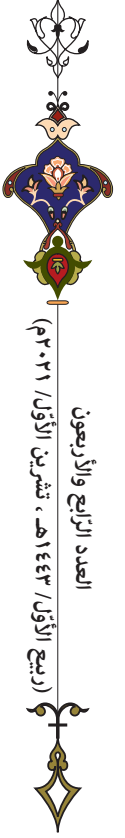
(١) سورة الذاريات، الآية: ٥٦.

(٢) بحار الأنوار، العلامة المجلسي: ج ٧٤، ص ٧٤.

(٣) نهج البلاغة، الخطبة الأولى.

(٤) بحار الأنوار الجامعة لدرر أخبار الأئمة الأطهار، العلامة محمد باقر المجلسي (ت ١١١١ هـ)، مؤسسة الوفاء،

بيروت: ج ٢٣، ص ٩٣.



يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِمْ فِعْلَ الْخَيْرَاتِ وَإِقَامَ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءَ الزَّكَاةِ وَكَانُوا لَنَا عَبِيدِينَ ﴿١﴾.

ابن بابويه، قال: حدثنا أبو المفضل، قال: حدثني محمد بن علي بن شاذان بن خباب الأزدي الخلال بالكوفة، قال: حدثني الحسن بن محمد بن عبد الواحد، قال: حدثني الحسن بن الحسين العرنى، قال: حدثني يحيى بن يعلى الأسلمي، عن عمر بن موسى الوجيهي، عن زيد بن علي عليه السلام، قال: (كنت عند أبي علي بن الحسين عليه السلام)، إذ دخل عليه جابر بن عبد الله الأنصاري، فبينما هو يتحدث إذ خرج أخي محمد من بعض الحجر، فأشخص جابر ببصره نحوه، ثم قال له: يا غلام، أقبل. فأقبل، ثم قال: أدبر. فأدبر، فقال: شمائل كشائل رسول الله صلى الله عليه وآله، ما اسمك، يا غلام؟ قال: «محمد». قال: ابن من؟ قال: «ابن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب عليه السلام». قال: إذن أنت الباقر، فانكب عليه، وقبل رأسه ويديه، ثم قال: يا محمد، إن رسول الله صلى الله عليه وآله يقرئك السلام. قال: «وعلى رسول الله أفضل السلام، وعليك يا جابر بما فعلت السلام». ثم عاد إلى مصلاه، فأقبل يحدث أبي، ويقول: إن رسول الله صلى الله عليه وآله قال لي يوماً: «يا جابر، إذا أدركت ولدي محمدًا فأقرئه مني السلام، أما أنه سميتي، وأشبه الناس بي، علمه علمي، وحكمه حكمي، سبعة من ولده أمناء معصومون، أئمة أبرار، والسابع منهم: مهديهم الذي يملأ الأرض قسطاً وعدلاً كما ملئت جوراً وظلماً». ثم تلا رسول الله صلى الله عليه وآله: ﴿وَجَعَلْنَاهُمْ أَيْمَةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِمْ فِعْلَ الْخَيْرَاتِ وَإِقَامَ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءَ الزَّكَاةِ وَكَانُوا لَنَا عَبِيدِينَ﴾ (١).

روى محمد بن يعقوب عن محمد بن يحيى، عن أحمد بن محمد، ومحمد بن الحسين، عن محمد بن يحيى، عن طلحة بن زيد، عن أبي عبد الله عليه السلام أنه قال: «إن الأئمة في كتاب الله عز وجل إمامان: قال الله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَاهُمْ أَيْمَةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا﴾، لا بأمر الناس،

(١) سورة الأنبياء، الآية: ٧٣.

(٢) بحار الأنوار: ج ٣٦، ص ٣٦٠، ح ٢٣٠.

يقدمون أمر الله قبل أمرهم، وحكم الله قبل حكمهم، وقال: ﴿وَجَعَلْنَاهُمْ أُمَّةً يَدْعُونَ إِلَى النَّارِ﴾^(١)، يقدمون أمرهم قبل أمر الله، وحكمهم قبل حكم الله، ويأخذون بأهوائهم خلاف ما في كتاب الله عزّ وجل^(٢).

ورواه المفيد في (الاختصاص) عن محمد بن الحسن، عن محمد بن الحسن الصفار، عن أحمد بن محمد بن عيسى، عن محمد بن سنان، عن طلحة بن زيد، عن جعفر، عن أبيه عليه السلام، قال: «الأئمة في كتاب الله إمامان»^(٣).

صرّحت الروايات الشريفة على أنّ الإنسان مخير في اختيار طريقه نحو الخير أو الشر، ولهذين الطريقتين أقطاب ومؤيّدون ومناصرون، فهناك إمامان وردا في القرآن الكريم، أئمة الهدى هم الذين يأمرون الناس بأمر الله تعالى ويحكمون بين الخلق بحكم الله عزّ وجل، ويهدون الناس إلى الجنة وإلى صراط مستقيم، وأمّا أئمة الضلال فهم الذين يأمرون الناس بأمرهم واتباعهم ويحكمون بين الخلق بحكمهم وأهوائهم ويدعون إلى النار وبئس المصير.

ووردت كذلك لفظة (إمام) في سورة الفرقان، قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا﴾^(٤).

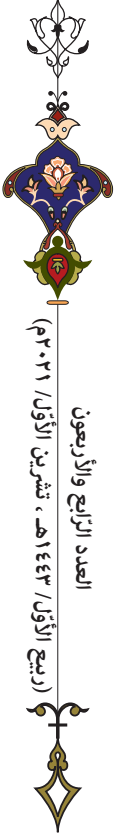
علي بن إبراهيم، قال: وقرئ عند أبي عبد الله عليه السلام، فقال: «قد سألوا الله عظيمًا، أن يجعلهم للمتقين أئمة». فقيل له: كيف هذا، يا ابن رسول الله؟ قال: «إنما أنزل الله:

(١) سورة القصص، الآية: ٤١.

(٢) الكافي، الشيخ الكليني: ج ١، ص ٥٣٦.

(٣) الاختصاص، الشيخ أبو عبد الله محمد بن النعمان العكبري البغدادي الملقب بالشيخ المفيد (ت ٤١٣هـ)، تصحيح وتعليق علي أكبر الغفاري، ترتيب الفهارس السيد محمود الزرندي المحرمي، منشورات جماعة المدرسين في الحوزة العلمية، قم المقدسة: ص ٢١.

(٤) سورة الفرقان، الآية: ٧٤.



﴿ وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا ﴾ (١).

وعن محمد بن أحمد، قال: حدثني الحسن بن محمد بن سباعة، عن حماد، عن أبان بن تغلب، قال: سألت أبا عبد الله عليه السلام عن قول الله عزّ وجل: ﴿ وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا ﴾، قال: «هم نحن أهل البيت» (٢).
وروى غيره: (أن أزواجنا: خديجة، وذرياتنا، فاطمة عليها السلام، وقرّة أعين: الحسن والحسين عليهما السلام، واجعلنا للمتقين إماما: علي بن أبي طالب عليه السلام) (٣).

عن محمد بن العباس، قال: حدثنا أحمد بن محمد بن سعيد، عن حويرث بن محمد الحارثي، عن إبراهيم بن الحكم بن ظهير، عن أبيه، عن السدي، عن أبي مالك، عن ابن عباس، قال: قوله تعالى: ﴿ وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ ﴾ الآية، نزلت في علي بن أبي طالب عليه السلام.

عن محمد بن الحسين، عن جعفر بن عبد الله المحمدي، عن كثير بن عياش، عن أبي الجارود، عن أبي جعفر عليه السلام، في قول الله عزّ وجل: ﴿ وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا ﴾، قال: «أي هداة يهتدى بنا، وهذه لآل محمد عليه السلام خاصة» (٤).

عن محمد بن جمهور، عن الحسين بن محبوب، عن أبي أيوب الخزاز، عن أبي بصير، قال: قلت لأبي عبد الله عليه السلام: ﴿ وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا ﴾، قال: «لقد سألت ربك عظيماً، إنما هي: واجعل لنا من المتقين إماما وإيانا عنى بذلك». فعلى هذا التأويل تكون القراءة

(١) تفسير علي بن إبراهيم القمي: ج ٢، ص ١١٧.

(٢) المصدر نفسه.

(٣) بحار الأنوار، العلامة المجلسي: ج ٢٤، ص ١٣٥.

(٤) المصدر نفسه: ج ٢٤، ص ١٣٤.

(٥) البرهان في تفسير القرآن، السيد هاشم البحراني، نشر مؤسسة البعثة: ج ٤، ص ١٥٦.

الأولى واجعلنا للمتقين - يعني الشيعة - إماما، أن القائلين هم الأئمة **عليه** ^(١) .
 عن محمد بن العباس، قال: حدثنا محمد بن القاسم بن سلام، عن عبيد بن كثير، عن الحسين بن نصر ابن مزاحم، عن علي بن زيد الخراساني، عن عبد الله بن وهب الكوفي، عن أبي هارون العبدي، عن أبي سعيد الخدري، في قول الله عز وجل: ﴿ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا ﴾ ، «قال رسول الله ﷺ لجبرئيل **عليه** : ﴿ مِنْ أَزْوَاجِنَا ﴾ ؟ قال: خديجة. قال: ﴿ وَذُرِّيَّاتِنَا ﴾ ؟ قال: فاطمة. قال: ﴿ قُرَّةَ أَعْيُنٍ ﴾ ؟ قال: الحسن والحسين. قال: ﴿ وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا ﴾ . قال: علي بن أبي طالب صلوات الله عليهم أجمعين صلاة باقية إلى يوم الدين» ^(٢) .

وردت الروايات الشريفة مؤكدة الالتزام التام للإمام واتباعه وقد حددت من هم الأئمة الهداة بعد رسول الله ﷺ ، لذا نفهم من الروايات المتواترة بعض النقاط منها:
 ١- إن إمامة المتقين أمر عظيم إذ قال الإمام الصادق **عليه** : «قد سألو الله عظيمًا» .
 ٢- إن أئمة المتقين هم أهل البيت **عليه** بنص قوله **عليه** : «هم نحن أهل البيت»، وذلك كما ورد في كتاب البحار.

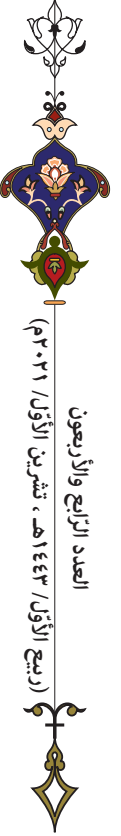
٣- إن إمام المتقين هو الهادي الذي يهتدى به وهم آل محمد **عليه** عامة وأمير المؤمنين **عليه** خاصة، وقد ورد في بعض زيارات أمير المؤمنين علي **عليه** : «...السلام على أمير المؤمنين، السلام على سيد الوصيين، السلام على إمام المتقين، السلام على وارث علم النبيين» ^(٣) .
 وجاءت لفظة (الأئمة) في بداية سورة القصص، قوله تعالى: ﴿ وَنُرِيدُ أَنْ نَمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضِعُوا فِي الْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ ﴾ ^(٤) .

(١) بحار الأنوار، العلامة المجلسي: ج ٢٤، ص ١٣٥.

(٢) تفسير فرات الكوفي، فرات بن إبراهيم الكوفي: ص ٢٩٥.

(٣) بحار الأنوار، المجلسي، مؤسسة الوفاء، بيروت، لبنان: ج ٩٧، ص ٣٠٣، باب فضل زيارة أمير المؤمنين **عليه** عنده، ح ٢٢.

(٤) سورة القصص، الآية: ٥.



روى محمد بن يعقوب: عن الحسين بن محمد، عن معلى بن محمد، عن الوشاء، عن أبان بن عثمان، عن أبي الصباح الكناني، قال: نظر أبو جعفر عليه السلام إلى أبي عبد الله عليه السلام، فقال: «ترى هذا؟ هذا من الذين قال الله عز وجل: ﴿وَنُرِيدُ أَنْ نَمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتَضَعُّوا فِي الْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أُمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ﴾» (١).

عن ابن بابويه قال: حدثنا أحمد بن محمد بن الهيثم العجلي، قال: حدثنا أبو العباس أحمد بن يحيى بن زكريا القطان، قال: حدثنا بكر بن عبد الله بن حبيب، قال: حدثنا تميم بن بهلول، عن أبيه، عن محمد بن سنان، عن الفضل بن عمر، قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: «إن رسول الله صلى الله عليه وآله نظر إلى علي والحسن والحسين عليهم السلام فبكى، وقال: أنتم المستضعفون بعدي»، قال الفضل: فقلت له: ما معنى ذلك، يا ابن رسول الله؟ قال: «معناه أنتم الأئمة بعدي، إن الله عز وجل يقول: ﴿وَنُرِيدُ أَنْ نَمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتَضَعُّوا فِي الْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أُمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ﴾، فهذه الآية فينا جارية إلى يوم القيامة» (٢).

وعن محمد بن عمر، قال: حدثنا محمد بن الحسين، قال: حدثنا أحمد بن عثمان ابن حكيم، قال: حدثنا شريح بن مسلمة، قال: حدثنا إبراهيم بن يوسف، عن عبد الجبار، عن الأعشى الثقفي، عن أبي صادق، قال: قال علي عليه السلام: «هي لنا - أو فينا - هذه الآية: ﴿وَنُرِيدُ أَنْ نَمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتَضَعُّوا فِي الْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أُمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ﴾» (٣).

وروى السيد الرضي: بإسناده عن سهل بن كهيل، عن أبيه، عن أبي عبد الله جعفر بن محمد الصادق عليه السلام قال: «قال أمير المؤمنين صلوات الله عليه: لتعطفن علينا الدنيا بعد

(١) الإرشاد، الشيخ المفيد: ص ٢٨٩.

(٢) معاني الأخبار، الشيخ أبو جعفر محمد بن علي بن الحسين بن بابويه القمي (ت ٣٨١هـ)، تصحيح علي أكبر الغفاري، الانتشارات الإسلامية في الحوزة العلمية، قم المقدسة: ١٩٨٢م: ص ٧٩، ح ١.

(٣) البرهان في تفسير القرآن، السيد هاشم البحراني: ج ٤، ص ٢٥٠، ح ٨٩.

شماسها عطف الضروس على ولدها»، ثم قرأ **﴿ وَنُرِيدُ أَنْ نَمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضِعُوا فِي الْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ ﴿١﴾ وَنُكِنَ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ ﴿٢﴾ ﴾**.

والشّمس بالكسر: هو امتناع ظهر الفرس من الركوب.

أما الضّروس بفتح الضاد وضمّ الراء: الناقة السيئة الخلق تعض حالبها، أي إن الدنيا ستنقاد لنا بعد جموحها وتلين بعد خشونتها، كما تنعطف الناقة على ولدها، وإن أبت على الحالب، وقيل الضروس: الناقة التي يموت ولدها، أو يُذبح، ويمشى جلده، فتدنو منه، فتعطف عليه.

وروي في أخبارنا عن أبي جعفر، وأبي عبد الله **﴿ أن هذه الآية مخصوصة بصاحب الأمر الذي يظهر في آخر الزمان، ويبيد الجبابرة والفراعنة، ويملك الأرض شرقاً وغرباً، فيملأها عدلاً، كما ملئت جوراً ﴾** (٢).

وردت روايات مختلفة في تحديد مظلومية آل محمد **﴿ منها:**

١- إن الله تعالى أوعد الخلق بأن يمكن خليفته في الأرض من إقامة حدوده الشرعية في الناس.

٢- إن الآية الواردة تبين مظلومية آل محمد **﴿ وأنّ الناس ظلموهم بشتى أنواع الأدوات وذلك ما بيّنه الرسول **﴿ في حديثه الشريف.****

٣- إنّ الوراثة الإلهية في الأرض هي لآل محمد **﴿ وذلك بنص صريح من أمير المؤمنين علي **﴿.****

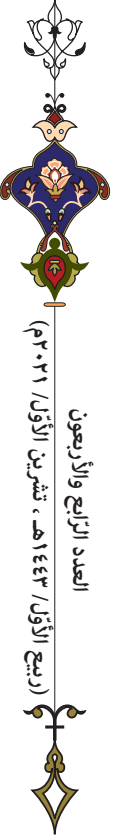
٤- ورد في نهج البلاغة عن أمير المؤمنين **﴿ وصف الدنيا وكيف امتنعت عن آل**

(١) بحار الأنوار، العلامة المجلسي: ج ٥١، ص ٦٤، عن كتاب نهج البلاغة، جمع السيد الشريف الرضي من كلمات أمير

المؤمنين علي **﴿، دار المعرفة للطباعة والنشر، بيروت، لبنان: ج ٤، ص ٤٧، ح ٢٠٩.**

(٢) معجم أحاديث الإمام المهدي **﴿، الشيخ علي الكوراني، نشر مؤسسة المعارف الإسلامية، الطبعة الأولى،**

١٤١١هـ: ج ٥، ص ٣٢٤، ح ١٧٥٩.



محمد عليه السلام فقال: «لتعطفنّ علينا الدنيا بعد شماسها» أي بعد امتناعها من ركوبها، وهو مصطلح في اللغة يطلق على امتناع ظهر الفرس من الركوب والامتطاء.

٥- أشار أمير المؤمنين عليه السلام أنّ الدنيا تعطف على آل محمد عليهم السلام بعد قيام ولد هم المهدي المنتظر عجل الله تعالى فرجه، فشبّه عليه السلام ذلك بالناقة التي تعطف على ولدها بعد إساءة خلقها، وتلين خشونتها بعد جموحها.

٦- هذا الوصف يدل على الظلم الذي وقع على أهل البيت عليهم السلام، وأنّ الله تعالى أوعدهم على أن يجعلهم الوارثين في هذه الأرض بل ويمكّن لهم فيها لينتقم من أعداءه.

٧- إنّ هذه الآية خاصة بصاحب العصر عليه السلام لإبادة الجبابرة والفراعة، وليملك الأرض شرقاً وغرباً ويملأها عدلاً، كما ملئت جوراً.

ووردت لفظة (الأئمة) أيضاً في سورة القصص الآية ٤١، قوله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَاهُمْ أُمَّةً يَدْعُونَ إِلَى النُّارِ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ لَا يُنصَرُونَ﴾^(١).

روى محمد بن يعقوب: عن محمد بن يحيى، عن أحمد بن محمد، ومحمد بن الحسين، عن محمد ابن يحيى، عن طلحة بن زيد، عن أبي عبد الله عليه السلام، قال: «إن الأئمة في كتاب الله عزّ وجل إمامان: قال الله تبارك وتعالى: ﴿وَجَعَلْنَاهُمْ أُمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا﴾^(٢)، لا بأمر الناس، يقدمون أمر الله قبل أمرهم، وحكم الله قبل حكمهم، وقال: ﴿وَجَعَلْنَاهُمْ أُمَّةً يَدْعُونَ إِلَى النُّارِ﴾ يقدمون أمرهم قبل أمر الله، وحكمهم قبل حكم الله، ويأخذون بأهوائهم خلاف ما في كتاب الله عزّ وجل»^(٣).

وقد ورد بيان تفاصيل الأئمة على أنّ الأئمة إمامان، إمام هدى وإمام ضلال.

(١) سورة القصص، الآية: ٤١.

(٢) سورة الأنبياء، الآية: ٧٣.

(٣) الكافي، الشيخ الكليني: ج ١، ص ٥٣٦.

ووردت لفظة (الأئمة) أيضًا في سورة السجدة، قوله تعالى: ﴿ **وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ** ﴾^(١).

عن علي بن إبراهيم، قال: كان في علم الله أنهم يصبرون على ما يصيبهم، فجعلهم أئمة.

وعن القاسم بن محمد، عن سليمان بن داود المنقري، عن حفص بن غياث، عن أبي عبد الله عليه السلام - في حديث - عن رسول الله صلى الله عليه وآله قال: «فصبر رسول الله صلى الله عليه وآله في جميع أحواله، ثم بشر بالأئمة من عترته، ووصفوا بالصبر، فقال: ﴿ **وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ** ﴾»^(٢).

عن محمد بن العباس، قال: حدثنا علي بن عبد الله بن أسد، عن إبراهيم بن محمد الثقفي، عن علي ابن هلال الأحمسي، عن الحسن بن وهب العبيسي، عن جابر الجعفي، عن أبي جعفر محمد بن علي صلوات الله عليهم، قال: «نزلت هذه الآية في ولد فاطمة عليها السلام خاصة: ﴿ **وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ** ﴾»^(٣).

ووردت لفظة (إمام) في سورة يس، قوله تعالى: ﴿ **إِنَّا نَحْنُ نُحْيِي الْمَوْتَىٰ وَنَكْتُبُ مَا قَدَّمُوا وَآثَرَهُمْ وَكُلُّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ فِي إِمَامٍ مُّبِينٍ** ﴾^(٤).

ذكر ابن عباس عن أمير المؤمنين عليه السلام أنه قال: «أنا - والله - الإمام المين، آيين الحق من الباطل، ورثته من رسول الله صلى الله عليه وآله»^(٥).

وجاءت لفظة (إمام) أيضًا في سورة الأحقاف، قوله تعالى: ﴿ **وَمِنْ قَبْلِهِ كِتَابُ**

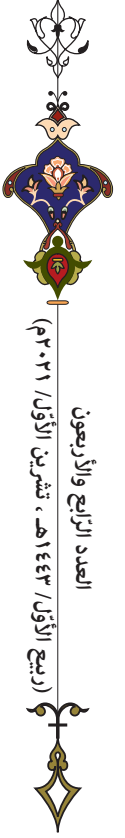
(١) سورة السجدة، الآية: ٢٤.

(٢) بحار الأنوار، المجلسي: ج ٦٨، ص ٦١.

(٣) بحار الأنوار، المجلسي: ج ٢٤، ص ١٥٨.

(٤) سورة يس، الآية: ١٢.

(٥) بحار الأنوار: ج ٣٥، ص ٤٢٧.



مُوسَى إِمَامًا وَرَحْمَةً وَهَذَا كِتَابٌ مُصَدِّقٌ لِسَانًا عَرَبِيًّا لِيُنذِرَ الَّذِينَ ظَلَمُوا وَبُشْرَى
لِلْمُحْسِنِينَ ﴿١﴾.

فمجموع كلمتي (الإمام) و(الأئمة) ورد ١٢ مرة في القرآن، وهذا دليل على وجود
حكمة إلهية.

ففي جميع هذه الآيات يكون لفظ الإمام دالاً على أحد المعنيين:
إما إمامة المتقين ومن هم على منهاج النبوة، أو قادة المجرمين ومن هم على منهاج
الشیطان.

أما بخصوص لفظ الشيعة فقد فسره الراغب حيث قال: (الشيعة من يتقوى بهم
الإنسان)^(٢)، وكذلك قال الشيخ المفيد أيضاً: (التشيع في أهل اللغة هو الاتباع على وجه
التدين والولاء للمتبوع على الإخلاص)^(٣).

وقد ذكر الله تعالى هذا المعنى في قوله تعالى: ﴿وَإِنَّ مِنْ شِيعَتِهِ لَإِبْرَاهِيمَ﴾^(٤).
ومن البدهي إن أتباع إبراهيم لنوح على نبينا وآله وعليهما السلام كان مصاحباً
للمحبة والاعتقاد الديني ولم يكن اتباعاً كاتباع العبد لسيدته.
واعتماداً على ما ذكره الشيخ المفيد فإن إطلاق الشيعة جارٍ في الاتباع الخاص
المصاحب للمحبة والاعتقاد الديني وبالنظر إلى هذا المعنى فان على شيعة اليوم أن
يقدموا كل ما عندهم في طريق المحبوب.

ومما يلاحظ أيضاً فيما ذكره الشيخ في استخدام لفظ الشيعة إذا كان على الإطلاق

(١) سورة الأحقاف، الآية: ١٢.

(٢) المفردات في غريب القرآن، أبو القاسم حسين بن محمد الراغب الاصفهاني، دار إحياء التراث العربي، بيروت:
٢٧١.

(٣) أوائل المقالات، الشيخ المفيد: ٢، ينظر: ابن عربي سني متعصب، السيد جعفر مرتضى العاملي: ٢٥.

(٤) سورة الصافات، الآية: ٨٣.

فانه يدل على تابعي الإمام علي عليه السلام وجميع الأئمة عليهم السلام والذين هم ممن يعتقدون بالنص على الإمامة وإن كان المقصود غير هذا فإنه يذكر دائماً بالإضافة مثل شيعة آل أمية وشيعة آل العباس ^(١).

المطلب الثاني: المعنى الاصطلاحي للإمامة والشيعة

كل من الفرق الإسلامية المختلفة تعرّف الإمامة وفق عقيدتها ورؤيتها الخاصة، ومن هذه الفرق الإثني عشرية الإمامية، وان عرفوا الإمامة بعدة تفاسير لكن اتفقوا على ثلاث نقاط وسنشير إليها لاحقاً.

يقول ابن ميثم البحراني: (الإمامة رياسة عامة في امور الدين والدنيا للانسان الذي له الامامة والاصالة) ^(٢).

وتجدر الإشارة في هذا التعريف إلى ثلاث نقاط:

- أولاً: الرئاسة العامة والولاية المطلقة للإمام في جميع الشؤون الدينية والدينية.
- ثانياً: اصطفاء أو اختيار الإمام بالنص من الله والرسول.
- ثالثاً: إن هذه الرئاسة نيابة متصلة وخلافة موصولة بالنبوي صلى الله عليه وآله.

ثم القيّد الأخير أخرج النواب الخاصين والعامين الذين نصبهم النبي في حياته. يقول الشيخ الطوسي في هذا الباب: (الإمام منبسط اليد، يردع المعاندين وينتصف

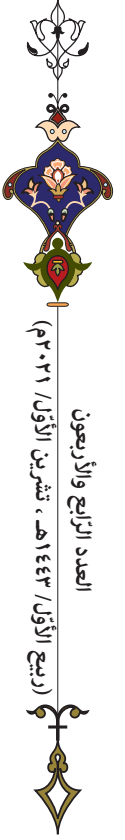
للمظلومين من الظالمين) ^(٣).

وقال الخواجه نصير الدين الطوسي أيضاً في تعريف الإمام: (الإمامة رئاسة عامة دينية مشتملة على ترغيب عموم الناس في حفظ مصالحهم الدينية والدينية وزجرهم

(١) أوائل المقالات، الشيخ محمد بن نعمان المفيد، انتشارات مؤتمر الشيخ المفيد، قم المقدسة: ٣٦.

(٢) قواعد المرام في علم الكلام، ميثم بن علي البحراني، انتشارات مهر، قم المقدسة: ١٧٤.

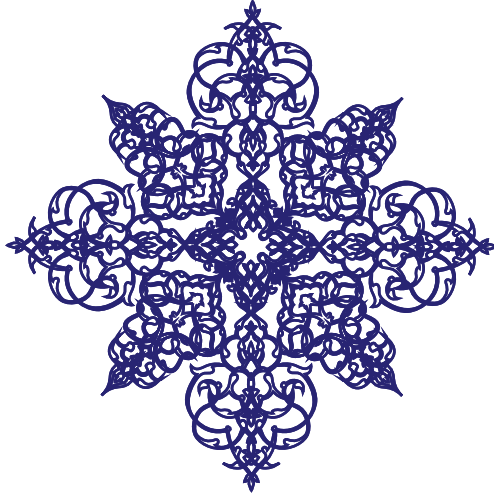
(٣) تلخيص الشافي، الشيخ الطوسي: ١ / ٦٠.



عما يضرهم بحسبها^(١).

ويقول العلامة الحلي في هذا اللفظ: (أن الإمامة رئاسة عامة في الأمور الدينية والدينية لشخص تقي منتخب من البشر لنيابة النبي الأكرم)^(٢).

وقال أيضًا عبد الرزاق اللاهيجي (المراد من الإمامة ليس إلا الرئاسة العامة للمسلمين في أمور الدنيا والدين على سبيل الخلافة والنيابة للنبي)^(٣).



(١) كشف الفوائد في شرح قواعد العقائد، الشيخ خواجه نصير الدين الطوسي، انتشارات المكتب الإسلامي، تبريز: ٧٧.

(٢) كشف المراد في شرح تجريد الاعتقاد، الشيخ حسن بن يوسف الحلي، النشر الإسلامي، قم المقدسة: ٧.

(٣) گوهر مراد، عبدالرزاق فياض لاهيجي، الانتشارات الإسلامية، طهران: ٣٢٩.

البحث الثاني: الإمامة العامة عقلاً ونقلاً

ذكر علماء الشيعة المباحث العقلية المنطقية بالإمامة العامة في أربعة مطالب منطقية، وقد فصل ابن ميثم البحراني هذه المطالب الأربعة في كتابه قواعد المرام والذي سنذكر خلاصته أدناه:

المطلب الأول: هلّيت وجود الإمام المعصوم عليه السلام:

وهذا المطلب (يبحث عن أصل وجود الإمام المعصوم عليه السلام) ويبحث في هذا المقام عن ضرورة وجوده المبارك أو عدم ضرورته فمن خلال قاعدة اللطف يثبت وجوده.

المطلب الثاني: ملّيت وجود الإمام المعصوم عليه السلام:

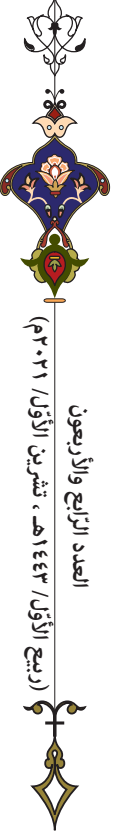
(ومعناه لماذا الإمام المعصوم عليه السلام موجود) وفي هذا المطلب يُبحث الهدف والغاية من وجود الإمام.

المطلب الثالث: كيفية الإمام المعصوم عليه السلام:

وفي هذا المطلب يتم البحث عن صفاته.

المطلب الرابع: من هو الإمام المعصوم عليه السلام:

وفي هذا المطلب العقلي الأخير من مباحث الإمامة يبحث عن إثبات الإمامة الخاصة ويتم فيه البحث عن تعيين شخص الإمام المعصوم عليه السلام أيضاً. وستتطرق لمناقشة وبحث كل واحد من هذه المطالب الأربعة:



المطلب الأول: هلّيّت وجود الإمام المعصوم عليه السلام:

هل وجود الإمام عليه السلام ضروري أم لا؟

الملاك العقلي في حكم تنصيب الإمام المعصوم عليه السلام من قبل الله تعالى هو نفس الملاك العقلي لتنصيب الرسول عليه السلام، فلا فرق بين دلالة وجود الإمام عليه السلام وبين دلالة وجود الرسول عليه السلام من حيث الحكمة العقلية.

فبحسب عقيدة الشيعة الاثني عشرية إنّ الأسباب والغاية من تنصيب النبي عليه السلام وبعثته هو اللطف اللامتناهي الإلهي للبشرية والخلق أجمعين، لأنّ الله تعالى حكيم قادر على كل شيء، فلاجل الرحمة واللطف الرحماني لجميع الممكنات منها البشر أفاض عليهم الحياة، ولأجل الرحمة الرحيمية واللطف الخاص الإلهي منّ عليهم بالهداية المتمثلة ببعثة الأنبياء على نبينا وآله وعليهم السلام.

فمن الطبيعي أنّ البشر بحاجة إلى الهداية والإرشاد الدائمي، فاللطف الرباني كذلك لا ينقطع عنهم أبداً.

لذا فوجود الإمام المعصوم عليه السلام هو استمرار للرحمة الربانية واللطف الإلهي على المخلوقات جميعاً، وبعبارة أخرى إنّ العلة المحدثة هي نفسها العلة الباعثة أيضاً.

على هذا فإنّ الشيخ الطوسي يقول في مقدمة كتاب تلخيص الشافي: (الكلام في وجود الإمام عقلا وان لم يكن سمع، والذي يدل على ذلك ما ثبت من كونه لطفاً فجرى مجرى سائر الألفاظ في أنّه لا يحسن التكليف من دونه)^(١).

وقد ذكر الملا عبد الرزاق اللاهيجي أيضاً: (فمن عرف النبوة وعلم سبب الحاجة إلى النبي فلا يشكّن في الحاجة إلى بقاء مثل هذا الشخص في أي زمان من الأزمنة لبقاء التكليف وحاجة الناس لوجود المرشد والهادي والأمر والنهي ولتعلّموا منه ويرجعوا

(١) تلخيص الشافي، الشيخ محمد بن حسن الطوسي، تصحيح حسين بحر العلوم، انتشارات محبين، قم المقدسة،

إليه فالإمامة إذن هي ليست إلا الخلافة والنيابة للنبي^(١).

وذكر أيضًا: (لا يعقل ولا يجوز عدم تعيين شخص من قبل النبي للقيام بأمر الخلق وهداية الناس، والحال أنه يبين غيرها من غير الضروريات. والعصمة شرط في هذا الشخص والعقول البشرية لا سبيل لها لمعرفة العصمة فلذا وجب ورود النص عليه من الله تعالى)^(٢).

وقد ذكر الخواجة نصير الدين الطوسي أيضًا في باب وجوب وجود الإمام عليه السلام مستنداً إلى قاعدة اللطف ما نصه: (انحصار اللطف فيه معلوم للعقلاء وجوده لطف وتصرفه لطف آخر)^(٣).

وقد قال العلامة الحلي في هذا الباب أيضًا: (هي واجبة عقلاً لأن الإمامة لطف، لانا نعلم إذا كان للناس رئيس مطاع مرشد، كانوا إلى الصلاح أقرب ومن الفساد أبعد)^(٤). وقد ذكر ابن ميثم أيضًا: (إن نصب الإمام لطف من فعل الله وكل لطف واجب في حكمة الله أن يفعله فنصب الإمام واجب من الله في كل زمان)^(٥).

والذي يستحق ذكره أن أصل الحكم العقلي لقاعدة اللطف هو في القرآن المجيد إذ أن الله تعالى ارشد العقول السليمة إلى هذا الحكم وقد أشار إليها في آيات كثيرة فقال جل وعلا ﴿ **كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ** ﴾^(٦) وفي هذه الآية نقطتان يجب التركيز عليها:

الأولى: انه لا توجد قوة قد أوجبت اللطف على الله لان الله اكبر من كل شيء واعز

(١) تلخيص الشافي: ١ / ٥٩.

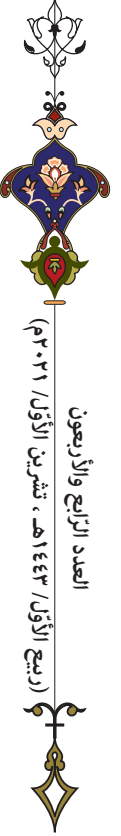
(٢) گوهر مراد: ٣٢٩.

(٣) كشف الفوائد في شرح قواعد العقائد: ٣٦٢.

(٤) كشف المراد في شرح تجريد الاعتقاد: ٦٦.

(٥) قواعد المرام في علم الكلام: ١٧٥.

(٦) سورة الأنعام، الآية: ٥٤.



بل انه كتب على نفسه وأوجب على ذاته اللطف.

الثانية: بما أنّ الله حكيم وقادر بالمثل فيستحيل وجود البخل في ذاته.

أو يتردد في الرحمة وبالنظر لهذه النقطة فان الله قد ذكر مرارا وعبر عن وجود الرسول في كتاب الله بالرحمة باللطف ومن أمثلة ذلك قوله تعالى ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ ﴾ (١).

وقوله تعالى ﴿ وَنُنزِّلُ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴾ (٢).

ومن البدهي أيضاً أن وجود الإمام متصل بوجود النبي والقرآن وبتنصيب الإمام يستمر اللطف الإلهي على عباده.

المطلب الثاني: العلة الغائية من تنصيب الإمام

بعد أن أثبت الشيعة الاثني عشرية وجود الإمام ووجوب تنصيبه من خلال قاعدة اللطف العقلية تناولوا في مباحثهم العلة والغاية والهدف من تعيين الإمام وتنصيبه ومن البديهي أن البحث في الهدف والغاية متوقف على إثبات وجود الإمام (كما تقدم).

وفي هذا المطلب نقطتان مهمتان في عقيدة الامامية الاثني عشرية:

الأولى: إنه لا يمكن للمجتمع البشري الوصول إلى الكمال والسعادة بدون الإمام. الثانية: إن الإمام هو الحافظ للشريعة ولا بقاء لها من دونه.

فقد ذكر ابن ميثم في بيانه الهدف من تنصيب الإمام: (إن الهدف والغاية من تنصيب الإمام يتلخص في نقطتين:

النقطة الأولى: إن الإمام هو الذي يسوق البشر إلى الكمال الممكن بإذن الله.

النقطة الثانية: انه يكون حافظاً للبشرية الإلهية الحققة ولا بقاء لها من دونه، لأنَّ

(١) سورة الأنبياء، الآية: ١٠٧.

(٢) سورة الإسراء، الآية: ٨٢.

المدّعين يكونون سببا لتحريف الدين بأعمالهم الشنيعة والإمام يقوم بحفظ دين الله من المخاطر على كل حال لأنه مقوم الدين ويتقوم الدين به^(١).

وقد ذكر اللاهيجي في هذا الباب أيضًا (وجوب تنصيب الإمام لأجل جهتين: الأولى: حاجة الشريعة الباقية إلى يوم الدين إلى حافظ معصوم كما احتاجت في تبليغها بادئ الأمر إلى مبلغ معصوم واحتياج الشريعة في بقائها إلى حافظ شبيه باحتياج الوجود الممكن إلى العلة في البقاء.

الثانية: احتياج المكلفين إلى رئيس مطاع مأمون من الخطأ والجور ومن خلال وجوده يستطيعون إصابة التكليف^(٢).

اما الفاضل المقداد السيوري فقد ذكر في هذا الباب في شرحه على الباب الحادي عشر للحلي: (إن من يعلم قواعد السياسة لا يشك في صلاح مجتمع وقربه من الله وبعده عن الفساد والجور عند توفره على رئيس هادٍ في العمل يقف بوجه الظالمين ويردّهم عن ظلمهم ويحثّ الناس على التمسك بالدين وليس الهدف من اللطف الإلهي في تنصيب الإمام المعصوم إلا ذلك^(٣).

المطلب الثالث: صفات الإمام:

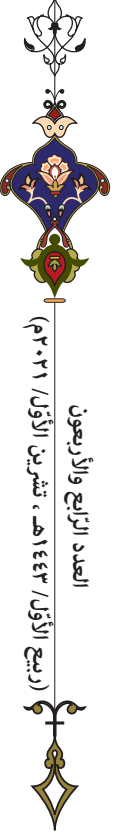
يعدّ هذا المطلب من أبرز مباحث الإمامة؛ فالعصمة رأس جميع الصفات العليا في الإمامة ومع وجودها؛ فإن جميع الكمالات تتبعها في الوجود.

وفي عقيدة الشيعة إن الإمام يجب أن يكون معصومًا في الفكر والقول وعن مقارفة الأخطاء فالإمام يشبه النبي بشكل كامل من هذه الناحية من حيث إنّه كذلك يجب أن

(١) قواعد المرام في علم الكلام: ١٧٧.

(٢) گوهر مراد: ٣٣٩.

(٣) الباب الحادي عشر، الحلي، شرح فاضل مقداد سوري، انتشارات مصطفوي، طهران: ٦٨.



يكون معصوماً ومن البدهي أن القول بذلك لا يعني تساوي النبي مع الإمام لان النبي هو الجالب والجاذب للشريعة ومبلغها لكن الإمام هو الحافظ والمبين لشريعة النبي.

بعض من علماء السنة أمثال القاضي عبد الجبار المعتزلي عابوا على الشيعة اعتقادهم بتساوي النبي ﷺ مع الإمام لعصمتها، لكن السيد المرتضى ذكر قول المشار إليه أعلاه بالتفصيل ومن ثم أجاب عنه قائلاً: (إن من جعل بعض صفات النبي أو أكثرها للإمام وجعل بينهما مزية معقولة خالف خصومه في صفات الإمام)^(١).

إن أهل السنة لا يعتقدون بعصمة الإمامة، وذلك لعدم ثبوت عصمة أئمتهم عندهم، فلو كان من شروط الإمامة عندهم العصمة للزم رجوعهم عن اعتقادهم؛ لأنهم يعتقدون بعدم عصمة أي من الخلفاء ومن البدهي أن التعصب يمنع من الاعتراف بالحقيقة.

ونذكر في أدناه جملة من تعليقات علماء الشيعة المعروفين في هذا الباب:

قال الشيخ الطوسي: (إن الإمامة تثبت بقاعدة اللطف العقلي، ومتى ما كان الإمام لطفاً لزم أن يكون معصوماً لأنه إذا لم يكن كذلك لم يكن مصوناً عن الخطأ في تفكيره وقوله وأعماله. وإذا قلنا بارتكابه الخطأ عمداً أو سهواً فلازم ذلك التناقض في الدعوة لوجوب متابعتها إضافة إن ذلك الوجوب يعد إغراءً بالجهل وعلى هذا الفرض فإن وجود الإمام ليس لطفاً بل هو أسوأ من الشر لأنه يكون باعثاً على ابتعاد الناس عن الله ووصول بلائهم الأبدي الأخرى وفي الجملة فان عصمته مماثلة لعصمة الأنبياء لأنها حافظان ومبينان للشريعة)^(٢).

فالتيجة أن (العصمة شرط أساسي لجميع الأنبياء والأئمة سواء في الذنوب

(١) الشافي في الإمامة، السيد علي بن السيد حسين المعروف بالسيد المرتضى، انتشارات مؤسسة الصادق عليه السلام، قم المقدسة: ١ / ٣٦.

(٢) ينظر: تلخيص الشافي، محمد بن الحسن الطوسي، انتشارات العزيزي، قم المقدسة: ١ / ٦٢.

الكبيرة أو الصغيرة وسواء قبل النبوة والإمامة وبعدهما على سبيل العمد والنسيان^(١).
ويعدّ قول الشيخ الطوسي في باب عصمة الإمام من اكمل الأقوال إذ يكشف عن
عقيدة الشيعة الاثني عشرية في ذلك.

فاذا قال قائل إنّ العصمة بعد الإمام معقولة لكن ما هو لزوم العصمة قبلها،
والجواب عنه أن القبول المجتمعي يستلزم وجود تاريخ سابق ناصع فمثلا اذا كان
تاريخ الشخص مشتملا على سوابق سيئة وقد تاب عنها فلا يستطيع الناس قبوله
كمراجع ديني أو قائد ديني.

وقد أشار الله تعالى إلى ذلك بقوله تعالى ﴿لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ﴾^(٢) ولفظ الظالمين
عموم واطلاق يدل على عدم أهلية أي ظالم بدون أي تخصيص أو قيد لمنصب الإمامة.

وعلى هذا فان أي شخص مارس أي نوع من أنواع الظلم في أي مرحلة من مراحل
حياته لا يكون مؤهلا لهذا المقام الإلهي الشامخ فإذا ارتكب احد في مراحل مراهقته ذنبا
وتاب بعد ذلك فانه يكون مشمولاً بهذه الآية أيضاً، لأنّ الذنب عبارة عن ظلم النفس
أو ظلم الآخرين إذ عرّف الله تعالى المذنبين مرارا بلفظ الظالمين مثل قوله تعالى في سورة
الكهف في معنى من ارتد عن دينه وأنكر الاعتقاد بالآخرة بقوله ﴿وَدَخَلَ جَنَّتَهُ وَهُوَ
ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِ قَالَ مَا أَظُنُّ أَنْ تَبِيدَ هَذِهِ أَبَدًا﴾^(٣).

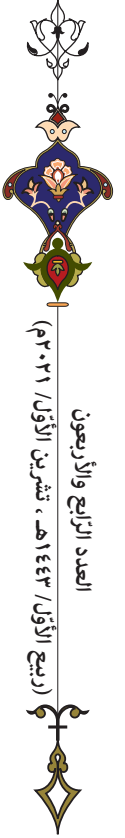
ومن البدهي أنّ هذه الآية تعد أيضاً دليلاً واضحاً على عصمة الإمام في الآيات
القرآنية والتي سنشير إليها لاحقاً.

وقد ذكر الخواجة نصير الدين الطوسي عبارة مختصرة بخمسة براهين على عصمة
الإمام وإثباتها قال: (وامتناع التسلسل يوجب عصمته ولأنه حافظ للشرع ولوجوب

(١) تلخيص الشافي: ١ / ٦٣ .

(٢) سورة البقرة، الآية: ١٢٤ .

(٣) سورة الكهف، الآية: ٣٥ .



الإنكار عليه لو أقدم على المعصية فيضاد أمر الطاعة ويفوت الغرض من نصبه ولا نحطاط درجته عن أقل العوام^(١).

وقد شرح العلامة الحلي هذه البراهين الخمسة بشكل مبسط ولكن يطول المقام بذكره وفي الجملة وبالنص إلى الهدف من تنصيب الإمام فإنه إذا كان الغرض جواز الخطأ منه فيجب في ذلك الحال الرجوع إلى إمام آخر وهكذا وهو من إشكال الدور والدور باطل.

فإذا وجب أن يكون الإمام معصوما ولما كان حافظا للشريعة وجب أن يكون معصوما عن الخطأ وان لم يكن كذلك لم يكن حافظا للشرع وقد ذكر الله تعالى في كتابه أن حافظ الشريعة يجب أن يبلغها من دون خطأ كما في قوله تعالى ﴿وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ﴾^(٢).

الغرض من تنصيب الإمام أيضا هو إرشاد الجهال والمذنبين ومع كون المرشد مذنباً؛ فانه مناقض لوجوب طاعة الإمام ويتنفي الغرض من تنصيبه وكذلك إن كان الخطأ عليه جائزا أوجب أن يكون أسفلهم درجة وأخطأهم عند الله؛ لأن الذنب من العالم أعظم من الذنب من الجاهل.

وقد برهن الفياض اللاهيجي على عصمة الإمام واثبتها ببراهين محكمة فقال: إن جمهور السنة اجمعوا على أن الإمامة من فروع الدين وعليه فان إبقاء الدين غير متوقف على أمر الإمامة بل يتوقف عليها نظام أمور المسلمين لا غير لكن جمهور الإمامية قالوا بأن الإمامة من أصول الدين وعليه فإن بقاء الدين مرتبط بوجود الإمام كما أن ابتداء الشريعة مرتبط بوجود النبي ﷺ.

(١) كشف الفوائد في شرح قواعد العقائد، يوسف بن علي وخواجه محمد بن حسن الطوسي، انتشارات المكتب

الإسلامي، تبريز، إيران: ٣٦٤.

(٢) سورة النحل، الآية: ٤٤.

ومن مواضع الاختلاف الحاصل في عصمة الإمام هي:
إن الإمامية قد أوجبوا عصمة الإمام لأن الإمامة عندهم من مقومات الدين ومع
عدم عصمته فإنه لا يأمن على الدين من التغيير والتبديل لكن غير الإمامية لم يروا
العصمة شرطاً في الإمام، وقد قال إمام الحرمين والذي يعدّ من اعظم علمائهم، إذا ظهر
الجور والظلم من الامام ولم ينزجر بالقول عن ذلك فيصار إلى ما يتفق عليه أهل الحل
والعقد من منعه ولو احتاج ذلك إلى شهر السلاح والحرب عليه^(١).

وفي نهاية هذا الجزء من البحث وجب أن نذكر بأن الشيعة الإمامية قد اثبتوا
للإمام جميع الكمالات الممكنة من خلال إثبات عصمة الإمام وهو ما نبّه عليه ابن ميثم
البحراني بقوله: (انا لما قلنا يجب ان يكون الامام معصوماً وجب أن يكون جامعاً لجميع
الكمالات النفسانية مثل العلم، والشجاعة، والعدالة)^(٢).

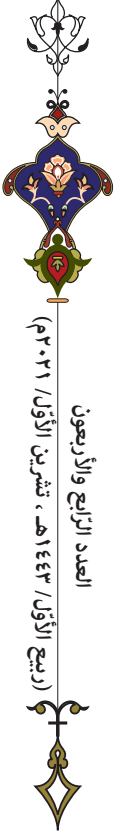
المطلب الرابع: من هو الإمام بعد الرسول؟

وهذا الجزء من البحث يدور حول معرفة شخص الإمام، وتعد النقاط الثلاثة
الذي ذكرناها مقدمات لهذا الجزء لأنه بعد إثبات وجوب وجود الإمام والهدف تنصيبه
وبيان عصمته وجب معرفة هوية الشخص الذي يلي النبي ﷺ والذي يجوز هذا المقام
الشامخ؟

من البدهي بأن السنة عندما نفوا العصمة ولم يشترطوها في الإمام، فاتهم قالوا بأنه
يدير أمور الأمة ولما كان كذلك كان على الأمة انتخابه لكن جميع فرق الشيعة وبالأخص
الشيعة الاثني عشرية اتفقوا على عدم إمكان انتخاب الأمة للإمام لأنه لا يُعرف إلا من
قبل الله والنبي ﷺ وعليه يجب أن يكون معيناً من قبلهم وهذا بعينه هو معنى النص

(١) ينظر: گوهر مراد: ٣٣٣.

(٢) قواعد المرام في علم الكلام، ميثم البحراني: ١٧٩.



على الإمام والشيعة الاثنا عشرية هم ممن قالوا بضرورة النصّ الجلي على الإمام في قبال غيرهم من الشيعة كالزيدية ممن قالوا بالنص الحفي عليه.

وفي الجملة فان العقل يحكم بعدم عصمة غير علي عليه السلام بعد النبي صلى الله عليه وآله وعليه يكون علي عليه السلام الإمام بعد رسول الله صلى الله عليه وآله وقد قال الشيخ الطوسي في ذلك: (إنّا ثبت النص على علي عليه السلام بالإمامة بطريقتين: الأول بالبراهين العقلية، والثاني بالأدلة النقلية.

أمّا الدليل العقلي عليه إنّا أثبتنا الإمامة من خلال قاعدة اللطف وقلنا إنّ اللطف الإلهي لا يتحقق إلا بعصمة الإمام ثم نقول بأنّه لم يكن الظن بالإمامة بعد النبي صلى الله عليه وآله إلا في ثلاثة نفر العباس عم النبي صلى الله عليه وآله وأبو بكر وعلي عليه السلام وبرهان التفصيل والترديد يثبت أنّ علياً عليه السلام هو الأجدر لمقام الإمامة لأنّ العباس عم النبي صلى الله عليه وآله لم يكن مطلعاً بشكل كامل على الأحكام الشرعية وكذلك أبو بكر قد أخبرنا بعدم عصمته كما نقل أعلام علماء أهل السنة مثل الدينوري في كتابه الإمامة والسياسة^(١)، والطبري في تاريخه^(٢)، وأحمد بن حنبل في مسنده^(٣)، أن أبا بكر قال: (إنّ رسول الله صلى الله عليه وآله كان معصوماً بالوحي وكان معه ملك وإنّ لي شيطاناً قد يعتريني ألا فراعوني فإن استقمتم فأعينوني وإن زغت فقوموني) وعلى هذا يعلم انه لا عصمة لغير علي عليه السلام من أصحاب النبي صلى الله عليه وآله.

لأنّ علياً عليه السلام قد أخبر مراراً عن عصمته وما يعلمه من الغيب ولم يصرح مرة انه قد أذنب أو إنه قد يذنب فلذلك لا يكون شخصاً مؤهلاً لمقام الإمامة إلا علي عليه السلام بعد النبي صلى الله عليه وآله. وأمّا الأدلة النقلية فالآيات والروايات كثيرة في باب تعيين علي عليه السلام والنص عليه بالإمامة والتي يتم التحقيق فيها بشكل منفصل^(٤).

(١) الإمامة والسياسة، الدينوري: ١ / ١٦.

(٢) تاريخ الطبري: ٣ / ٢١٠.

(٣) مسند أحمد بن حنبل: ١ / ١٤.

(٤) تلخيص الشافعي، الشيخ الطوسي: ٢ / ٥-١٠.

وبدهي أن قول الشيخ الطوسي في هذا الباب هو من أتم الأقوال وبرهانه في غاية الإحكام، ورعاية للاختصار اقتصرنا على هذا المقدار والذي يجدر الإشارة إليه أن ما قد ذكرناه في الأبواب الأربعة السابقة مقتصر على إثبات الإمامة عن طريق البراهين العقلية وسنشرع في إثباتها بالأدلة النقلية.

المطلب الخامس: الإمامة في الآيات والروايات

قد تناول القرآن الكريم أمر الإمامة مرارا ولكن سنذكر أدناه بعض النماذج التي وردت فيه رعاية للاختصار:

ومما يجدر الإشارة إليه إن الله تعالى قد ذكر تشابها بين الإمام وتابعيه وترابطاً بقوله:

﴿يَوْمَ نَدْعُوا كُلَّ أُنَاسٍ بِإِمْهَمِهِمْ﴾^(١).

وقد بين تعالى في موضع آخر: ﴿وَجَعَلْنَاهُمْ أَيْمَةً يَدْعُونَ إِلَى النَّارِ﴾^(٢).

وقال في وصف أئمة الهداية: ﴿وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَيْمَةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لِمَا صَبَرُوا﴾^(٣).

وقد عرف في بيان آخر الإمامة بأنه العهد الإلهي بقوله تعالى: ﴿لَا يَتَّالِ عَهْدِي

الظَّالِمِينَ﴾^(٤).

وفي الجملة فإن ما يستفاد من الآيات المتقدمة في أن الإمامة في القرآن على وجهين:

الوجه الأول: إمامة الشياطين والطواغيت وإثمهم يأمرون أتباعهم إلى النار.

الوجه الثاني: الإمامة الإلهية والخلافة الربانية التي يسوق الإمام فيها أتباعه إلى

الكمال والسعادة والجنان.

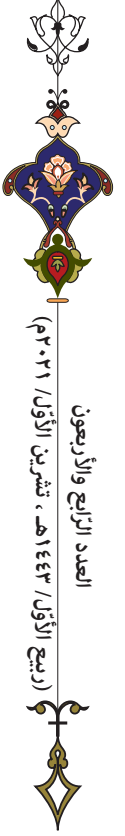
وقد ذكر الله تعالى هذين الصنفين القياديين بقوله في سورة البقرة ﴿اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ

(١) سورة الإسراء، الآية: ٧١.

(٢) سورة القصص، الآية: ٤١.

(٣) سورة السجدة، الآية: ٢٤.

(٤) سورة البقرة، الآية: ١٢٤.



ءَامَنُوا يُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ ۗ وَالَّذِينَ كَفَرُوا أُولَآئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ يُخْرِجُونَهُم مِّنَ النُّورِ إِلَى الظُّلُمَاتِ ۗ أُولَآئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿١﴾ .

وقد ذكر الله تعالى أن مسألة اتباع القائد بالنسبة للاتباع مرتبطة بعقولهم كما في قوله تعالى: ﴿ أَمَّن يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ أَحَقُّ أَنْ يُتَّبَعَ أَمَّن لَّا يَهْدِي إِلَّا أَنْ يُهْدَىٰ ۗ فَمَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ ﴾ (٢) .

وأشار العلامة الطباطبائي في ذيل الآيات الكريمة ﴿ وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أُمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا ﴾ (٣) ، ﴿ وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أُمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا ﴾ ، ﴿ وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِمْ فِعْلَ الْخَيْرَاتِ ﴾ (٤) بقوله: إن الله قد نصب مجموعة من أنبياء بني إسرائيل أئمة بالنظر إلى صفاتهم الاستثنائية التي علو بها والظاهر أن ﴿ يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا ﴾ في هاتين الآيتين تجري في معنى الإمامة بمعنى أن الإمام هو مهدي إلى الأمر وعليه فإن الهداية إلى الأمر في هذه الآيات هو من شؤون الإمامة ومعناه أن الإمام إضافة إلى قيامه بالهداية إلى الطريقة فإن له نوعاً من التصرفات التكوينية والتي أعطاها الله إلى الأئمة فقط وهناك بعض الأنبياء ممن كان لهم مقام الإمامة قد تمتعوا بهذه الموهبة أيضاً (٥) .

وقد أشار الله تبارك وتعالى في محكم كتابه الكريم إلى إطاعة الإمام وأنه بعد النبي ﷺ بقوله ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ ﴾ (٦) ، فالجدير بالذكر هنا أن الآية أشارت إلى إطاعة الرسل وأولي الأمر بشكل متفاوت عن إطاعة الله لأن فعل ﴿ أَطِيعُوا ﴾ لم يتكرر بعد لفظ ﴿ الرَّسُولَ ﴾ لولي الأمر ومن هذا يبيّن أن

(١) سورة البقرة، الآية: ٢٥٧ .

(٢) سورة يونس، الآية: ٣٥ .

(٣) سورة السجدة، الآية: ٢٤ .

(٤) سورة الأنبياء، الآية: ٧٣ .

(٥) تفسير الميزان، السيد محمد حسين الطباطبائي: ١٤ / ٣٠٤ ، ١٦ / ٢٦٦ .

(٦) سورة النساء، الآية: ٥٩ .

أولي الأمر في مقام الهداية هم مساوون للنبي في عصمته في بيان أحكام الشريعة لأجل أن إطاعة أولي الأمر مساوية لإطاعة رسول الله، لكن مقام الرسول والإمام مقام المين للشريعة والشارح لها ولأجل ذلك كان الفرق في الرتبة بين إطاعة الله وإطاعة غيره (يعني الرسول وأولي الأمر) والا فان كلام الله نفس كلام رسول الله وطاعته من طاعة الله تعالى وقد أشار الله تعالى إلى ذلك بقوله ﴿مَنْ يُطِيعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ﴾^(١).

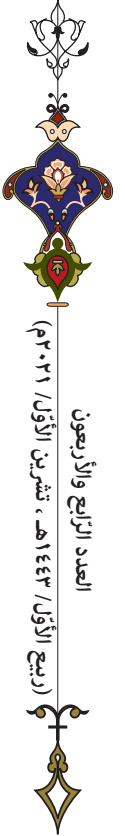
المطلب السادس: الإمامة العامة في الأحاديث الشريفة

والأحاديث في هذا الباب اكثر من أن نوردتها بأجمعها في هذا البيان المختصر لكننا سنذكر أدناه بعض منها على سبيل المثال:

فقد ذكر الإمام الصادق عليه السلام في حديث مفصل بعد إثباته وجود الأنبياء عليهم السلام في محاججته مع الزنديق الذي سأله من أين أثبت الأنبياء والرسول قال: «لما أثبتنا أن لنا خالقا صانعا متعاليا عنا وعن جميع ما خلق، وكان ذلك الصانع حكيما متعاليا لم يجوز أن يشاهده خلقه، ولا يلامسوه، فيباشروهم ويباشروه، ويحاجهم ويحاجوه، ثبت أن له سفراء في خلقه، يعبرون عنه إلى خلقه وعباده، ويدلونهم على مصالحهم ومنافعهم وما به بقاؤهم وفي تركه فناؤهم، فثبت الأمور والناهون عن الحكيم العليم في خلقه والمعبرون عنه جل وعز، وهم الأنبياء عليهم السلام وصفوته من خلقه، حكماء مؤدبين بالحكمة، مبعوثين بها، غير مشاركين للناس - على مشاركتهم لهم في الخلق والتركيب - في شيء من أحوالهم مؤيدين من عند الحكيم العليم بالحكمة، ثم ثبت ذلك في كل دهر وزمان مما أتت به الرسل والأنبياء من الدلائل والبراهين»^(٢).

(١) سورة النساء، الآية: ٨٠.

(٢) الكافي، الشيخ الكليني: ج ١، ص ١٦٨، ح ١، باب الاضطرار إلى الحجّة.



فكما أن الرسول ﷺ الحافظ والمقوم للدين، والدين يتقوم به، كذلك هو الإمام أيضاً، مع الفارق أن النبي يتلقى الشريعة عن طريق الوحي الإلهي وأن الإمام شارح ومبين لتلك الشريعة بعد النبي ويستمر وجوده إلى القيامة.

ومن هذا الحديث ما ذيله (لكيلا تخلو ارض الله من حجة يكون معه علم يدل على صدق مقالته)^(١).

وقال عليه السلام: «وَمِنْهَا أَنَّهُ لَوْ لَمْ يَجْعَلْ لَهُمْ إِمَامًا قِيَمًا أَمِينًا حَافِظًا مُسْتَوْدَعًا لَدَرَسَتْ الْمِلَّةُ وَذَهَبَ الدِّينُ وَغَيَّرَتِ السُّنَّةَ وَالْأَحْكَامَ، وَلَزَادَ فِيهِ الْمُبْتَدِعُونَ وَنَقَصَ مِنْهُ الْمَلْحِدُونَ، وَشَبَّهُوا عَلَى الْمُسْلِمِينَ لِأَنَّا قَدْ وَجَدْنَا الْخُلُقَ مَنْقُوصِينَ مُتَحَاجِينَ غَيْرِ كَامِلِينَ، مَعَ إِخْتِلَافِهِمْ وَإِخْتِلَافِ أَهْوَائِهِمْ وَتَشْتُّبِ أَنْحَائِهِمْ، فَلَوْ لَمْ يَجْعَلْ لَهُمْ قِيَمًا حَافِظًا لَمَا جَاءَ بِهِ الرَّسُولُ لَفَسَدُوا عَلَى نَحْوِ مَا بَيَّنَّا وَغَيَّرَتِ الشَّرَائِعُ وَالسُّنَنُ وَالْأَحْكَامُ وَالْإِيْمَانُ وَكَانَ فِي ذَلِكَ فَسَادُ الْخُلُقِ أَجْمَعِينَ»^(٢).

وكذلك فقد أشار الإمام الرضا عليه السلام إلى هذه المضامين في حديث مفصل آخر ومن كلماته في ذلك «وأمر الإمامة من تمام الدين، ولم يمض ﷺ حتى بين لأئمة معالم دينهم وأوضح لهم سبيلهم وتركهم على قصد سبيل الحق، وأقام لهم علياً عليه السلام علماً وإماماً وما ترك [لهم] شيئاً يحتاج إليه الأمة إلا بيّنه، فمن زعم أن الله عز وجل لم يكمل دينه فقد رد كتاب الله، ومن رد كتاب الله فهو كافر به»^(٣).

وكذلك ذكر الصادق عليه السلام في هذا الباب بقوله «لو بقيت الأرض بغير إمام لساخت»^(٤).

(١) الكافي، الشيخ الكليني: ج ١، ص ١٦٨، ح ١، باب الاضطرار إلى الحجة.

(٢) بحار الأنوار، المجلسي: ٦ / ٦٠.

(٣) الكافي: ١ / ١١٤.

(٤) المصدر نفسه: ١ / ١٠٢.

البحث الثالث

الإمامة الخاصة في كتاب أصول الكافي

الجدير بالإشارة أن كتاب الحجة في أصول الكافي شامل لدورة كاملة في أصول العقائد وبالأخص مبحث الإمامة العامة والخاصة والذي يجب على المحققين والباحثين الإسلاميين الانتباه إليه، لكننا في هذا المبحث ولضيق المقام نشير إلى عدّة أحاديث في باب عصمة الأئمة الأطهار عليهم السلام وعلمهم ^(١).

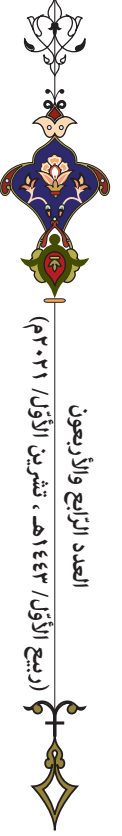
المطلب الأول: عصمة الأئمة في أصول الكافي:

في هذا الكتاب الشريف وفي باب عصمة الأئمة ورد عن الكشي بعض الأحاديث الشريفة التي ذكرت بأن العصمة من أشكال اللطف الإلهي على الناس وقد أشارت هذه الأحاديث إلى قاعدة اللطف الإلهي العقلية وقد ذكرها الباحثون في استدلالاتهم. فعن الباقر عليه السلام أنه قال: «نَحْنُ الْمَثَانِي الَّذِي أَعْطَاهُ اللَّهُ نَبِيَّنَا مُحَمَّدًا عليه السلام وَنَحْنُ وَجْهُ اللَّهِ تَقَلَّبَ فِي الْأَرْضِ بَيْنَ أَظْهُرِكُمْ وَنَحْنُ عَيْنُ اللَّهِ فِي خَلْقِهِ وَيَدُهُ الْمَبْسُوطَةُ بِالرَّحْمَةِ عَلَى عِبَادِهِ عَرَفْنَا مَنْ عَرَفْنَا وَجْهَنَا مَنْ جَهِلَنَا وَإِمَامَةَ الْمُتَّقِينَ» ^(٢).

وقال الصادق عليه السلام في هذا الباب أيضًا: «إِنَّ اللَّهَ خَلَقَنَا فَأَحْسَنَ خَلْقَنَا وَصَوَّرَنَا فَأَحْسَنَ

(١) المصدر نفسه.

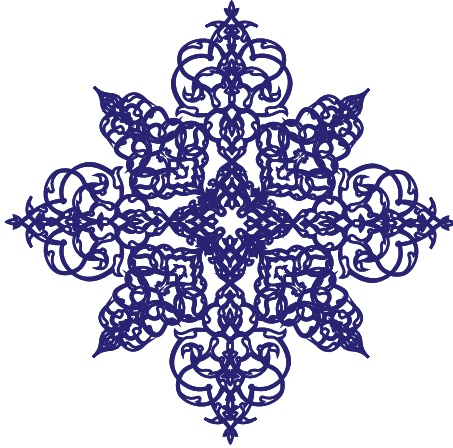
(٢) أصول الكافي، الشيخ محمد بن يعقوب الكليني: ١ / ٨٣.



صُورَنَا وَجَعَلَنَا عَيْنَهُ فِي عِبَادِهِ وَلِسَانَهُ النَّاطِقَ فِي خَلْقِهِ وَيَدَهُ الْمَبْسُوطَةَ عَلَى عِبَادِهِ بِالرَّأْفَةِ
وَالرَّحْمَةِ وَوَجْهَهُ الَّذِي يُؤْتِي مِنْهُ وَبَابَهُ الَّذِي يَدُلُّ عَلَيْهِ وَخُزَّانَهُ فِي سَمَائِهِ وَأَرْضِهِ بِنَا أَثْمَرَتِ
الْأَشْجَارُ وَأَيْنَعَتِ الثَّمَارُ وَجَرَّتِ الْأَنْهَارُ وَبِنَا يَنْزِلُ غَيْثُ السَّمَاءِ وَيَنْبُتُ عُشْبُ الْأَرْضِ
وَيَعْبَادَتِنَا عَبْدَ اللَّهِ وَلَوْ لَا نَحْنُ مَا عَبْدَ اللَّهُ»^(١).

وقال عليه السلام: «لَعَمْرِي مَا فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ وَبِئْسَ اللَّهُ عَزَّ ذِكْرُهُ إِلَّا وَهُوَ مُؤَيَّدٌ
وَمَنْ أُيِّدَ لَمْ يُخْطِ»^(٢).

وقال أمير المؤمنين علي عليه السلام: «أَنَا عَيْنُ اللَّهِ، وَأَنَا يَدُ اللَّهِ، وَأَنَا جَنْبُ اللَّهِ، وَأَنَا بَابُ اللَّهِ»^(٣).
إذن من البدهي أن يكون الإمام لسان الله وعينه ويده، ومعناه أن إرادته في الكلام
والنظر والعمل متصلة بإرادة الله تعالى ومحال عليه ارتكاب الخطأ وليست المقصود من
العصمة إلا ذلك.



(١) أصول الكافي، الشيخ الكليني: ١ / ٨٣.

(٢) المصدر نفسه: ١ / ١٣٩.

(٣) المصدر نفسه: ١ / ٨٤.

المطلب الثاني: علم الأئمة في كتاب أصول الكافي:

من المسائل التي اختلف فيها أهل السنة مع الشيعة هي مسألة (العلم المطلق) للإمام حيث إن أهل السنة يحدون علم الخليفة باعتقادهم لكن الشيعة الاثنا عشرية الإمامية يعتقدون بأن علم الإمام مطلق وقد استند الشيعة في ذلك إلى الآيات والروايات، ويعتقدون بعلم الأئمة عليهم السلام بالغيب والشهادة فقد قالت بذلك الكتب المعتمدة للشيعة وعلى رأسها الكتب الحديثية الشيعية ومنها كتاب أصول الكافي وسنذكر أدناه بعضاً من الأمثلة على تلك الأحاديث لضيق المقام.

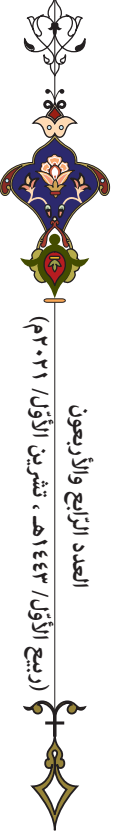
قال هشام بن الحكم جئت مع شخص نصراني يسمى بريهة إلى الإمام الكاظم عليه السلام ويسأل الإمام في الإنجيل مسائل أجاب الإمام عن بعضها من الإنجيل وشرح معانيها فأسلم على إثرها النصراني وزوجته ثم ذهبوا بعد ذلك إلى محضر الإمام الصادق عليه السلام وقصوا عليه ما جرى من الإمام الكاظم معهم فقال عليه السلام: «إِنَّ اللَّهَ لَا يَجْعَلُ حُجَّةً فِي أَرْضِهِ يُسْأَلُ عَنْ شَيْءٍ فَيَقُولُ: لَا أَدْرِي»^(١).

وقال الإمام الصادق عليه السلام أيضاً «نَحْنُ وُلَاةُ أَمْرِ اللَّهِ، وَخَزَنَةُ عِلْمِ اللَّهِ، وَعَيْبَةُ وَحْيِ اللَّهِ»^(٢).

وروى بريد بن معاوية عن احد الصادقين الباقر أو الصادق عليه السلام في تفسير قوله

(١) الكافي الشريف، الكليني: ١ / ١٣٠.

(٢) المصدر نفسه: ١ / ١١٠.



تعالى: ﴿وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ﴾ انه قال عليه السلام: «فَرَسُولُ اللَّهِ أَفْضَلُ الرَّاسِخِينَ فِي الْعِلْمِ، قَدْ عَلَّمَهُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ جَمِيعَ مَا أَنْزَلَ عَلَيْهِ مِنَ التَّنْزِيلِ وَالتَّأْوِيلِ، وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُنزِلَ عَلَيْهِ شَيْئًا لَمْ يَعْلَمْهُ تَأْوِيلَهُ، وَأَوْصِيَاؤُهُ مِنْ بَعْدِهِ يَعْلَمُونَهُ كُلَّهُ» (١).

وعن مُحَمَّدُ بْنُ يُحْيَى عَنْ أَحْمَدَ بْنِ مُحَمَّدٍ عَنِ الْحُسَيْنِ بْنِ سَعِيدٍ عَنِ الْقَاسِمِ بْنِ مُحَمَّدٍ عَنْ عَلِيِّ بْنِ أَبِي حَمْزَةَ عَنْ أَبِي بَصِيرٍ عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام قَالَ: «تُعْرَضُ الْأَعْمَالُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وآله أَعْمَالُ الْعِبَادِ كُلِّ صَبَاحٍ أَبْرَارُهَا وَفُجَّارُهَا فَاحْذَرُوهَا وَهُوَ قَوْلُ اللَّهِ تَعَالَى ﴿اعْمَلُوا فَمَسِيرَى اللَّهِ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ﴾» (٢) (٣).

فعن يعقوب بن شعيب قال: سألت أبا عبد الله عليه السلام عن قول الله عز وجل: ﴿اعْمَلُوا فَمَسِيرَى اللَّهِ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ﴾، قال: «هُمُ الْأَيْمَةُ» (٤).

وعن عَلِيِّ بْنِ أَبِيهِ عَنِ الْقَاسِمِ بْنِ مُحَمَّدٍ عَنِ الزِّيَّاتِ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَبَانَ الزِّيَّاتِ وَكَانَ مَكِينًا عِنْدَ الرَّضَا عليه السلام قَالَ: قُلْتُ لِلرَّضَا عليه السلام ادْعُ اللَّهَ لِي وَلِأَهْلِ بَيْتِي فَقَالَ: «أَوْلَسْتُ أَفْعَلُ وَاللَّهِ إِنَّ أَعْمَالَكُمْ لَتُعْرَضُ عَلَيَّ فِي كُلِّ يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ»، قَالَ فَاسْتَعْظَمْتُ ذَلِكَ، فَقَالَ لِي: «أَمَّا تَقْرَأُ كِتَابَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ ﴿وَقُلْ أَعْمَلُوا فَمَسِيرَى اللَّهِ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ﴾»، قَالَ: «هُوَ وَاللَّهُ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ عليه السلام» (٥).

فالمقصود من المؤمنين هم الأئمة والذين تعرض عليهم أعمال العباد بعد الله ورسوله.

(١) الكافي الشريف، الكليني: ١ / ١٢٢.

(٢) سورة التوبة، الآية: ١٠٥.

(٣) الكافي: ١ / ٢١٩، ح ١.

(٤) المصدر نفسه: ١ / ٢١٩، ح ٢.

(٥) المصدر نفسه: ١ / ٢١٩-٢٢٠، ح ٤.

وقال الإمام الصادق عليه السلام يوماً لأبي بصير: «يَا أَبَا مُحَمَّدٍ عَلَّمَ رَسُولُ اللَّهِ عليه السلام عَلِيًّا عليه السلام أَلْفَ بَابٍ يُفْتَحُ مِنْ كُلِّ بَابٍ أَلْفُ بَابٍ»، فسكت ساعة في الأرض ثم قال: «إِنَّهُ لَعَلِمٌ وَمَا هُوَ بِذَلِكَ»، ثم قال: «نَّ عِنْدَنَا الْجَامِعَةَ وَمَا يُدْرِيهِمْ مَا الْجَامِعَةُ؟ فِيهَا كُلُّ حَلَالٍ وَحَرَامٍ وَكُلُّ شَيْءٍ يَحْتَاجُ النَّاسُ إِلَيْهِ حَتَّى الْأَرْضُ فِي الْخُدْشِ...»، ثم سكت ساعة ثم قال: «إِنَّ عِنْدَنَا الْجُفْرَ وَمَا يُدْرِيهِمْ مَا الْجُفْرُ وَعَاءٌ مِنْ أَدَمٍ فِيهِ عِلْمُ النَّبِيِّينَ وَالْوَصِيِّينَ وَعِلْمُ الْعُلَمَاءِ الَّذِينَ مَضَوْا مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ»، ثم قال: «لَيْسَ بِذَلِكَ»، ثم سكت ساعة فقال: «إِنَّ عِنْدَنَا عِلْمَ مَا كَانَ وَعِلْمَ مَا هُوَ كَائِنٌ إِلَى أَنْ تَقُومَ السَّاعَةُ وَمَا يَحْدُثُ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ الْأَمْرُ مِنْ بَعْدِ الْأَمْرِ وَالشَّيْءُ بَعْدَ الشَّيْءِ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ»^(١).

وجاء عَنْ أَحْمَدَ بْنِ مُحَمَّدٍ عَنْ عُمَرَ بْنِ عَبْدِ الْعَزِيزِ عَنْ حَمَّادِ بْنِ عَثْمَانَ قَالَ سَمِعْتُ أَبَا عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام يَقُولُ: «تَظْهَرُ الزَّنَادِقَةُ فِي سَنَةِ ثَمَانٍ وَعَشْرِينَ وَمِائَةٍ وَذَلِكَ أَنِّي نَظَرْتُ فِي مُصْحَفِ فَاطِمَةَ عليها السلام»، قَالَ: قُلْتُ: وَمَا مُصْحَفُ فَاطِمَةَ؟ قَالَ: «إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى لَمَّا قَبَضَ نَبِيَّهُ عليه السلام دَخَلَ عَلَى فَاطِمَةَ عليها السلام مِنْ وَفَاتِهِ مِنَ الْحُزْنِ مَا لَا يَعْلَمُهُ إِلَّا اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ فَأَرْسَلَ اللَّهُ إِلَيْهَا مَلَكًا يَسْئَلُ عَمَّهَا وَيُحَدِّثُهَا فَشَكَتَ ذَلِكَ إِلَى أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عليه السلام فَقَالَ: إِذَا أَحْسَسْتِ بِذَلِكَ وَسَمِعْتِ الصَّوْتِ قُولِي لِي فَأَعْلَمْتَهُ بِذَلِكَ فَجَعَلَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ عليه السلام يَكْتُبُ كُلَّ مَا سَمِعَ حَتَّى أَتَتْ مِنْ ذَلِكَ مُصْحَفًا قَالَ ثُمَّ قَالَ: أَمَّا إِنَّهُ لَيْسَ فِيهِ شَيْءٌ مِنَ الْحَلَالِ وَالْحَرَامِ وَلَكِنْ فِيهِ عِلْمٌ مَا يَكُونُ»^(٢).

ولا يخفى أن جميع الأحاديث السابقة من المحكمات وان كان في الأحاديث غير هذا النوع يجب أن ترد إلى هذه المحكمات إذ انه من الممكن أن يحدث الإمام بحديث يخالف



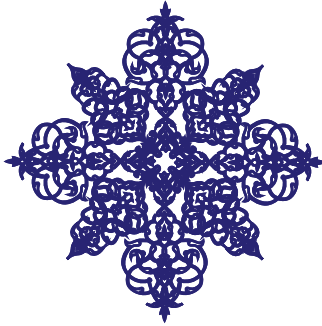
(١) الكافي، الكليني: ١ / ١٣٦.

(٢) المصدر نفسه: ١ / ٢٤٠، ح ٢.

تلك المحكمات لمقام التقية أو قد يكون ذلك لأجل مناسبة الحديث مع المستوى الفكري للمخاطب.

وقال الإمام السجاد عليه السلام: «نَحْنُ وَاللَّهِ شَجَرَةُ النَّبُوَّةِ، وَمَعْدِنُ الْعِلْمِ، وَمُخْتَلَفُ الْمَلَائِكَةِ»^(١). وقد روى عن الباقر والصادق والهادي عليهم السلام أنهم وارثوا ٧٢ حرفاً نزل على رسول الله كما ذكر الباقر عليه السلام «وعندنا نحن من الاسم اثنان وسبعون حرفاً وحرف عند الله تعالى استأثر به في علم الغيب المكنون»^(٢).

أما ما هو الاسم الأعظم فليس ذلك معلوماً ومن المسلم أن العلم مصاحب للقدرة في صاحب الاسم الأعظم إذا لا كمال بعد الوصول إلى هذا الكمال لذلك ورد في عقب كلامه عن الباقر عليه السلام «إنما كان عند اصف منها حرف واحد فتكلم فيه فخشف بالأرض ما بينه وبين سرير بلقيس ثم تناول السرير بيده ثم عادت الأرض كما كان أسرع من طرفة عين»^(٣).



(١) الكافي: ١ / ١٢٧.

(٢) بصائر الدرجات، محمد بن الحسن الصفار: ٢٣٠.

(٣) المصدر نفسه.

المبحث الرابع

الإمامة الخاصة في القرآن وبعض الكتب الروائية الأخرى:

العشرات من الآيات التي وردت في القرآن الكريم في المدح والثناء على أمير المؤمنين علي وأهل بيته عليه السلام فقد لخص السيد هاشم البحراني في غاية المرام مئة وستة وثلاثين آية في مدح أمير المؤمنين عليه السلام والذي يجدر الإشارة إليه أن البحراني رحمه الله قد اعضد تلك الآيات بذكر كثير من الأحاديث المعتمدة الواردة من طريق أهل السنة^(١). وهذه الآيات إضافة إلى سورة الدهر وسورة الكوثر وسنورد في هذا البحث ثلاث نماذج من تلك الآيات في باب إمامة أمير المؤمنين عليه السلام. ينقسم هذا المبحث على مطلبين:

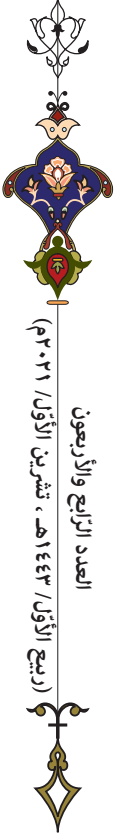
المطلب الأول: آية المباهلة

وردت آية المباهلة في سورة آل عمران قال تعالى في هذه الآية: ﴿فَمَنْ حَاجَّكَ فِيهِ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ وَأَنْفُسَنَا وَأَنْفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَلْ لَعْنَتَ اللَّهِ عَلَى الْكَاذِبِينَ﴾^(٢).

والمباهلة تعني (لعن الطرفين للآخر) حتى يجعل الله الفناء على المبطل منهم وهي

(١) غاية المرام في تعيين الإمام، السيد هاشم البحراني، مؤسسة البعثة، قم، ٢٠٠٧م: ١ / ٣٢٣-٤٩٢، و٧-٦٨.

(٢) سورة آل عمران، الآية: ٦١.



من أنواع المبارزة المعنوية وقد اصطحب النبي ﷺ مثل هذه المبارزة العظيمة علياً وفاطمة والحسن والحسين ﷺ فقط، ومنه يعلم إن لم يتوفر المقام الكافي لأحد من الصحابة واتباع النبي ﷺ غيرهم ولتلك المنزلة المعنوية فبمجرد أن رأى نصارى نجران تلك المقامات المعنوية في تلك الشخوص انسحبوا من المباهلة واستسلموا لرسول الله ﷺ.

واتفق الفريقان على لفظة (أنفسنا) في هذه الآية حيث إنَّها نزلت في علي ﷺ الذي هو نفس رسول الله ﷺ يقول الفخر الرازي: إنَّ المقصود من أنفسنا اتحاد الصفات والكمالات بين النبي ﷺ وعلي ﷺ إذ إنه حازها جميعاً إلا النبوة^(١).

ومهما يكن من أمرٍ واعتماداً على نص هذه الآية فإن علياً ﷺ حائز على جميع صفات النبي ﷺ مثل العلم والعصمة. وبالنظر إلى اطلاق لفظ الآية فإنه لا يجوز النبوة فقط لأنها مستثناة منه في سائر الآيات والروايات، ومن جملة تلك الصفات النبوية هو انه مبين للشريعة وإمام للأمة فعليه يكون علي ﷺ مبيِّناً للشريعة وإماماً للأمة كذلك، وإلى ذلك أشار الشيخ الطوسي بقوله فبالنظر لهذه الآية فإنَّ علياً ﷺ إمام المسلمين بعد رسول الله ﷺ لأنَّ الآية دلَّت على تساوي علي ﷺ مع النبي ﷺ في الكمالات (إلا النبوة) وعلى قياس المساواة فإن علياً ﷺ يكون معصوماً وأعلم الأمة ويكون هذا الشخص مؤهلاً لمقام الإمامة^(٢).

المطلب الثاني: آيتا إكمال الدين والتبليغ

وردت آية إكمال الدين في سورة المائدة فقال الله تعالى: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتَمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيْتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾^(٣).

(١) ينظر: تفسير الرازي، الفخر الرازي: ٨ / ٨٦.

(٢) التبيان في تفسير القرآن، الشيخ الطوسي، المكتب الإعلامي الإسلامي: ٢ / ٤٨٥.

(٣) سورة المائدة، الآية: ٣.

وجاء قوله تعالى في سورة المائدة عن آية التبليغ فقال: ﴿يَأْتِيهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ﴾^(١).

فالله سبحانه وتعالى قد أمر رسول الله ﷺ أولاً أن يعرف الأمة بان علياً الإمام من بعده وذلك في الآية (٦٧) من سورة المائدة إذ قال: ﴿يَأْتِيهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ﴾^(٢)، ثم ذكر في آية (٣) من نفس السورة ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتَمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيْتُ لَكُمْ الْإِسْلَامَ دِينًا فَمَنِ اضْطُرَّ فِي مَخْمَصَةٍ غَيْرِ مُتَجَانِفٍ لِإِثْمٍ فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾^(٣)، بعد أن عرفهم بعلي عليه السلام بأن الخليفة بعد رسول الله ﷺ بانه قد أكمل لهم الدين.

وقد عرفت هذه الآيتين بأبي (إكمال الدين والتبليغ) إذ قال الله تعالى في آية التبليغ ﴿يَأْتِيهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ﴾.

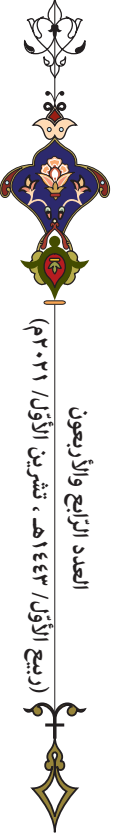
وقال في آية الإكمال أيضاً ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتَمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيْتُ لَكُمْ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾.

وفي الحقيقة ان اية التبليغ كانت مقدمة لآية إكمال الدين، كذلك إنها من جهة ترتيب النزول كانت سابقة على آية الإكمال في التنزيل والرواية في شأن نزول هاتين وردت من طرف الشيعة على نحو الإجماع ووردت من طرف السنة على نحو الاستفاضة ولا شك بأن هاتين الآيتين قد نزلتا في الثامن عشر من شهر ذي الحجة في السنة العاشرة للهجرة

(١) سورة المائدة، الآية: ٦٧.

(٢) سورة المائدة، الآية: ٦٧.

(٣) سورة المائدة، الآية: ٣.



(في عيد الغدير) نزلنا واحدة بعد أخرى وسنذكر في أدناه بعضاً من الأحاديث التي وردت في ذلك من كلا الفريقين:

وروى أبو سعيد الخدري عن النبي ﷺ أن آية الولاية نزلت في الثامن عشر من ذي الحجة في السنة العاشرة من الهجرة وأنها نزلت في تنصيب أمير المؤمنين علي (عليه السلام) إماماً^(١). ويقول الإمام الباقر (عليه السلام): «آخر فريضة أنزلها الله الولاية»^(٢).

وقال الرضا (عليه السلام) أيضاً: «أنزل الله في حجة الوداع آية ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتَمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي﴾ أمر الإمامة من تمام الدين لم يضل ﷺ حتى يبين لأئتمته معالم دينهم وأقام لهم علياً علماً وإماماً»^(٣).

وعند التوغّل في المباحث الدلالية لآية التبليغ لابدّ من التركيز على الظروف المحيطة بزمان النزول يتبين مدى صعوبة المرافقة للإعلام عن الإمامة إذ إن الله تعالى تعهد بحفظ شخص النبي ﷺ ونفسه من أخطار المنافقين القاسطين وأكد النبي ﷺ الأمر بالإعلام عن هذا الأمر المهم وقد قال في آية الإكمال ﴿الْيَوْمَ يَبْسُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ دِينِكُمْ فَلَا تَحْشَوْهُمْ وَاخْشَوْنِ الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ﴾.

وبالنظر إلى الترتيب النزولي لنزول الآيتين أحدهما بعد الأخرى وفي نفس يوم الثامن عشر من ذي الحجة يعلم يقيناً أن تعريف النبي ﷺ قد حصل في ذلك اليوم ويعلم كذلك بكل سهولة أن الأمر المهم الذي ورد الآية بتبليغه ليس تبليغ القرآن أو دين الإسلام؛ لأن إجماع الشيعة والسنة على أن سورة المائدة كانت آخر السور التي نزلت على رسول الله ﷺ، وقد عاشر النبي ﷺ بعد ذلك فترة قصيرة وعليه فإن تأكيد التبليغ لا معنى له إذا كان المقصود منه تبليغ أحكام الدين لأن أغلب الأحكام التي وردت في

(١) أسباب النزول، علي رضا ذكاوتي، نشر في طهران ٢٠٠٤: ١٠٧ / ١.

(٢) البرهان في تفسير القرآن، ميشم بن علي البحراني، انتشارات مهر، قم: ٢٢٣ / ٢.

(٣) المصدر نفسه: ١ / ٢٢٤.

سورة المائدة كأمثال الصلاة والصوم قد ذكرت في سورة البقرة وبين السورتين عدد كبير من السنوات قبل نزول سورة المائدة، فالمقصود إذًا من التبليغ تبليغ والإعلام بإمامة علي عليه السلام والمقصود من اليوم في آية الإكمال لم يكن إلا يوم تنصيب الإمامة علي عليه السلام بالإمامة وبالنظر لما تقدم فقد ذكر صاحب تفسير الأمثل (إذا كان المقصود من لفظ اليوم التي وردت مرتين في آية الإكمال فتح مكة أو يوم تبليغ سورة البراءة للمشركين أو يوم ابتداء البعثة فان تلك المقاصد لا تنفعه مع تنزيل سورة المائدة؛ لأن تلك الحوادث حصلت قبل مدة طويلة من نزول سورة المائدة فمثلا المدة بين نزول سورة المائدة وابتداء البعثة بحدود ثلاث وعشرين عاما وبينها وبين فتح مكة بحدود الستين وبينها وبين براءة بحدود السنة أو اكثر وعليه فالمقصود من لفظ اليوم هو يوم تنصيب الأمير بالإمامة^(١). وقد تقبل هذا الأمر بعض من مصنفي مفسري أهل السنة من أمثال السيوطي إذ قال (استناداً لما نقله عدد كثير من صحابة رسول الله صلى الله عليه وآله كأمثال أبو سعيد الخدري وغيره فان الآيتين نزلتا في باب تعريف علي عليه السلام بانه إمام المسلمين حيث بلغها النبي صلى الله عليه وآله في اليوم الثامن عشر من ذي الحجة في منطقة غدِير خم بأمر من الله تعالى)^(٢). وكذلك ذكر العلامة الطباطبائي بعد إيراد أبحاثاً مفصلة في ذي هاتين الآيتين قوله (هاتين الآيتين ليس لهما أي تفسير وتأويل غير تنصيب علي عليه السلام بالإمامة)^(٣).

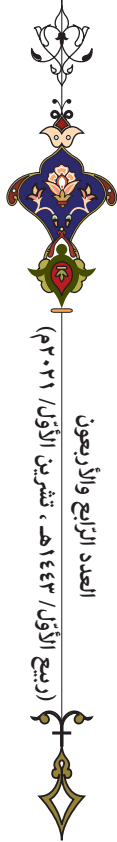
المطلب الثالث: الأحاديث الخاصة في إثبات إمامة أهل البيت عليهم السلام

نناقش في هذا المطلب ثلاثة أحاديث وردت نصّاً على تنصيب أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام وتبليغ الإمامة لضيق المقام:

(١) الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل، مكارم الشيرازي، انتشارات مدرسة الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام، قم: ٣ / ٥٩١.

(٢) الدر المنثور في التفسير بالمأثور، جلال الدين السيوطي، انتشارات آية الله المرعشي، قم: ٢ / ٢٩٨.

(٣) الميزان في تفسير القرآن، السيد محمد حسين الطباطبائي: ١٦٨ / ٥.



أولاً: حديث الغدير

لا ينكر سند هذا الحديث أي عالم منصف وقد وردت إسناد هذا الحديث بالتفصيل في كتاب عبقات الأنوار، وغاية المرام وبالخصوص في كتاب الغدير وقد ذكر البحراني له ٨٩ طريقاً^(١). وقال العلامة الأميني في الغدير (إنّ النبي ﷺ قد عرف علياً عليه السلام ولياً لأمر الأمة بحضور مائة وعشرين ألف شخص من أهل المدينة وغيرها من البلاد الإسلامية في يوم الثامن عشر من ذي الحجة في السنة العاشرة للهجرة وفي ارض غدير خم وعليه فان إسناده لا يحتاج إلى توضيح لأنه متواتر)^(٢). وهذه خلاصة عن طرق هذا الحديث من كتاب الغدير ثم سنشرع في الكلام في دلالاته باختصار.

قال النبي ﷺ في ذلك اليوم «يا أيها الناس من أولى الناس بالمؤمنين من أنفسهم»، قالوا: الله ورسوله اعلم فقال ﷺ، «إنّ الله مولا وأنا مولى المؤمنين وأنا أولى بهم من أنفسهم فمن كنت مولا فهذا علي مولا»، يقولها ثلاث مرات أو أربع مرات^(٣).

دلالة الحديث:

إنّ الكلام في معنى كلمة (مولى) في اللغة العربية فإنّ كلمة (المولى) لها معانٍ عدّة والشائع منها (العبد والصديق وصاحب الأمر والإمام) وبالنظر لصدر الحديث والذي يتكلم فيه النبي ﷺ عن ولايته المطلقة باستدلاله بالآية السادسة من سورة الأحزاب ﴿التَّيُّ أَوْلَىٰ بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ﴾^(٤)، وتذكير الناس بها ثم قال ﷺ «فمن كنت مولا

(١) غاية المرام في تعيين الإمام، البحراني: ١ / ١٣٥-١٦٥.

(٢) الغدير في الكتاب والسنة والأدب، الشيخ عبد الحسين الأميني: ١ / ٩.

(٣) المصدر نفسه: ١ / ١١.

(٤) سورة الأحزاب، الآية: ٦.

فعلي مولاه» وعليه فان كلمة المولى في هذا الحديث تدل على معنى الإمامة والولاية لا غير، وقد استخدم في الحديث حرف الفاء للتفريع مرتين وذلك في «فمن كنت مولاه فهذا علي مولاه» حيث تدل الفاء إنّ الأولى على ولاية ومولوية النبي ﷺ اعتماداً على مضمون الآية السادسة من سورة الأحزاب التي ينص ذلك.

وتدل الفاء الثانية (فهذا علي) تدل على انتقال تلك الولاية والمولوية لعلي ﷺ وعليه فلا يوجد مجال للإبهام في دلالة هذا الحديث إذا وقعتنا في صدر وذيل الرواية إذ إن النبي ﷺ قد بدأ حديثه ببيان ولايته المطلقة ثم نقل تلك الولاية لعلي ﷺ بفاء التفريع ثم ذكر في ذيل الرواية «فليبلغ الشاهد الغائب».

ثانياً: حديث الثقلين

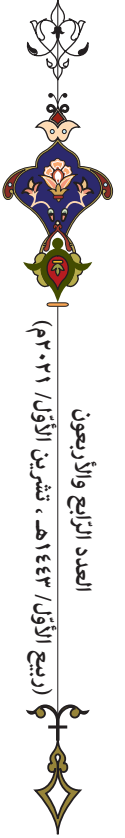
وهو حديث متواتر معنوياً وقد نقل السيد هاشم البحراني هذا الحديث بتسع وثلاثين طريقاً من طرف أهل السنة^(١).

فبالإضافة لنقل علماء الشيعة لهذا الحديث في كتبهم الكلامية والتفسيرية فإنهم القوا فيه كتباً مستقلة مثل كتاب حديث الثقلين للسيد علي الميلاني وغيره. في أدناه نورد الحديث نقلاً عن كتاب غاية المرام نقلاً عن أحمد بن حنبل ثم نناقش دلالاته بصورة مختصرة:

قال رسول الله ﷺ «إني قد تركت فيكم الثقلين أحدهما أكبر من الآخر كتاب الله وعترتي أهل بيتي ما إن تمسكتن بهما لن تضلوا بعدي، ألا إنهما لن يفترقا حتى يردا عليّ الحوض»^(٢). وعند البحث في دلالة هذا الحديث يجب الانتباه إلى أن النبي ﷺ قد جعل الكتاب وأهل البيت عدلين بعضهما للآخر.

(١) غاية المرام في تعيين الإمام، البحراني: ١ / ٢٩٨.

(٢) غاية المرام في تعيين الإمام: ١ / ٢٩٩.



ثانيا: إنّ الثقلين لا يفرقان إلى يوم القيامة عن بعضهما.

ثالثا: وجوب التمسك والاتباع لهما، ولا تحتاج النقطة الأولى والثانية للشرح لأنها في غاية الوضوح وبالأخص عندما نعلم أن النبي ﷺ قد رفع سبائتيه وجمع بينهما بقوله (كهتين) يعني بهما القرآن والحديث كما هاتين في التساوي أيضاً ذكر انها لن يفرقا كذلك إلى يوم القيامة.

أما النقطة الثالثة (يعني وجوب التمسك بأهل البيت عليهم السلام) إذ غنى بعدد إثباتها فالحديث من حيث الدلالة المنظر فيه ومن حيث الدلالة المفهومية دال على وجوب التمسك بأهل بيت النبي ﷺ (الأئمة المعصومون) وليست الإمامة إلا هذا الاتباع.

أما من حيث الدلالة المنطقية أو الدلالة المطابقية حيث إنّ الإنشاء جاء بلباس الإخبار ومن البدهي باتفاق السنة والشيعة على وجوب اتباع القرآن فلذا يكون اتباع عدله واجبا أيضاً وهذا الواجب مطابق ومماثل لوجوب الصيام كما في الآية ﴿ كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ ﴾^(١).

فقد جاءت بصيغة الإخبار التي دلت على معنى الأمر (صوموا) وفي لسان القرآن والحديث ورد مثل هذه استخدامات وعلّة هذا الاستخدام إنّ الأخبار في لباس الإنشاء يكون أكثر تأكيداً على الأمر.

وعليه فإنّ عبارة (ما إن تمسكنم بهما) تدل على معنى (تمسكوا بهما) وبالاعتماد على هذا الحديث فان القرآن الناطق وهم أهل البيت عليهم السلام حيث من يبين القرآن الصامت، والمفهوم المخالف أيضاً من الحجج وبمعنى (إنكم أيها الأمة الإسلامية لن ويم تمسكوا بالقرآن وبأهل البيت فسوف تضلون) ويبان آخر (إنّ عدم طاعة القرآن وأهل البيت يعدّ حراماً).

(١) سورة البقرة، الآية: ١٨٣.

ثالثاً: حديث المنزلة

ذكر السيد هاشم البحراني بأن هذا الحديث ورد من طريق أهل السنة بعدة طرق وقد ذكرته فرق الشيعة في كتبهم الكلامية والتفسيرية^(١).

وعليه فإن هذا الحديث من ناحية السند هو في حدّ التواتر ولا يحتاج البحث في إسناده. في أدناه نورد الحديث نقلاً عن أبي سعيد الخدري عن طريق رواية أحمد ابن حنبل ثم نبحث لاحقاً باختصار في دلالاته:

قال رسول الله ﷺ لعلي عليه السلام: «يَا عَلِيُّ أَنْتَ مِنِّي بِمَنْزِلَةِ هَارُونَ مِنْ مُوسَى إِلَّا أَنَّهُ لَا نَبِيَّ بَعْدِي»^(٢).

دلالة الحديث:

في الجملة فإن هذا الحديث تفسير لآية المباهلة بالحقيقة عرف الله علياً على أنه نفس رسوله من لسان النبي ﷺ بقوله تعالى: ﴿أَنْفُسَنَا وَأَنْفُسَكُمْ﴾^(٣).

ومما يتناوى في دلالة هذا الحديث وفقاً لهذه الآية حيازة علي عليه السلام لجميع صفات النبي ما عدا النبوة ومن جملتها إمامة النبي الأكرم صلوات الله عليه وآله والآية المطلقة فيكون علي عليه السلام كذلك حائزاً لتلك الصفات بعد النبي ﷺ والاستدلال في هذا الحديث أيضاً يصب في نفس المعنى ويجب الإشارة إلى عدة نقاط منها:

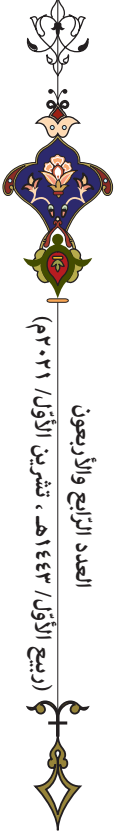
النقطة الأولى: إنّ إضافة كلمة منزلة إلى الاسم المعرفة (هارون) يفيد العموم. وبالمطابقة الدلالية للحديث فإنّ جميع المشتركات بين هارون وموسى ثابتة لا النبي ﷺ

وعلي عليه السلام (إلا النبوة التي استثنت في نص الحديث).

(١) غاية المرام في تعيين الإمام، السيد هاشم البحراني: ١ / ١٧٥.

(٢) بحار الأنوار، المجلسي: ٣٧ / ٢٧٣.

(٣) سورة آل عمران، الآية: ٦١.



النقطة الثانية: يجب معرفة الصفات المشتركة بين موسى وهارون غير صفة النبوة حيث تثبت جميع هذه الصفات لعلي عليه السلام.

وقد عدّ الله سبحانه وتعالى تلك الصفات المشتركة بقوله على لسان موسى عليه السلام ﴿وَأَجْعَلْ لِي وَزِيرًا مِّنْ أَهْلِي﴾ (٢٩) هَارُونَ أَخِي ﴿٣٠﴾ أَشَدُّ بِهِ أَزْرَى ﴿٣١﴾ وَأَشْرِكُهُ فِي أَمْرِي ﴿٣٢﴾. وعليه فإن جميع الصفات التي وردت ومنها الوزارة وبيان الشريعة وهداية الأمة ثابتة لعلي عليه السلام أيضًا وعليه فإن علياً عليه السلام هو القائم بالحكومة بعد النبي صلى الله عليه وآله ومبين الشريعة بعده صلى الله عليه وآله.

وهذا المعنى الذي نريد إثباته من معاني الإمامة ليس إلا.

وزيراً إما أن يكون بمعنى الملجأ كما في قوله تعالى ﴿كَلَّا لَا وَزَرَ﴾ (٣).

أو بمعنى حامل الثقل الكبير من أمور الحكومة وبيان أحكام الدين.

والذي يرجع أصلها إلى كلمة وزر والذي أشار إليها سبحانه في كتابه مرارا كما في قوله ﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى﴾ (٣)، إذ أن علياً عليه السلام الوزير بعد النبي صلى الله عليه وآله على المعنيين بمعنى انه حامل الأمر الثقيل من قيادة الأمة وكذلك بيان أحكام الشريعة ومن هذه الجهات فهو كهف الأمة الإسلامية وملجؤها.

(١) سورة طه، الآيات: ٢٩-٣٢.

(٢) سورة القيامة، الآية: ١١.

(٣) سورة فاطر، الآية: ١٨.

الخاتمة

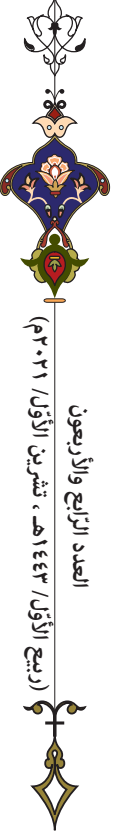
نستطيع القول إنّ نتيجة هذا البحث يتلخص في ثلاث نقاط مهمة بشكل كلي:

١- إنّ عقيدة الشيعة الإمامية الإثني عشرية في الإمامة تختلف عن عقيدة أهل السنة بشكل جوهري، من حيث إنّ أهل السنة لا يؤمنون بعصمة الإمام وعليه فلا يعتقدون أيضًا بالنص عليه من الله أو النبي ﷺ، لكن الشيعة الاثنا عشرية الإمامية يثبتون الإمامة عن طريق قاعدة اللطف العقلية واعتمادًا على هذا الدليل وما يؤدي إليه يعتقدون بعصمة الإمام وجوب النص عليه ويعضدونها بأدلة عقلية ونقلية تؤدي إلى إثباتها.

٢- إنّ الشيعة الإثني عشرية الإمامية يختلفون مع باقي الفرق الشيعية كأمثال الكيسانية وغيرهم وبالأخص الزيدية والإسماعيلية في أمر الإمامة ومن جملة تلك الاختلافات إنّ الزيدية يقولون بالنص الخفي على الإمامة ولا يعتقدون أنّ العصمة شرط فيها لكن الشيعة الاثنا عشرية الإمامية يعتقدون اعتقادًا راسخًا بالنص الجلي على الإمامة وبالعصمة أيضًا.

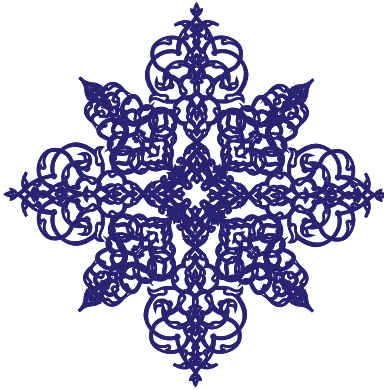
٣- إنّ الشيعة الاثني عشرية الإمامية يثبتون الإمامة على مرحلتين العامة والخاصة من خلال البراهين العقلية وبالاعتماد على الآيات مثل قوله تعالى: ﴿قُلْ هَلْ مِنْ شُرَكَائِكُمْ مَنْ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ قُلِ اللَّهُ يَهْدِي لِلْحَقِّ أَفَمَنْ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ أَحَقُّ أَنْ يُتَّبَعَ أَمْ لَا يَهْدِي إِلَّا أَنْ يُهْدَىٰ فَمَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ﴾^(١)، وقوله تعالى: ﴿فَمَنْ حَاجَّكَ

(١) سورة يونس، الآية: ٣٥.



فِيهِ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ وَأَنْفُسَنَا وَأَنْفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَلْ لَعْنَتَ اللَّهِ عَلَى الْكٰذِبِينَ ﴿١﴾، وقوله تعالى: ﴿... الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتَمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيْتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا فَمَنِ اضْطُرَّ فِي مَخْمَصَةٍ غَيْرٍ مُتَجَانِفٍ لِإِثْمِهِ فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿٢﴾، وقوله تعالى: ﴿يَأَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ ﴿٣﴾.

كذلك يثبتونها من خلال الأحاديث المتواترة والمستفيضة في كتب الشيعة والسنة كحديث الغدير وحديث الثقلين وحديث المنزلة وغيرها من الأحاديث النبوية الشريفة، وكثير من أحاديث كتاب الحجّة في أصول الكافي والتي ذكرناها في متن هذا البحث. والحمد لله رب العالمين على طيب المولد.



(١) سورة آل عمران، الآية: ٦١.

(٢) سورة المائدة، الآية: ٣.

(٣) سورة المائدة، الآية: ٦٧.

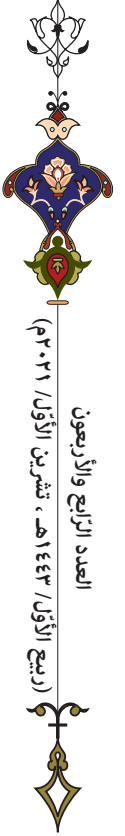
المصادر والمراجع

١. القرآن الكريم
٢. ابن عربيّ سنّي متعصّب، السيد جعفر مرتضى العاملي، المركز الإسلامي للدراسات، الطبعة الثانية، ٢٠٠٧م / ١٤٢٨هـ.
٣. إثبات الهداة بالنصوص والمعجزات، الحر العاملي (ت ١١٠٤هـ)، تخريج الأحاديث علاء الدين الأعلمي، منشورات مؤسسة الأعلمي، الطبعة الأولى المحققة، ١٤٢٥هـ / ٢٠٠٤م.
٤. الاختصاص، الشيخ أبو عبد الله محمد بن النعمان العكبري البغدادي الملقب بالشيخ المفيد (ت ٤١٣هـ)، تصحيح وتعليق علي أكبر الغفاري، ترتيب الفهارس السيد محمود الزرندي المحرمي، منشورات جماعة المدرسين في الحوزة العلمية، قم المقدسة.
٥. الأربعون حديثاً في إثبات إمامة أمير المؤمنين عليه السلام، العلامة الفقيه المحدث الشيخ سليمان بن عبد الله الماحوزي المعروف بالمحقق البحراني (ت ١١٢١هـ)، تحقيق ونشر السيد مهدي الرجائي، مطبعة أمير، الطبعة الأولى، ١٤١٧هـ.
٦. الإرشاد في معرفة حجج الله العباد، الشيخ محمد بن محمد بن النعمان العكبري البغدادي المعروف بـ(المفيد) (ت ٤١٣هـ)، مؤسسة آل البيت عليه السلام لإحياء التراث، الطبعة الأولى، ١٤١٦هـ / ١٩٩٥م.
٧. أسباب النزول، علي رضا ذكاوتي، انتشارات طهران، إيران.
٨. أسباب النزول، علي رضا ذكاوتي، نشر في طهران ٢٠٠٤.
٩. الأمالي، الشيخ الصدوق (ت ٣٨١هـ)، تحقيق قسم الدراسات الإسلامية، نشر مؤسسة البعثة، الطبعة الأولى، ١٤١٧هـ، قم المقدسة.
١٠. الإمامة والسياسة، ابن قتيبة الدينوري، تحقيق طه محمد الزيني، نشر مؤسسة الحلبي وشركاه للنشر والتوزيع.
١١. الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل، الشيخ ناصر مكارم الشيرازي، منشورات مدرسة الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام، قم، إيران.
١٢. أوائل المقالات، محمد بن النعمان المفيد، منشورات مؤتمر العلامة الشيخ المفيد، قم، إيران.
١٣. الباب الحادي عشر، الحلبي، شرح فاضل مقداد سوري، انتشارات مصطفىوي، طهران.



١٤. باب الحادي عشر، الشيخ حسن بن يوسف الحلي (ت ١٣٢٥هـ)، شرح فاضل مقداد سيوري، انتشارات المصطفوي، طهران، إيران.
١٥. بحار الأنوار الجامعة لدرر أخبار الأئمة الأطهار، العلامة محمد باقر المجلسي (ت ١١١١هـ)، مؤسسة الوفاء، بيروت.
١٦. البرهان في تفسير القرآن، السيد هاشم البحراني (ت ١١٠٩هـ)، مؤسسة دار المجتبي، قم المقدسة، إيران، مؤسسة البعثة، مؤسسة مهر، قم المقدسة.
١٧. بصائر الدرجات، محمد بن الحسن الصفار القمي (ت ٥٢٩٠هـ)، تحقيق وتعليق وتقديم الحاج ميرزا حسن كوجه باغي، منشورات الأعلمي، مطبعة الأحمدي، ١٤٠٤هـ، طهران.
١٨. تاريخ الطبري تاريخ الأمم والملوك، أبو جعفر محمد بن جرير الطبري (ت ٣١٠هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت.
١٩. التبيان في تفسير القرآن، محمد بن حسن الطوسي، انتشارات مكتب الإعلام الإسلامي.
٢٠. تفسير الإمام العسكري عليه السلام، المنسوب إلى الإمام العسكري عليه السلام، تحقيق ونشر مدرسة الإمام المهدي عليه السلام، الطبعة الأولى المحققة، ١٤٠٩هـ، مطبعة مهر، قم المقدسة.
٢١. التفسير الصافي، الفيض الكاشاني، نشر مكتبة الصدر، طبع مؤسسة الهادي عليه السلام، ١٤١٦هـ، الطبعة الثانية.
٢٢. تفسير العياشي، محمد بن مسعود العياشي (ت ٣٢٠هـ)، تحقيق وتصحيح سيد هاشم رسولي محلاتي، المطبعة العلمية، طهران، الطبعة الأولى، ٢٠٠١م
٢٣. تفسير القمي، أبو الحسن علي بن إبراهيم القمي من أعلام قرني الثالث والرابع، تصحيح وتعليق وتقديم السيد طيب الموسوي الجزائري، نشر مؤسسة دار الكتاب للطباعة والنشر، قم المقدسة، الطبعة الثالثة، ١٤٠٤هـ.
٢٤. تفسير فرات الكوفي، فرات بن إبراهيم الكوفي (من أعلام القرن الثاني الهجري)، تحقيق محمد الكاظم، مؤسسة الطباعة والنشر في وزارة الثقافة الإسلامية، ١٤١٦هـ، الطبعة الثانية، طهران، إيران.
٢٥. تلخيص الشافي، الشيخ محمد بن حسن الطوسي، تصحيح حسين بحر العلوم، انتشارات محبين، قم المقدسة، ٢٠٠٤.

٢٦. تلخيص الشافي، محمد بن الحسن الطوسي، انتشارات العريزي، قم المقدسة.
٢٧. الدر المنثور في تفسيري المأثور، جلال الدين السيوطي (ت ٩١١هـ)، انتشارات آية الله المرعشي، قم، إيران.
٢٨. الشافي في الإمامة، السيد علي بن السيد حسين المعروف بالسيد المرتضى، انتشارات مؤسسة الصادق (عليه السلام)، قم المقدسة.
٢٩. غاية المرام في تعيين الإمام، السيد هاشم البحراني (ت ١١٠٩هـ)، مؤسسة البعثة، قم، ٢٠٠٧م، إيران.
٣٠. الغدير في الكتاب والسنة والأدب، العلامة عبد الحسين الأميني (ت ١٣٩٠هـ)، دار الكتب العربية، بيروت، لبنان.
٣١. قرب الإسناد، أبو العباس عبد الله بن جعفر الحميري (من أعلام القرن الثالث والرابع الهجري)، منشورات المطبعة الحيدرية، الطبعة الأولى، النجف الأشرف، ١٩٥٠م.
٣٢. قواعد المرام في علم الكلام، الشيخ ميثم بن علي البحراني (ت ٦٨١هـ)، انتشارات مهر، قم، إيران.
٣٣. الكافي، الشيخ محمد بن يعقوب الكليني (ت ٣٢٩هـ)، تصحيح وتحقيق علي أكبر غفاري، نشر دار الكتب الإسلامية، طهران، الطبعة الرابعة، ١٤٠٧هـ.
٣٤. الكافي، الشيخ محمد بن يعقوب الكليني، منشورات الأمانة، بيروت، لبنان.
٣٥. الكافي، محمد بن يعقوب الكليني، باهتمام محمد حسين الدرايتي، نشر دار الحديث، قم المقدسة، الطبعة الأولى، ٢٠٠٥م.
٣٦. كشف الفوائد في شرح قواعد العقائد، الشيخ يوسف بن علي وخواجه محمد بن حسن الطوسي الحلبي (ت ٧٢٦هـ)، انتشارات مكتبة الإسلام، تبريز، إيران.
٣٧. كشف المراد في شرح تجريد الاعتقاد، الشيخ حسن بن يوسف الحلبي (ت ١٣٢٥هـ)، مؤسسة النشر الإسلامي، قم، إيران.
٣٨. گوهر مراد، عبد الرزاق فياض لاهيجي، الانتشارات الاسلامية، طهران، إيران.
٣٩. لسان العرب، أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم ابن منظور الأفرقي المصري، منشورات أدب الحوزة، قم المقدسة، ١٤٠٥هـ.



٤٠. المحاسن، احمد بن محمد بن خالد البرقي من أعلام القرن الثاني الهجري، تصحيح وتحقيق جلال الدين المحدث، نشر دار الكتب الإسلامية، قم المقدسة، الطبعة الثانية، ١٩٩٢م.
٤١. مسند ابن حنبل، أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني (ت ٢٤١هـ)، تحقيق شعيب الأرنؤوط، وعادل مرشد، وآخرون، إشراف الدكتور عبد الله بن عبد المحسن التركي، مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى، ١٤٢١هـ / ٢٠٠١م.
٤٢. مصباح المتهجد، الشيخ الطوسي، مؤسسة فقه الشيعة، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١١هـ.
٤٣. معاني الأخبار، الشيخ أبو جعفر محمد بن علي بن الحسين بن بابويه القمي (ت ٣٨١هـ)، تصحيح علي أكبر الغفاري، الانتشارات الاسلامية في الحوزة العلمية، قم المقدسة: ١٩٨٢م.
٤٤. معجم أحاديث الإمام المهدي عليه السلام، الشيخ علي الكوراني، نشر مؤسسة المعارف الإسلامية، الطبعة الأولى، ١٤١١هـ.
٤٥. مفاتيح الغيب (التفسير الكبير)، محمد بن عمر الفخر الرازي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان.
٤٦. المفردات في غريب القرآن، أبو القاسم حسين بن محمد الراغب الإصفهاني (ت ٣٥٦هـ)، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان.
٤٧. الميزان في تفسير القرآن، السيد محمد حسين الطباطبائي، نشر جامعة المدرسين، قم، إيران.
٤٨. نهج البلاغة، جمع السيد الشريف الرضي من كلمات أمير المؤمنين علي عليه السلام، دار المعرفة للطباعة والنشر، بيروت، لبنان.
٤٩. الوافي، المحدث محمد محسن المشتهر بالفيض الكاشاني، تحقيق العلامة السيد ضياء الدين الحسيني، إشراف مؤسسة السيد كمال الدين فقيه إيباني، نشر عطر العترة، مطبعة رسول، الطبعة الأولى، ١٤٣٠هـ، قم المقدسة.



التحقيق ونقدہ

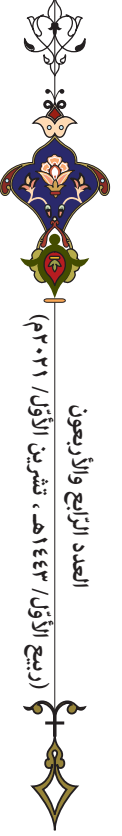
رِسَالَةٌ فِي مَعْنَى الْمَوْلَى
قَوْلُهُ ﷺ: (مَنْ كُنْتُ مَوْلَاهُ فَعَلِيٌّ مَوْلَاهُ)
لِأَبِي جَعْفَرٍ مُحَمَّدِ بْنِ مُوسَى الزَّامِيِّ السَّحْوِيِّ
كَانَ حَيًّا فِي الْقَرْنِ السَّابِعِ الْهَجْرِيِّ

دراسة وتحقيق رافد الغراوي

*A thesis about the meaning of "Mawla" in the hadith of (Whoever I am his Mawla, then Ali is his Mawla), by abu-Jaafar Mohammed bin Musa Alzammi Alnahwi, whom was alive through the seventh century of Hijrah
Study, investigation, and commentary by Rafid al-Gharrawi
Shahid Madani University/Iran - Tabriz/ Department of Quran and
Hadith Sciences
rafid2009@yahoo.com*

مقدمة الحق

عند انشغالي في تحقيق كتاب الجدّ آية الله الشيخ محمد الرضا الغراوي رحمه الله (١٣٠٣هـ-١٣٨٥هـ)، الموسوم (الإندازُ لقطع الأعدار) في الإمامة، أعجبتُ كثيراً في بحثه حول معاني كلمة (المولى)، فتشوّفتُ نفسي وتمنيتُ أن أزيد على ما ذكره الجدّ من معاني لأقدم خدمة لمولانا أمير المؤمنين عليه السلام، وعند إتمامي تحقيق الكتاب المزبور، سافرتُ إلى الجمهوريّة الإسلاميّة إيران وتشرفتُ بزيارة شيخنا المرجع الديني آية الله لطف الله الصافي الكليكاني دام ظله، وقد أهداني كتابه الموسوم (قبس من فضائل أمير المؤمنين عليه السلام) مئة وعشرة أحاديث من كتب العامّة))، وقال لي تصفح الكتاب فوقعت عيني على الحديث الأوّل وهو حديث الغدير «مَنْ كُنْتُ مَوْلَاهُ فَعَلِيٌّ مَوْلَاهُ»، ورأيتُ أن محقق الكتاب قد أجهد نفسه في تخرّج الحديث من مصادر أهل السنة، ولم يلتفت إلى المسألة الخلافية في معاني كلمة (مولى)، وقلتُ لمولانا وشيخنا حول ذلك، لذا عقدتُ في نفسي أن رجعت إلى بلدي سالماً واستقرّ بي المقام في مكتبي أن أكتب وأوضح شيئاً من ذلك، وفي غرة شهر محرم الحرام (سنة ١٤٤١ هـ)، زارني أخي في الله الفاضل الفضال حسنة الدهر الدكتور المحقق السيّد عليّ الأعرجي دام توفيقه، وصرتُ أتباحث معه حول معاني كلمة (المولى)، فقال لي: سأرسل لك رسالة كتبها أبو جعفر محمد بن موسى رحمه الله، ونسخها السيّد محمد صادق آل بحر العلوم رحمة الله عليه، فشكرت السيّد الفضال على ما تفضل به علينا وفعلاً في المساء أرسلها لي، وصرتُ أتطلّع فيها وأرسم كلماتها وأبحث عن مصادرها وأعلق عليها من كتاب جدّي، إلى أن وفقني الله تعالى ببركات سيّدي ومولاي أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب عليه السلام لإكمال تحقيقها في يوم الجمعة الموافق ٢٨ من شهر محرم الحرام من شهور سنة ١٤٤١ هجرية، وأرجو ممّن يطلع عليها أن يسبّل عليها برد المسامحة؛ لأنّ الحقير كثير الزلل، ولكن ﴿ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ﴾^(١)، والعذر عند كرام الناس مقبول، والحمد لله ربّ العالمين.



ترجمة المؤلف رحمه الله

هو أبو جعفر النحوي محمد بن موسى بن عمران الزمّي النحويّ (بفتح الزاي وفي آخرها الميم بعد الألف)^(١)، الأديب النحويّ الشاعر (كان حيّاً في القرن السابع الهجري)، وهو من أفراد الأدباء والشعراء بخراسان عامّة وحسنات نيسابور خاصّة، إذ هو من الزام أحد رساتيق^(٢) نيسابور.

وكان مع سبقه في ميادين الفضل راجحاً في موازين العقل وترقت حاله من التأديب بنيسابور إلى التصفح في ديوان الرسائل ببخارى^(٣)، بعد أبي إسحاق إبراهيم بن عليّ الفارسي، وهبت ريحه وبعد وصيته.

وله شعرٌ كعدد الشعرِ غلب عليه التجنيس^(٤) حتّى كاد يذهب بهاؤه ويكدر ماؤه وكل كثير عدو الطبيعة، فمن ملحه التي تستملح من وجهه ولا تستجاد من آخر قوله هذه الأبيات: (من الطويل)

(١) زامٌ: إحدى كور نيسابور المشهورة، وقصبتها البوزجان، وهو الذي يقال له جام، بالجيم، سميت بذلك لأنها خضراء مدوّرة، شهت بالجام الزجاج، وهي تشتمل على مائة وثمانين قرية، ذكر ذلك أبو الحسن البيهقي، وقال السمعاني: زام قصبتان معروفتان يقال لهما جام وبخرز فليل زام، والأول أصح لأن باخرز قصبه برأسها مشهورة لا عمل بينها وبين زام، ينظر: معجم البلدان: ٣ / ١٢٧.

(٢) الرُشّاق: مُعَرَّبٌ وَيُسْتَعْمَلُ فِي النَّاحِيَةِ الَّتِي هِيَ طَرَفُ الإقليم، ينظر: المصباح المنير في غريب الشرح الكبير للرافعي ٢٢٦ / ٢.

(٣) بخارى: بالضم: من أعظم مدن ما وراء النهر وأجلّها، يعبر إليها من أمل الشطّ، وبينها وبين جيحون يومان من هذا الوجه، وكانت قاعدة ملك السامانية..، ينظر: معجم البلدان: ١ / ٣٥٣.

(٤) (جَانَسٌ): المُجَانَسَةُ والتجنيس وكذا الجناس بكسر الجيم: البديع صرح به في زهر الربيع. والعامّة تفتحه قالوا لم يسمع من العرب ولم يشقوا من الجنس. وفي المزهري في الصحاح. زعم ابن دريد أن الأصمعي كان يدفع قول العامّة: هذا مجانس لهذا ويقول إنه مؤلّد. وكذا في ذيل الفصيح للموفق البغدادي. قال: قول الناس المجانسة والتجنيس مؤلّد ليس في كلام العرب ورده صاحب القاموس بأن الأصمعي واضع كتاب الأجناس وهو أول من جاء بهذا اللقب انتهى. وهو عجيب منه فإن الأصمعي لم ينكر لفظ الجنس ولا جمعه وإنما أنكر تصرفه، ينظر: شفاء الغليل: ١١٧.

رسالة في معنى (المولى) قوله صلى الله عليه وآله: من كنت مولاه فعلي مولاه **الْبَصِيحَاتُ** .

مضى رمضان مرمض الذنب ففده وأقبل شوال تشول به قهرا

فيالك شهرا أشهر الله قدره شهرت فيه سيوف العدا شهرا

ومن تجنيسه المستجاد المرتضى قوله من مقصورة في وصف السيف: (من الرجز)

مهند كأنما صقيله أشربه بالهند ماء الهندبا

يختطف الأرواح في الروح كما تختطف الأبصار حين ينتضى

وقوله في جارية له توفيت: (من مجزوء الكامل)

لي في المقابر درة أمسى التراب له صدف

لما غدت هدف البلاء أصبحت للبلوى هدف

وقوله من قصيدة: (من الطويل)

ومن منصفني من ريب دهري فإنني صريح بآدابي يد الدهر للدهر

أسير أسيرا للحوادث مقصدا بدهياء مقصودا بفاقرة الفقر

فإن تكن الأيام أوزت بهمتي فلا ضير إنني قد شددت لها أوزي

أويت إلى كهف المكارم والعلا لأغلي به قدري وأعلي به قدري

أعادت سجاياه اللجين بجوده نضارا وقد أهدت نثارا إلى التبر

لقد صيغ من بيض السبائك طبعه فحال سبيك الصفر صيغ من الصفر

وله من تشبيب قصيدة: (من الكامل)

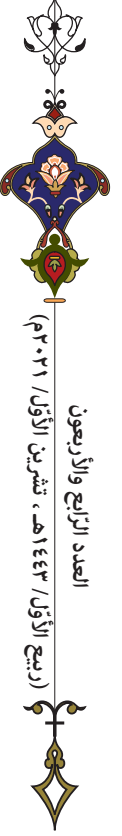
مزجت سوابق عبرة بعبير وسرت عزائم صبوتي لمسيري

وتبسمت بين البكاء فخلتها برقا تألق من خلال صبري

فكأنما هي روضة ممطورة ترنو إلي بنرجس ممطور

ومن أخرى: (من الكامل)

لشؤون عيني في البكاء شؤون وجفون عيني للبلاء جفون



العدد الرابع والأربعون
تشرين الأول / ١٤٤٣ هـ ،
ربيع الأول / ٢٠٢١ م

وخلال أنشواي خلال مذهب
أبديت مكنون الهوى لما بدا
وأزارني جون العقارب بغتة
والقلب مقرون بكل بلية
وله من أخرى: (من الكامل)
لزم السخاء فلا يقال ضنين
ما البائس المسكين غير تلاده
وله من أخرى: (من الخفيف)
لي حبيب بالشط شطت دياره
كان جاري فجار عني لا بل
رشاً أرسل الرشاء من المسك
عاذلي أعذرا فإن عذاري
لم يعانق ظلامي الصبح إلا
وله من نتفة: (من الخفيف)
أيها السيد الجليل الذي أصبح
استمع من قريض عبدك بيتا
ليس غير الكريم من ينجز الوعد

أضناه هم في الحشى مدفون
للعين ذاك اللؤلؤ المكنون
وردان فوقهما عقارب جون
مذلاح ذاك الحاجب المقرون

ونحا الوفاء فلا يقال ظنين
إذ يعتفيه البائس المسكين

وغدا للأسود زارا مزاره
جار بغيا علي والله جاره
على عارض يروق احمراره
عانق الشيب حين طر عذاره
بعد أن عانق الظلام نهاره

في المجد والكارم فردا
سار في الخافقين غورا ونجدا
ولكن من يجعل الوعد نقدا^(١)

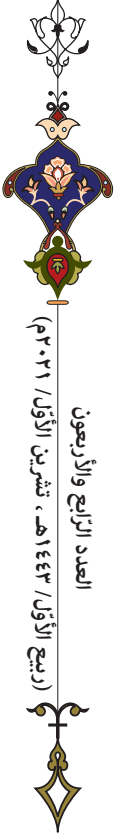
(١) راجع: الوافي بالوفيات للصفدي: ٥ / ٦١، وبتيمة الدهر، لعبد الملك الثعالبي النيسابوري: ٤ / ١٧٦-١٧٧.

منهج التحقيق

يمكن تلخيص ما قمتُ به من عمل في التحقيق بالنقاط الآتية:
اعتمدتُ في التحقيق على النسخة التي نسخها السيّد محمّد صادق بن الحسن آل بحر العلوم الطباطبائي الحسني في ٢١ شهر الصيام (سنة ١٣٦٠ هـ)، وقد أرسلها لي فضيلة الدكتور عليّ الأعرجي دام توفيقه، وذكرها المحسن الطهراني رحمه الله في الذريعة إلى تصانيف الشيعة: ٢٠ / ٣٩٤، (٣٦٣٢)، قال: مسألة في معنى من كنت مولاه للأديب أبي جعفر محمد بن موسى. أوله: [سألني الرئيس أبو إبراهيم أدام الله رفعتَه في داره المعمورة ببقائه عن معنى قوله ﷺ: «من كنت مولاه»، عند السيّد شهاب الدين بقمّ، وذكرها عنه الرفاعي رحمه الله في معجم ما كتب عن الرسول وأهل البيت صلوات الله عليهم: ٦ / ٣٤١ / ١٥٩٦٣.

أثبتُ نسبتها إلى مؤلفها من خلال ما وقفت عليه في مجلة تراثنا: ٢١ / ٢٣٩، إذ ذكر العنوان الذي مرّ ذكره في الذريعة، وقال: هكذا ذكره شيخنا في الذريعة ٢٠ / ٣٩٤، وأظنه أبا جعفر محمد بن موسى بن عمران الزاميّ النيسابوريّ، الذي ترجم له الثعالبي في فضلاء بخارى من يتيمة الدهر: ٤ / ١٧١، وترجم له الصفدي في الوافي بالوفيات: ٥ / ٨٩، والسيوطي في بغية الوعاة: ١ / ٢٥١ نقلا عن اليتيمة.

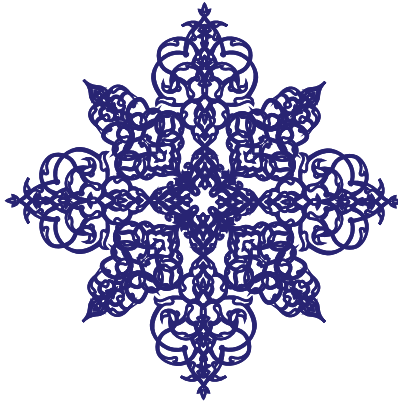
نوع الخط نسخٌ مقروء كتب باللغة العربية بخط السيّد محمّد صادق بن الحسن آل بحر العلوم رحمه الله.



قمتُ بكتابة النصّ، ومن ثمّ نضدته، وقابلتُ النصّ مع المخطوط.
 كتبتُ الآيات القرآنية بالخط القرآني تقديساً لكلام الله تعالى وحصرها ما بين
 أقواس مزهرة ❁❁ .

توجد بعض الكلمات رأيتُ استدركها على المتن؛ لإتمام بعض المعاني وبيانها، وقد
 حصرتها ما بين معقوفتين [] وأوضحت الأسباب الداعية إلى الاستدراك في مواطنها.
 أشرتُ إلى نهاية كلّ صحيفة برقم كذا: / ١، و / ٢.
 أما الأعلام فقد ترجمتُ لمن يحتاج منهم إلى ترجمة.
 ترجمة بعض الكلمات والألفاظ الغريبة من بعض المعاجم وقد أشرتُ إليها في
 مواطنها .

ترجمتُ للمؤلف رحمه الله، والسيد الناسخ رحمه الله.
 ألحقتُ بمقدمة التحقيق صوراً من المخطوط.
 قمتُ بذكر المصادر والمراجع في نهاية الكتاب وترتيبها حسب نظام الحروف الألف
 بائية.



Book 32

رسالة
في معنى المولى قوله
من كنت مولاه فعلي مولاه
لأبي جعفر محمد بن موسى
رحمه الله

بسم الله الرحمن الرحيم

قال الأديب السعيد أبو جعفر محمد بن موسى نور الله صرحه سألني السيد الرئيس أدام الله
نفسه في داره المعيرة بفتاؤه عن معنى قول الرسول صلى الله عليه وآله وسلم (من كنت مولاه
فعلي مولاه) فلم أجدهم بمصداً عن إيراد ما هو صفة فيه فذكرت له ما سمعته من في جواباً لما سمعته
من فيه ثم خيل اليه أن ما أوردته لا يجدي به نفساً ما لم يكن مكتوباً يعيد فيه النظر ويديه فأملت
ثانياً ما سمعته مني بأول الشأمله تأملاً شافياً وبعد فاني وإن لم أكن إماماً في الأواب
وعلامته في معرفة كلام العرب فقد نشئت منه بسبب وأويت منه من مذهب إلى مذهب
ومن كان مثلي من يعلم بعض العربية فالأبد من أن يكون له في ذلك على شيء اعتماد وعلى سكوت
واخلاق **فأقول** إن المولى على ما يفهم في الرواية وعليه الغنطاري في عهد الخبر بمعنى الأول
لا يجوز غيره بل ليلين مذهبين عند من أنصف وما اعتسف وذلك أن الأسماء على ضربين
مخصوصة ومشاركة فالخصوص منها لا يمكن أن يعدي به عن خصوصيته اصطلاحاً كان أم
نوعياً على ما هو مسطور في الأفاضل ومبين للأصاغر من الأواباء والأكابرة والمشارك العمل



العدد الرابع والأربعون
الربيع الأول / ١٤٤٣ هـ، تشرين الأول / ٢٠٢١ م



٢
 كل ذي علم على ما يدل عليه عمله وهده به إليه ذممه وكل حزب بما لديهم فرحون وهذا الإجماع من
المشرك عندي لا يسوغ حمله على المناسبة والمصافحة لعدم كون ذلك معروفا معلوما وأصل
 النحو يقولون الإخبار بما لا يعرف لا يفيد وأنا وإن لم أكن نحوياً أخذت شمت رائحته والنبي صلى الله
عليه وآله وسلم أجل وأعظم من أن يقرب بشيء لا يفيد والمولى بمعنى الأولى أولى القول لعالي
 النبي أولى بالمؤمنين من أنفسهم ليكون الخبر بهذا التأويل موازناً للوجي والتزويل فكأنه
قال عليه السلام كل من أنا أولى به من نفسه فعلى ذلك لأن علماً عليه السلام نفس النبي
بلا لا فرد تعالى فقل إنما لو ادع أبناءنا وأبناءكم ونساءنا ونساءكم وأفضنا وأفضكم
ودعوا من أن الإنسان لا يدعو نفسه فثبت أن المراد بأفضنا على عليه السلام وإذ لم يكن كذلك
فقول الله تعالى النبي أولى بالمؤمنين من أنفسهم كان أمراً للمؤمنين عليه السلام كذلك
وقول النبي صلى الله عليه وآله وسلم من كنت مولاه فعلي مولاه وأرد عنه على ذلك المخرج والمنهج
 فالعمد وعن ذلك عندي لا يسوغ فرد أدوام الله رفعة السيد ما أعطفه فيه فإن كنت
 مصيباً كان إلى وإن كنت بخطئاً فعلى علي أبي الخطئ أن ذلك حتى غير باطل وحال غير باطل

وما لو ضفي إلا بالله العلي العظيم والحمد لله رب العالمين
 ثم على هذا القطع إلى مرتبة الغنى محمد صادق
 ابن الحسن آل بحر العلوم الطباطبائي
 المحسن شفي عن جرائرها
 في شهر الصيام
 ١٠٣٠ هـ

رسالة في معنى المولى قوله

(مَنْ كُنْتُ مَوْلَاهُ فَعَلِيٌّ مَوْلَاهُ)

لأبي جعفر محمد بن موسى رحمه الله ^(١) «^(٢)» .

بسم الله الرحمن الرحيم

قال الأديب السعيد أبو جعفر محمد بن موسى - نور الله مصرعه -: سألتني السيّد الرئيس [أبو إبراهيم] ^(٣) (أدم الله توفيقه) في داره المعمورة ببقائه عن معنى قول الرسول ﷺ: «مَنْ كُنْتُ مَوْلَاهُ فَعَلِيٌّ مَوْلَاهُ» ^(٤)، فلم أجد محيِّصاً عن إيراد ما هو مذهبي فيه، فذكرت له

(١) ذكرها المحسن الطهراني رحمه الله في الذريعة إلى تصانيف الشيعة: ٢٠ / ٣٩٤، (٣٦٣٢)، قال: مسألة في معنى من كنت مولاة للأديب أبي جعفر محمد بن موسى. أوله: [سألني الرئيس أبو إبراهيم أدام الله رفعته في داره المعمورة ببقائه عن معنى قوله ﷺ: «من كنت مولاة»، عند السيد شهاب الدين بقم، وذكرها عنه الرفاعي رحمه الله في معجم ما كتب عن الرسول وأهل البيت صلوات الله عليهم: ٦ / ٣٤١ / ١٥٩٦٣ .

(٢) تمّ التوفيق إلى الابتداء بتحقيق هذه الرسالة الشريفة في مكتبة الحاج طالب الغراوي دام توفيقه (١٩٤٧م) في النجف الأشرف في يوم ٢٧ محرم سنة ١٤٤١ هجرية.

(٣) أثبتته من الذريعة ٢٠: / ٣٩٤، (٣٦٣٢).

(٤) صحيح مسلم: ٧ / ١٢٢، مسند الإمام أحمد بن حنبل: ٢ / ٧١، ٢٦٢، ٢٦٩، ٤٣٤، ج ٥ / ١٨٠، ج ٣٠ / ٤٣٠، ج ٣٢ / ٥٦، ٧٦، ج ٣٨ / ٣٢، ١٩٣، ٢١٩، ٥٤١، سنن ابن ماجه: ١ / ١٣٧، سنن الترمذي: ٥ / ٤٥١، سنن النسائي: ٥ / ٤٥، ١٠٨، ١٣٠، ١٣١، ١٣٢، ١٣٤، ١٣٦، فضائل الصحابة، للنسائي: ١٤، المستدرک، للحاكم النيسابوري: ٣ / ١١٠، ١١٦، ٣٧١، ٥٣٣، مجمع الزوائد، للهيتمي: ٧ / ١١٧، ج ٩ / ١٠٤، ١٠٥، وما بعدها، قلت: في تواتر حديث الغدير وصحته وسنده، وكيفية دلالته على إمامته ﷺ، قال المولى الجد آية الله الشيخ محمد رضا الغراوي في كتابه الإنذار لقطع الأعذار في الإمامة: ٢٣٩ (مسودة التحقيق): أقول: قد تظافر وتناصر رواية حديث



ما سمعه من في جواباً لما سمعته من فيه، ثم حُيل إليه أنّ ما أوردته لا يجديه نفعاً ما لم يكن مكتوباً يُعيد فيه النظر ويبيديه، فأملت ثانياً ما سمعه مني بادئاً؛ ليتأمله تأملاً شافياً.

وبعد:

فإنّي وإن لم أكن إماماً في الأدب وعلامةً في معرفة كلام العرب، فقد تشبّثت منه بسبب وأويت منه من مذهب إلى مذهب، ومن كان مثلي من يعلم بعض العريّة فلا بدّ من أن يكون له في ذلك على شيء اعتماد وعلى سكون وإخلاء .

فأقول: إنّ (المولى) على ما يضمّره فؤادي وعليه اعتقادي في هذا الخبر بمعنى (الأولى) لا يجوز غيره بدليلين مقنعين عند من أنصف وما اعتسف^(١)، وذلك أنّ الأسماء على ضربين مخصوصة، ومشتركة، فالمخصوص منها لا يمكن أن يعدى به عن خصوصيّة اصطلاحاً كان أم توقيفاً على ما هو مسطور في الدفاتر وميّن للأصاغر من الأدباء الأكابر.

والمشترك يحملُه / ١، كلّ ذي علم ما يدلّ عليه علمه ويهديه إليه فهمه، ﴿كُلُّ

الغديري حتّى رواه من الصحابة والتابعين وتابعيهم مائة وعشرون شخصاً حسب تتبعي القاصر ذكرت اسماهم في كتابي المُسمّى - نصيحة الضال - وكتابي المُسمّى بـ (النور المبين) وقد اعترف جمع من فطاحل علماء العامة بصحّة طرق اسانيده .

نعم الشاذّ منهم ادّعى عدم وروده في صحيح البخاري، ومسلم بن الحجاج، وأنّ أبا داود لم يصحّحه وهي دعوى مردودة على قائلها؛ لأنّ البخاري روى حديث بُرَيْدَةَ الأَسْلَمِيّ الذي قال فيه ان رَسُولَ اللهِ قَالَ: «مَنْ كُنْتُ وَليُّهُ فَإِنَّ عَلِيَّ وَليُّهُ»، بيد أنّه لم يذكر أنّه قاله يوم الغدير، وأن مسلماً رواه في الجزء الثاني من صحيحه عن زيد بن أرقم قام رسول الله ﷺ يوماً فخطبنا بباء يدعى حما بين مكة والمدينة.. الخ، وأن كان أهمل باقيه وفي هذا دلالة واضحة على اتّهام ظفرا به ولكن لم يذكره بِرُمْتِهِ لداعي نفساني لها على أنّ لازم قول المُدعي أنّ كلاهما لم يذكرهما ليس بصحيح قاضٍ بعدم صحّة جميع الأحاديث التي لم تذكر في صحّحيّهما وهذا خطأ فاحش وغلط بين؛ إذ لم يجمع كتاباهما جميع الأحكام بالوجدان فعل هذا يلزم ترك الأحكام الثابتة الصحّة في غير كتابيهما، وهذا لم يقل به مسلم كما أنّ عدم تصحيح أبي داود وأبي حاتم وغيرهما له لا يقضي بعدم صحّته واقعاً بعد جزم الجمع الكثير بصحّته وتيقن صدورّه من النبيّ؛ في حقّ عليّ عليه السلام يوم الغدير، بل كثير من علماء الجمهور نقل اتفاق العلماء على صحّة صدور هذا الحديث عنه ﷺ في حقه عليه السلام وفضله سلام الله عليه.

(١) عَسَفَ عن الطَّرِيقِ يَعْسِفُ عَسْفًا: مَالَ وَعَدَلَ وَسَارَ بغيرِ هِدَايَةٍ وَلَا تَوَخُّي صَوْبَ، ينظر: تاج العروس / ١٢ / ٣٨٥.

رسالة في معنى (المولى) قوله صلى الله عليه وآله: من كنت مولاه فعلي مولاه **الْبَصِيحَاتُ** .

حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ ^(١)، وهذا الاسم من المشترك عندي لا يسوغ حمله على المناسبة والمصاقبة ^(٢)؛ لعدم كون ذلك معروفاً معلوماً، وأهل النحو يقولون: -الإخبار بها لا يُعرف لا يفيد-، وأنا وإن لم أكن نحوياً فقد شممتُ رائحته، والنبى ﷺ أجل وأعظم من أن يخبر بشيء لا يفيد، و(المولى) بمعنى (الأولى أولى)، لقوله تعالى: **﴿الَّتِي أُولَى بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنْفُسِهِمْ﴾** ^(٣)، ليكون الخبر بهذا التأويل موزناً للوحي والتنزيل، فكأنه قال ﷺ: كل من أنا أولى به من نفسه فعلي كذلك؛ لأن علياً ﷺ نفس النبي ﷺ بدلالة، قوله تعالى: **﴿فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ وَأَنْفُسَنَا وَأَنْفُسَكُمْ﴾** ^(٤)، ومعلوم أن الإنسان لا يدعو نفسه، ثبت أن المراد بأنفسنا علي ^(٥)، وإذا كان كذلك فقوله تعالى: **﴿الَّتِي أُولَى بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنْفُسِهِمْ﴾** ^(٦)، كان أمير المؤمنين ﷺ كذلك، وقول

(١) سورة المؤمنون، الآية: ٥٣.

(٢) صابنهم مُصَاقِبَةٌ وَصِقَابًا: قاربناهم. ينظر: المحكم والمحيط الأعظم: ٦ / ٢١٨.

(٣) سورة الأحزاب، الآية: ٦.

(٤) سورة آل عمران، الآية: ٦١.

(٥) راجع: تفسير القرآن العظيم: ٢ / ٦٦٧، شواهد التنزيل لقواعد التفضيل: ١ / ١٥٩، أسباب نزول القرآن: ١٠٧، الكشف والبيان المعروف بتفسير الثعلبي: ٣ / ٨٥، الكشف عن حقائق غوامض التنزيل: ١ / ٣٦٨، الدر المنثور في التفسير بالمأثور: / ٣٩٩، ومناقب ابن مردويه: ٢٢٦، وتفسير ابن كثير: ١ / ٣٧٠.

أقول: وقد أجمع المفسرون على نزول الآية في حق الخمسة الأطهار من أهل البيت ﷺ. وروى مسلم في صحيحه: ١٨٧١ / ٦، قال: حَدَّثَنَا قُتَيْبَةُ بْنُ سَعِيدٍ وَمُحَمَّدُ بْنُ عِبَادٍ (و تقارباً في اللفظ) قالوا: حَدَّثَنَا حَاتِمٌ، وَهُوَ ابْنُ إِسْمَاعِيلَ عَنْ بَكْرِ بْنِ مَسَارٍ، عَنْ عَامِرِ بْنِ سَعْدِ بْنِ أَبِي وَقَاصٍ، عَنْ أَبِيهِ، قَالَ: أَمْرٌ مَعَاوِيَةَ بْنِ أَبِي سَفْيَانَ سَعْدًا فَقَالَ: مَا مَنَعَكَ أَنْ تَسْبَّ أَبَا تَرَابٍ؟ فَقَالَ: أَمَا مَا ذَكَرْتُ، ثَلَاثًا قَالَهُنَّ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ. فَلَنْ أَسْبَهُ، لِأَنْ تَكُونَ لِي وَاحِدَةً مَنَّهُنَّ أَحَبَّ إِلَيَّ مِنْ حَمْرِ النَّعَمِ- إِلَى أَنْ قَالَ: - وَلَمَّا نَزَلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ: **﴿فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ﴾** دَعَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَلِيًّا وَفَاطِمَةَ وَحَسَنًا وَحُسَيْنًا فَقَالَ: **«اللَّهُمَّ هُوَ لَاءُ أَهْلِي»**.

وكذلك أخرجه الترمذي في سننه: ٥ / ٧١، قال حَدَّثَنَا قُتَيْبَةُ، حَدَّثَنَا حَاتِمُ بْنُ إِسْمَاعِيلَ، عَنْ بَكْرِ بْنِ مَسَارٍ، عَنْ عَامِرِ بْنِ سَعْدِ بْنِ أَبِي وَقَاصٍ، عَنْ أَبِيهِ قَالَ: لَمَّا أَنْزَلَ اللَّهُ هَذِهِ الْآيَةَ **﴿تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ﴾** [آل عمران: ٦١] الْآيَةَ، دَعَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَلِيًّا وَفَاطِمَةَ وَحَسَنًا وَحُسَيْنًا فَقَالَ: **«اللَّهُمَّ هُوَ لَاءُ أَهْلِي»**.

(٦) سورة الأحزاب، الآية: ٦.



النبي ﷺ: «مَنْ كُنْتُ مَوْلَاهُ فَعَلِيٌّ مَوْلَاهُ»^(١)، وَاوَدُّ عَنْهُ عَلَى ذَلِكَ الْمُدْرَجِ وَالْمَنْهَجِ، فَالْعُدُولُ

(١) أقول: ما يعضد ما ذكره المؤلف رحمه الله ما ذكره الجدّ آية الله الشيخ محمد رضا الغراوي في كتاب الإنذار لقطع الأعدار في الإمامة (في دفع توهم دعوى اجمال لفظ (المولى) في حديث الغدير)، إذ قال: نعم اختلافهم في تأويله لدعواهم أنّ لفظ المولى، أو الأولى، أو الوليّ قد ورد في اللغة مُشترَكًا بين معانٍ عديدة فيكون مجمل الدلالة وإثبات إمامته ﷺ وهو تقديمه على غيره فيها موقوف على نصوصيّة الحديث فيها وهو ليس كذلك؛ لأنّ لفظ الأولى، المولى يطلق على: الربّ، والمالك، السيّد، والمنعم، والمُعْتَقُ بكسر التاء، والمُعْتَقُ بفتح التاء، والناصر والمحبّ، والتابع، والجار، وابن العمّ، والحليف، والعقيد، والصهر، والعبد، والمنعم عليه والأولى بالأمر والمتصرّف المطاع في كلّ ما يأمر.

ودفع هذه الدعوى من أوضح الواضحات لمن يروم قصد الحقّ بجنانه ولسانه وأمسك عن التردّي بهوّة التعصّب والجهل فضل عنانه.

وذلك أنّ هذا الكلام قد صدر قطعاً من ينبوع الفصاحة والبلاغة الذي هو أفصح من نطق البضاد وكلامه إمام الكلام كما أنّه إمام كلّ الأنام، وأنّ المخاطبين به هم الذين نزل القرآن بلغاتهم فلا بدّ وأن يقصد بكلامه إيّاهمّ الذي يحسن منه؛ جمعهم في ذلك المكان الوائبي، والزمان الشديد الحرّ الذي يصعب عليه وعليهم الإقامة فيه والحلول، وتعطيلهم عن قطعه والخروج منه مع شدّة ما يلاقونه فيه من الحرّ والأذى ووخامة الهواء، وسوء الرّي منه لو احتاجوا إلى الورد منه وقلة المرعى والكلاء لدوابهم ورواحلهم ولبنالوا منه فائدة عظيمة لم تكن تختلج بأذهائهم قبل بيانه؛ إيّاهمّ حتّى تكون في قبال ما لاقوه وما قاسوه ممّا ذكرناه.

ولا يرتاب عاقل متنبّه أنّه؛ لو قصد من كلامه المتقدّم أيّ معنى من المعاني التي ذكرت ما عدا الأخير منها لكان منه؛ عبثاً وسفهاً إذ هو إمّا من قبيل توضيح الواضحات أو تحصيل الحاصلات أو معدوم الفائدة التي نبيلهم إيّاهمّ في مقابل ما يقاسونه من تلك المضاضات، أو من الأشياء المختلفات، بل المكفّرات ولو جاز عليه؛ أن يريد ما ذكروه لحسن منهم المسارعة إلى القول تجلّ يا رسول الله عن البيان لهذا القصور في هذا المكان العسر والوقت الخرج مع أنّا كلّنا نعلم بوقوعه أو كذبه أو عدم الفائدة فيه المسوغة لتعطيلنا عن المسير ومقاساتنا لما قسيناه من الشدّة في إقامتنا هنا، بل العقل الصحيح وشرعه أيضاً يقيح نطقه؛ وإرادته من لفظه ذلك جلّ هذه المعاني التي ذكروا استعمال اللفظ المزبور فيها؛ لأنّ أرادته؛ منه معنى الربّ الذي هو الخالق كثرًا محضًا، وكذا إرادته منها المالك لرقابهم ملك رقى يكون كذبًا محضًا، وكذا المُعْتَقُ إذ لم يعتقهم؛، وكذا التابع؛ لأنّه لم يتبعهم قولاً ولا فعلاً، بل هو المتبوع وهم التابعون، وكذا الحليف؛ لأنّه لم يجالّف أحدًا حتّى يَنْصَمَ إليه، بل النَّاس طوعاً وكرهاً تنصمَ إليه، وتبلي دعوته حال ظهور صدقها لهم، ولم يكن عبداً؛، ولا معتقاً لأحد، ولا مُعْتَمَ عليه من أحد، ولا جاراً، بل المسلمون كلّهم دخلوا

في جواره وذمته ×، وحينئذٍ لو قصد بلفظه هذه المعاني لكان منه؛ هذا من الكذب الصراح الذي تنزّه مقامه ﷺ، بل مقام كلّ عاقل عنه، فقطعاً أنّه؛ لم يرد مخاطبتهم بهذه، ولم تجر في خلده ورأيه على أنّه عديم الفائدة، وكذا لو أراد منه ابن العمّ يعني أنّه كذب صريح لو قصده يكون من قبيل توضيح الواضح، وتحصيل الحاصل وهو عبث وسفه؛ لأنّ معناه حينئذٍ من كنت أنا ابن عمّه فعليّ ابن عمّه، وفيه من المجاجة والسجاجة ما لا يخفى على كلّ عاقل، بل حتّى لو قصد بيانه أنّ عليّاً هو ابن عمّي، وكذا لو قصد؛ بأخباره من كنت أنا صهره فعليّ صهره، إذ عليّ لم يكن صهر

رسالة في معنى (المولى) قوله صلى الله عليه وآله: من كنت مولاه فعلي مولاه **الْبَصِيحَاتُ** .

عن ذلك عندي لا يسوغ، فهذا أدام الله رفعه السيّد ما أعتقده فيه، فإن كنت مُصيّباً كان إليّ، وإن كنت مُحطّطاً فعليّ على أنّي أتحمّق أنّ ذلك حقّ غير باطل وحال غير عاطل، وما توفيقني إلا بالله العليّ العظيم، والحمد لله ربّ العالمين.

تمّ على يد الفقير إلى ربّه الغني محمّد صادق بن الحسن آل بحر العلوم الطباطبائي الحسني^(١) عفي عن جرائمها في ٢١ شهر الصّيام سنة ١٣٦٠ [هجريّة] / ٢.

لاحد غيره في حال حياته ' حتّى يريد بيانه للنّاس في ذلك الجمع العظيم، وكذا لو قُصد بقوله ' بيان من كنت مُنعمًا عليه فعليّ مُنعم عليه؛ لأنّه لم ينعم عليهم كلّهم بعق أو تضمّن جريرة نعم نطق القرآن المجيد بنعمته ' على زيد حيث قال ' عزّ وجلّ: ﴿وَإِذْ نَقُولُ لِلَّذِي أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ﴾ .
بلى أن أريد به بيان نعمة الدّين أيّ إنّ من كنت أنعمت عليه بأن علمته الدّين وبيّنت له الأحكام فعليّ بعدي هو المُنعم عليه بنعمة الدّين وبيان الأحكام، فيكون كقوله ' في حقّ عليّ عليه السلام «أفضلكم عليّ فتعلموا منه بعدي ولا تعلموه فإنّه أعلم منكم وأطيعوه»، كان له وجه وكذا يكون له وجه لو أراد به السيّد؛ لأنّ يكون معناه من كنت سيّدًا ورئيّسا عليه فعليّ السيّد والرئيس عليه بعدي، وأما إذا أراد منه بمعنى الشريف في النسب فقطعًا لا يريد؛ لأنّه من قبيل تحصيل الحاصل إذ معناه من كان يراني إني شريف النسب عنده ويرعاني لشرافة نسبي فعليّ عليه السلام كذلك أيضًا على أنّه عديم الجدوى أيضًا إذ هذا معلوم لديهم مُتيقّن أنّ الذي يريد ' منه هو المعنى الآخر إذ هو المعنى الحقيقيّ لهذا اللفظ في اللغة والكتاب والسنة والعرف العامّ كما هو واضح للمُتتبع من ذوي السير والتحصيل.

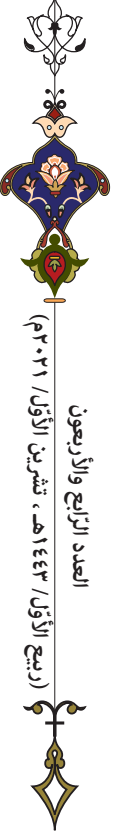
(١) هو السيّد محمّد صادق بحر العلوم ابن حسن ولد في النجف الأشرف (سنة ١٣١٥، [ت ١٣٩٧ هـ]) درس في النجف فكان من اساتذته السيّد محسن القزويني وأبو الحسن المشكيني والسيّد أبو تراب الخوانساري والشيخ محمد حسين النائيني والسيّد أبو الحسن الأصفهاني. وواصل البحث والمطالعة في كتب الأنساب والتاريخ واللغة والأدب، ثم انصرف إلى تحقيق بعض كتب التراث مثل [تاريخ اليعقوبي] [اليعقوبي] لابن واضح الأخباري و[تاريخ الكوفة] للبرقي و[فرق الشيعة] للنوبختي و[التقود الإسلامية] للمقرزي و[عمدة الطالب] في أنساب آل أبي طالب لابن عنبه و[أساء القبائل العراقية وغيرها] للسيّد مهدي القزويني و[الفهرست] للشيخ الطوسي و[الكواكب الساوية] للشيخ محمد الساوي. وله حواش على [الرسائل] و[المكاسب] للشيخ مرتضى الأنصاري و[كفاية الأصول] للشيخ كاظم الخراساني و[كشف الظنون] للشلبي. وله [المجموع الرائق] على طريقة الكشكول و[السلاسل الذهبية] و[الدرر البهية] في تراجم علماء الامامية من القرن الحادي عشر إلى هذا القرن. وله ديوان شعر مخطوط. ١٥٣ عين قاضيا شرعيا في محاكم العراق، ينظر: مستدركات أعيان الشيعة ١: ١٥٣.



المصادر والمراجع

١. القرآن الكريم.
٢. أسباب نزول القرآن، علي بن أحمد الواحدي، (ت ٤٦٨ هـ)، تحقيق: كمال بسيوني الزغلول، مكان الطبع: بيروت، تاريخ الطبع: ١٤١١ هـ، الطبعة: الأولى.
٣. الأنساب، عبد الكريم بن محمد السمعاني (ت ٥٦٢ هـ)، المصحح: عبد الرحمن بن يحيى العلمي، عدد المجلدات: ١٣، الناشر: مطبعة المجلس، دائرة المعارف العثمانية، مكان الطبع: حيدر أباد، تاريخ الطبع: ١٣٨٢ هـ، الطبعة: الأولى.
٤. الإنذار لقطع الأعدار في الإمامة، آية الله الشيخ محمد رضا الغراوي + (ت ١٣٨٥ هـ)، تحقيق وتعليق الشيخ رافد الغراوي، قيد الطبع من قبل العتبة الحسينية المقدسة، قسم الدراسات، والشؤون الفكرية.
٥. تفسير القرآن العظيم (لابن أبي حاتم)، عبد الرحمن بن محمد ابن أبي حاتم (ت ٣٢٧ هـ)، ت المحقق: أسعد محمد الطيب، عدد المجلدات: ١٣، الناشر: مكتبة نزار مصطفى الباز، مكان الطبع: الرياض، تاريخ الطبع: ١٤١٩ هـ، الطبعة: الثالثة.
٦. مجلة تراثنا، المؤلف: مؤسسة آل البيت عليه السلام، الجزء: ٢١، سنة الطبع: ١٤١٠، الناشر: مؤسسة آل البيت عليه السلام لإحياء التراث - قم المشرفة، ملاحظات: العدد الرابع - السنة الخامسة شوال ١٤١٠ هـ.
٧. الجامع الصحيح وهو سنن الترمذي، محمد بن عيسى الترمذي (ت ٢٧٩ هـ)، تحقيق وشرح: أحمد محمد الشاكر، المتوفى (سنة ١٣٧٧ هـ)، عدد المجلدات: ٦، الناشر: دار الحديث، مكان الطبع: القاهرة، تاريخ الطبع: ١٤١٩ هـ.
٨. الدر المنثور في التفسير بالمأثور، عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي (ت ٩١١ هـ)، عدد

- المجلدات: ٦، الناشر: كتابخانه عمومی حضرت آیت الله العظمی مرعشی نجفی رحمه الله، مكان الطبع: قم المقدسة، تاريخ الطبع: ١٤٠٤ هـ، الطبعة: الأولى.
٩. الذريعة إلى تصانيف الشيعة، قا بزرگ الطهراني (ت ١٣٨٩ هـ)، الناشر: دار الأضواء - بيروت - لبنان، الطبعة: الثانية .
١٠. شفاء الغليل فيما في كلام العرب من الدخيل، أحمد بن محمد الخفاجي (ت ١٠٦٩ هـ)، الطبعة الأولى سنة الطبع ١٤١٨ هـ دار الكتب العلمية بيروت .
١١. شواهد التنزيل لقواعد التفضيل، عبيد الله بن عبد الله الحسكافي (ت ٤٩٠ هـ)، المحقق: محمد باقر المحمودي، المتوفى (سنة ٢٢ / ١ / ١٣٩٨ هـ)، عدد المجلدات: ٣، الناشر: وزارة الثقافة والإرشاد الإسلامي، مؤسسة الطبع والنشر، مكان الطبع: طهران، تاريخ الطبع: ١٤١١ هـ، الطبعة: الأولى .
١٢. صحيح مسلم، مسلم بن الحجاج (ت ٢٦١ هـ)، المصحح: محمد فؤاد عبد الباقي، عدد المجلدات: ٥، الناشر: دار الحديث، مكان الطبع: القاهرة، تاريخ الطبع: ١٤١٢ هـ.
١٣. السنن الكبرى، أحمد بن علي النسائي (ت ٣٠٣ هـ)، المحقق: عبد الغفار سليمان البنداري، إعداد: صديق بن حسن خان القنوجي البخاري، المحقق: حسن سيد كسروي، عدد المجلدات: ٧، الناشر: دار الكتب العلمية، منشورات محمد علي بيضون، مكان الطبع: بيروت، تاريخ الطبع: ١٤١١ هـ، الطبعة: الأولى.
١٤. سنن الحافظ أبي عبد الله محمد بن يزيد القزويني ابن ماجه (ت ٢٧٣ هـ)، المحقق: بشّار عوّاد المعروف، عدد المجلدات: ٦، الناشر: دار الجليل، مكان الطبع: بيروت، تاريخ الطبع: ١٤١٨ هـ، الطبعة: الأولى.
١٥. فضائل الصحابة، النسائي (ت ٣٠٣ هـ)، الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت - لبنان.
١٦. الكشف والبيان المعروف بتفسير الثعلبي، أحمد بن محمد الثعلبي (ت ٤٢٧ هـ)، المحقق: أبي محمّد ابن عاشور، مراجعة وتدقيق: نظير الساعدي، عدد المجلدات: ١٠، الناشر: دار إحياء التراث العربي، مكان الطبع: بيروت، تاريخ الطبع: ١٤٢٢ هـ، الطبعة: الأولى.
١٧. الكشف والبيان المعروف بتفسير الثعلبي، أحمد بن محمد الثعلبي (ت ٤٢٧ هـ)، المحقق: أبي محمّد ابن عاشور، مراجعة وتدقيق: نظير الساعدي، عدد المجلدات: ١٠، الناشر:



- دار إحياء التراث العربي، مكان الطبع: بيروت، تاريخ الطبع: ١٤٢٢ هـ، الطبعة: الأولى.
١٨. المصباح المنير في غريب الشرح الكبير للرافعي، تأليف الفيومي، أحمد بن محمد، الطبعة الثانية سنة الطبع ١٤١٤ هـ مؤسسة دار الهجرة قم .
١٩. مسند الإمام أحمد بن حنبل (٢٤١ هـ)، المحقق: عامر الغضبان، إبراهيم الريبق، محمد بركات، العرقسوسي، محمد نعيم، إشراف: عبد الله بن عبد المحسن التركي، المحقق: شعيب الأرنؤوط، المحقق: كامل الخراط.
٢٠. معجم البلدان، ياقوت بن عبد الله الحموي (ت ٦٢٦ هـ)، عدد المجلدات: ٧، الطبعة الثانية سنة الطبع ١٩٩٥ م، الناشر: دار صادر، مكان الطبع: بيروت.
٢١. المستدرک، الحاكم النيسابوري (ت ٤٥٠ هـ)، عدد المجلدات: ٣، تحقيق: إشراف: يوسف عبد الرحمن المرعشلي .
٢٢. مجمع الزوائد، الهيثمي (ت ٨٠٧ هـ)، عدد المجلدات: ٧، سنة الطبع: ١٤٠٨ - ١٩٨٨ م، الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت - لبنان.
٢٣. مستدرکات أعيان الشيعة، حسن الأمين (ت ١٤٢٣ هـ)، عدد المجلدات: ٧، الناشر: دار التعارف للمطبوعات، مكان الطبع: بيروت، تاريخ الطبع: ١٤٠٨ هـ، الطبعة: الأولى.
٢٤. مناقب علي بن أبي طالب عليه السلام وما نزل من القرآن في علي عليه السلام، أحمد بن موسى ابن مردويه (ت ٤١٠ هـ)، المحقق: عبد الرزاق محمد حرز الدين، عدد المجلدات: ١، الناشر: مؤسسة علمي فرهنگي دار الحديث، سازمان چاپ ونشر، مكان الطبع: قم المقدسة، تاريخ الطبع: ١٤٢٤ هـ، الطبعة: الثانية.
٢٥. الوافي بالوفيات، الصفدي (ت ٧٦٤ هـ)، تحقيق: أحمد الأرنؤوط وتركي مصطفى، المطبعة: بيروت - دار إحياء التراث، الناشر: دار إحياء التراث، سنة الطبع: ١٤٢٠ - ٢٠٠٠ م.
٢٦. يتيمة الدهر، عبد الملك الثعالبي النيسابوري (ت ٤٢٩ هـ)، تحقيق: شرح وتحقيق: د. مفيد محمد قمحية، الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت - لبنان، المطبعة: دار الكتب العلمية، سنة الطبع: ١٤٠٣ - ١٩٨٣ م.



دراسات بيليرغرافية

فَهْرِسُ ذَخَائِرِ
آيَاتِ الْوَلَايَةِ وَالْإِمَامَةِ وَالْغَدِيرِ
فِي التُّرَاثِ الْعَرَبِيِّ الْمَخْطُوطِ
(الْقِسْمُ الْأَوَّلُ)

إعداد

حيدر عبد الباري الحداد

وحدة الفهرسة - العتبة العلوية المقدسة

Relics Index of The Wilayah, Imamate, and Al-Ghadeer Quranic Verses, in the Arabian manuscripts heritage

Edited by: Hayder Abdul-Bari al-Haddad

indexing unit - The holy shrine of Imam Ali

المقدمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف مخلوقاته وأكرم بريته، وعلى أهل بيته مصابيح الدجى، وذوي الفضائل النهى، والشرف الذي لا يستقصى.

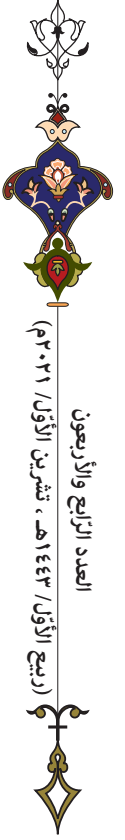
وبعد:

كثيرة هي الكتب والرسائل التي تناولت مسألة الإمامة والولاية والغدير، وما يتعلق بذكر فضائل ومناقب المعصومين عليهم السلام، ومن الطرفين الشيعة والسنة، وعلى مر العصور والأزمنة.

فقد كُتِبَ في هذا المضمار الموالم والمخالف، والموالي والناصري، وكل بحسب مقدرته وما جادت به عصاره أفكاره وتوفيقاته، فمنهم من سلك جادة الحق ومنهج الرشد والصواب، ومنهم من حاد عن هذا الطريق إتباعاً لشیطان الهوى والنفس الأمارة، فأخذ يجادل ويدلس ويقلب الحقائق الناصعة بحجج واهية لا تصمد عند النقد والدليل.

وتبعاً لذلك أصبح لدى المكتبة الإسلامية تراثٌ كثيرٌ ومتعدد الألوان في هذا المجال، توزع في المكتبات والمراكز المهتمة بالتراث الإسلامي، ولا يخفى أن من حسنات علم الفهرسة هو إرشاد الباحثين والمحققين إلى أماكن تواجد هذه الذخائر الخطيية باختزال للوقت والجهد.

وقد صدر لأغلب المراكز فهارس علمية تعنى بنشر عنوانات النسخ الخطيية المحفوظة في خزاناتها، فتعددت الفهارس واختلفت فيها أذواق المفهرسين في إبراز معالم النسخ وما تزدان به من مميزات، ونتيجة لهذا التعدد في الفهارس أصبح من المفضل جمع هذه الفهارس في فهرس موحد؛ لتسهيل عملية البحث، فصدرت بعض الفهارس الجامعة، ومن بين هذه الفهارس المهمة والقييمة فهرس التراث العربي المخطوط في



مكتبات إيران العامة، للسيد أحمد الحسيني الإشكوري، والذي يقع في أربعة عشر جزءاً تناول فيه ذكر التراث العربي المخطوط والمحفوظ في خزانات المكتبات والمراكز في إيران.

فأحببت أن استخلص منه فهرساً للنسخ الخطية المتعلقة بآيات الولاية والإمامة والغدير، وضمنته لاستكمال الفائدة ما ورد في ذكر فضائل المولى أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام.

وقد نهجت في هذا الفهرس على إعطاء رقم تسلسلي أول كل نسخة، ثم ذكر عنوان النسخة وبمحاذاتها ذكر موضوعها، ثم اسم المؤلف وتاريخ وفاته، وبعده ذكر نبذة تعريفية بما تمتاز به النسخة وما تحويه من أبواب وفصول وغيرها، ثم ذكر أول النسخة بما يميزها من غيرها من النسخ، وقد جعلت بين معقوفتين اسم الفهرس ورق الجزء والصفحة، وقد عرفت عن ذكر أماكن النسخ بل أشرت إلى مصدر النسخة وهو كتابنا آنف الذكر.

كل ذلك استخلصته من الفهرس المذكور وجمعته وربتته في هذا الفهرس، نسأل الباري تعالى أن يجعله مصدر انتفاع للقراء والباحثين والمحققين، وأن يحشرنا في زمرة من تمسك بنهج المولى أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام وسلك مسلكه، إنه ولي ذلك وهو المسدد والموفق للصواب، وأنه نعم المولى ونعم النصير، والحمد لله أولاً وآخراً وظاهراً وباطناً، وصلى الله على من لا نبي بعده وعلى أهل بيته الطيبين الطاهرين، ولعن الله أعداءهم من الأولين والآخرين إلى قيام يوم الدين.

أقل خدمة المولى أمير المؤمنين

حيدر عبد الباري الحداد

في يوم الأربعاء ١٦ محرم سنة ١٤٤٣ هـ.

(١)

عقائد	الإبانة عن المماثلة في الاستدلال لإثبات النبوة والإمامة
--------------	--

تأليف: الكراكجي، أبو الفتح محمد بن علي بن عثمان الكراكجي (ت: ٤٤٩ هـ)
 أثبت المؤلف في هذه الرسالة طريقي إثبات الإمامة الخاصة والنبوة الخاصة على منكريها، فيفرض مجلساً فيه إمامي ومعتزلي ويهودي، ويذكر الاحتجاج للنبوة على اليهودي ومثله للإمامة على المعتزلي، فيه ردّ على من ذهب إلى أن مسألة الإمامة من المسائل الفقهية ومنكرها ليس بكافر، ومحاولة جادة لدعم آراء الشيعة الإمامية في موضوع النبوة والإمامة، مطبوع.
 بداية النسخة: ((الحمد لله على ما منحه من إرشاده وهدايته، والصلاة على من بعثه ببرهانه وآيته سيدنا محمد صاحب شريعته ودلالته...)).

[التراث العربي المخطوط: ٦٤ / ١]

(٢)

عقائد	الأبحاث في تقويم الأحداث
--------------	---------------------------------

تأليف: الجرجاني، ركن الدين محمد بن علي بن محمد الجرجاني الأسترآبادي الغروي (ق٨)
 في الردّ على الزيدية وإثبات إمامة الأئمة الاثني عشرية والاستدلال على صحة غيبة الحجة المنتظر (عج) والجواب على الشبهات التي أودها على الموضوع، مرتب على مقدمة وعشرة فصول وخاتمه، ألفه الجرجاني بعد كتابه ((الدعامة في إثبات الإمامة))، وأكثر ما يستند فيه على الأحاديث والتواريخ المنقولة في مؤلفات الزيدية لتكون حجة عليهم ودحضاً لأدلتهم، تم تأليفه يوم الجمعة ٣ جمادى الآخرة سنة ٧٢٨ هـ في الحضرة الغروية في النجف الأشرف.



بداية النسخة: ((حمداً لله مستحق الحمد والحمد من أسمائه، ومستوجب الشكر والشكر سبب زيادة نعمائه، والصلاة على محمد سيد أنبيائه...))
[التراث العربي المخطوط: ٦٦ / ١]

(٣)

كلام	الأبحاث المفيدة في تحصيل العقيدة
------	----------------------------------

تأليف: العلامة الحلي، الحسن بن يوسف ابن المطهر الحلي (ت: ٧٢٦هـ)
مختصر في المسائل الكلامية على أصول الإمامية، وبآخره الأعمال الموجبة للنجاة في الآخرة ودخول الجنة، مرتب على ثمانية فصول ذات مباحث، تضمن الفصل السابع مبحث الإمامة، مطبوع.

بداية النسخة: ((الحمد لله المتوحد بالجلال المتفرد بالكمال...))
[التراث العربي المخطوط: ٦٧ / ١]

(٤)

كلام	أبكار الأفكار
------	---------------

تأليف: الآمدي، سيف الدين علي بن علي بن محمد الآمدي (ت: ٦٣١هـ)
استعرض المؤلف في هذا الكتاب المسائل الكلامية بتفصيل ونقل كثيراً من آراء علماء الكلام وناقشها، واهتم خاصة بما يتعلق بآراء المعتزلة، رتب المؤلف ففي ثمانية قواعد، تضمنت القاعدة الثامنة مبحث الإمامة، تم تأليفه في ١٥ ذي الحجة سنة ٦١٢هـ، مطبوع.
بداية النسخة: ((قال سيدنا ومولانا.. الحمد لله الذي لا يبلغ مدى عظمته الواصفون، ولا يدرك كنه حقيقته العارفون...))
[التراث العربي المخطوط: ٧٥ / ١]

(٥)

عقائد	إثبات عصمة الأنبياء والأئمة <small>عليهم السلام</small> = رسالة في عصمة الأئمة <small>عليهم السلام</small>
--------------	---

تأليف: محمد الطباطبائي، محمد بن عبد الكريم بن مراد الطباطبائي الحسني البروجردي (ت: نحو ١١٦٠هـ).

استفاد الطباطبائي عصمة الأئمة عليهم السلام من آية: ﴿وَإِذْ أُنزِلَتْ آيَاتُنَا لَكُمْ آيَاتٍ وَمِنْ عَمَلِكُمْ وَإِذْ أَنْبَأْنَا آدَمَ بِالْحَيَاةِ وَالْآيَاتِ وَمِنْ آيَاتِكُمْ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ...﴾، [سورة البقرة، آية: ١٢٤]

بداية النسخة: ((قال الشيخ أبو علي (رحمه الله) في مجمع البيان استدلل أصحابنا بهذه الآية على أن الإمام لا يكون إلا معصوماً...)).

[التراث العربي المخطوط: ٩١ / ١]

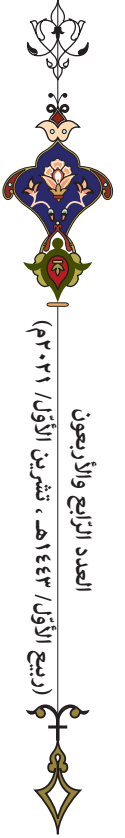
(٦)

عقائد	إثبات الوصية
--------------	---------------------

تأليف: المسعودي، أبي الحسن علي بن الحسين بن علي المسعودي (ت: ٣٤٦هـ). في إثبات أن الأرض لا تخلو في جميع الأزمنة من الحجج الإلهية، وبيان كيفية اتصالهم من الأنبياء وأوصيائهم من لدن آدم عليه السلام إلى الخاتم صلى الله عليه وآله ووصاية الأئمة المعصومين الاثني عشر عليهم السلام، مدعوماً بنقل الأحاديث والتواريخ الصحيحة، وكان المسعودي مشغولاً به في سنة ٣٣٢هـ كما يظهر من أحوال الإمام الثاني عشر، مطبوع.

بداية النسخة: ((الحمد لله رب العالمين.. روي عن عالم أهل البيت عليهم السلام أنه قال لشيعته: اعلموا العقل وجنوده، وأعرفوا الجهل وجنوده...)).

[التراث العربي المخطوط: ١٢١ / ١]



(٧)

عقائد	إثبات الولاية
-------	---------------

تأليف؟

احتجاج مع بعض علماء أهل السنة في إثبات إمامة أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام، جرى في مجلس أحد خلفاء بني العباس.

بداية النسخة: ((قال رواة الأحاديث والأخبار: أنه حضر في مجلس الخليفة...)).

[التراث العربي المخطوط: ١/ ١٢٢]

(٨)

فضائل المعصومين	إثبات الهداة بالنصوص والمعجزات
-----------------	--------------------------------

تأليف: الحر العاملي، أبو جعفر محمد بن الحسن المشغري العاملي (ت: ١١٠٤ هـ).

جمع المؤلف الأحاديث المروية في النص على إمامة الأئمة المعصومين الاثني عشر عليهم السلام ومعجزاتهم الدالة على إمامتهم، نقل فيه أكثر من عشرين ألف حديث في أكثر من سبعين

ألف سند ليبدل على تواتر هذه الأحاديث لفظاً ومعنى، ويردّ على الذين ذهبوا إلى أنها أخبار آحاد مؤيدة بالأدلة العقلية لقلّة تتبعهم الأخبار المروية في ذلك، مرتب في خمسة وثلاثين

باباً ذات فصول، مقسمة في مجلدين بدأ به يوم الغدير سنة ١٠٩٢ هـ وفرغ منه في أواخر سنة ١٠٩٥ هـ بالمشهد الرضوي، مطبوع.

بداية النسخة: ((الحمد لله رب العالمين.. فيقول الفقير إلى الله الغني.. هذا كتاب

إثبات الهداة بالنصوص والمعجزات والذي دعاني إلى جمعه وتصنيفه...)).

[التراث العربي المخطوط: ١/ ١٢٢]



(٩)

أجوبة	أجوبة المسائل
-------	---------------

كتبها: الرشتي، السيد كاظم بن القاسم الحسيني الرشتي (ت: ١٢٥٩ هـ)
أسئلة اعتقادية أكثرها حوا النبوة والإمامة، أجبا عنها الرشتي عند عودته من سفر
خراسان.

بداية النسخة: ((الحمد لله رب العالمين.. إن بعض الذين ميزوا الماء من السراب،
وفرقوا بين القشور واللباب، وطلبوا لذلك الحق والصواب...)).

[التراث العربي المخطوط: ١ / ١٩٥]

(١٠)

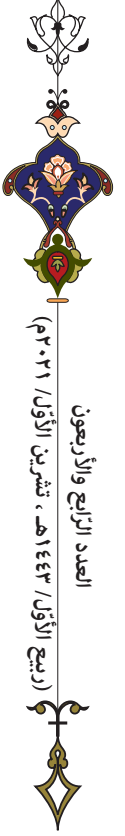
أجوبة	أجوبة مسائل الأبرقوثي
-------	-----------------------

تأليف: الأحسائي، أحمد بن زين الدين بن إبراهيم الأحسائي المطيرفي (ت:
١٢٤١ هـ).

أسئلة عن: الظن في العقائد، الغناء والفرق بينه وبين الصوت الحسن المباح،
سبب اختلاف الأحاديث، الآيات المحكمة الدالة على الإمامة، إبتلاء الأطفال ببعض
الأمراض. سألها الحاج محمد الأبرقوثي.

بداية النسخة: ((قال محمد المهدي.. شيخنا ومولانا أشكل علي مسائل...)).

[التراث العربي المخطوط: ١ / ١٩٩]



(١١)

أجوبة	أجوبة مسائل ابن شدقم
-------	----------------------

كتبها: الشيخ البهائي، بهاء الدين محمد بن الحسين العاملي (ت: ١٠٣٠هـ) ست مسائل مع مناقشات من السائل في الإمامة والعصمة وما أشبهها، كتبت في عاشر شهر محرم سنة ١٠١٣هـ، وأجاب عليها الشيخ البهائي مختصراً هوامشها في نفس السنة.

بداية النسخة: ((بعد عرض العبودية والإخلاص لدى مولانا وسيدنا وشيخنا وقدوتنا.. ينهي المملوك أن الحاجة داعية إلى عرض مسائل فسأل من كرمه الجسيم تحقيقها وتنقيحها...)).

[التراث العربي المخطوط: ٢٠٠ / ١]

(١٢)

أجوبة	أجوبة مسائل الحسيني
-------	---------------------

تأليف: الرشتي، كاظم بن قاسم الحسيني الرشتي الحائري (ت: ١٢٥٩هـ) مسائل في عقيدة اليهود والنصارى، وإثبات نبوة النبي ﷺ، وولاية الوصي والأئمة عليهم السلام، سألها السيد أحمد بن حسن الحسيني وأجاب عنها على ضوء آرائه الخاصة لتكون الجوابات رداً على المخالفين، تم الجواب عليها في ٢٥ ربيع الأول سنة ١٢٥٨هـ.

بداية النسخة: ((الحمد لله الذي أوضح السبيل بإقامة البرهان والدليل...)).

[التراث العربي المخطوط: ٢٣١ / ١]

(١٣)

أجوبة	أجوبة مسائل عبد الله بيك
-------	--------------------------

تأليف: الرشتي، كاظم بن قاسم الحسيني الرشتي الحائري (ت: ١٢٥٩ هـ)
 تسعة عشر سؤالاً في العقائد من التوحيد والنبوة والإمامة ومسائل من علوم القرآن ورموز الحروف المقطعة فيه، وشرح وتوضيح بعض الأحاديث، سأها عبد الله بيك بن نصر الله بيك وأجاب عنها السيد الرشتي بذوقه الخاص به، وكان الجواب في شهر محرم سنة ١٢٣٧ هـ.

بداية النسخة: ((الحمد لله رب العالمين.. إن الأخ السديد والولي الرشيد الزكي اللوذعي واللييب الألمي...)).

[التراث العربي المخطوط: ١ / ٢٧٣]

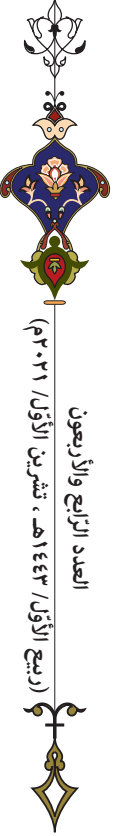
(١٤)

أجوبة	أجوبة مسائل في الإمامة
-------	------------------------

تأليف: القاسمي، أبو عبد الله حميدان بن يحيى بن حميدان القاسمي (ق ٧)
 أجوبة على اعتراضات أوردت حول بعض معاجز أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام، ووجه تقديمه على الآخرين حسبما يذهب إليه أئمة أهل البيت (الزيدية)، ويبدو أن المعارض ردّ هذه الأجوبة فكتب القاسمي ردوداً ثانية عليه.

بداية النسخة: ((سألت تغمدا الله وإياك بتوفيقه، وأرشدنا إلى سلوك منهاج الحق وطريقه، وجعلنا ممن استضاء بنور العلم في ظلمات الجهل...)).

[التراث العربي المخطوط: ١ / ٢٨٣]



(١٥)

أجوبة	أجوبة مسائل في النبوة الإمامة
-------	-------------------------------

تأليف: الرشتي، كاظم بن قاسم الحسيني الرشتي الحائري (ت: ١٢٥٩ هـ)
جوابات على مسائل بعض الاخوان حول مباحث النبوة والإمامة، كتبها السيد
الرشتي في سنة ١٢٥٨ هـ.

بداية النسخة: ((الحمد لله رب العالمين.. إن هذه كلمات ذا تبين أمليتها جواباً
لمسائل من بعض الاخوان الذي لم يتبين له الحق المين..)).
[التراث العربي المخطوط: ٢٨٤ / ١]

(١٦)

أجوبة	أجوبة مسائل الكاظمي
-------	---------------------

كتبها: الرشتي، كاظم بن قاسم الحسيني الرشتي الحائري (ت: ١٢٥٩ هـ)
سألها الشيخ إسماعيل بن أسد الله الكاظمي الذي لم يُصرح باسمه في مقدمة السيد،
وهي أربع مسائل عن: معنى العصمة، تفسير آية ﴿إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾،
وجوب معرفة الأئمة عليهم السلام، شرح حديث الطينة، الأجوبة بعنوانين (قوله - أقول).
بداية النسخة: ((الحمد لله رب العالمين.. إن بعض إخوان الصفا وقدوة أصحاب الوفا..)).
[التراث العربي المخطوط: ٢٨٨ / ١]

(١٧)

أجوبة	أجوبة مسائل محمود ميرزا
-------	-------------------------

تأليف: الأحسائي، أحمد بن زين الدين الأحسائي (ت: ١٢٤١هـ)
أحد عشر سؤالاً في المسائل الاعتقادية والفلسفية، أجاب عليها الأحسائي مختصراً
استدلالاً بعنوانين (قال - أقول)، وهي عن: سر عصمة الأنبياء والأوصياء، معنى
الولاية وآية ﴿إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ﴾، وغيرها من المسائل، تمت الأجوبة في ٢٤ رجب
سنة ١٢٣٧هـ.

بداية النسخة: ((الحمد لله رب العالمين.. إن جناب العالي الشامخ والعلم الباذخ
ركن الدولة الركين...)).

[التراث العربي المخطوط: ٢٩٨ / ١]

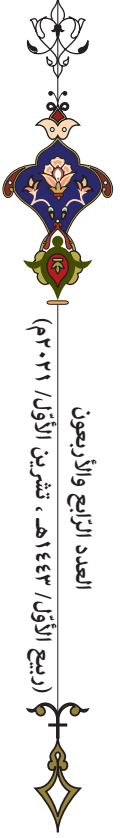
(١٨)

عقائد	احتجاج المخالفين على إمامة أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام
-------	--

تأليف: هاشم البحراني، هاشم بن سليمان بن إسماعيل الموسوي الكتكاني البحراني
(ت: ١١٠٧هـ)

أورد فيه المؤلف خمسة وسبعين احتجاجاً من العامة على إمامة أمير المؤمنين علي بن
أبي طالب عليه السلام، واحتجاجات من قولهم على بطلان إمامة غيره، فرغ منه سنة ١١٠٥هـ.

[التراث العربي المخطوط: ٣٣٣ / ١]



(١٩)

عقائد	إحقاق الحق وإزهاق الباطل
-------	--------------------------

تأليف: التستري، القاضي نور الله بن محمد شريف الحسيني التستري الشهيد (ت: ١٠١٩هـ).

شروح ومناقشات علمية موضوعية في مسألة الإمامة، ردّ فيها التستري على كتاب (إبطال نهج الباطل وإهمال كشف العاطل) للفضل بن روزبهان الخنجي (ق ١٠) الذي ردّ على العلامة الحلي (ت: ٧٢٦هـ) في كتابه (نهج الحق وكشف الصدق)، فرغ منه في آخر ربيع الآخر سنة ١٠١٤هـ بمدينة (آكره) بالهند، مطبوع.

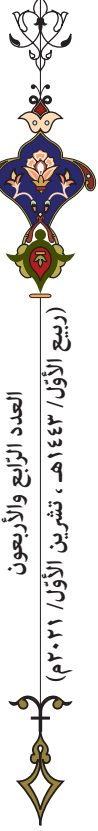
بداية النسخة: ((الحمد لله الذي جعل مقام شيعة الحق علياً، وصيرهم مع نبيه إبراهيم في ذلك الاسم سميّاً، ورقاهم إلى طور الطاعة بخفض جناح الاطاعة...)).
[التراث العربي المخطوط: ١ / ٣٣٦]

(٢٠)

حديث	الأربعون حديثاً = الأربعين حديثاً في الإمامة = مدارج اليقين
------	---

تأليف: الماحوزي، أبو الحسن سليمان بن عبد الله بن علي الماحوزي البحراني (ت: ١١٢١هـ).

اختار أربعين حديثاً بأسانيداً قد رواها أهل السنة في كتبهم من فضائل الإمام أمير المؤمنين علي عليه السلام مع شرح مفصل لها منبهاً في معظمها على وجه دلالتها، وذيلها بإيراد أحاديث مماثلة لكل واحد منها لتكون مؤكّدة لمضمون الحديث، ألفه باسم الشاه سلطان حسين الصفوي (ت: ١١٣٥هـ)، وأتمه في ليلة الخميس ٣ شهر ذي القعدة سنة ١١١٠هـ، مطبوع.



بداية النسخة: ((الحمد لله الذي هدانا عند تفرق الأهواء للتمسك بالثقلين كتاب الله والعترة الطاهرة، وألهمنا عند تشعب المذاهب والآراء التشبث بالعروة الوثقى...)).
[التراث العربي المخطوط: ٤١١ / ١]

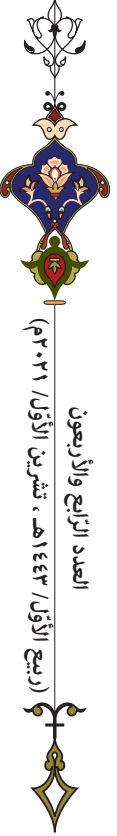
(٢١)

حديث	الأربعون حديثاً
------	-----------------

تأليف: الهروي، محمد تقي بن حسين علي الأصفهاني الحائري (ت: ١٢٩٩هـ).
أحاديث مختارة في التوحيد والنبوة والإمامة والمعاد وما يتصل بها من العقائد مع شرح مفصل لها بما يطابق كتاب الله وسنة الرسول ﷺ، ويوافق ما حققه أهل المعقول والمنقول - كما يقول المؤلف - مع الإشارة إلى بعض ما وقع لجمع من الغفلة والذهول، كل ذلك للبحث في أصول الدين على أساس معتقدات الإمامية المأخوذة عن أهل البيت عليهم السلام، فيذكر نص الحديث ثم يتبعه بالشرح والتوضيح بعنوان (بيان)، ثم اختيارها وشرحها.

بداية النسخة: نحمدك يا من دل على ذاته بذاته، وتجلي في مظاهر أسمائه وصفاته، ونشكرك يا من أتقن آثار صنعه في مصنوعاته...)).

[التراث العربي المخطوط: ٤٢٦ / ١]



(٢٢)

حديث	الأربعون حديثاً = إمامة الأئمة الطاهرين <small>عليهم السلام</small>
------	---

تأليف: محمد طاهر القمي، محمد طاهر بن محمد حسين الشيرازي القمي (ت: ١٠٩٨ هـ)
أربعون حديثاً مشروحة في فضائل الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام وإثبات
وصايته وإمامته، وهي في الحقيقة أربعون دليلاً في الإمامة تتقدمها فاتحة في خصوص
الأحاديث المروية في كتب المخالفين بطرقهم في إمامة الإمام علي عليه السلام.
بداية النسخة: ((الحمد لله الذي هدانا إلى سبيل الحق بنصب الأدلة والبراهين
وأرشدنا إلى طريق إبطال المبطلين...)).

[التراث العربي المخطوط: ٤٢٨/١، ٤٤٥]

(٢٣)

حديث	الأربعون حديثاً عن الأربعين من الأربعين
------	---

تأليف: ابن بابويه، منتجب الدين علي بن عبد الله ابن بابويه الرازي (ت: بعد
٥٨٥ هـ)

أربعون حديثاً في فضائل ومناقب الإمام أمير المؤمنين عليه السلام، رواها أربعون راوياً عن
أربعين من صحابة الرسول صلى الله عليه وآله، جمعها المؤلف بأسانيد بعد تأليف كتابه (الفهرست)،
ذيل الكتاب بعد ما أتم تأليفه بأربع عشرة حكاية في فضائل الإمام علي أيضاً.
بداية النسخة: ((الحمد لله رب العالمين.. وبعد، فلما فرغت من جمع ما عندي من
أسامي علماء الشيعة ومصنفاتهم على قدر القدرة...)).

[التراث العربي المخطوط: ٤٣٥ / ١]

(٢٤)

حديث	الأربعون حديثاً عن الأربعين في فضائل أمير المؤمنين
------	---

تأليف: الشيخ المفيد، محمد بن أحمد بن الحسين الخزاعي النيسابوري (ت: حدود ٤١٢ هـ).
أربعون حديثاً في فضائل الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام رواها الخزاعي عن طريق أربعين شيخاً من شيوخه، وفي آخرها أبيات في فضله عليه السلام وسبب انتخاب الأربعين، جمعها بطلب من السيد الشريف أبي الفضل الهادي بن الحسين بن معد العلوي الحسيني، حذفت أسانيد الكتاب من بعض نسخه المخطوطة.
بداية النسخة: ((اللهم إني أسألك (أحمدك) حمداً يفوق حمد الحامدين، وأشكرك شكراً يزدد على شكر الشاكرين حسب مننك الجسماء...)).

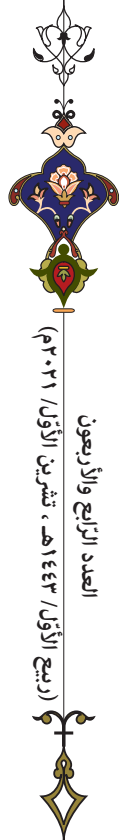
[التراث العربي المخطوط: ١ / ٤٣٥]

(٢٥)

حديث	الأربعون حديثاً عن الأربعين في فضائل أمير المؤمنين <small>عليه السلام</small>
------	--

جمع: يوسف بن حاتم العاملي، يوسف بن حاتم بن فوز الشامي العاملي (كان حياً قبل ٦٧٦ هـ)
هذه الأحاديث بنفسها الأحاديث المذكورة في مجموعة الخزاعي بحذف أسانيدھا وبينها فروق يسيرة، مستخرجة من كتاب (المجموع الرائق)، وهي من مصادر البحار مع النسبة إلى الشامي.
بداية النسخة: ((كتاب الأربعين عن الأربعين.. الحديث الأول: عن ابن عمر قال سألت النبي عن علي بن أبي طالب...)).

[التراث العربي المخطوط: ١ / ٤٣٦]



(٢٦)

حديث	الأربعون حديثاً عن الأربعين في فضائل علي عليه السلام
------	--

تأليف: الدشتكي، جمال الدين عطاء الله بن فضل الله الحسيني الدشتكي (ق ١١)
 اختار الدشتكي هذه الأحاديث من المصادر المعتبرة لدى الشيعة وأهل السنة
 بحذف أسانيدھا، وهي مقدمة إلى السلطان شاه عبد الباقي، ويرجو الدشتكي أن يوفق
 لجمع أحاديث أكثر من فضائل أمير المؤمنين عليه السلام ويشرحها مفصلاً بالفارسية.
 بداية النسخة: ((الحمد لله شكراً لا شريك له البر بالعبد الباقي بلا أمد نحمده على
 ما أسبغ علينا من نعمه الباطنة والظاهرة...)).

[التراث العربي المخطوط: ١ / ٤٣٧]

(٢٧)

حديث	الأربعون حديثاً في فضائل علي عليه السلام
------	--

تأليف: الأسدآبادي، علي بن محمد الأسدآبادي (ق ١١)
 اختارها بحذف الأسانيد، وتم الاختيار إلى الحديث الرابع والعشرين ولم تتم
 الأربعون.

بداية النسخة: ((فهي أحاديث منتخبة من أربعين حديثاً محتوية على فضائل مولانا
 وسيدنا أمير المؤمنين...)).

[التراث العربي المخطوط: ١ / ٤٣٧]



(٢٨)

حديث	الأربعون حديثاً في فضائل علي <small>عليه السلام</small>
------	--

تأليف: الأسترآبادي، محمد شفيع بن محمد علي الأسترآبادي (ق ١١)
 اختار أربعين حديثاً من كتب المخالفين (أهل السنة) محذوفة الأسانيد في فضائل
 أمير المؤمنين علي عليه السلام، وقد ذيل كل حديث بشروح طويلة جداً أتى فيها بمباحث أدبية
 واعتقادية وتفسيرية وغيرها، ولعل الكتاب يبلغ نحو عشر مجلدات.
 بداية النسخة: ((الحمد لله الذي هدانا لطفه الصراط السوي وأسلكننا بمنه المنهج
 الجلي، وجعلنا من الفرقة الحقة الإمامية الناجية...)).

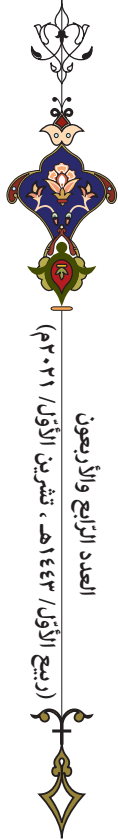
[التراث العربي المخطوط: ١ / ٤٣٨]

(٢٩)

حديث	الأربعون حديثاً في فضائل علي <small>عليه السلام</small>
------	--

تأليف: ناد علي البروجردي، ناد علي بن غلام علي البروجردي (ق ١٣)
 اختارها من كتاب (الصواعق المحرقة) لابن حجر من دون تعليق عليها، وتم
 الاختيار في يوم الاثنين ١٣ ربيع الأول سنة ١٢٥٠هـ.
 بداية النسخة: ((الحمد لله على آلائه وأشكره في إحسانه ونعمائه.. اعلم أن هذه
 فضائل كتبها ابن حجر في صواعقه لمولانا علي بن أبي طالب عليه السلام...)).

[التراث العربي المخطوط: ١ / ٤٣٨]



(٣٠)

حديث	الأربعون حديثاً في فضائل علي عليه السلام
------	--

تأليف:؟

أربعون حديثاً مختارة بحذف الأسانيد في فضائل أمير المؤمنين عليه السلام، وكلها مروية عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم. بداية النسخة: ((الحديث الأول: قال رسول الله: لو أن الغياض أقلام، والبحر مداد، والأرض قرطاس...)).

[التراث العربي المخطوط: ٤٣٨ / ١]

(٣١)

حديث	الأربعون حديثاً في فضائل علي عليه السلام
------	--

جمع:؟

أحاديث مروية عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم والإمام الصادق عليه السلام، مستخرجة من كتاب (المجموع الرائق)، مما تلاه أبو الفضل محمد بن سعيد.

بداية النسخة: ((الحديث الأول: عن الحسين بن يقطين، عن أبيه، عن جده قال: ولي علينا بالأهواز رجل من كتاب يحيى بن خالد...)).

[التراث العربي المخطوط: ٤٣٩ / ١]

(٣٢)

حديث	الأربعون حديثاً في فضائل علي عليه السلام
------	--

تأليف:؟

بداية النسخة: ((الحمد لله المتفرد بالقدم موجد الموجودات إلى الوجود من العدم، والصلاة والسلام على أشرف الأمم محمد وآله الطاهرين مصابيح الظلم...)).

[التراث العربي المخطوط: ٤٤٠ / ١]



(٣٣)

عقائد	الأربعين في إمامة الأئمة الطاهرين
-------	-----------------------------------

تأليف: محمد طاهر القمي، محمد طاهر بن محمد حسين الشيرازي القمي النجفي
(ت: ١١٠٠هـ)

أربعون دليلاً عقلياً ونقلياً قطعي على إمامة الأئمة المعصومين عليهم السلام، في أولها فاتحة تشمل على أحاديث نقلها أهل السنة في صحاحهم ومسانيدهم في إمامة أمير المؤمنين علي عليه السلام، وردّ بعض الشبهات التي أوردوها في الموضوع، وبآخرها خاتمة في عقائدهم في الأصول والفروع ومسائل دينية أخرى.

بداية النسخة: ((الحمد لله الذي هدانا سبيل الحق بنصب الأدلة والبراهين، وأرشدنا إلى طريق إبطال المبطلين، ودلنا على جواد شوارع الدين...)).

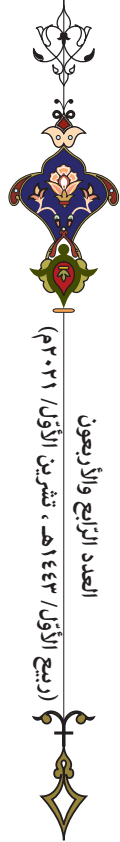
[التراث العربي المخطوط: ١ / ٤٤٥]

(٣٤)

عقائد	ارتشاف الصافي من سلاف الشافي
-------	------------------------------

تأليف: المختاري، بهاء الدين محمد بن محمد باقر الحسيني المختاري النائي (نحو ١١٤٠هـ)
تلخيص واختصار من كتاب (الشافي في الإمامة) للشريف المرتضى علي بن الحسين الموسوي (ت: ٤٣٦هـ)، بإسقاط ما تكرر في الأصل ورمز (ق) للقاضي عبد الجبار صاحب المغني، و(ج) للمرتضى، تعاليق المختاري كتبت في الهامش ولم يتصرف في المتن.
بداية النسخة: ((الحمد لله الذي رفع علياً مكاناً علياً، وارتضاه لنبيه وصياً، لنفسه ولياً، أسماه إلى ما قربه وقربه نجياً...)).

[التراث العربي المخطوط: ١ / ٤٤٧]



(٣٥)

الإرشاد في معرفة حجج الله على العباد	سيرة المعصومين
--------------------------------------	----------------

تأليف: الشيخ المفيد، محمد بن محمد بن النعمان العكبري البغدادي (ت: ٤١٣ هـ)
 بداية النسخة: ((الحمد لله على ما ألهم من معرفته، وهدى إليه من سبيل طاعته..
 وبعد: فإني مثبت بتوفيق الله ومعونته ما سألت أيدك الله إثباته من أسماء أئمة الهدى...)).
 [التراث العربي المخطوط: ٥١٢ / ١]

(٣٦)

إرشاد القلوب	حديث
--------------	------

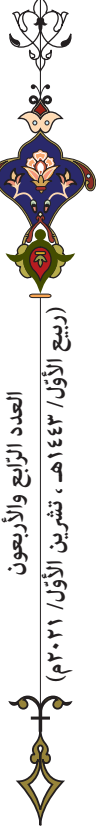
تأليف: الديلمي، أبي محمد الحسن بن محمد الديلمي (ق ٨)
 ضمن القسم الثاني من الكتاب ما ورد في فضائل الإمام أمير المؤمنين علي عليه السلام وجملة
 من مناقبه، فجعله الباب الخامس والخمسين من الكتاب.
 بداية النسخة: ((الحمد لله رب العالمين.. أما بعد، فإنه لما استولى سلطان الشهوة
 والغضب على الآدميين ومحبة كل منهم لنفسه واشتغاله عن آخرته ورمسه...)).
 [التراث العربي المخطوط: ٥١٥ / ١]

(٣٧)

إرشاد المسترشدين وهداية الطالبين	كلام
----------------------------------	------

تأليف: فخر المحققين، فخر الدين محمد بن الحسن بن يوسف ابن المطهر الحلي
 (ت: ٧٧١ هـ)

متن مختصر جداً لما يجب معرفته على المكلفين من أصول الدين الخمسة على أسس



عقائد الشيعة الإمامية، في خمسة أصول.

بداية النسخة: ((الحمد لله رب العالمين.. إني أمليت هذه الرسالة لإرشاد المسترشدين وهداية الطالبين وبينت فيها ما يجب على المكلفين من اعتقاد أصول الدين..)).

[التراث العربي المخطوط: ١ / ٥٢١]

(٣٨)

عقائد	الاستنصار في النص على الأئمة الأطهار
-------	--------------------------------------

تأليف: الكراكجي، أبو الفتح محمد بن علي بن عثمان الكراكجي (ت: ٤٤٩ هـ) ذكر جملة من الأحاديث الواردة من طرق الفريقين الناصية على إمامة الأئمة الاثني عشر عليه السلام، وهو في بابين مشتملين على فصول: الأول في الأخبار من طرق الخاصة، والثاني فيها من طرق العامة، مطبوع.

بداية النسخة: ((الحمد لله الذي أوضح سبيل الحق وابانه، وأقام عليه دليله وبرهانه، ولطف في خليقته حجة في التعريف، وأزاح العلل في جميع التكاليف..)).

[التراث العربي المخطوط: ١ / ٥٦٨]

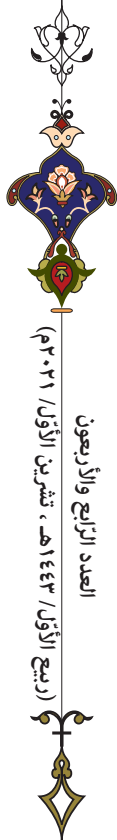
(٣٩)

عقائد	أسرار الأئمة
-------	--------------

تأليف: رجب البرسي، الحافظ رجب بن محمد بن رجب البرسي الحلي (ت: بعد

٨١١ هـ)

في بعض فضائل آل محمد عليه السلام وأسرارهم الخفية على الأغبار، ويدعي المؤلف أنه اطلع عليها، وجملة منها من علم الحروف والأعداد وما أشبهها وفيها ادعاءات غريبة ينسب في أول الكتاب أحاديث في الفضائل وتعاليم في استخراج الأسرار من الأعداد



والحروف، ثم آيات فيها تلك الأسرار مرتبة على ترتيب السور، ثم فضائل المعصومين على الترتيب من النبي إلى الحجة المنتظر، ثم فضائل كلية لجميعهم عليهم السلام، مطبوع.
 بداية النسخة: ((الحمد لله الرب الكريم القادر العليم المنفرد بالدوام الذي أخرج من النور ما أدرج في الظلم وأبرز إلى الوجود ما كنز في العدم...)).

[التراث العربي المخطوط: ٧ / ١]

(٤٠)

عقائد	أسرار الإمامة
-------	---------------

تأليف: عماد الدين الطبري، الحسن بن علي بن محمد الطبري (حياً سنة ٦٩٨ هـ)
 كتب المؤلف كتاباً بالفارسية في الإمامة بطلب من بعض أهل الري، وبعد انتشاره طلبوا منه ثانياً أن يترجمه إلى العربية، فلبى الطلب وترجمه في هذا الكتاب مع إضافة ما يلزم إضافته، وهو بعنوانين (أصل - فصل) وكان مشغولاً به في سنة ٦٩٨ هـ كما صرح بذلك ضمن أحوال الحجة المنتظر عليه السلام، وقد ألفه عند كبره وضعف بصره، مطبوع.
 بداية النسخة: ((اللهم إنا نحمدك على أن جعلتنا من أمة محمد خاتم النبيين، وسيد المرلين، ووقفنا أن اتقينا بأن كنا مع الصادقين...)).

[التراث العربي المخطوط: ٨ / ١]

(٤١)

عقائد	الإسلام والإيمان
-------	------------------

تأليف: الشيرواني، حيدر علي بن محمد بن الحسن الشيرواني الأصفهاني (ت: بعد ١١٢٩ هـ).
 في معنى الإسلام والإيمان وإثبات أنها شيء واحد، وأن منكر الولاية والإمامة منكر للتوحيد والنبوة، وفيه بيان حكم النواصب وأنهم ليسوا بمسلمين في الأحكام

لأنهم خارجون عن الولاية، رتب المؤلف في ثلاثة فصول وخاتمة.
 بداية النسخة: ((الحمد لله الذي اختصنا بالإسلام والإيمان وغمرنا بالمن والإحسان
 وهدانا لخير الديان..)).

[التراث العربي المخطوط: ٣٤ / ١]

(٤٢)

فضائل المعصومين	أسنى المطالب في فضائل علي بن أبي طالب
------------------------	--

تأليف: الوصابي، إبراهيم بن عبد الله الأصفهاني الوصابي الشافعي (ت: بعد ٩٦٧هـ).
 عشرون باباً بضمنها ثلاثة عشر فصلاً في فضائل الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام ومناقبه
 وشيء من تاريخ حياته ووجوب حبه، وهي أحاديث محذوفة الأسانيد اكتفى فيها بذكر
 الراوي الأول من كل سند، مطبوع.

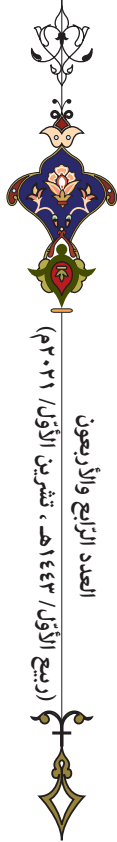
بداية النسخة: ((الحمد لله رب العالمين، كتاب أسنى المطالب في فضائل أمير
 المؤمنين أبي الحسن علي بن أبي طالب رضي الله عنه..)).

[التراث العربي المخطوط: ٣٩ / ١]

(٤٣)

عقائد	أصول الإسلام والإيمان
--------------	------------------------------

تأليف: الوحيد البهبهاني، محمد باقر بن محمد أكمل الأصفهاني (ت: ١٢٠٥هـ).
 مختصر في أصول الإسلام (التوحيد، النبوة، المعاد)، وأصول الإيمان (العدل،
 الإمامة)، والحكم الفقهي لمنكرها، وكذا حكم النواصب والخوارج وتعيين مصداقها.
 بداية النسخة: ((الحمد لله رب العالمين.. فائدة اعلم أن أصول الإسلام والإيمان



عند فقهائنا المشهورين ثلاثة: التوحيد، والرسالة، والمعاد، فمن أنكر واحداً منها يكون خارجاً عنه..)).

[التراث العربي المخطوط: ٨٨ / ٢]

(٤٤)

عقائد	أصول الإيمان
-------	--------------

تأليف: الأصبهاني، محمد حسن بن محمد تقي الموسوي الأصبهاني (ت: ١٢٦٣ هـ)

بحوث عن المسائل الاعتقادية، وأصول الدين الشيعي، في الضروري منها تفصيل وبسط، وفي النظري منها إجمال واختصار، كتبها المؤلف لاشتراط الإيمان في صحة العبادات التي يقوم بها المكلفون فيجب معرفته ومعرفة ما يتعلق به. الكتاب في مقدمة في البحث عن وجوب النظر وعدم صحة التقليد في العقائد الدينية، ثم خمسة مناهج في أصول الدين الخمسة يشتمل كل واحد منها على فصول، مع التفصيل الأكثر في المسائل المتعلقة بالإمامة. الكتاب غير تام في التأليف، وتم منه إلى مقدار من بحث الإمامة في ليلة عيد الفطر سنة ١٢٤١ هـ.

بداية النسخة: ((الحمد لله رب العالمين.. أما بعد، فلما كانت صحة العبادة موقوفة على المعرفة أعني الإيمان فأول ما وجب على المكلف في بدء التكليف هو الإيمان..)).

[التراث العربي المخطوط: ٩١ / ٢]

(٤٥)

أصول الدين	كلام
------------	------

تأليف: الأسترآبادي، محمد جعفر بن سيف الدين شريعتمدار الأسترآبادي (ت: ١٢٦٣هـ).

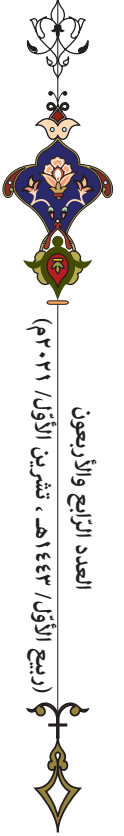
مختصر على الأسس العقلية في مقدمة في معنى أصول الدين، وأصول المذهب ثم خمسة أبواب في الأصول الدينية الخمسة، مع بعض البسط في بحث الإمامة. بداية النسخة: ((الحمد لله الواجب بالذات وصاحب الصفات التي هي عين الذات والعاقل الفاعل للأفعال المحسنات المعللة بالأغراض...)).
[التراث العربي المخطوط: ٩٧ / ١]

(٤٦)

أصول الدين	كلام
------------	------

تأليف:؟

ذكر الأصول الدينية على المباني العقلية العرفانية في ثلاثة فصول، الفصل الأول: في إثبات الصانع، الفصل الثاني: في وجوب إرسال الرسل، الفصل الثالث: في إثبات الإمامة، وفي آخر الرسالة بعض الفضائل الأخلاقية والآداب الدينية. بداية النسخة: ((الحمد لله الذي نورّ قلوب العارفين بأنوار معرفته، ووجلت قلوب المخبتين بجذابات عظمة جلاله...)).
[التراث العربي المخطوط: ٩٨ / ١]



(٤٧)

عقائد	أصول الدين
-------	------------

تأليف:

بيان للأصول الاعتقادية الخمسة على أسس الشيعة مع تفصيل أكثر في مبحث الإمامة، استفيد فيه من الآيات الكريمة، والأحاديث المروية عن أهل البيت عليهم السلام، وقلم يستند إلى الأدلة العقلية والكلامية، احتمال البعض أن النسخة من تأليف الميرزا حسن بن عبد الرزاق اللاهيجي ويجب التدقيق في ذلك.

بداية النسخة: ((... معصوم فإن حارب النبي وقتل النبي والإمام دخل في العدالة، وإن تخاذل وقعد فقد فسق بزعمه...)).

[التراث العربي المخطوط: ١ / ٩٩]

(٤٨)

عقائد	الاعتقادات
-------	------------

تأليف: القائي، محمد نوربخش بن محمد القائي (ت: ٨٦٩هـ)

مختصر في العقائد الإسلامية بعناوين ((ويجب أن تعتقد))، كتبه لبعض ملوك الصوفية ولم يصرح باسمه في المقدمة، وهو على طريقة الصوفية ويعتقد المؤلف بضرورة معرفة النجوم لمعرفة التوحيد، ويذهب إلى أن القيامة (آفاقية وأنفسية)، ويصرح في أواخر الرسالة بأن الإمامة الحقيقة تختص بالإمام علي عليه السلام والبقية لهم الإمامة الإضافية.

بداية النسخة: ((الحمد لله الذي كرم بني آدم بالنفس الناطقة للكليات وفضلهم بالعلوم النافعة والأعمال الصالحة الحاكية من الأخلاق الحميدة...))

[التراث العربي المخطوط: ٢ / ١٥٦]

(٤٩)

الاعتقادات	عقائد
-------------------	--------------

تأليف: نصير الدين الطوسي، الخواجة نصير الدين محمد بن محمد بن الحسن (ت: ٦٧٢هـ).

في أقل ما يحتاج إليه المكلف من معرفة التوحيد والنبوة والإمامة وما يتبعها من المسائل الاعتقادية، وهي على الأسس العقلية والنقلية، مطبوع.
بداية النسخة: ((اعلم أيديك الله تعالى أيها الأخ العزيز أن أقل ما يجب اعتقاده على المكلف هو ما ترجمه قول لا إله إلا الله محمد رسول الله..)).

[التراث العربي المخطوط: ١٥٦/٢]

(٥٠)

الاعتقادات	عقائد
-------------------	--------------

تأليف: العلامة المجلسي، محمد باقر بن محمد تقي بن مقصود علي الأصفهاني (ت: ١١١١هـ).

بيان عقائد الشيعة الإمامية في أصول الدين وغيرها من الواجبات الشرعية والآداب الدينية وما لا بد منه للشيعة من الالتزام به مع ذم كثير لأهل التصوف في أوله وآخره، وهو في باين: الأول فيما يتعلق بأصول العقائد، الثاني فيما يتعلق بكيفية العمل، وأكثر ما في الرسالة مستفاد من القرآن الكريم وأحاديث أهل البيت عليه السلام، مطبوع.

بداية النسخة: ((الحمد لله الذي سهل لنا سلوك الدين وأوضح أعلامه وبيّن لنا مناهج اليقين فأكمل علينا بذلك إنعامه.. أما بعد، فيقول المفتاح إلى رحمة ربه الغافر..))

[التراث العربي المخطوط: ١٥٨/٢]



(٥١)

الاعتقادات	عقائد
------------	-------

تأليف؟

رسالة مختصرة جداً في الأصول الخمسة على أسس عقائد الشيعة الإمامية وما يتعلق بها من مختلف المسائل الكلامية، في سبعة أبواب تشتمل على فصول في كل منها مسائل، تضمن الباب الرابع منها مبحث الإمامة.
 بداية النسخة: ((الحمد لله رب العالمين.. اعلم أن هذا الكتاب يشتمل على مسائل تتعلق بعلم الأصول من التوحيد والعدل..)).
 [التراث العربي المخطوط: ٢ / ١٦٠-١٦١]

(٥٢)

الاعتقادات	عقائد
------------	-------

تأليف؟

فيه استعراض عقائد الشيعة في أصول الدين كما وردت في الآيات الكريمة وأحاديث أهل البيت عليهم السلام، وهو قليل التعرض للأدلة العقلية.
 بداية النسخة: ((ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم، لما كان من أهم الأمور للمكلفين تحصيل أصول عقائد الإسلام..)).
 [التراث العربي المخطوط: ٢ / ١٦٢]



(٥٣)

إعلام الوري بأعلام الهدى	(سيرة المعصومين)
---------------------------------	-------------------------

تأليف: الطَّبْرَسِي، أمين الدين أبو علي الفضل بن الحسن بن الفضل (ت: ٥٤٨هـ) في أحوال النبي الكريم والأئمة الاثني عشر عليه السلام، وذكر طرف من فضائلهم ومناقبهم ومعاجزهم والنصوص الواردة في إمامتهم، أُلّف باسم الأصفهيد علاء الدولة شاه فرشواد كون الحسن بن علي بن شهريار بن قازان ملك مازندران، في أربعه أركان تشمل على أبواب وفصول، خصص فيه الركن الثاني في ذكر أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام، والركن الرابع في إمامة الأئمة، مطبوع.

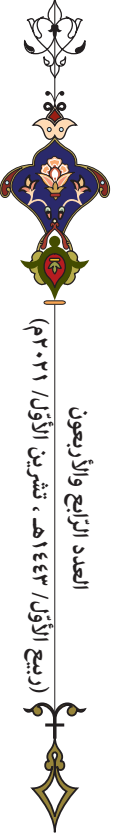
بداية النسخة: ((الحمد لله الواحد الأحد الفرد الصمد الذي لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد تعالى عن الصاحبة والولد واستغنى عن العدد والعدد..))
[التراث العربي المخطوط: ١٧٦ / ٢]

(٥٤)

الإفصاح في الإمامة	(كلام)
---------------------------	---------------

تأليف: الشيخ المفيد، أبي عبد الله محمد بن محمد بن النعمان العكبري البغدادي (ت: ٤١٣هـ)

مسائل حول الإمامة وإثبات خلافة الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام، مختصر كُتِب على أسس عقلية كلامية مع الاستفادة من الآيات الكريمة وبعض الأحاديث المتصلة بالموضوع، وهو على طريق السؤال والجواب ((إن سأل سائل - قيل له)) أو ((فإن قال - قيل له))، والمقصود الأهم منه الردّ على أهل السنة وتزييف ما ذهبوا إليه في موضوع الخلافة، وهو مناقشة في جميع ما يتعلقون به - كما يقول - في إمامة أئمتهم من تأويل القرآن



والإجماع ويتعمد لهم في الأخبار على ما يتفقون عليه، وفيه اهتمام بدفع الشبهات وتقريب ما هو الحق في الموضوع، ويسمى في بعض المواضع ((الإيضاح في الإمامة))، مطبوع. بداية النسخة: ((الحمد لله موجب الحمد ومستحقه، وصلواته على خيرته من خلقه محمد وآله. أما بعد، فإني - بمشيئة الله وتوفيقه - مثبت في هذا الكتاب مجللاً من القول في الإمامية...)).

[التراث العربي المخطوط: ١٩٠ / ٢]

(٥٥)

(عقائد)	أفضلية الأئمة على الأنبياء ﷺ
---------	------------------------------

تأليف: الحسن بن سليمان الحليّ، الحسن بن سليمان بن محمد الحلي العاملي (ت: بحدود ٨٠٢هـ)

فيه إثبات أفضلية الأئمة على سائر الأنبياء ما عدا نبي الإسلام عليه وعليهم السلام، مستدلاً على ذلك بجملة من الآيات الكريمة والأحاديث المروية عن أهل البيت، كتبه بعد أن وقف على كلام الشيخ المفيد في كتاب ((أوائل المقالات)). بداية النسخة: ((يقول عبد الله وفقيره.. إني وقفت على كتاب المقالات للشيخ المفيد...)).

[التراث العربي المخطوط: ١٩٣ / ٢]

(٥٦)

(عقائد)	أقسام المولى
---------	--------------

تأليف: الشيخ المفيد، أبي عبد الله محمد بن محمد بن النعمان العكبري البغدادي (ت: ٤١٣هـ)

يبحث أولاً عن معاني لفظة (المولى) من الجانب اللغوي والاستعمال العرفي، ثم يورد مختصراً من واقعة (غدير خم) وبعض الأشعار الولائية في الموضوع، وهو غير رسالة المفيد في (معنى المولى).

بداية النسخة: ((الحمد لله وصلاته على سيدنا محمد وآله الطاهرين، المولى ينقسم في اللغة على عشرة أوجه ولها الأولى وهو الأصل والعماد الذي ترجع إليه المعاني في باب الأقسام...)).

[التراث العربي المخطوط: ٢/٢٠٦]

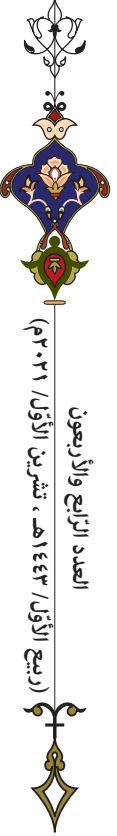
(٥٧)

(عقائد)	أقل ما يجب على المكلفين
---------	-------------------------

تأليف: الأخباري، محمد بن عبد النبي بن عبد الصانع النيسابوري (ت: ١٢٣٢هـ). مختصر جداً في عقائد الإمامية على ضوء ما جاء في روايات الأئمة المعصومين عليهم السلام، مجاناً جادة المبتدعين - على حدّ تعبير المؤلف ويريد بهم أهل المعقول والكلاميين التابعين لهم - كتبه سنة ١٢٠٨هـ، وهو في خمسة أبواب وخاتمة، تضمن الباب الرابع: فيما نص به الله ورسوله على الأئمة.

بداية النسخة: ((الحمد لله ربّ العالمين.. قد أمرني بعض إخوان ثقة لا أخذان المكاشرة أن أسطر له كلمات وجيزات في بيان أقل ما يجب على المكلفين...)).

[التراث العربي المخطوط: ٢/٢٠٨]



(٥٨)

(عقائد)	الزام النواصب في إمامة علي بن أبي طالب
---------	---

تأليف: الكرمانى، محمد كريم (كريم) خان بن إبراهيم خان الكرمانى القاجارى (ت: ١٢٨٨هـ).

جواب عن سؤال سأله محمد باقر الراينى حول ((الركن الرابع))، فيتحدث الكرمانى عن معرفه التوحيد والنبوة والإمامة والركن الرابع، مستدلاً فيه بجملة مما فى الكتاب والأحاديث والآيات الآفاقية والأنفسية ومدعياً لإجماع المسلمين وبقية الأديان على ذلك، كتبه على ترتيب المتن والشرح ((قال-أقول)) على طريقته الخاصة. تم فى ٢٩ ربيع الأول سنة ١٢٦١هـ.

بداية النسخة: ((الحمد لله رب العالمين.. أما بعد فيقول.. أنه قد سألتني جناب العالم.. ملا محمد باقر الرائى الكرمانى..)).
[التراث العربى المخطوط: ٢/ ٢٢٣]

(٥٩)

(عقائد)	الزام النواصب بإمامة علي بن أبي طالب
---------	---

تأليف؟

يسمى المؤلف نفسه فى هذا الكتاب ذمياً أسلم وحقق فى عقائد الفرق الإسلامية لعرف الصحيح منها والمزيف، ويميز الحق من الباطل، وبعد البحث والتنقيب عنها يثبت إمامة الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام، وأن الفرقه التاجية هي الشيعة المعتقدة بإمامته، نسب الكتاب إلى أكثر من شخص، مطبوع.

بداية النسخة: ((الحمد لله رب العالمين.. وبعد فإنه يجب على كل عاقل أن ينظر لنفسه قبل حلوله رسمه، ويعمل ليوم يفر المرء من أخيه..)).

[التراث العربى المخطوط: ٢/ ٢٢٤]

(٦٠)

(عقائد)	الألفين الفارق بين الصدق والمين
----------------	--

تأليف: العلامة الحلي، جمال الدين أبو منصور الحسن بن يوسف ابن المطهر الحلي (ت: ٧٢٦هـ).

ألف دليل من البراهين العقلية والنقلية على إثبات إمامة أمير المؤمنين علي عليه السلام، وألف دليل على بطلان مدعي الخلافة بعد الرسول الكريم صلى الله عليه وآله، مع الإشارة إلى بعض الأدلة على إمامة باقي الأئمة الاثني عشر عليه السلام، جمعها المؤلف بطلب من ولده (محمد) فخر الدين في مقدمته ومقالتين وخاتمة فيها أبحاث. كتب من هذا الكتاب (١٠٣٨) دليل ولم يكمل تأليفه وتم هذا المقدار في غرة شهر رمضان سنة ٧١٢ هـ ببلدة جرجانية في صحبة السلطان غياث الدين محمد أولجايتو، مطبوع.

بداية النسخة: ((الحمد لله مظهر الحق بنصب الأدلة الواضحة والبراهين وموضح الإيمان عند أوليائه المخلصين، ومنطق ألسنه البشر بفساد اعتقاد المبطلين...)).

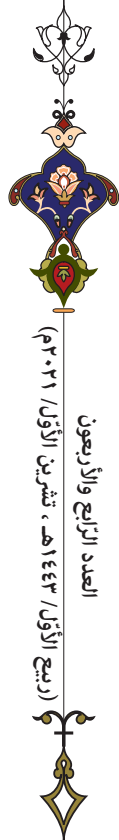
[التراث العربي المخطوط: ٢ / ٢٣٤]

(٦١)

(كلام)	الإمامة
---------------	----------------

تأليف: أسد الله الأصفهاني، أسد الله بن محمد باقر الموسوي الرشتي الجيلاني (ت: ١٢٩٠هـ).

بحوث موسعه حول معنى الإمام والشرائط التي يجب أن تتوافر فيه وعدد الأئمة المعصومين عليه السلام، من طريق العقل والنقل وكما جاء في الآيات الكريمة والأحاديث المروية، وهو في مقدمة فيها فصول وأثنى عشر باباً تشمل على مقاصد فيها فصول



ثم خاتمه. ويستند المؤلف في مقدمته الطويلة على الأكثر بأحاديث أهل البيت عليهم السلام وفي الأبواب بالأحاديث المروية من طرق أهل السنة في مصادرهم الحديثية المهمة.

بداية النسخة: ((كتاب في الإمامة وفيه مقدمة وابواب وخاتمة، المقدمة في بيان أمور

في ضمن فصول، الفصل الأول: في معنى الإمامة...))

[التراث العربي المخطوط: ٢/٢٤٧-٢٤٨]

(٦٢)

الإمامة	عقائد
---------	-------

تأليف: نصير الدين الطوسي، الخواجة نصير الدين محمد بن محمد بن الحسن (ت: ٦٧٢هـ) بحث فلسفي كلامي من الجانب العقلي من دون الالتفات إلى الأدلة النقلية في الإمامة التي هي الركن الثالث من أركان أصول الدين والتحقيق في شرائطها، كتبه الطوسي بطلب من مجد الدين شهاب الإسلام علي بن نام أور، كما جاء اسمه هكذا في بعض النسخ والمصادر، مطبوع.

بداية النسخة: ((الحمد لله واسع الرحمة وسابغ النعمة.. وبعد، فقد التمس مني من هو أوحد زمانه وأفضل أقرانه تحرير رسالة وجيزة في معرفة الركن الثالث...))

[التراث العربي المخطوط: ٢/٢٤٨]

(٦٣)

الإمامة الكبرى والخلافة العظمى	كلام
--------------------------------	------

تأليف: القزويني، محمد حسن بن محمد باقر بن مهدي الموسوي المعروف بأغا مير (ت: ١٣٨٠هـ)

استدل المؤلف بتفصيل وتوسعة على الإمامة لإثبات أنها منصب إلهي خاص بالإمام علي وأولاده المعصومين عليهم السلام، وأنها لا تصح بالانتخاب، وقد جمع فيه بين الأدلة

العقلية والأحاديث المروية في مصادر أهل السنة، وهو كتاب مهم في عدة مجلدات ضمن مقاصد، مطبوع.

بداية النسخة: ((.. كيفية التبليغ والدعوة إلى الحق: وهي إنما تكون بالحكمة والموعظة الحسنة، على ما نطق به القرآن..))

[التراث العربي المخطوط: ٢٥٠ / ٢]

(٦٤)

(حديث)	الإنصاف في النص على الأئمة الأشراف
--------	---

تأليف: هاشم البحراني، هاشم بن سليمان بن إسماعيل الموسوي الكتكاني البحراني (ت: ١١٠٧ هـ)

فيه أكثر من ثلاثمائة حديث منقولة من كتب أهل السنة والشيعة في النص على إمامة الأئمة الاثني عشر **عليه**، رتبت على ترتيب أسماء الرواة، فيذكر اسم الراوي ويتبعه بما رواه مما يتصل بموضوع الكتاب، وألحق بآخره فهرس أسماء من روى النصوص عنهم على ترتيب الحروف، أتمه في ١٨ ذي القعدة سنة ١٠٩٧ هـ، يُعرف الكتاب بـ(النصوص) أيضاً، مطبوع.

بداية النسخة: ((الحمد لله ناصب الأئمة الاثني عشر أعلاماً للدين وأوجب طاعتهم على العباد، وقرنهم بكتابه المستبين..)).

[التراث العربي المخطوط: ٢٧٩ / ٢]

(٦٥)

(عقائد)	الأنوار البدرية لكشف شبه القدرية
---------	---

تأليف: المهلبي، عز الدين حسن بن محمد بن علي المهلبي الحلي (ت: ٨٤٠ هـ).



ردود على شبهات الشيخ يوسف بن مخزوم الأعور المقصودي الواسطي التي أوردتها بزعمه على عقائد الشيعة في رسالته ((الرد على الإمامية)) المؤلفه نحو سنة ٧٠٠هـ، وهو بعنوان ((قال الناصب-أقول))، التزام الحلي أن لا يستدل من المنقول عن النبي ﷺ إلا ما ثبت من طريق الخصم، فاستشهد بأحاديث رويت في صحاح أهل السنة ومسانيدهم المعتمدة لديهم، ألفه بأمر جمال الدين أبي العباس أحمد، وأتمه في يوم السبت سادس جمادى الآخرة سنة ٨٤٠هـ، مطبوع.

بداية النسخة: ((الحمد لله الذي هدانا بما كتب على نفسه من الرحمة بواضح المنهاج، والسبحات لجلال من عدلنا إذ عدل بنا عن زيغ المضلين.. وبعد فأولى ما توجهت إليه اللهم العوالي..))

[التراث العربي المخطوط: ٢/ ٢٩٠]

(٦٦)

(كلام)	أنوار الرشاد للأئمة في معرفة الأئمة
--------	-------------------------------------

تأليف: محمد باقر المازندراني، محمد باقر بن محمد قربان علي المازندراني (ت: بعد ١٢٤٨هـ) شرح جامع على أرجوزته ((مصباح الحكم)) التي نظمها في الإمامة عامة، وإمامة الأئمة الاثني عشر خاصة، استشهد فيه بكثير من الأحاديث الواردة في المناقب والفضائل المروية من طرق العامة، وأورد أقوال أعلام أهل السنة في المسائل وناقشها بدقة لتكون حجة عليهم، ويذكر كثيراً من الأشعار المناسبة للموضوعات من نظمه أو من نظم غيره.

بداية النسخة: ((نحمدك يا من أفاض علينا سجال التدقيق والتحقيق، وأرقدنا أنوار الرشاد ومرشد العرفان والتوفيق..)).

[التراث العربي المخطوط: ٢/ ٣٠٨-٣٠٩]

(٦٧)

(حديث)	الأوفى
--------	--------

تأليف: فضل علي بيك، فضل علي بن شاهوردي بيك بن خلف التوشمال باشي

(ق١٢)

جمع الأحاديث المروية في الأصول الاعتقادية والأخلاقية والفقہ في أربعة عشر كتاباً يتقدمها مقدمة في المصادر ومعلومات عن بعض الرواة والعلماء وبحث في الأوامر والنواهي، وهو حسب تقسيم المؤلف في أربعة عشر مجلداً، يذكر المؤلف في كل باب من أبواب موسوعته هذه الآيات المناسبة لذلك الباب على ترتيب السور القرآنية، ثم يدرج الأحاديث الواردة في ذلك الباب بأسانيدھا إلا ما ينقله عن الكافي والفقہ والتهديب والاستبصار.

[التراث العربي المخطوط: ٣٥٦ / ٢]

(٦٨)

(حديث)	الإيمان والولاية
--------	------------------

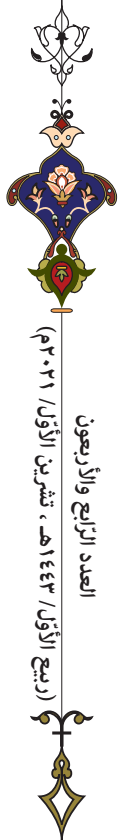
تأليف: الفراهاني، المولى محمد تقي الفراهاني (ق١٤)

فصول تشتمل على أحاديث وروايات حول الإسلام والإيمان وولاية أهل البيت عليه السلام، مع إشارات في أواخر الكتاب إلى بعض الأدلة العقلية في لزوم متابعة أهل البيت، وأنها الإيمان الصحيح.

بداية النسخة: ((الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء

والمرسلين وآله وعترته الطيبين الطاهرين...)).

[التراث العربي المخطوط: ٣٩٥ / ٢]



(٦٩)

(كلام)	الباب الحادي عشر
--------	------------------

تأليف: العلامة الحلي، الحسن بن يوسف ابن المطهر الحلي (ت: ٧٢٦هـ).

متن مختصر جيد في العقائد الشيعية في الأصول الدينية الخمسة مختصراً، وهو باب أضافه العلامة على آخر كتابه (منهاج الصلاح في مختصر المصباح) المحتوي على عشرة أبواب، أضاف هذا الباب ليكون تكملة له. أفرد هذا الباب في النسخ واعتنى به العلماء دراسةً وشرحاً وتحشيةً ترجمةً.

بداية النسخة: ((الباب الحادي عشر: فيما يجب على عامة المكلفين من معرفة أصول الدين، أجمع العلماء كافة على وجوب معرفة الله تعالى...)).

[التراث العربي المخطوط: ٣٩٨ / ٢]

(٧٠)

(حديث)	بحار الأنوار
--------	--------------

تأليف: العلامة المجلسي، محمد باقر بن محمد تقي بن مقصود علي الأصفهاني (ت:

١١١١هـ).

أكبر موسوعة حديثة للشيعنة الإمامية المدونة في القرن الحادي عشر، تستوعب ما روي عن المعصومين عليهم السلام من الأحاديث والروايات في المعارف الإلهية والعقائد الدينية والأصول الأخلاقية والأحكام الفقهية، وما يرجع إلى تاريخ الأنبياء وحيات المعصومين عليهم السلام، بالإضافة إلى الآيات المناسبة لكل باب مع تفسيرها مختصراً تذكر في أول الباب. مطبوع.

بداية النسخة: ((الحمد لله الذي سمك سماء العلم وزينها بروجها للناظرين وعلق

عليها قناديل الأنوار بشموس النبوة وأقمار الإمامة لمن أراد سلوك مسالك اليقين...)).

[التراث العربي المخطوط: ٤٠٣ / ٢]

(٧١)

بحار العلوم	(متفرقة)
-------------	----------

منسوب إلى: الإمام الصادق جعفر بن محمد عليه السلام

بحوث شبه فلسفية كلامية عن الكائنات العلوية والسفلية وتعاليم كيميائية وعلم الحروف وبعض أحوال وأسرار النبي صلى الله عليه وآله والأسرار المودعة عند الأئمة والواجبات الدينية والأعمال القلبية، تلقاها الإمام عن آبائه عليهم السلام وقد يكرر اسمه في أثناء الكتاب ولكن النسبة إليه غير صحيحة قطعاً، الكتاب مرتب في ستة معادن فيها مخازن وجواهر ومسائل، خصص المعدن الرابع للإمامة. مطبوع.

بداية النسخة: ((الحمد لله الذي أنزل على عبده الكتاب ولم يجعل له عوجاً.. والذي جعل الأرض مهاداً والجبال أوتاداً وخلق الأشياء أزواجاً..))

[التراث العربي المخطوط: ٢ / ٤٢٧]

(٧٢)

بحار العلوم	(متفرقة)
-------------	----------

تأليف: البرغاني، ملا محمد علي بن محمد البرغاني القزويني (ت: ١٢٧٢هـ)
بحوث دينية مختلفة في الأصول الاعتقادية والبحث عن الكائنات العلوية والسفلية، وواجبات الأعمال وأسرارها، وبعض أعمال القلب والآداب والأخلاق، رتبها في سبع معادن، جاء ذكر الإمامة في المدن الرابع.

[التراث العربي المخطوط: ٢ / ٤٢٨]

(٧٣)

البراهين الصريحة والمناقب الصحيحة (الفصيحة)	(فضائل المعصومين)
---	-------------------

تأليف: الكوفي، أبي جعفر محمد بن سليمان الكوفي (ق ٣)

فيه الأحاديث والروايات المسندة المروية في فضائل النبي صلى الله عليه وآله ومعجزاته وما يدل



على نبوته، وفضائل الإمام أمير المؤمنين علي عليه السلام في عدة أبواب ذات (١١١٤) حديث، طبع الكتاب بعنوان (مناقب الإمام أمير المؤمنين) وحسبوه غير المناقب. بداية النسخة: ((قال أبو جعفر.. عن الحسن بن علي عليه السلام قال سألت خالي هند بن أبي هالة وكان وصافاً عن صفة رسول الله...)).
[التراث العربي المخطوط: ٢ / ٤٦٠]

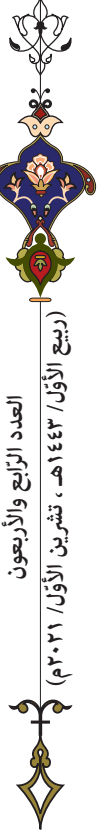
(٧٤)

البراهين القاطعة في شرح تجريد العقائد الساطعة	(كلام)
---	--------

تأليف: الأسترآبادي، محمد جعفر بن سيف الدين شريعتمدار الأسترآبادي (ت: ١٢٦٣هـ)

شرح متوسط بالقول على كتاب ((تجريد العقائد)) لنصير الدين محمد بن محمد بن الحسن الطوسي (ت: ٦٧٢هـ)، اهتم الشارح فيه ببيان المبدأ والمعاد، وأطال الكلام في بحث الإمامة، ونقل فيه أحاديث فضائية كثيرة، وهو في ستة أجزاء، تم الأول منها وهو في الأمور العامة سنة ١٢٤٧هـ، وتم الكتاب في يوم الجمعة ١٩ جمادى الأولى ١٢٥٤ عند السفر لزيارة ثامن الأئمة عليهم السلام والمؤلف بين الخمسين والستين من عمره.

بداية النسخة: ((الحمد لله الواجب الوجود بالذات الواحد من جميع الجهات الذي يكون صفاته الذاتية عين الذات الذي أنشأ بقدرته سلسلة الممكنات...)).
[التراث العربي المخطوط: ٢ / ٤٦١]



(٧٥)

بشارات الشيعة	عقائد
---------------	-------

تأليف: الخاجوي، إسماعيل بن محمد حسين بن محمد رضا المازندراني الأصفهاني
(ت: ١١٧٣هـ)

جمع المؤلف في هذا الكتاب البشائر الواردة في أحاديث وروايات أئمة أهل البيت عليهم السلام لشيعتهم ومحبيهم، وذكر بعض ما لهم من المقام السامي بسبب الولاء والمحبة، في ثمانية فصول يتطرق فيها إلى تحقيقات ومباحث عقائدية مهمة، بدأ بتأليفه غرة شهر رمضان سنة ١١٥٥هـ، وأتمه في أواخر شوال، مطبوع.

بداية النسخة: ((بعد حمد من صيرنا من أمة نبيه وشيعة عليه وأحبه ذرية وليه الذين جعل مودتهم أجر الرسالة...)).

[التراث العربي المخطوط: ٢ / ٤٧٨-٤٧٩]

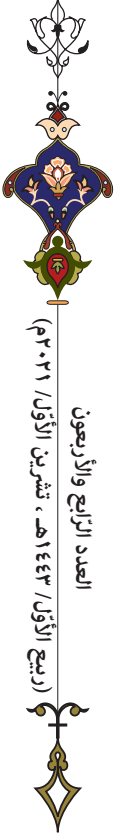
(٧٦)

بشارة الشيعة	عقائد
--------------	-------

تأليف: الفيض الكاشاني، محمد (محسن) بن مرتضى بن محمود الكاشاني
(ت: ١٠٩١هـ)

أربعون ((بشارة)) يؤكد الفيض فيها أن الفرقة الناجية من المسلمين - الوارد ذكرها في الأحاديث النبوية والمبشرة بالجنة - هم الشيعة الإمامية التابعون لأمير المؤمنين علي وأولاده المعصومين عليهم السلام لا غيرهم من بقية الفرق، كل بشارة منها دليل على مدعاه، كتبه في سنة ١٠٨١هـ الموافقة لجملة (بشارات من الله).

بداية النسخة: ((الحمد لله على ما هदानا لمعرفة أحسن القول وأتقنه، والصلاة على



محمد كما أتاننا بخير دين وأحسنه وعلى آله مصابيح الدجى ومفاتيح الهدى..))
[التراث العربي المخطوط: ٤٨١ / ٢]

(٧٧)

(حديث)	بشارة المصطفى لشيعته المرتضى
--------	-------------------------------------

تأليف: الطبري، عماد الدين محمد بن علي الطبري (ق٦)
جمع الأحاديث المروية في فضائل شيعة الإمام أمير المؤمنين علي عليه السلام وكرامتهم ومنزلتهم عند الله تعالى، والدرجات الأخروية الرفيعة والمقامات التي أعدت لهم، مطبوع.

بداية النسخة: ((الحمد لله الواحد القهار الأزلي الجبار العزيز الغفار الكريم الستار لا تدركه الأبصار ولا تحيط به الأفكار..)).
[التراث العربي المخطوط: ٢٨٢ / ٢]

(٧٨)

(حديث)	بصائر الدرجات
--------	----------------------

تأليف: الصفار، أبي جعفر محمد بن الحسن بن فروخ الصفار القمي (ت: ٢٩٠هـ)
يحتوي هذا الكتاب على الأحاديث المسندة المروية في الإمامة عامة وفي إمامة الأئمة الاثني عشر عليهم السلام خاصة، مطبوع.

بداية النسخة: ((باب في العلم وأن طلبه فرض على الناس، محمد بن الحسن الصفار رحمه الله تعالى قال: حدثني إبراهيم بن هاشم..)).
[التراث العربي المخطوط: ٤٨٧ / ٢]

(٧٩)

(عقائد)	البوارق الحيدرية
---------	------------------

تأليف: الشاهرودي، ملا محمد علي بن محمد كاظم الشاهرودي (ت: ١٢٩٣ هـ)
 بحوث عقائدية في التوحيد والنبوة والإمامة وأن المعصومين عليهم السلام هم علل اليجاد، وهي مزيجة من الفلسفة والكلام مع شواهد من الآيات الكريمة والأحاديث المروية عن أهل البيت عليهم السلام، وهي على الأكثر تبحث عن شؤون الأئمة الهداة الإجمال والاختصار، في مقدمة وبوارق ((برق-برق)) وجامعة وخاتمة.
 بداية النسخة: ((الحمد لله جاعل الإمكان لتمكين الأعيان من الأكوان، ومنزل ماء الجود من سحاب الكرم أرض الامكان ومشرق بوارق عناياته لجعل الارتباط والاقتران...)).
 [التراث العربي المخطوط: ٥٠٩ / ٢]

(٨٠)

(عقائد)	البوارق اللامعة
---------	-----------------

تأليف: البروجردي، ملا علي أصغر بن علي أكبر نير البروجردي (ت: نحو ١٣٠٠ هـ)
 في إثبات إمامة أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام بما ورد من مناقبه والنصوص على إمامته في أحاديث أهل السنة في كتبهم المعتمدة لديهم المعروفة، وفيه دفع الشبهات التي أوردوها على الشيعة وخاصة شبهات ابن حجر الهيتمي في كتابه ((الصواعق المحرقة)).
 بداية النسخة: ((الحمد لله الذي وفقنا لإقامة الدلائل الساطعة وشرفنا لإثبات الولاية الخاصة بالبراهين القاطعة.. أما بعد فيقول الفقير الخادم للشرع الأنور الساعي لترويج مذهب...)).
 [التراث العربي المخطوط: ٥١٠ / ٢]



(٨١)

(كلام)	بهجة الشيعة في نصره الطريقة البهية
--------	------------------------------------

تأليف؟

كتب أصول الدين باختصار مع شيء من الاستدلال كما يُستفاد من الآيات الكريمة وأحاديث أهل البيت عليه السلام، وقد فصل بحث الإمامة وذكر فيه ما رواه أهل السنة فيه لتتم الحجّة على كل المسلمين.

بداية النسخة: ((... أنموذجاً لذلك العلم واحتراز عن الاطناب لتلايمل الأحباب سوى مبحث الولاية...)).

[التراث العربي المخطوط: ٥١٦ / ٢]

(٨٢)

(عقائد)	تأويل الآيات الظاهرة في فضائل العترة الطاهرة = تأويل الآيات الباهرة
---------	---

تأليف: الأسترآبادي، شرف الدين علي الحسيني الأسترآبادي الغروي (ت: حدود ٩٤٠هـ) تفسير وتأويل للآيات الواردة في فضائل أهل البيت عليه السلام وما نزل في شأن محبيهم وأعدائهم، مرتبة على ترتيب السور القرآنية، وأكثر استناد المؤلف على الأحاديث المروية بهذا الشأن من طريق الشيعة والسنة. وللاطلاع على ما يخص الكتاب والمؤلف يحسن الرجوع إلى الذريعة ٣ / ٣٠٤.

بداية النسخة: ((إن أحسن ما تُوج به هام ألفاظ الكلمات وسطرته أفلام الكرام الحفاظ في صحائف أعمال البريات حمد من استحق الحمد...)).

[التراث العربي المخطوط: ١٤ / ٣]

(٨٣)

(عقائد)	التبري من المخالفين = فضائل الأئمة <small>عليهم السلام</small>
---------	--

تأليف: الرفسنجاني، محمد علي بن زين العابدين الرفسنجاني (ق ١٣).
في الآيات والأحاديث الواردة في فضائل أهل البيت عليهم السلام وذم مخالفهم، كتبه المؤلف بطلب بعض أجبائه في التبري ممن خالف أولياء الله تعالى الذين هم الأئمة المعصومون عليهم السلام والحث على محبتهم والولاء لهم، وهو في ثمانية أبواب، تم تأليفه في يوم الأربعاء خامس جمادى الثانية سنة ١٢٥٨ هـ في قرية لنكر من توابع كرمان.
بداية النسخة: ((الحمد لله الذي شرح صدورنا للإسلام والإيقان وامتنحنا قلوبنا للقبول والتحمل...)).

[التراث العربي المخطوط: ١٩ / ٣]

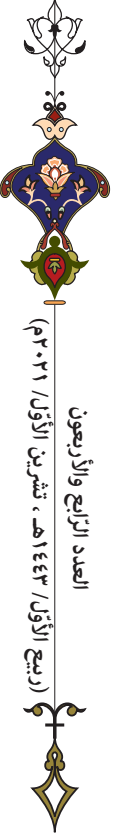
(٨٤)

(حديث)	تبصرة الولي في النص الجلي
--------	---------------------------

تأليف: هاشم البحراني، هاشم بن سليمان بن إسماعيل الموسوي الكتكاني البحراني (ت: ١١٠٧ هـ)
جمع للأحاديث الناصة على إمامة أمير المؤمنين علي عليه السلام وخلافته بعد الرسول صلى الله عليه وآله في أربعة أركان يورد في كل ركن منها الأحاديث التي رواها أهل السنة منفصلة عن الأحاديث المنقولة من طرق الشيعة، يشتمل هذا الكتاب على ما يزيد على (٣٥٠) حديثاً في إثبات إمامة الأئمة بعد النبي صلى الله عليه وآله.

بداية النسخة: ((الحمد لله العلي العظيم الولي الكريم الرؤف الرحيم...)).

[التراث العربي المخطوط: ٢٧-٢٨ / ٣]



(٨٥)

تجريد العقائد	(كلام)
---------------	--------

تأليف: نصير الدين الطوسي، الخواجة محمد بن محمد بن الحسن الطوسي (ت: ٦٧٢هـ)

(٦٧٢هـ)

متن كلامي مشهور في أصول عقائد الشيعة، مدون على أسس عقلية باختصار، تناوله علماء المذاهب بالشرح والتعليق والتدريس، مرتب في ستة مقاصد ذات فصول، وله مقدمة في علم المنطق أفردت في النسخ، خصص المقصد الخامس منه في الإمامة، مطبوع. بداية النسخة: ((أما بعد حمد واجب الوجود على نعمائه، والصلاة على سيد أنبيائه وعلى أكرم أحبائه، فإني مجيب إلى ما سألت من تحرير مسائل الكلام وترتيبها...)).

[التراث العربي المخطوط: ٤٤ / ٣]

(٨٦)

التحصين لأسرار ما زاد من أخبار كتاب اليقين	(حديث)
--	--------

تأليف: ابن طاووس، رضي الدين علي بن موسى الحسني الحلبي (ت: ٦٦٤هـ).

وجد المؤلف بعد تأليف كتابيه ((الأنوار الباهرة في انتصار العترة الطاهرة)) و((اليقين في اختصاص علي بإمرة المؤمنين))، أكثر من خمسين حديثاً في فضائل أمير المؤمنين عليه السلام تناسب الكتابين، فجمعها ورتبها في هذه الرسالة لتكون مجموعة في مكان واحد، ورتبها في ستة وخمسين باباً لكل حديث باب.

بداية النسخة: ((بسم الله.. وصلاته على سيد المرسلين محمد النبي وآله الطاهرين،

يقول علي بن موسى بن جعفر...)).

[التراث العربي المخطوط: ٩٢-٩٣ / ٣]

(٨٧)

(عقائد)	تحفة الاخوان في تقوية الإيمان
----------------	--------------------------------------

تأليف: الطريحي، فخر الدين بن محمد علي بن أحمد الطريحي الخفاجي النجفي (ت:

١٠٨٧هـ)

جمع الآيات الواردة في فضائل المعصومين عليهم السلام ومدح شيعتهم وما ورد في ذم أعاديهم والمبغضين لهم، وفسرها وبين معناها مستشهداً بما ورد من الأحاديث والروايات في ذلك، وربما يورد بعض الآيات في المواعظ وقصص الأنبياء، وأكثر الروايات المنقولة محذوفة الأسانيد. جمعت الآيات على ترتيب السور الفاتحة الى سورة الناس، ولها مقدمة في بيان معنى الولاية وحقيقتها وخاتمة فيها أربعة أحاديث في فضل البيت عليه السلام.

بداية النسخة: ((الحمد لله المتفضل الوهاب المبين من عباده أولى الألباب الحاث

على الاقتداء بهم في محكم الكتاب الناهي اتباع أعدائهم النصاب..))

[التراث العربي المخطوط: ٣ / ٩٩-١٠٠]

(٨٨)

(فضائل المعصومين)	التحفة الرضوية
--------------------------	-----------------------

تأليف:؟

في فضائل ومناقب الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام والأئمة الطاهرين من ولده، وإثبات فضيلتهم على جميع الخلق ما عدا الرسول الكريم صلى الله عليه وآله، مستفيداً من الآيات الكريمة والأحاديث الواردة في الموضوع، منضماً إليه معراج النبي والأئمة ورؤيتهم الملائكة، ألفه بطلب بعض الأحياء، ورتبه في مقدمة وأبواب وفصول وخاتمة، المؤلف من معاصري العلامة المجلسي.

بداية النسخة: ((الحمد لله رب العالمين.. أما بعد، اعلم يا أخي أي منذ عهد كنت



أردت أن أكتب كتاباً أجمع فيه ما ورد في الآيات والروايات..)).

[التراث العربي المخطوط: ١١٦/٣]

(٨٩)

(كلام)	التحفة القدسية لاختصار الجواهر العلية
--------	---------------------------------------

تأليف: محمد الخطي، محمد بن عبد علي آل عبد الجبار القطيفي الخطي (كان حياً

سنة ١٢٤٦هـ)

مختصر من كتابه ((الجواهر العلية في إثبات الشريعة المحمدية)) الذي كان يشتمل على بحوث طويلة الدليل حول ضرورة الحججة الإلهية والشريعة الربانية في كل عصر - نيباً كان ذلك الحججة أو إماماً - مع مناقشات كثيرة لآراء مخالفي الشيعة، اختصره المؤلف مع إضافة ما يلزم إضافته من المباحث العقائدية، ورتبه في مقدمة وثلاثة فصول وخاتمة، خصص الفصل الثالث في إثبات الإمامة والرئاسة العامة.

بداية النسخة: ((الحمد لله وصلى الله على محمد إله صفوة خلقه والمختارين من

بريته، وبعد فلما كتبت الجواهر العلية في إثبات الشريعة المحمدية..))

[التراث العربي المخطوط: ١٣٦/٣]

(٩٠)

(حديث)	تذكرة الخواص في تحقيق الاختصاص
--------	--------------------------------

تأليف: الرشتي، محسن بن محمد رفيع بن محمد الجيلاني الأصبهاني (ت: بعد ١٢٩٠هـ)

صورة مناظرة هشام بن الحكم مع جماعة من أرباب المذاهب والأديان، وهي حول

إثبات إمامة أمير المؤمنين عليه السلام جرت في مجلس هارون الرشيد، ذكرت في كتب الحديث

وأفردتها الرشتي في نسخته.

بداية النسخة: ((أحمد وأصلي على أحمد.. حدث الفضل عن أبيه قال: اجتمع أصحاب الحديث الفقهاء وجماعة من الأعيان..)).
[التراث العربي المخطوط: ٣/ ١٨٣]

(٩١)

تذكرة الخواص من الأمة في خصائص الأئمة	(سيرة المعصومين)
---------------------------------------	------------------

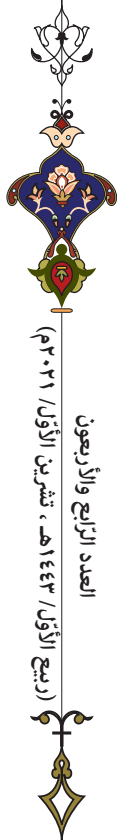
تأليف: سبط ابن الجوزي، يوسف بن قزاوغي البغدادي (ت: ٦٥٤هـ)
في مناقب الأئمة الاثني عشر من أهل البيت عليهم السلام وطرف من أحوالهم ومآثرهم، في اثني عشر باباً ذات فصول مع تفصيل كثير في أحوال الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام.

بداية النسخة: ((قال الشيخ.. الحمد لله الواهب من النعم كل كثير وجزيل، الدافع من النقم كل حقير وجليل، الذي خلق الإنسان وعدله فأحسن منه التعديل..)).
[التراث العربي المخطوط: ٣/ ١٨٤]

(٩٢)

تذكرة العارفين وفرحة الطالبين	(فضائل المعصومين)
-------------------------------	-------------------

تأليف: ابن المفيد
رسالة في فضائل ومناقب أمير المؤمنين عليه السلام ومثالب أعدائه.
[التراث العربي المخطوط: ٣/ ١٨٥]



(٩٣)

ترجمة الفصول النصيرية	(كلام)
-----------------------	--------

تأليف: الأسترآبادي، ركن الدين محمد بن علي الجرجاني الأسترآبادي (ق ٨)
 ترجمة حرفية جيدة من الفارسية لرسالة (الفصول الاعتقادية)) لنصير الدين محمد
 بن محمد بن الحسن الطوسي (ت: ٦٧٢هـ) في أربعة فصول كأصلها (التوحيد، العدل،
 النبوة والإمامة، المعاد) وقد اعتنى بها وشرحها وعلق عليها جماعة من العلماء.
 بداية النسخة: ((أما بعد حمد الله الواجب وجوده الفائض على سائر القوابل فضله
 وجوده ويتفاوت بحسب القبول ظلّه وجوده الذي منه مبدأ الخلق وإليه عوده...)).
 نهاي [التراث العربي المخطوط: ٢٢٣/٣]

(٩٤)

تسليك النفس إلى حظيرة القدس (الأنس)	(كلام)
-------------------------------------	--------

تأليف: العلامة الحلبي، جمال الدين أبو منصور الحسن بن يوسف ابن المطهر الحلبي
 (ت: ٧٢٦هـ).
 فيه نكات علم الكلام ودقائقه، ألفه لولده (فخر الدين محمد) في تسعة مراصد.
 فرغ منع في ١٢ محرم سنة ٧٠٤هـ، خصص المرصد الثامن في الإمامة.
 بداية النسخة: ((الحمد لله القديم الأزلي الدائم الأبدي الاله القهار الواحد الغني
 الملك القوي القديم الجبار الحكيم الكريم...)).
 [التراث العربي المخطوط: ٢٤٩/٣]

(٩٥)

(عقائد)	تصحيح اعتقاد الإمامية
---------	-----------------------

تأليف: الشيخ المفيد، أبي عبد الله محمد بن محمد بن النعمان العكبري البغدادي (ت: ٤١٣هـ).

شرح مختصر معروف على رسالة ((الاعتقادات)) للشيخ الصدوق بن علي ابن بابويه القمي (ت: ٣٨١هـ)، يتصدى المفيد فيه لتصحيح الأخطاء الواقعة في الرسالة، مدوّن على الأسس الكلامية مع شواهد من الآيات الكريمة وأحاديث أهل البيت عليهم السلام، أكثره بعناوين ((قال الشيخ أبو جعفر - قال الشيخ أبو عبد الله)) وفي بعض النسخ (قال الشيخ - قال المفيد))، كتبه المفيد لأنه يرى أن الصدوق اتبع طريقة المحدثين في هذا الكتاب من دون التفات إلى الاستدلالات الكلامية التي يجب أن تؤخذ بعين الاعتبار، مطبوع.

بداية النسخة: ((الحمد لله على نواله.. هذا تصحيح اعتقاد الإمامية.. قال الشيخ أبو جعفر في رسالة اعتقاداته..)).

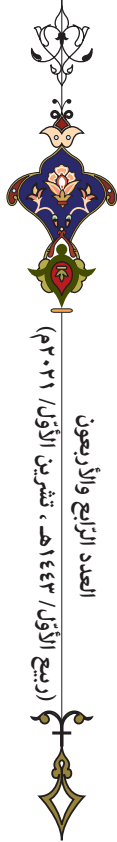
[التراث العربي المخطوط: ٢٦٨ / ٣]

(٩٦)

(عقائد)	التصريح بالمذهب الصحيح
---------	------------------------

تأليف: حميدان العياني، أبو عبد الله حميدان بن يحيى بن حميدان الزيدي القاسمي الحسيني (ق٦)

مسائل مهمة في التوحيد والإمامة وما يتفرع عليها، اختلف فيها الزيدية والمعتزلة ومال بعض علماء الزيدية فيها إلى الاعتزال، استعرضها المؤلف مع بيان المذهب الحق



فيها وما يذهب إليه الأئمة من أهل البيت (أئمة الزيدية)، وهو في خمسة مواضع ذات فصول، خصص الموضوع الثاني في مسائل الإمامة.

بداية النسخة: ((أحمد الله تعالى حمد معترف بوحدانيته وجلاله وعدله وحكمته سبحانه وتعالى في جميع أفعاله وأقواله...)).

[التراث العربي المخطوط: ٢٧١ / ٣]

(٩٧)

التعجب من أغلاط العامة في مسألة الإمامة	(عقائد)
---	---------

تأليف: الكراكجي، أبو الفتح محمد بن علي بن عثمان الكراكجي (ت: ٤٤٩ هـ) استعرض المؤلف في هذه الرسالة المختصرة أغلاط العامة في موضوع الإمامة وما يتبعها من المسائل الاعتقادية، وذكر مناقضاتهم فيها بعناوين ((من عجيب أمرهم - من عجيب أمرهم))، وهو احتجاج عليهم باختصار مستند إلى الكتاب والسنة والأدلة العقلية والتاريخ، مرتبة على ستة فصول، مطبوع.

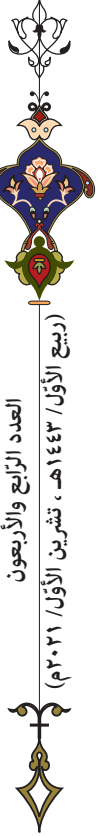
بداية النسخة: ((اللهم إنا نحمدك على ما أنعمت وأعطيت، ونشكرك لما أوليت وأسديت، ونسألك الصلاة على من انتخبت وارتضيت...)).

[التراث العربي المخطوط: ٢٨٧ / ٣]

(٩٨)

تعيين الثقل الأكبر	(عقائد)
--------------------	---------

تأليف: مكّي البحراني، مكّي بن صالح البحراني (ق ١٢) كتاب يذهب فيه المؤلف إلى أن العترة هم الثقل الأكبر، ذكر فيه جملة من فضائل القرآن الكريم والعترة الطاهرة الواردة في الأحاديث والروايات المروية عن أهل البيت عليه،



فهرس ذخائر آيات الإمامة والولاية والغدير في التراث العربي المخطوط **الْبَصِيحَاتُ** .

واستند إثبات رأيه بأدلة عقلية ونقلية، أتم تأليفه يوم الجمعة من ربيع الأول سنة ١١٥٣هـ، ورتبه في مقدمة وثلاثة مقاصد وخاتمة، سمي الكتاب في بعض الفهارس بـ((شرح حديث الثقلين)).

بداية النسخة: ((نحمدك اللهم يا من تفرد بالعز والمجد والجلال وتنزه عن مضارعة الأشباه والأنداد والأمثال...)).

[التراث العربي المخطوط: ٣/ ٣٠٩]

(١٠٠)

(تفسير)	تفسير آية ﴿إِنَّ الْأَبْرَارَ يَشْرَبُونَ مِنْ كَأْسٍ﴾
---------	--

تأليف: الشيرواني، ملا ميرزا محمد بن الحسن (ت ١٠٩٨هـ).

يثبت المؤلف من خلال تفسير هذه الآية الكريمة أنها نزلت في الإمام علي والحسن والحسين عليهم السلام، وأنها دالة على عصمة الأئمة عليهم السلام، ويردّ بعض ما قاله أهل السنة في نفي عصمتهم.

بداية النسخة: ((الحمد لله الذي أعطى فأقنى، وهو ربّ الشعرى، والصلاة على محمد وآله أجمعين...)).

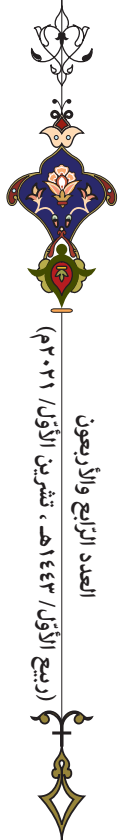
[التراث العربي المخطوط: ٣/ ٣١٦-٣١٧]

(٩٩)

(تفسير)	تفسير آية ﴿إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَوَاتِ﴾
---------	--

تأليف: اليزدي، محمد باقر بن مرتضى بن أحمد الطباطبائي الحائري (ت:

١٢٩٨هـ)



فسر الآية الكريمة على ضوء الأحاديث المروية عن أهل البيت عليهم السلام، وما أثر عن بعض كبار المفسرين، وذهب إلى أن الأمانة المومى إليها في الآية الكريمة هي ولاية الإمام أمير المؤمنين علي عليه السلام.

بداية النسخة: ((قال الله تعالى ﴿ إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَوَاتِ ﴾ الآية، أقول هذه الآية من المتشابهات وقد اختلفوا في تفسيرها...)).

[التراث العربي المخطوط: ٣/ ٣١٨]

(١٠١)

تفسير آية ﴿ إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ ﴾	(تفسير)
--	---------

تأليف: السّري، علي بن عبد الله بن علي السّري البحراني (ت: ١٣١٩هـ)

ردّ على أهل السنة حيث يؤولون هذه الآية المباركة على كل راع ومصدق في صلّاته من المسلمين، وهو استدلال على أنها مختصة بالإمام أمير المؤمنين علي عليه السلام حيث نزلت في شأنه، وهي من مناقبه وليست عامة لكل مصلّ كما يقولون، كتبها المؤلف في ٥ صفر سنة ١٣٠٢هـ.

بداية النسخة: ((الحمد لله.. وبعد فهذه فائدة جليّة في بطلان شبهة المخالفين فيما تأولوه في قوله تعالى: ﴿ إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا ﴾)).

[التراث العربي المخطوط: ٣/ ٣١٩]

(١٠٢)

تفسير آية العهد	(تفسير)
-----------------	---------

تأليف: الفتوي، عبد المنعم بن عبد العزيز العاملي الفتوي

تفسير عقائدي لطيف لآية ﴿ لَا يَتَّأَلُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ ﴾، في أوله تسع مقدمات

وتسع فوائد ثم الآية الكريمة ويذكر فيه كثيراً من المباحث حول الإمامة وعصمة الأئمة عليهم السلام.

بداية النسخة: ((الحمد لله رب العالمين.. أما بعد فيقول الراجي عفوره الغني.. إن هذه كلمات سوّدها حين مذاكرة آية نيل العهد..)).

[التراث العربي المخطوط: ٣/ ٣٢٢]

(١٠٣)

(تفسير)	تفسير آية ﴿وَإِذِ ابْتَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ﴾
---------	--

تأليف: المولى محمد رفيع بن فرج الجيلاني (ت: ١١٦١هـ)

يستدل الجيلاني في ضمن تفسير هذه الآية على وجوب عصمة الأئمة عليهم السلام، ويردّ ما قاله أهل السنة في عدم عصمة الإمام وأن كلمة ((لا ينال)) في هذه الآية الكريمة تدل على الاستمرار والدوام، فالظالمون بعيدون عن العهد الإلهي أبداً وليس لهم منصب الرسالة والإمامة، وهي بيان وتوضيح ضمنني لأقوال الطبرسي في كتابه ((مجمع البيان)).

بداية النسخة: ((عما كتبه في بيان.. قال (الشيخ أبو علي) في مجمع البيان استدل أصحابنا هذه الآية على أن الإمام لا يكون إلا معصوماً من القبائح..)).

[التراث العربي المخطوط: ٣/ ٣٣٣-٣٣٤]

(١٠٤)

(تفسير)	تفسير آية ﴿وَسَيَجَنَّبُهَا الْأَتَقَى﴾
---------	--

تأليف: المولى محمد رفيع بن فرج الجيلاني (ت: ١١٦١هـ)



يثبت المؤلف أن الآية الكريمة نزلت في أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام، وهو رد على الفخر الرازي في تفسيره الكبير الذاهب إلى أنها نزلت في أبي بكر، مستدلاً بأقوال بعض علماء الأدب والتفسير والكلام.

بداية النسخة: ((الحمد لله.. وبعد هذا ما كتبته بالتماس بعض الاخوان مما يتعلق بالاستدلال المشهور للقول بأية سورة هل أتى...))
[التراث العربي المخطوط: ٣/ ٣٣٧]

(١٠٥)

تفسير سورة الإخلاص	(تفسير)
--------------------	---------

تأليف: الداماد، محمد باقر بن محمد بن محمود الحسيني الأسترآبادي (ت: ١٠٤١هـ).
تفسير عرفاني فلسفي مختصر جداً، في أوله أحاديث مروية في فضل السورة، وفيه بيان لوجه تشبيه الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام بهذه السورة في بعض الأحاديث والروايات المروية عن أهل البيت عليهم السلام، ألفه سنة ١٠٢٠هـ.
بداية النسخة: ((الحمد كله لصانع الوجود كله، والصلاة أفضلها على أفضل الرسل وآله، وبعد فأيتها الصديق الماحض، والخليل الناهض...)).
[التراث العربي المخطوط: ٣/ ٣٤٩]

(١٠٦)

تفصيح المخالف الناصب في إمامة علي بن أبي طالب <small>عليه السلام</small>	(عقائد)
--	---------

تأليف: الطبسي، محمد بن محمود بن علي الطبسي (ق ١١)
تعليقات مفصلة على مبحث الإمامة والمعاد لشرح التجريد، بدأ بتأليف مبحث الإمامة في ٢٠ شهر شعبان سنة ١٠٥٣ في مدرسة خان بشيراز وأتمه في ٢٠ شهر رمضان

من نفس السنة، وبدأ بتألف مبحث المعاد في ٢٠ شعبان وأتمه في ٢٠ شهر شوال سنة ١٠٥٣ في مدرسة خان بشيراز.

بداية النسخة: ((الحمد لله الذي علا الصفوة من آل نبيه المصطفى بأصفي المناقب، وأجلهم من ذوي الشرف العلا وشرف الهدى في أعلى المعارج وأسمى المراتب...)).

[التراث العربي المخطوط: ٣ / ٣٨٩]

(١٠٧)

التفضيل	(فضائل المعصومين)
----------------	--------------------------

تأليف؟:

جملة من فضائل ومناقب الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام، مستندة إلى الآيات الكريمة والأحاديث الشريفة، ألفه المؤلف للسيد الجليل الشريف نقيب الطالبين؟ يحتفل بعض المهرسين أن يريد بالمشار إليه الشريف المرتضى أو السيد رضي الدين علي بن طاووس الحلبي.

بداية النسخة: ((الحمد لله الذي عم خلقه امتناناً وشملهم إحساناً، وصلاته على سيدنا محمد رسوله أوضح الأنبياء بياناً...)).

[التراث العربي المخطوط: ٣ / ٣٩٠]

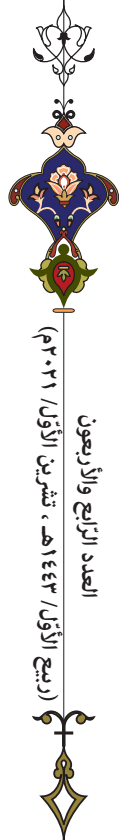
(١٠٨)

تفضيل علي على الأمة	(عقائد)
----------------------------	----------------

تأليف: الشيخ المفيد، أبي عبد الله محمد بن محمد بن النعمان العكبري البغدادي (ت:

٤١٣هـ)

استدلالات عقلية في فصول حول أفضلية الإمام أمير المؤمنين عليه السلام على جميع



الأمّة ما عدا الرسول الأعظم ﷺ، مع نقل أقوال بعض أرباب المذاهب حول الموضوع ومناقشتها.

بداية النسخة: ((قال الشيخ المفيد رضي الله عنه اختلفت الشيعة في هذه المسألة فقالت الجارودية إنه كان ﷺ أفضل من كافة الصحابة..)).

[التراث العربي المخطوط: ٣/ ٣٩٢]

(١٠٩)

تقريب المعارف	(كلام)
---------------	--------

تأليف: أبو الصلاح الحلبي، تقيّ بن نجم بن عبيد الله الحلبي (ت: ٤٤٧ هـ).
استعرض المؤلف المسائل الكلامية بشيء من التفصيل والنقض والإبرام وخاصة في قسم الإمامة، وقد ألفه بطلب بعض من التلاميذ، وهو بعناوين ((مسألة - مسألة)).
بداية النسخة: ((الحمد لله ربّ العالمين.. أما بعد فاني مجيب إلى ما سألتمونيهِ أدام الله توفيقكم من إملاء جمل العبارات على المعارف..)).

[التراث العربي المخطوط: ٣/ ٣٩٩]

(١١٠)

تلخيص الشافي	(عقائد)
--------------	---------

تأليف: الشيخ الطوسي، أبو جعفر محمد بن الحسن (ت: ٤٦٠ هـ).
تلخيص وتنظيم جيد لكتاب ((الشافي في الإمامة)) للشريف المرتضى علي بن الحسين الموسوي البغدادي (ت: ٤٣٦ هـ) الذي رد به على بحث الإمامة من كتاب ((المغني)) للقاضي عبد الجبار المعتزلي (ت: ٤١٥ هـ)، ولأن المرتضى كانت طريقته مناقشة الخصم على جميع ما يوردونه من الشبه توزع كلامه ولم ينتظم تنظيم المؤلفين الذين يرتبون الأدلة



على حدتها والجواب على الشبه باختصار ، فجعله الطوسي في تنظيم جديد على فصول بحذف الكرات وتيسير العبارات وإضافة زيادات مذكورة في غير الأصل من كتب المرتضى لإكمال الغرض المنشود ، وأتمه في شهر رجب سنة ٤٣٢هـ .

بداية النسخة: ((الحمد لمستحق الحمد وموجبه، وصلى الله على خيرته من خاقه محمد واله الطاهرين من عترته وسلم تسليماً كثيراً...)).

[التراث العربي المخطوط: ٤٤٩ / ٣]

(١١١)

كلام	تلخيص العقائد
-------------	----------------------

تأليف: الماحوزي، أبو الحسن سليمان بن عبد الله بن علي الماحوزي البحراني (ت:

١١٢١هـ)

مختصر في أصول الدين على أسس الكلام الشيعي، كتبه الماحوزي بطلب بعض الإخوان في الدين، وهو في خمسة فصول، خصص منها الفصل الرابع في الإمامة.

بداية النسخة: ((الحمد لله على نعمائه والصلاة على خير سفرائه محمد واله و خلفائه)).

[التراث العربي المخطوط: ٤٥٣ / ٣]

(١١٢)

عقائد	تنزيه الأنبياء والأئمة
--------------	-------------------------------

تأليف: الشريف المرتضى، علم الهدى علي بن الحسين الموسوي البغدادي (ت:

٤٣٦هـ).

ينفي المرتضى في كتابه هذا الذنوب والخطايا - الكبيرة منها والصغيرة - عن الأنبياء والأئمة **عليهم**، ويأول الآيات المستدل بها على ارتكابهم للذنوب بتأويلات عقلية



وبعضها نقلية، فبيحت في أول الكتاب نسبته المعاصي إليهم بصورة عامة، ثم يذكر ما نسب إلى كل نبي من الأنبياء ثم الأئمة على ترتيبهم الزمني. وفي هذا الكتاب مناقشات في بعض الآراء الكلامية المتصلة بموضوعه والرد على من خالف في ذلك على اختلاف فهم وضروب مذاهبهم، ويتخلله مباحث لغوية لتجلية بعض المسائل، مطبوع.

بداية النسخة: ((الحمد لله كما هو أهله ومستحقه، وصلى الله على خيرته من خلقه ووجته على عباده محمد وآله الأبرار الطاهرين الذين أذهب الله عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً...)).

[التراث العربي المخطوط: ٤٩٣ / ٣]

(١١٣)

(فضائل المعصومين)	توضيح الدلائل على ترجيح الفضائل
-------------------	---------------------------------

تأليف: الإيجي، شهاب الدين أحمد بن جلال الدين الإيجي (ق ٩)

في فضائل الثقلين الكتاب والذرية الطاهرة، وهما المؤكدان على الأخذ بهما في الأحاديث النبوية، رتبه في ثلاثة أقسام ذات أبواب.

[التراث العربي المخطوط: ٥٢٨ / ٣]

(١١٤)

(فضائل المعصومين)	الثاقب في المناقب
-------------------	-------------------

تأليف: ابن حمزة الطوسي، محمد بن علي ابن حمزة الطوسي المشهدي (حدود ٥٦٠ هـ)

أحاديث في معجزات المعصومين عليه السلام الدالة على عصمتهم وإمامتهم، وهي منتخبة من كتب أعلام الشيعة وبها ذكر معاجز ظهرت من قبور بعض الأئمة، وهو في خمسة عشر باباً فيها فصول لكل معصوم باب خاص وللأنبياء المذكورين في القرآن الكريم



أيضاً باب من الكتاب

بداية النسخة: ((الحمد لله العلي مجده الغالب جنده الفائض فضله الدائم طوله الذي له الخلق وبيده الخذلان والنصر وإليه المرجع والمصير وهو العليم القدير...)).
[التراث العربي المخطوط: ٥ / ٤]

(١١٥)

(فضائل المعصومين)	الثاقب في المناقب في فضائل علي بن أبي طالب
-------------------	--

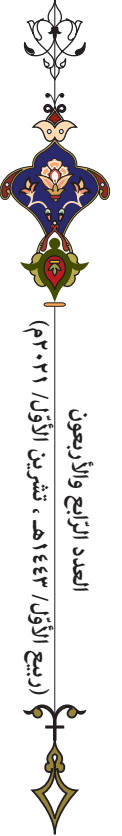
تأليف؟:

جمع فيه الأحاديث المروية في فضائل الإمام علي عليه السلام من طرق العامة والخاصة بحذف أكثر أسانيدھا، وهي أحاديث جمعت من دون ترتيب وتنظيم خاص. وليس كتاب ((ثاقب المناقب)) لعهاد الدين الطوسي المذكور سابقاً.
بداية النسخة: ((أول هذا المرأة بمتناسيته ومقارنته لرسول الله محمد البشير النذير السراج المنير...)).
[التراث العربي المخطوط: ٥ / ٤]

(١١٦)

(كلام)	ثلاثون مسألة (المسائل الكلامية)
--------	---------------------------------

تأليف: الشيخ الطوسي، أبو جعفر محمد بن الحسن (ت: ٤٦٠ هـ).
ثلاثون مسألة قصيرة في التوحيد والنبوة والإمامة والمعاد التي هي أساس عقائد الشيعة الإمامية مع إشارات خاطفة إلى أدلتها العقلية، وهو متن جيد جامع لرؤوس المسائل الكلامية مع اختصاره.
بداية النسخة: ((الحمد لله رب العالمين.. مسألة معرفة الله تعالى واجبة على كل



مكلف بدليل أنه صنع هذا العالم..)).

[التراث العربي المخطوط: ١١ / ٤]

(١١٧)

جامع الاخبار	(حديث)
--------------	--------

تأليف: السبزواري، محمد بن محمد الشعيري السبزواري (ق٧)

أحاديث قصيرة في التوحيد والنبوة والإمامة ثم الأخلاق والآداب الإسلامية وبعض الأمور الاعتقادية والفقهاء، جمعت بحذف أسانيدها، وهو مرتب على أربعة عشر باباً ذات فصول، تبدأ أكثر الفصول بآية أو آيات من القرآن الكريم تناسب موضوع الفصل. قد نسب الكتاب وهماً إلى الذريعة ٣٢ / ٥.

بداية النسخة: ((الحمد لله الأول بلا أول قبله والآخر بلا آخر يكون بعده الذي قصرت عن رؤيته أبصار الناظرين وعجزت عن نعته أوهام الواصفين..)).

[التراث العربي المخطوط: ٢٢ / ٤]

(١١٨)

الجامع الصفوي	(عقائد)
---------------	---------

تأليف: الكمره اي، علي نقى بن محمد هاشم الطغائي الكمره أي (ت: ١٠٦٠ هـ) بحوث موسعة جداً حول الإمامة ورد على افتراءات الشيخ نوح أفندي مفتي بغداد الذي أفتى بكفر الشيعة وقتل كثير منهم نتيجة لهذه الفتوى، وقد أرسل السيد شرف الدين علي نص الفتوى إلى المؤلف. يرد آراء علماء السنة في موضوع الإمامة بأدلة رصينة طويلة على أسس علم الكلام، وللكتاب مقدمة فارسية لعلها ليست من صنع المؤلف نفسه، والنسخ التي رأيتها مقدمتها عربية من المؤلف. الكتاب مؤلف في ثلاثة مجلدات، وفي مقدمته الفارسية مقدم إلى الشاه صفي الصفوي.

بداية النسخة: ((بعد حمد الله رب العالمين.. إن بعض إخوان الدين وخلان اليقين
أعز الناس على وأقربهم زلفى لدي سيد المحققين في عصره...)).
[التراث العربي المخطوط: ٤ / ٤٥]

(١١٩)

جامع فضائل الأئمة	(فضائل المعصومين)
--------------------------	--------------------------

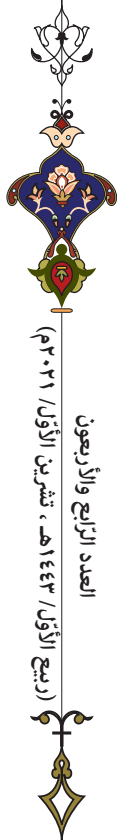
تأليف: المازندراني، محمد مهدي بن محمد جعفر الساروي المازندراني (ق ١٣)
في فضائل المعصومين عليه السلام وطرف من معجزاتهم ومناقبهم وخاصة فضائل الإمام
علي بن أبي طالب عليه السلام، وفيه بعض مثالب أعدائهم وأحوالهم وما يصيبهم من العذاب
والخزي بعد الموت، وهكذا جمع الآيات النازلة في أهل البيت على ما في الأحاديث
المروية، وهو في جزئين في مقدمتين وبابين وخاتمتين. تم الجزء الأول سلخ ربيع الآخر
سنة ١٢٨٢ والجزء الثاني في العشرة الأولى من جمادى الآخرة سنة ١٢٨٥ في مدينة
ساري.

بداية النسخة: ((الحمد لله الذي خلق الأشياء من العدم فبدت على صفحاته أنوار
أسرار لوجود أشرف بني ادم...)).
[التراث العربي المخطوط: ٤ / ٤٧]

(١٢٠)

جامع المطالب من أعداء علي بن أبي طالب <small>عليه السلام</small>	(تاريخ)
---	----------------

تأليف: القزويني، محمد بن كاظم الخوئيني القزويني (ق ١٣)
فيه فضائل ومناقب الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام وجملة من مثالب أعدائه الواردة في
كتب الحديث والتاريخ، في مقدمة ومقصدتين وخاتمة.



بداية النسخة: ((الحمد لله الذي اظهر حق ظهوره وأزهق ظلم الباطل ببواهر نوره...)).

[التراث العربي المخطوط: ٥٦ / ٤]

(١٢١)

(عقائد)	الجمع بين كلام النبي والوصي وبين آيتين
---------	--

تأليف: العلامة الحلبي، الحسن بن يوسف ابن المطهر الحلبي (ت: ٧٢٦هـ)

محاولة للجمع بين ما أثر عن الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام من قوله: ((لو كشف الغطاء ما ازددت يقيناً))، وبين الآية التي تأمر النبي صلى الله عليه وسلم بطلب العلم ﴿ رَبِّ زِدْنِي عِلْمًا ﴾ ، وهكذا الجمع بين قوله تعالى: ﴿ وَقِفُوهُمْ إِنَّهُمْ مَسْئُولُونَ ﴾ ، وآية ﴿ لَا يُسْأَلُ عَنْ ذَنْبِهِ إِنْسٌ وَلَا جَانٌّ ﴾ . أثر موضوع هذه الرسالة في حضرة السلطان إيلخاني وأجاب عنه الوزير خواجه رشيد الدين فضل الله ودونه العلامة في شهر ذي القعدة سنة ٧٠٧هـ .

بداية النسخة: ((يقول الفقير إلى الله تعالى .. أما بعد، حمد الله على سوابغ نعمائه، والشكر على جزيل آلائه، حمداً يقصر العادون عن إحصائه...)).

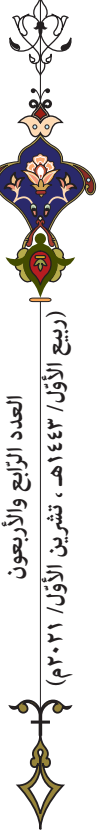
[التراث العربي المخطوط: ٩٧ / ٤]

(١٢٢)

(فضائل المعصومين)	جواهر العقدين في فضل الشرفين
-------------------	------------------------------

تأليف: المدني، نور الدين علي بن أحمد السمهودي المدني (ت: ٩١١هـ).

في فضل العلم والعلماء وآداب التعليم والتعلم وفضل أهل البيت النبوي وما لهم من الشرف والمزايا وما على المسلمين من توقيرهم والتعظيم لهم، كتبه المؤلف على إثر



ما رآه من أشقاء زمانه من المعادة والأذى لهم، واستند في أبوابه وفصوله بآيات من الكتاب الكريم وأحاديث مروية عن النبي العظيم ﷺ وآثار منقولة عن الصحابة وكبار العلماء الأجلاء، وأتمه في ثامن ربيع الثاني سنة ٨٩٧هـ.

بداية النسخة: ((الحمد لله الذي أعز أولياءه أعلام الدين وقضى بحبهم وودهم وخذل أعداءه الذين هم للأعلام معادين وأمر ببغضهم ونهى عن قربهم وجعل العقابة للمتقين...))

[التراث العربي المخطوط: ٤ / ١٧١]

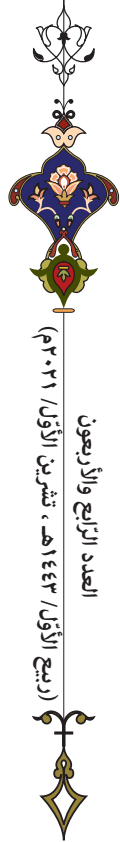
(١٢٣)

جواهر المطالب في فضائل علي بن أبي طالب	(فضائل المعصومين)
---	--------------------------

تأليف: الطريحي، فخر الدين بن محمد علي الطريحي النجفي (ت: ١٠٨٧هـ)
 أحاديث مختارة من طرق الشيعة وأهل السنة في فضائل أمير المؤمنين الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام، جمعت في هذه المجموعة من دون تنظيم وتبويب خاص، وفي أواخرها أبواب منتخبة من كتاب (توضيح الدلائل).

بداية النسخة: ((أما بعد حمد الله والصلاة على محمد وآله الطاهرين.. قال صاحب توضيح الدلائل في ترجيح الفضائل: اعلم أعزك الله أن الموالاتة نعمة كريمة...)).

[التراث العربي المخطوط: ٤ / ١٨٧]



الله أكبر
الله أكبر
الله أكبر





نافذة المصباح

نافذة الصباح

مِنْ كُتُبِ الْوَلَايَةِ الْقُرْآنِيَّةِ

كِتَابٌ ﴿ ثُمَّ نَبْتَهْلُ ﴾

لِلْبَاحِثِ غُلَامِ رِضَا صَادِقِي فَرْدٍ

قِرَاءَةٌ وَتَوْصِيفٌ

الأستاذ حسين علي السعداوي

*One of the Quranic Custodianship books {
then let us sincerely invoke/ ثُمَّ نَبْتَهْلُ } by Researcher. Ghulam-Reza
Sadiq Fard*

A Descriptive Reading

Mr. Hussain Ali al-Sa'dawi

hosssin267@gmail.com

التعريف بكتاب (ثم نبتهل)

الكتاب الذي بين أيدينا هو الكتاب العاشر ضمن سلسلة (الصادقين) لمؤلفه غلام رضا صادقي فرد، وهو عبارة عن دراسة تحليلية لآية الابتهاال أتيح فيها المؤلف أسلوب الاقتباس في التأليف كما في بقية السلاسل التي ألفها، ومنها (ليلة المبيت)، و(اللهم وال من والاه)، و(الصراط المستقيم).

وهذا الأسلوب - الاقتباس في التأليف - عبارة عن أخذ المعاني واقتباسها من أحاديث المعصومين وصياغتها والتعبير عنها بالألفاظ والكلمات التي يختارها المؤلف مع بقاء جميع المباحث الاستدلالية في هذا الكتاب مستندة إلى تلك الأحاديث غالبًا.

أسلوب الدراسة التحليلية التي اعتمدها المؤلف في كتابه هذا

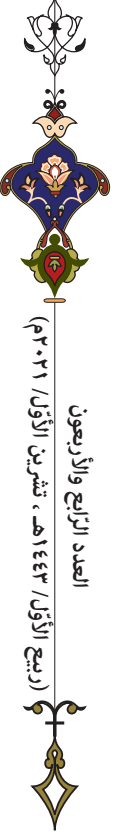
وقد استندت هذه الدراسة التحليلية إلى آية الابتهاال على مبنى تغيري مهم عبّر عنه المؤلف بـ(التناظر أو التآزر التعريفي) حيث استخدم هذا المبنى في كتابه هذا وفي سلسلاته الأخرى كسلسلة (الصادقين) وسلسلة (الصراط المستقيم) ولأجل معرفة هذا المبنى أو الأسلوب في تحليل النصوص لابد من الوقوف على شرح موجز في ذلك لكي يتّضح الاصطلاح للقارئ أو الباحث.

ما هو التناظر أو (التآزر التعريفي):

يوجد كثير من المواضيع المختلفة في القرآن الكريم، وأهمّها موضوع الولاية والإمامة، وقد تناولت الآيات القرآنية هذين الموضوعين بأسلوبين:

الأول: أسلوب التصريح الجلي.

الثاني: أسلوب الإشارة وعدم التصريح.



عند متابعة الباحث لهذين الموضوعين يجد ترابطاً وثيقاً بين آيات التصريح وآيات الإشارة. إذ يتفاجأ الباحث من شدة ترابط هذه الآيات ودعمها لبعضهما الآخر، إمّا إجمالاً وتفصيلاً أو إبهاماً وتبييناً، وغيرها من وسائل الارتباط التعريفي ما بين هذه الآيات. وفي المحصلة ولأجل الوقوف على معنى الآيات في أحد الأسلوبين يجب علينا الوقوف على مفاهيم ومعاني الأسلوب الآخر من الآيات القرآنية التي ذكرت ذاك الموضوع حتى يخرج الباحث أو المفسر حصيلة كاملة ومعلومات تامة من هذا الموضوع. فمن خصائص هذه الروابط والتي تعد الأكثر شيوعاً وانتشاراً في طيات الآيات القرآنية هو الإحكام وتأثيرها على إحكام العقائد الدينية إذ أنها روابط تعريفية، فقد بين المبهم أو تفصل المجمال أو ترفع التشابه فتكون بذلك قد أحكمت المعاني والمفاهيم في هذه المواضع القرآنية.

وبعبارة أخرى فإن التناظر (التأزر) التعريفي يعمل عمل المرأة التي تقابل المرأة الأخرى بالتوازي فالمرأة الأخرى تعكس ما موجود في المرأة الأولى وهكذا هو التناظر أو (التقابل) التعريفي بين الآيات القرآنية.

وبالطبع فإنه لا حد ولا نهاية لهذه الروابط التناظرية بين الآيات القرآنية ولا انقطاع لها. وهذه الطريقة فعالة جداً في تحليل النصوص القرآنية وهي من الطرق المنتقاة من أحاديث الأئمة عليهم السلام وتعليقاتهم كما ورد عن الباقر عليه السلام أنه قال: «يا معشر الشيعة خاصموا بسورة إنا أنزلناه تفلجوا، فوالله إنها لحجة الله تبارك وتعالى على الخلق بعد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم»

وإنها لسيدة دينكم، وإنها لغاية علمنا، يا معشر الشيعة خاصموا بـ ﴿حَمَّ﴾ ﴿وَالْكِتَابِ﴾ ﴿الْمُبِينِ﴾ ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةٍ مُبَارَكَةٍ إِنَّا كُنَّا مُنذِرِينَ﴾ ^(١) فإنها لولاة الأمر خاصة بعد رسول

(١) سورة فاطر، الآية: ٢٤.

الله ﷻ، يا معشر الشيعة يقول الله تبارك وتعالى: ﴿وَإِنْ مِنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ﴾^(١) «(٢)». إلى آخر الحديث.

وما يتبناه المؤلف من بمنى تفسيري لتحليل النصوص القرآنية قد عبّر عنه باتباع الأشباه والنظائر القرآنية حيث كان الرائد في هذا المجال بعد الأئمة عليهم السلام هو زيد بن علي بن الحسين عليه السلام فقد وردت نصوص توثق أنه له تطبيقات على هذا الأسلوب التفسيرية للآيات وكذلك نجد أن بعض علماء الشيعة قد توقّفوا في البت بهذا الأسلوب كما ينقل عن الشيخ الصدوق في معاني أخبار الرضا عليه السلام تفسيره لضرب الكتاب بعضه ببعض.

عودة إلى ما ورد في الكتاب

انطلاقاً من هذا الحديث نستطيع حل جميع المشاكل التفسيرية المتعلقة بأمر الإمامة والولاية ضمن الآيات في سورة القدر و(الآيتان في أوائل سورة الدخان) باستخدام التناظر التعريفي وبذلك نستطيع الوقوف على تفاصيل وبيانات مبهمات كثيرة في موضوع الإمامة والولاية.

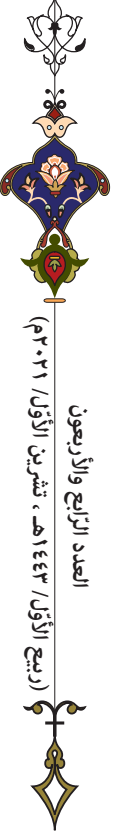
كما ونستطيع الوقوف على الفهم الخاص لآيات سورة القدر بالتناظر مع أوائل آيات سورة الدخان وكذلك تفاصيل آيات الدخان.

أسلوب التمسك بالأصل اللغوي للألفاظ المذكورة في كتاب الله الكريم

عندما تناول المؤلف في كتابه (كلمة نبتهل) قد سعى جاهداً أن يردّها إلى أصلها اللغوي حيث فرق بين كلمة (نبتهل) وكلمة (مباهلة) وفرّق بين الجذور اللغوية ثم

(١) سورة الدخان، الآيات: ١-٣.

(٢) الكافي الشريف، ثقة الإسلام الشيخ أبو جعفر محمد بن يعقوب بن إسحاق الكليني الرازي (ت ٣٢٩هـ)، تصحيح علي أكبر الغفاري، الشيخ محمد الآخوندي، نشر دار الكتب الإسلامية، الطبعة الثالثة، ٢٠٠٩م، طهران، إيران:



سعى إلى عدم المساواة بين مفهوم المباهلة ومفهوم الملاعنة الذي اعتمده المفسرون بوصفه مفهومًا اصطلاحياً للفظة المباهلة.

فقال: قد يكون تبديل مفهوم الابتهاال أو مساواته مع مفهوم المباهلة ممكنا ويمكن كذلك الاستدلال عليه من خلال الوقوف على عدة أمثلة قرآنية في ذلك الشأن أما السائد في الأعراف التفسيرية من تساوي مفهوم المباهلة مع مفهوم الملاعنة فذلك مما لا يمكن السكوت عنه مطلقاً.

فالابتهاال يعني شدة التضرع والدعاء والطلب مع إلحاح وإصرار شديد وهو فعل أحادي لا طرف ثانٍ فيه وأما عند تحويل الابتهاال إلى مفهوم المباهلة فذلك يعني وجود طرف ثانٍ متضرع بشدة كما في التعابير القرآنية وهذا يعتمد على حقيقة استعداد الطرف المجادل لنبي الرحمة ﷺ للذهاب والابتهاال إلى الله تعالى؟!!

أما عند تحويل مفهوم المباهلة إلى مفهوم الملاعنة فاللازم منه الدعوى بأن الله تعالى قد دعا المشركين والكفار إلى لعنة النبي وأهل بيته صلى الله عليهم أجمعين ونعوذ بالله من هذا التفسير.

وعلى أي حال فإننا قد حاولنا جاهدين الابتعاد عن اعتماد مفهوم البلاغة كما ولمفهوم المباهلة واستخدمنا لشرح المباهلة مفهوم الابتهاال وإن كان هذا الاستخدام غير مألوفٍ في الوسط التفسيري.

ومن اعتمد هذا الأسلوب في بعض جزئياته التفسيرية هم الأئمة عليهم السلام حينما أرجعوا لفظ اليد إلى الأصل اللغوي وهو القدرة فتم بذلك حل إشكال لغوي خطير وتفسيري وهو القول بالتشبيه.

المبحث التاريخي في نزول الآية وزمان وقوع الحادثة (الابتهاال)

ذهب الكاتب من خلال بحثه التاريخي ومن خلال بحثه اللغوي إلى القول بأن

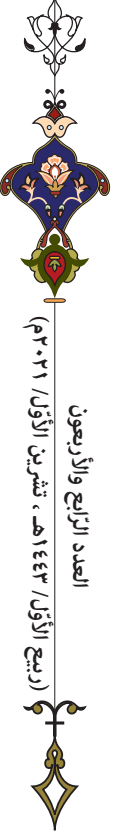
المباهلة لم تحصل في حياة النبي ﷺ من خلال الاعتماد على ما موجود في هذه الآية من تعبيرات خاصة وما يليها من آيات.

فقد ذكر: أن آية الابتهاال جملة شرطية موجهة إلى شخص النبي ﷺ فقد تم تكليفه فيها بدعوة المجادلين بعد بيان الحق له وتوضيحه وفي حال عدم رضوخهم فلا حق لأحد منهم بدعوة النبي ﷺ للجدال ولا رخصة كذلك للنبي ﷺ في جدال أي منهم. ومما يظهر من هذه الآية ومن سيرة النبي صلى الهل عليه وآله أن هذه الحادثة لم تقع في زمان حياته لأنه ﷺ قد شرح هذا الأمر المكلف ببيانه وبينه ووضحه بصورة صريحة وبالإشارة وبالقول والعمل كذلك إذ لم يدع لأحد فرصة للتلاعب في هذا الأمر المراد تبليغه.

ومن خلال التعريف وحسب المنهج التفسيري المتبع يتبين أن نزول هذه الآية لها فارق زماني كبير مع وقف حدوث واقعة الابتهاال بل تجد أن هذه الآية تلخص حياة النبي ﷺ وتسجل جميع التحركات والمخططات التي كانت تحيط به وبأهل بيته ﷺ والتي كانت تصب للقضاء عليه والقضاء على الدين الإلهي كما يظهر أيضاً مفتعلي هذه التحركات أنهم كانوا ممن يتظاهرون بالإسلام وإن كانوا قد نزعوا لباسه لاحقاً. وهذه الآية كذلك تلخص جميع الاعتقادات إذ فهمت بالأسلوب الذي نتبناه لا كالفهم الكلاسيكي لبقية الآيات والسائد بين المفسرين.

كذلك فإن الآية تحيط بجميع مواضيع آيات الإمامة والولاية وتناظر كل واحدة منها بالتناظر التعريفي وتبين وتشرح كل واحدة منها بأسلوب وافٍ لبيان النبي ﷺ فيها وبصورة كاملة.

كذلك لها فائدة أخرى إضافة إلى ما تقدم، فمن خلالها نستطيع تعريف الصادقين بأنهم المطهرون وتعرفهم بأنهم أهل البيت ﷺ وأنهم الصراط المستقيم وأنهم المنعم



عليهم وأنهم محور الاعتصام وأنهم حبل الله وأنهم القرى وذوي القربى وأنهم أجر الرسالة وأنهم الموالى لكل وأنهم أئمة الهدى في كتاب الله العزيز.

الإشارات في قصة الابتهاال وآية المباهلة

قد تختلف طرق التضحية والاستعدادات الشخصية فيها فبعضهم يضحي بنفسه وبعضهم يقدم الاستعداد لذلك وبعضهم قد يبادر بشكل مبالغ فيه في التضحية في سبيل التوحيد والنبوة والإمامة وفي سبيل الإبقاء على جميع المعتقدات الدينية.

فآية الابتهاال تعرّفنا بعائلة إلهية فريدة من نوعها إذ أنّ هذه الأسرة تشترك في الأرواح وان اختلفت في الأجساد، وتعرّفنا على أسرة صالحة هي القدوة للمؤمنين والمؤمنات، ونعرف مقدار التضحية الكبيرة لهذه الأسرة المتمثلة بالخمسة الذين هم في أعلى درجات الوجود، منهم النبي الأكرم ﷺ الذي يمثل ذروة الخلق أجمعين وأعزّ العباد على الله تعالى، إذ أنّه ندب معه أعزّ العباد على قلبه للمشاركة في هذه الواقعة، وهذا يُشير إلى حقيقة خطيرة ومهمّة ألا وهي مقدار استعداد خليفة رسول الله ﷺ للتضحية في سبيل إبقاء الدين الإلهي وإقامة تعليماته.

كذلك من خلال هذه الآية نستطيع الوقوف على الرابط الموجود بين هؤلاء صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين وتفصيل علاقتهم باعتماد الأساليب التي ذكرت في الكتاب. هذه الخطوط العامة الموجودة في هذا الكتاب وللوقوف على مواضعه نورد فهرس محتويات الكتاب بصورة إجمالية.

فالكتاب عبارة عن: المقدمة، الفصل الأول: الوقوف عند آية الابتهاال، الفصل الثاني: كلمات آية الابتهاال والجذور اللغوية، الفصل الثالث: بحث في احتجاجات النبي ﷺ وابتهااله، الفصل الرابع: بحث في زمان وقوع الابتهاال، الفصل الخامس: بحث في مكان وقوع الابتهاال والتحضيرات التي جرت، الفصل السادس: الربط بين حديث

الكساء وواقعة الابتهاال، الفصل السابع: الإيمان والإقرار والميثاق في آية الابتهاال وعلاقته بواقعة المباهلة، الفصل الثامن: التضحية بالنفس في الابتهاال، الفصل التاسع: اللهم إن كان هذا هو القى من عندك، الفصل العاشر: شأن النزول والورقة الخاسرة، الفصل الحادي عشر: المباهلة لتثبيت حق الغدير المبين، الفصل الثاني عشر: الترابط بين احتجاج الابتهاال واحتجاج الغدير، الفصل الثالث عشر: المباحث التحليلية لآية الابتهاال، الفصل الرابع عشر: احتجاجات اليهود ومناظرتهم النبي ﷺ بعد غزوة خيبر وتبوك، الفصل الخامس عشر: المقابلة إعلان استخلاف أمير المؤمنين ﷺ قبل الغدير، الفصل السادس عشر: استخلاف أمير المؤمنين ﷺ في حجة الوداع في غدير خم، الفصل السابع عشر: المواجهة مع استخلاف أمير المؤمنين ﷺ ما بعد غدير خم، الفصل الثامن عشر: وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين، فنجعل لعنة على الظالمين، الفصل التاسع عشر: الابتهاال يعني دعوة منكري الغدير لطلب العذاب، الفصل العشرون: الابتهاال الغديري الذي تلى غدير خم، الفصل الواحد والعشرون: التناظر التعريفي بين آيات الولاية وآيات الابتهاال، الفصل الثاني والعشرون: التناظر التعريفي بين آية الابتهاال وآية المودة، الفصل الثالث والعشرون: سورة الكوثر في آية الابتهاال.

